نفحات القرآن

أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

الجزء السادس

المعاد (٢)

سماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
بمساعدة مجموعة من الفضلاء

بسم الله الرحمن الرحیم

نفحات القرآن:اسلوب جدید فی التفسیر الموضوعی للقرآن الکریم

کاتب:

ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعة:

موسسه ابی صالح النشر و الثقافه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

نفحات القرآن المجلد ۶

اشارة

سرشناسه : مكارم شيرازى ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پديدآور : نفحات القرآن اسلوب جديد فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ناصر مكارم شيرازى بمساعده مجموعه من الفضلا

مشخصات نشر : موسسه ابى‌صالح النشر و الثقافه [۱۳۷۷؟].

مشخصات ظاهرى : ج ۶

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى يادداشت : عربى مندرجات : ج ۱. العلم و المعرفه فى القران .-- ج ۲. معرفه الله فى القرآن .-- ج ۳. .-- ج ۴. معرفه صفات و جلال‌الله .-- ج ۵، ۶. المعاد فى القرآن موضوع : تفاسير شيعه -- قرن ۱۴

رده بندى كنگره : BP۹۸/م۷ن۷ ۱۳۷۷

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۱۷۹

شماره كتابشناسى ملى : م۷۷-۱۳۷۱۱

منازل الآخرة

المقدّمة:

اشارة

إنّ مسألة المعاد مسألة واسعة النطاق والابعاد، لأنّ الحديث عنها هو حديث عن عالم واسع، وبما أنّ عالم المعاد عالم مجهول ويختلف من جهات عديدة عن عالمنا هذا، لذلك سيكون البحث فى هذا المجال بحثاً معقداً، ومع كونه معقداً فهو ممتع وجذّاب فى نفس الوقت ويعود ذلك لسببين:

الأول: لكونه موضوعاً مثيراً، وهذا ما يبعث عند كل إنسان حبّ الاطلاع وكشف المجهول.

الثانى: إنَّ التوجّه إلى هذه المسألة ومعرفة جزئياتها له أثر نفسى وروحى وتربوى كبير فى بناء النفس الإنسانية، إذ إنَّها تشتمل على جميع مراحل حياة الإنسان، وربّما هذا هو السبب الذى جعل القرآن الكريم يتناول الكثير من الموارد والمسائل التى تتعلق بالمعاد، وهذا ما لا نجده فى غيرها من المسائل.

إنَّنا فى بادئ الأمر كنّا قد ارتأينا أن نجمع جميع البحوث المتعلّقة ب (المعاد) وفق المنظور (القرآنى) فى مجموعة واحدة (كتاب واحد) ونضعها بين يدى القارىء الكريم تحت عنوان (تفسير نفحات القرآن).

ولهذا نحن بذلنا جهدنا فى تلخيص هذه البحوث بالقدر الذى لا يؤثر على المحتوى العام، مع الحرص على تلافى أى خلل أو نقص فى المسائل المطروحة فيه، ولكن وبعد أن خضنا فى أعماق الآيات القرآنية- بهذا الفكر القاصر- عثرنا على كنوز من الجواهر النفيسة بحيث لايمكن جمعها فى كتاب واحد، حيث أصبح عدد صفحاته يزيد على الالف ممّا

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۸

اضطرنا إلى أن نعيد النظر فى هذا الكتاب وندوِّنه فى مجلَّدين.

واتفق أن البحوث المتناولة فى المجلد الأول مغايرة تماماً لبحوث المجلد الثانى، ففى المجلد السابق كان الحديث يدور حول المسائل

المرتبطة بالمعاد، أمّا هـذا المجلـد فيتناول جزئيات وخصوصـيات المعاد وفق المنظور القرآنى، وبتعبير آخر لو أننا شبَّهنا مسألة المعاد ببناء عظيم شامخ لكان المجلد الأول يمثل أساس هذا البناء، وأمّا المجلد (الثانى) فيتناول جزئيات وتفاصيل البناء وما يتعلق به.

ولهذا كان من المناسب أنْ نسمّى هذا الكتاب باسم (منازل الآخرة) أو منازل القيامة.

ولابدّ لنا من الإشارة إلى أنّ البحث حول المعاد عموماً، وما يرتبط بجزئياته خصوصاً، يثير الكثير من الأسـئلة، لهذا فقد سـعينا واستطعنا أن نجيب عن جميع الأسئلة من القرآن نفسه أو من الأحاديث الشريفة أو الأدِلَّة المنطقية الفعلية.

كـذلك بـذلنا جهـدنا لتقريب هـذه المفاهيم المهمّـة والمعقّـدة إلى الأذهان بضـرب الأمثلـة الحيـة، ولقد اسـتفدنا فى هذا المجال من التجارب التى حصلنا عليها من خلال البحوث العقائدية والتفسيرية، آملين التوفيق فى هذا الطريق، والرأىُ لكم.

ولا شكّ فى أنَّ هـذا العمل سيمهِّد الأرضـية لبـذل جهود أكبر فى المسـتقبل، وهو عامل مساعـد فى اسـتمرارية هـذه الجهود فى هذا المجال، ولا يمكن أنْ يدّعى أحد بأنّه قال فى هذا المجال كل شىء، ولم يبق ما يقال.

نسأله تعالى أنْ يعصمنا من الزلل سواء كان فى العلم أو فى العمل، فى القلم أو فى الكلام، كما نطلب منه تعالى أنْ يسلِّمنا ويدخلنا فى المنازل الرفيعة منازل الرحمة، رحمته (جنات عدن)، (جنّة الخلد) ولا يمكن لأحد أنْ يدخلها بسـلام إلّاأنْ تشمله ألطاف وعناية البارى عزّ وجلّ.

قم المقدّسة- ناصر مكارم الشيرازى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹

۱- علامات القيامة

الفصل الأول: أشراط الساعة

تمهيد:

يبـدأ المنزل الأول من منازل الآخرة بظهور علامات القيامـة، وهـذه الحقيقـة الملموسة نجدها بكثرة فى القرآن الكريم حيث إنّ الكثير من الآيات القرآنية تتحدث عن علامات قرب الساعة، وقد عُرفت هذه العلامات ب (أشراط الساعة) وقد اخذ هذا العنوان- كما سنرى ذلك- من القرآن الكريم نفسه:

«أشراط» جمع شَرَط على وزن هَدف بمعنى (العلامة)

و «الساعـة» هنا تعنى القيامـة، وهذه العلامات عبارة عن حوادث مهمّة ورهيبة تحدث قبل يوم القيامة تنذر كل منها بنهاية هذا العالم أو هى البدايـة لقيام الساعة ولابدّ أن نشير هنا إلى أنّ هذه الحوادث ليست متشابهة بل هناك فوارق واختلافات بينها، وبنظرة عامّة يمكن تقسيم هذه الحوادث إلى ثلاثة أقسام وهى:

۱- الحوادث المهمّة التى تتحقق «قبل نهاية هذا العالم».

۲- الحوادث المرعبة التى تحدث على «اعتاب نهاية هذا العالم».

۳- الحوادث الرهيبـة التى تحصل أيضاً عنـد «بدايـة البعث» والعودة إلى حياة جديـدة، ولابـدّ من التأمل فى كل واحدة منها. وبعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن الكريم ونبدأ «بالقسم الأول» منها ونستعرض الآيات التى تدور حول هذا الموضوع وهى.

۱- «فَهَل يَنْظُرُونَ إِلّا السَّاعَةَ انْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ اشْرَاطُهَا». (محمد/ ۱۸)

۲- «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ». (القمر/ ۱)

۳- «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ». (الدخان/ ١٠)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ١٠

جمع الآیات و تفسیرها

ظهور علامات القيامة:

إنّ الآيـة الاولى من آيات هـذا البحث تشير إشارة عابرة إلى (أشـراط الساعة) من دون بيان مصداقها، فتقول: هل ينتظر هؤلاء (الكفّار والمستهزئون) أن تقوم الساعـة بغتـة حتى يؤمنوا فى حين أتتهم علاماتها: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا السَّاعَـةَ انْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَـةً فَقَـدْ جَآءَ اشْـرَاطُهَا» عِندئذٍ لايَنفَعُ إيمانُهُم «فَانَّى لَهُم اذَا جَاءَتْهُم ذِكرَاهُم» وكما أشـرنا سابقاً فإنّ (أشـراط) جمع (شَرَط) بمعنى العلامة- وبناءً على هذا فإنّ معنى (أشراط الساعة): علامات القيامة.

أمّا ما المراد من تحقيق هذه العلامات التى أخبرت عنها الآيات السابقة الذكر؟ فنبيّنه كالآتى:

للمفسـرين آراء مختلفـة فى ذلـك، فيرى أغلبهم أنّ المقصـود من (أشـراط) هنـا هـو مبعث النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله وقيـامه بالدعوة ونزول القرآن الكريم الذى هو آخر كتاب سماوى، والدليل على هذا الرأى هو الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه و آله بهذا الخصوص، كالحديث المشهور الذى رُوى عنه صلى الله عليه و آله: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وضمّ السبابة والوسطى «١».

ولقـد عدّ البعض الآخر من المفسّـرين انشـقاق القمر من (أشـراط الساعة) هذا فيما لو كانت جميع الآيات التى تحدثت حول (أشـراط الساعـة) تشـير إلى قرب الساعـة وليس إلى إمكانيـة المعاد إلّاأنّ البعض اختار المعنى الثانى وقال: إنّ أصل خلق الإنسان هو من تراب، وإن خلق السموات والأرض كلها علامات على قدرة اللَّه تبارك وتعالى على إعادة الحياة من جديد بعد الممات، وعليه ستكون جميع دلائل إمكانية المعاد جزءاً من علامات القيامة و (أشراط الساعة).

ولكنَّ المعنى الأول هو الأصح خصوصاً أنّ بعض الروايات الإسلامية عدّت بعض

---

(١) نقل هذا الحديث الكثير من مفسـرى الشـيعة وأهل السـنّة بقليل من الاختلاف مثل تفسـير مجمع البيان؛ تفسـير القرطبى؛ تفسير فى ظلال القرآن؛ و تفسير روح البيان؛ وفى تفاسير اخرى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ١١

الامور من علامات قرب القيامة و (أشراط الساعة) مثل الحديث المنقول عن الرسول صلى الله عليه و آله:

«من أشراط الساعة أن يرفع العِلْم، ويظهر الجهل، ويُشرب الخمر، ويفشو الزنا» «١».

حتى أنّ بعض الروايات عدّت قيام المهدى (عج) لمقارعة الظلم والفساد جزءاً من أشراط الساعة.

إقتربت الساعة:

تتحدث الآية الثانية عن قرب القيامة وانشقاق القمر، قال تعالى «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمَرُ». (القمر/ ١)

وهذا جواب عن سؤال طالما تكرر طرحه على الرسول الأكرم صـلى الله عليه و آله وهو متى تقوم الساعة؟ فيجيب صلى الله عليه و آله: إنّه قريب ومن علاماتها شق القمر، وكما أنّها دليل على قدرة اللَّه عزّ وجلّ على كل شـىء (بضمنهما قدرته على إحياء الموتى كذلك فهى تتحـدث عن صـدق دعوى الرسول الأـكرم صـلى الله عليه و آله الـذى هو آخر السـفراء الإلـهيين، وتُخبر كـذلك عن قرب وقوع القيامة، كما ذكرنا فى شرح الآية السابقة أنّ الرسول صلى الله عليه و آله نفسه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

ولكن بعض المفسرين المتقدمين والمتأخرين يرون أنّ الآية تشير إلى حوادث ستقع فى نهاية هذا العالم قبيل القيامة.
ومن جملة هذه الحوادث تكوير الشمس، أى ذهاب ضوئها ونورها وانشقاق القمر، أمّا لماذا عبرت الآية عن هذه الحادثة (انشق) بصيغة الماضى؟ فجوابه: إنّ اللغة العربية تعبر عن المسائل المستقبلية الحتمية الوقوع بصيغة الماضى.
ولكن هذا الرأى (أى إنّ الآية ناظرة إلى حوادث آخر الزمان لم يأخذ به أكثر المفسرين، لأنّ ظاهر الآية بصيغة الماضى ومرتبط به، وليس من الصحيح أن تفسر الآية بكونها تدلّ

---

(۱). تفسير نور الثقلين، ج ۵، ص ۳۷، ح ۴۱.

على المستقبل من دون أيّة قرينة واضحة).
ويقول صاحب تفسير (فى ظلال القرآن): «فهذه روايات متواترة من طرق شتى عن وقوع هذا الحادث وتحديد مكانه فى مكة» «۱».
وينقل العلّامة المرحوم الطباطبائى فى الميزان: «وقد روى انشقاق القمر بدعاء النبى صلى الله عليه و آله بطرق مختلفة كثيرة» «۲»، باستثناء بعض المفسرين القدماء غير المعروفين.
ويقول أبو الفتوح الرازى: «إنّ من يقول إنّ الآية أعلاه تشير إلى الحوادث المستقبلية هو خلاف لإجماع واتفاق العلماء» «۳».
وهناك بحوث كثيرة تتعلق بمسألة كيفية شق القمر.. وشَرْحِ هذا الاعجاز النبوى والروايات المتعلقةبه، وإمكانية وقوعه من الناحية العلمية، وبما أنّها خارجة عن هدفنا الرئيس وهو شرح (أشراط الساعة) لذا فقد صرفنا النظر عنها، وللمزيد من المعلومات فى هذا المجال راجع تفسير (الأمثل) الجزء ۲۳، ص ۱۲- ۱۹.

يوم تأتى السماء بدخان مبين:

تشيرالآية الثالثة إلى علامة اخرى من علامات قرب الساعة وهى (الدخان) حيث يغطى دخان كثيف صفحة السماء فى ذلك اليوم ويأتى على شكل عذاب: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّماءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ* يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ الِيمٌ» (الدّخان/ ۱۰- ۱۱)
ولقد ذكر المفسرون آراء عديدة فى تفسير هذه الآية نذكر ثلاثة منها:
الأول: يرى بعض المفسّرين أنّ الدخان إشارة إلى عذاب يوم القيامة وهو دخان مرعب شرّه مستطير يظلل رؤوس المجرمين، ولكننا نرى هذا الاحتمال بعيداً لأننا نجد فى ذيل الآية أنّ المجرمين يطلبون رفع هذا العذاب الإلهى ويظهرون الإيمان ويأتيهم الخطاب: «انَّا

---

(۱) تفسير فى ظلال القرآن، ج ۷، ص ۶۴۴.
(۲) تفسير الميزان، ج ۱۹، ص ۶۰- ۶۱.
(۳) تفسير روح الجنان، ج ۱۰، ص ۳۶۴.

كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا انَّكُمْ عَآئِدُونَ». (الدخان/ ۱۵)
فلا يمكن تصوّر وقوع هذا المعنى فى يوم القيامة خاصة وأنّ الآية التى بعدها تشير إلى القيامة وعقوباتها بشكل مستقل، وهذا يدل على أنّ ما ذكر قبلها يتعلق بغير يوم القيامة:
«يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى انَّا مُنْتَقِمُونَ». (الدخان/ ۱۶)
الثانى: ويرى بعض آخر أنّ الآية تشير إلى أنّ الكفّار بعد أن حلّت بهم المجاعة والجدب جاءوا إلى النبى يطلبون منه الدعاء لرفع هذا

العذاب فدعا النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فرفع العذاب عنهم ولكنّهم عادوا إلى عتوّهم وجحودهم.

وبناءً على ذلك فإنّ الـدخان هنا يراد به المعنى المجازى؛ لأنّ الادب العربى يستخدم كلمة دخان كناية عن الشر والبلاء الغالب، كما ذكر ذلك الفخر الرازى فى تفسيره «۱».

أو قد يراد بالدخان، الأتربة والغبار الذى يغطى صفحة السماء أثناء سنوات القحط حيث لا وجود للأمطار التى تزيل هذا الغبار وهذه الأتربة «۲»، من هنا يطلق على سنة القحط ب (السنة الغبراء) أو (عام الرماد).

والمأخذ الذى يؤاخذ عليه هذا التفسير هو أنّ الـدخان الوارد فى الآية الكريمة لم يستعمل بمعناه الحقيقى وقد حمل على معناه المجازى بدون أية قرينة.

الثالث: ويرى الآخرون أنّ الآية تشير إلى احدى علامات قرب القيامة حيث تغطى السماء بدخان مبين فيلجأ الناس إلى لطف اللَّه تعالى ليكشف عنهم العذاب فيرفع بكرمه ولطفه عنهم قليلًا منه ورغم كل هذا لا يؤمن المنكرون.

إنّ هذا التفسير إضافة إلى كونه مطابقاً لظاهر الآية فانّه يتفق مع الأخبار المتعددة التى وردت فى مصادر تفسير الشيعة والسنّة، ونقرأ هنا حديثاً عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: عن حذيفة قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أول الآيات خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تَبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم إذا

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۲۷، ص ۲۴۲.

(۲) تفسير روح المعانى، ج ۲۵، ص ۱۰۷؛ و تفسير روح البيان، ج ۸ ص ۴۰۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴

قالوا، وتصبح معهم إذا أصبحوا وتمسى معهم إذا أمسوا، قلت: يانبىاللَّه وما الدخان؟ قال هذه الآية: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أمّا المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام وأمّا الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره» «۱».

ولقد ورد هذا المعنى فى مصادر الشيعة بشىء من الاختلاف فقد نقل الإمام على عليه السلام عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قوله: «عشرة قبل الساعة لابدّ منها: السفيانى، والدجال، والدخان، والدابة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر» «۲».

وقد وردت روايات اخرى تؤيد هذا المعنى

وبناءً على ذلك يكون التفسير الثالث للآية الشريفة هو التفسير الأفضل.

هذه هى أهم (أشراط الساعة) التى ذكرها القرآن الكريم.

---

(۱). تفسير القرطبى، ج ۱۶، ص ۱۳۱.

(۲). بحار الأنوار، ج ۵۲، ص ۲۰۹؛ وفى تفسير القرطبى، ج ۹، ص ۵۹۵، وغيرها من الأحاديث تنقل نفس هذا المضمون.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵

الفصل الثانى: العلامات التى تنذر بنهاية هذا العالم

اشارة

يستفاد من طائفة اخرى من آيات القرآن الكريم حدوث اضطراب عظيم فى نظام الكائنات والأرض والسماء عند نهاية هذا العالم وبتعبير آخر إنّ انتهاء العالم لا يكون تدريجياً وإنّما يكون مباغتاً ومقترناً بمشاهد وحوادث مرعبة.

ومن جملة هذه الحوادث التى تعد قسماً من علامات الساعة ما يأتى:

۱- تلاشى الجبال

لقد ورد هذا الموضوع فى آيات متعددة من القرآن الكريم وذُكرت له مراحل عديدة ومختلفة ويمكن تقسيمها وتلخيصها فى سبعة مراحل هى:

۱- المرحلة الاولى اهتزاز الجبال: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ». (المزمل/ ۱۴)

۲- المرحلة الثانية: قلعها: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ». (الحاقة/ ۱۴)

۳- المرحلة الثالثة: تسييرها: «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً». (الطور/ ۱۰)

۴- المرحلة الرابعة: الدك والهدم: «فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً». (الحاقة/ ۱۴)

وفى هذه المرحلة تصبح الجبال كالكثبان المتراكمة: «وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلًا».

(المزمل/ ۱۴)

۵- المرحلة الخامسة: تصبح فيها الجبال كالغبار المتفرق: «وبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً* فَكَانَت هَبَآءً مُّنبَثّاً». (الواقعة/ ۵ و ۶)

۶- المرحلة السادسة: تكون الجبال فيها كالعهن المنفوش أى كالصوف المندوف المتطاير فى الريح الشديدة ولا يرى فى السماء إلّالونها: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ». (القارعة/ ۵)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶

۷- المرحلة السابعة: تلاشى الجبال ولا يبقى منها إلّاشبح كشبح سراب فى صحراء قفر: «وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا». (النبأ/ ۲۰)

وهكذا سوف تزول الجبال تماماً ولا يبقى منها أى أثر وتبدل إلى أرض مستوية لا نرى فيها عوجاً ولا أمتاً: «فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفصَفاً» «۱».

(طه ۱۰۶)

والسؤال الذى يطرح هنا هو: هل أنّ هذه الحوادث العجيبة والمرعبة تقع للجبال على أثر انفجارات داخلية فيها واندثار لنظامها الذرى وتحرر الطاقة الكامنة فى داخلها؟ أم أنّها على أثر ضربة خارجية توجه إليها من اصطدام الأجرام السماوية بسرعة وجاذبيه عالية بعضها مع البعض الآخر..؟ أم هناك علل اخرى لم يكتشفها العلم اليوم..؟

لا يمكن لأىشخص اعطاء جواب صحيح عن هذه الأسئلة، فالعلوم اليوم عاجزة عن تفسير هذه الظواهر.

إنّ هناك انفجارات عظيمة حدثت وتحدث فى الأجرام السماوية، ولكن العلم يعجز عن تفسير علل تلك الانفجارات فنحن لانعرف إلّاما أخبرنا عنه القرآن الكريم بأنّ هذه الحوادث تقع فى نهاية هذا العالم.

۲- انفجار البحار

من العلامات الاخرى لنهاية هذا العالم وقرب قيام الساعة، انفجار البحار، ونقرأ فى هذا الصدد قوله تعالى «واذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ». (الانفطار ۳)

وقال فى موضع آخر: «وَاذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ». (التكوير/ ۶)

وقال فی الآیة السادسة من سورة الطور بعد أن أقسم بأیمان متعددة ومتتابعة: «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ».

---

(۱). «القاع» الأرض الملساء المستویة و (صفصف) الأرض الخالیة من أی نبات أو الأرض الملساء المستویة، وفی هذه الحالة یکون المعنیان مترادفین- لغرض التاکید.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷

بلا شک أنّ الآیة الاولی والثانیة أشارتا إلی (أشراط الساعة) وذلک لأنّ الآیات التی وردت بعدها دلّت علی هذا المعنی بشکل واضح، أمّا فیما یتعلق بالآیة الثالثة فقیل فی تفسیرها إنّها کانت ناظرة إلی علامات القیامة.

ولقد وردت فی إحدی هذه الآیات عبارة (فجّرت) وهذه الکلمة مشتقة من (فَجر) واستعملت بمعنی الانفجار ومن الممکن أن تکون هذه إشارة إلی انفجار البحار.

لقد أصبحت هذه الحالة الیوم مفهومة نظراً لأنّ الماء یتکون من عنصرین، الأول هو الاوکسجین والثانی هو الهیدروجین وهذان العنصران قابلان للاحتراق فلو کان هناک عامل یسبب فی تجزئة الماء لتبدلت البحار إلی کتلة عظیمة من نیران محرقة، وتکفی قدحة صغیرة لإحراق العالم بأسره.

ویحتمل أن تکون الزلزلة الشدیدة التی تقع قبیل القیامة هی السبب فی تشقق الأرض واتصال البحار مع بعضها البعض وعلی أثر ذلک سوف تتصل جمیع البحار البحیرات الموجودة علی الأرض وهذا أیضاً أحد الأقوال التی ذکرت فی تفسیر هذه الآیة.

وهناک تفسیر ثالث یقول: عندما تتلاشی الجبال یسقط غبارها فی البحار فتمتلئ ویطغی الماء علی الیابسة فتصیر کلها بحراً واحداً.

وبهذه المعانی الثلاثة فسّرت الکلمة الثانیة (سجّرت) المشتقة من مادة (تسجیر) وذلک لأنّ التسجیر فی الأصل یعنی الإیقاد ویأتی أحیاناً بمعنی المل ولذا یقال للتنور المملوء بالنار (مسجر).

وقد یکون اشتعال البحار بسبب تجزئتها إلی عنصرین قابلین للاحتراق (الاوکسجین والهیدروجین) أو لعلل اخری نجهلها، أمّا امتلاء البحار فهو إمّا بسبب تلاشی الجبال وسقوطها فی البحار أو بسبب سقوط الأحجار السماویة الکبیرة فیها أو لعلل اخری غیر معروفة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸

۳- الزلزال العظیم المدمر

من العلامات الاخری لنهایة هذا العالم وقرب قیام الساعة حدوث زلزلة عظیمة لیس لها نظیر بحیث تهزّ جمیع أنحاء الکرة الأرضیة فتدمّر کل شیء ویدفن جمیع الناس فی لحظات.

یقول القرآن: «یَاأَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَیءٌ عَظِیمٌ». (الحج/ ۱)

ثم یقول: «یَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ کُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ کُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَی النَّاسَ سُکَاری وَمَاهُمْ بِسُکَاری وَلَکِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِیدٌ». (الحج/ ۲)

وسنشیر فی الفصل الثالث تحت عنوان (أشراط الساعة) إلی أنّ هناک زلزلة اخری تقع قبیل إحیاء الأموات أشارت إلیها بعض الآیات الکریمة، ویحتمل أن تکون الآیة الکریمة التی نحن بصددها قد أشارت إلی هذا المعنی بقرینة: «وَلَکِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِیدٌ»، وبهذا یجب أن نفسّر المراد بالمرضعات والحوامل تفسیراً مجازیاً، فشدّة الهلع والخوف الناشئ من أثر الزلزلة العظیمة تجعل کل امرأة حامل تسقط جنینها تفسیرٌ علی خلاف ظاهر الآیة، وعلی أیّة حال إنّ هذا المعنی ورد أیضاً فی قوله تعالی: «یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ». «۱» (المزمل/ ۱۴)

وجاء نظير هذا المعنى فى قوله تعالى: «اذَا رُجَّتِ الأرْضُ رَجّا* وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً».
(الواقعة/ ۴)

۴- ذهاب ضوء الشمس والقمر والكواكب

من العلامات الاخرى لقرب الساعة انطفاء قرص الشمس واختفاء ضوء الكواكب كما ذكرت الآية: «اذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَاذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ». (التكوير/ ۱- ۲)

---

(۱). «ترجف» مشتقة من مادة «رجف» على وزن كشف وهى بمعنى الاضطراب والهزّة العنيفة.. من هنا يطلق علىالأخبار الكاذبة التى تتسبَّب فى اضطراب المجتمع ب (الأراجيف).

«كورت»: مشتقة من مادة (تكوير)، وهى بمعنى الطى أو اللف أو جمع الشيء مثل لف العمامة على الرأس وكذلك جاءت هذه الكلمة بمعنى الانطفاء أو الاسقاط، والظاهر من هذين المعنيين فيما يتعلق بالشمس أنّهما من باب اللازم والملزوم، فيذهب ضوء الشمس بالتدريج وتعمّ الظلمة. أمّا (انكدرت) فهى مشتقة من مادة (انكدار) وهى الظلمه أو السقوط والتناثر، والظاهر أنّ كلا المعنيين بخصوص الكواكب من باب اللازم والملزوم، نعم وحسب شهادة القرآن ينطوى ويجمع فى نهاية هذا العالم أعظم مصدر للنور فى منظومتنا الشمسية وهو الأساس لإضاءة جميع السيارات وبهذا سيكون مصير الكواكب الاخرى نفس مصير الشمس، ويقول الفخر الرازى: «إنّ البعض يرى أنّ كلمة «كورت» مأخوذة من مادّة (كور) بمعنى الأعمى وهذا يعنى أيضاً ذهاب ضوء الشمس ونورها» «۱».
ويعتقد علماء اليوم أنّ مصدر الطاقة الشمسية هو الانفجارات الذرّية (التى يكون وقودها الهيدروجين ورمادها الهليوم) «۲».
وبناءً على ذلك سوف ينقص من وزن هذا الكوكب ۰۰۰/ ۳۵۰ مليون طن فى كل ۲۴ ساعة وهذا الأمر يكون سبباً فى ضعف وقلة ضوء الشمس تدريجياً وهذا هو مفهوم جمع نور الشمس وانطفائها وهما المعنيان الكامنان فى مادة (تكوير) حسب مايذكر أرباب اللغة بالرغم من أن نقص هذا المقدار وبحكم الظروف الحالية ليس له تأثير فورى عليها وذلك بسبب كبر حجمها.
فاذا حسبنا سرعة النقصان بمقاييسنا الحالية فمن الممكن أن يطول تحقق ذلك ملايين أو مليارات السنين.
ولا أحد يعلم ماذا يحدث غداً فى هذا العالم، فمن الممكن أن تحدث امور تُعجِّل فى نقصان هذه الأشعة الكونية وتساعد فى انطفاء هذا المصدر العظيم للنور وللحرارة بصورة كلية وفى فترة قصيرة.

---

(۱). التفسير الكبير، ج ۳۱، ص ۶۶.

(۲). زندكى ومرك ستاركان، ص ۹۲ (الكتاب باللغة الفارسية).

ويصدق هذا المعنى على سائر الأجرام السماوية فينحل النظام الذى يجمع الكواكب، وينحل كذلك توازن القوّة الجاذبة والدافعة التى لها ارتباط بالأجرام وسرعة حركتها.
ولعل هذا هو نفس الشيء الذى يذكره القرآن فى موضع آخر: «وَإِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ». (الانفطار/ ۲)
وسوف نتعرض إلى تفسير هذه الآية فى بحث لاحق إن شاء اللّه.
ونقرأ فى سورة القيامة: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ* وَخَسَفَ الْقَمَرُ* وَجُمِعَ الشَّمسُ وَالقَمَرُ* يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ ايْنَ المَفَرُّ». (القيامة/ ۷- ۱۰)

يتضح من خلال هذه الآيات أنّ جميع هذه الحوادث تقع بصورة مباغتة وليست تدريجية وإلّا سوف لا يكون هناك إنسان فی ذلك الزمان يقول: «أَيْنَ المَفَرُّ»، (فتأمل).

ومن الممكن أن يكون جمع الشمس والقمر بفعل فقدان تعادل القوی الجاذبة والطاردة وسوف ينجذب القمر إلی مركزه الأصلی وهو الشمس.

وننهی هذا الحديث بالإشارة إلی آية اخری من القرآن فی هذا المجال، قال تعالی «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ». (المرسلات/ ۸)

هذا التعبير يتوافق مع الآيات السالفة الذكر ومن لوازمها أيضاً ونذكر فی نهاية هذا المطاف أنّ هذه الامور موجودة فی عالمنا وتسير بشكل تدريجی ولكن تزداد شدّتها فی نهاية الكون حيث تحدث سلسلة حوادث متصلة سريعة ومباغتة تزيل هذا النظام وتنهی عمره بأمر من اللَّه تعالی

۵- انشقاق الأجرام السماوية

من العلامات الاخری لنهاية العالم اختلال نظام الكواكب وانشقاق الأجرام السماوية، ولقد أشار القرآن الكريم فی آيات عديدة وبتعابير مختلفة إلی ذلك، فأحياناً عبر عنه ب (الانشقاق): «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ». (الانشقاق/ ۱)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱

وجاء نظير هذا المعنی فی قوله تعالی: «وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِیَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ».

(الحاقة/ ۱۶)

كما ورد نفس هذا المعنی بشیء من الاختلاف فی قوله تعالی «وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ». (الفرقان/ ۲۵)

والمراد من السماء فی هذه الآيات هی الأجرام السماوية حيث تشقق هذه الأجرام فی نهاية العالم علی أثر الانفجارات المتتابعة، أمّا المقصود من تشقق السماء بالغمام فيحتمل أن يرافق انشقاق السماء حصول غمام كثيف بفعل الأتربة والغبار المتولد عنها، والباء فی قوله (.. بالغمام) كما يحتمل ذلك صاحب الميزان، للملابسة أی تنفتح السماء متلبسة بالغمام (أی متغيمة) «۱».

ولكن المرحوم العلّامة الطباطبائی لم يستبعد أن يكون الكلام كناية عن انكشاف غمة الجهل وبروز عالم السماء وهو من الغيب وبروز سكانها وهم الملائكة ونزولهم إلی العالم الأرضی (فالباء فی هذه الآية تكون بمعنی (عن) أی تذهب الغيوم جانباً ويظهر غيب العالم).

ولكن لما لم يكن هناك دليل علی هذا التفسير الكنائی فيكون من الصعب قبوله.

ومن المناسب أن نذكر حديثاً للإمام علی عليه السلام فی هذا الصدد حيث يقول: «إنّها تنشق من المجرّة» «۲».

إنّ هذا التعبير الرائع ينطبق مع آخر الاكتشافات التی توصل إليها العلماء فی مجال المجرّات، حيث يقولون: إنّ المنظومة الشمسية والكواكب التی نشاهدها هی جزء من مجرّات عظيمة «درب التبانة» ويمكن رؤيتها بالعين المجرّدة ويكون انشقاق الشمس والقمر والكواكب مصاحباً لانشقاق هذه المجرّات الكبيرة (تأمل..).

وأحياناً يعبر القرآن بالانفطار: «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرتْ». (الانفطار/ ۱)

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۱۵، ص ۲۰۲.

(۲). تفسير الكبير، ج ۳۱، ص ۱۰۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲

ولقد ورد نظير هذا المعنی فی قوله تعالی: «السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ». (المزمل/ ۱۸)

وكما ذكرنا سابقاً فإنّ كلمة انفطار مشتقة من مادة (فطر) وهي بمعنى الانشقاق.

وأحياناً يقول تعالى «وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ». (التكوير/ ١١)

فيمكن أن يكون هـذا التعبير إشارة إلى ازالة الحجب المانعة عن رؤية ملكوت السـموات والملائكة والجنّة والنّار في ذلك اليوم فتزال الحجب وتنكشف للإنسان حقائق عالم الوجود وفي هذه الحالة سوف لايكون للآية علاقة بتلاشي السموات.

ولقد فسّر بعض المفسرين أمثال المرحوم الطبرسي في مجمع البيان، هذه الآية بقوله:

«أُزيلت عن موضـعها كالجلد عندما يزال عن الجزور ثم يطويها اللّه، وقيل: معناها قُلعت كما يُقلع السـقف» «۱»، وقال تعالى في موضع آخر: «وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ». (المرسلات/ ۹)

إنّ كلمتي (فطر) و (فرج) تـدلّان على نفس المعنى بشـيءمن الاختلاف، فيطلق على حل عقـدة المشاكل والمحن، بالفرج وهو ما يقابل الشدّة والعسر.

وعبر أحياناً اخرى ب (فتح) كما نقرأ: «وَفُتِحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ ابوَاباً». (النبأ/ ۱۹)

ويمكن أن يكون هذا التعبير إشارة إلى انشـقاق السماء، كما ذكر ذلك بعض المفسرين، وفي هذه الحالة تكون هذه الآية منسجمة مع الآيات السالفة الذكر، أي تحدث شقوق عديدة في السماء كأنّها أبواب ونوافذ عديدة.

ولكن بعض المفسـرين حملوا ذلك على المعنى الكنائي وقالوا: إنّ المراد من فتح السـماء هو انفتاح أبواب عالم الغيب وإزالة الحجب وارتباط عالم الملائكة بعالم الناس «۲».

وأحياناً اخرى يقول: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْراً». (الطور/ ۹)

«مَوْر»: على وزن (دَوْر) وتأتي أحياناً بمعنى الحركة العنيفة وأحياناً اخرى بمعنى

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۴۴۴.

(۲). لقد اختار التفسير الأول- الطبرسي والفخر الرازي ومفسرون آخرون، أمّا التفسير الثاني فقد اختاره صاحب الميزان.

الحركة الدائرية واخرى بمعنى الذهاب والمجي المضطرب، ويطلق على الغبار والأتربة التي تحملها الريح إلى كل جانب ب (مَوْر).

على كل حال فإنّ هذا التعبير يعني اضطراب الأجرام السماوية واختلال نظمها وزوالها.

وأحياناً اخرى يقول تعالى «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ». (المعارج/ ۸)

ولقد فسّر المفسّرون كلمة (المَهْل) برديء الزيت أو الفضة إذا ذابت «۱»، والمعنى الأخير يناسب الآية أعلاه.

على أيّة حال إنّ حصول مثل هذه الحالة في الأجرام السماوية إنّما هو نتيجة لزوالها.

وفي النهاية عبر القرآن بتعبير آخر فقال: «يَومَ نَطْوِي السَّمَآءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا اوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ». (الأنبياء/ ۱۰۴)

هذا التعبير يوضح ابعاد تغيير السموات والكواكب في نهاية هذا العالم ويدل أيضاً على أنّ جميع المنظومات والكواكب السيارة والثابتة تطوى كطي السـجل للكتاب ويعاد الخلق كما خلقه أول مرّة ويضع اللّه سـبحانه وتعالى نظاما جديـداً لعالم الوجود وتقوم القيامـة على هذا العالم الجديد.

فنسـتنتج من مجموع الآيات السالفـة الذكر أنّ القيامة هي ليست اسـتمراراً للحياة الدنيا بل إنّ هذا النظام يتغير تغيراً كاملًا وذلك لوقوع انفجارات عظيمة وزلازل مرعبة تدمّر كل شيء ثم يقوم نظام جديد بعد ذلك وتقوم القيامة فيه.

---

(۱) تفسير الكشاف، ج ۴، ص ۶۰۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵

الفصل الثالث: علامات بدء القيامة

عنـد قيام الساعـة تقع حوادث عظيمـة، فكما أنّ الـدنيا تنتهى بوقوع حوادث عظيمة، كذلك تقترن بداية القيامة بحوادث عظيمة أيضاً، وقد ورد هذا المعنى فى آيات مختلفة من القرآن الكريم.

۱- قال تعالى فى سورة إبراهيم: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرضِ وَالسَّموات وَبَرَزُوا للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ». (إبراهيم/ ۴۸)

هذا التبديل هو إشارة واضحة إلى المرحلة الثالثة وذلک لأنّه تعالى يقول فى ذيل الآية «وَبَرَزُوا للّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ».

وهـذه النكتـة جـديرة بالاهتمـام، فليس المراد من تبـديل الأـرض بـأرض اخرى هو تبـديل لـذات الأـرض كمـا يتصور البعض بـل إنّ المقصود هو تبـدل صـفاتها مثـل ازالـة الجبال أو استوائها وصـيرورتها قاعاً صفصـفاً كما يـذكر القرآن الكريم أو زيادة مساحتها وغير ذلک من دون تبديل ذاتها.

ودليـل هـذا الكلاـم آيات عديـدة عن نشور الأموات من قبورهم وبالخصوص منها: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تارَةً اخَرَى . (طه/ ۵۵)

على كل حال ذكر المفسرون آراء عديدة حول هذه الآية ولا يوجد لديهم أىدليل إلّا بعض الروايات المرسلة، أو الاستناد إلى بعض أقوال الآخرين، فاحياناً يقولون إنّ الأرض تبدل بالفضة والسـماء بالذهب وأحياناً اخرى يقولون إنّ الأرض تبدل بالنار والسماء بالجنان أو كل قطعة من الأرض تبدل إمّا إلى فضة أو إلى نار حسب ما يناسب وضعها مع المؤمنين والكفّار.

وكل ما نستفيده من هذه الآية بشكل عام: إنّ هناک تغيرات عظيمة لم تتضح تفاصيلها لنا.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶

۲- قال تعالى فى موضع آخر: «اذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا* وَاخرَجَتِ الْأَرْضُ اثْقَالَهَا». (الزلزال/ ۱- ۲)

وهنا يطرح هـذا السؤال هل أنّ هـذه الزلزلـة هى نفس الزلزلة التى تعمّ جميع أنحاء الكرة الأرضيـة عند نهاية الكون وتؤدّى إلى تدمير العالم بأسره؟ أم أنّها هى التى تقع أثناء يوم القيامة؟ هناک اختلاف بين المفسرين بصدد هذه الآية ولقد نقل الفخر الرازى فى تفسيره كلا التفسيرين «۱» ولكن إذا تأملنـا الآيـة الثانيـة من هـذه السورة: «وَاخرَجَتِ الْأَرْضُ اثْقَالَهَا» لكان المعنى الثانى هو الأنسب مع سـياق الآيـة، وذلـک لأـنّ (الاثقـال) جمع (ثِقَـل) أىيخرج كـل مـا دفن فى الأـرض، وهنـاک احتمـال قوى أنّ المراد بالأثقال الموتى حيث يخرجون من قبورهم كما ورد فى قوله تعالى «وَالْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ». (الانشقاق/ ۴)

وبهـذا المعنى تحـدث الزلزلـة الثانيـة قبل إحياء الأموات وشـروع القيامـة، وهـذه الزلزلـة تعمّ كل الكون على خلاف سائر الزلازل التى تتحدد بمنطقة صغيرة، فإنّ تعبير: «اذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ» يفيد الاطلاق وتعبير زلزالها يؤكد هذا المعنى

ولقد ورد ما يشابه هذا التعبير بل وبصورة أوضح فى قوله تعالى: «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذلِکَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ» «۲». (ق/ ۴۴)

ويتضح من الآيات أعلاه أنّ انشـقاق الأرض بأسـرها وخروج الناس دفعة واحدة من قبورهم يكون متزامناً مع وقوع زلزلة عنيفة تشـمل كل أرجاء العالم.

إنّ هـذه الزلزلة تقع قبيل إحياء الأموات وليس فى نهاية العالم خاصة، وقد ورد فى الآية تعبير (حشـر) بدلًا من إحياء الأموات، والحشـر يعنى (اجتماع الناس بعد إحيائهم أو جمع أجزاء الأبدان المتفرقة أو جمع الأرواح والأجساد).

إنّ هـذه الزلزلة وعلى خلاف سائر أنواع الزلازل زلزلة بناء وإعمار، فهى ليست مدمرة أو مميتة بل إنّها تاتى لإخراج الناس من قبورهم ليستأنفوا حياة جديدة.

(۱). التفسير الكبير، ج ۳۲، ص ۵۸.

(۲). «تُشقق»، كانت فى الأصل تتشقق فحذفت احدى التائين.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷

وقد ورد نظير هذا المعنى فى الآية: «يَومَ تَرجُفُ الرَّاجِفَةُ* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ».

(النازعات/ ۶- ۷)

ويرى الكثير من المفسرين أنّ الآية الاولى هى إشارة إلى نفخة الصور الاولى (وهى الصيحة العظمى التى تنهى العالم) أمّا الآية الثانية فهى إشارة إلى النفخة الثانية (صيحة الاحياء) وهى الصيحة التى تبدأ بها القيامة، وهذا المعنى على خلاف ظاهر الآية وذلك لأنّ الراجفة مشتقة من رجف وهى على ما ذكره صاحب مقاييس اللغة، تعنى الاضطراب.

وقد ذكر الراغب فى مفرداته (الرجفة) بمعنى الاضطراب الشديد، ويقال للبحر الهائج (بحر رجاف)، و (أراجيف) هى الأخبار التى تزلزل الأفكار العامة للمجتمع، صحيح أنّ الصيحات العظيمة تقرن عادة مع الزلازل ولكن لا- توجد هناك ضرورة لترك المعنى الحقيقى للزلزلة الاولى والثانية واختيار الكناية أو المعنى اللازم.

۳- إنّ تبدل سطح الكرة الأرضية من احدى علامات شروع القيامة فتصبح الأرض مسطحة ملساء تماماً ويبرز جميع الناس بوضوح على سطح الكرة الأرضية: «يَومَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُم فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ احداً». (الكهف/ ۴۷)

إنّ حركة الجبال هى مقدّمة لتدمير الأرض، وعلى أثر هذا التدمير الذى ذكرته الآية التى نحن بصددها والآيات الاخرى أيضاً تصبح الأرض قاعاً صفصفاً: أى مسطحة ومستوية لا يعلوها شيء ويظهر جميع الناس عليها بشكل واضح.

ولو تأملنا فى هذه الآيات: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبّى نَسفاً* فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفصَفاً* لّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً* يَومَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِىَ لَاعِوَجَ لَهُ». (طه ۱۰۵- ۱۰۸)

لاتّضح لنا أنّ هذه الآيات تعرض لنا مشاهد من حوادث نهاية العالم ومشاهد اخرى من حوادث قيام الساعة.

هذه خلاصة للبحوث المتعلقة ب (أشراط الساعة) وإمارات القيامة ولقد عرضناها فى ثلاثة فصول وذلك بالاستفادة من الآيات القرآنية وكذلك عرضنا مشاهد من التغيرات العظيمة التى تقع فى نهاية العالم وبداية القيامة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹

۲- النفخ فى الصور

نفخة الموت ونفخة الحياة:

تمهيد:

لقد أشارت الكثير من الآيات القرآنية إلى النفخ فى الصور، ويستفاد ممّا ورد فيها أنّ هناك نفختين بالصور:

الاولى وتقع فى نهاية العالم وهى التى تسبب موت جميع الخلائق.. وتسمى بنفخة الموت.

أمّا النفخة الثانية: فتقع قبيل يوم القيامة وتعمل على إحياء جميع الأموات وتسمى نفخة الحياة.

وفى الحقيقة أنّ توقف هذا العالم وبدء حركة عالم آخر يشبه توقف وحركة القطعة العسكرية حيث يتوقف أفرادها عند سماعهم لصوت بوق خاص ويتحركون مرّة اخرى عند سماعهم لصوت بوق آخر.

وهنا يُطرح هذا السؤال: مامعنى الصور؟ وما المقصود بالنفخة..؟

لقد خصصنا لهذا الموضوع بحثاً مفصلًا سنتطرق إليه فيما بعد- إن شاء اللَّه- والجدير بالذكر أنّ القرآن ذكر ستة تعابير مختلفة حول هذا الموضوع.

فأحياناً عبر عنه ب (نفخة الصور).

وأحياناً اخرى ب (الصيحة).

وثالثة ب (النقر في الناقور).

ورابعة ب (الصاخة).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰

وخامسة ب (القارعة).

وسادسة (الزجرة).

وسوف نشرح هذه العناوين من خلال الآيات الآتية فلنتأمل فيها بخشوع:

۱- «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَواتِ وَمَن فِي الْأَرضِ إِلّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ». (الزمر/ ۶۸)

۲- «وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّموَاتِ وَمَن فِي الْأَرضِ إِلّا مَن شَآءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ». (النمل/ ۸۷)

۳- «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ». (يس/ ۵۱)

۴- «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ* وحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً». (الحاقة/ ۱۳- ۱۴)

۵- «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلآ أَنسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ». (المؤمنون/ ۱۰۱)

۶- «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً». (الكهف/ ۹۹)

۷- «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحشُرُ الُمجرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً». (طه/ ۱۰۲)

۸- «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأتُونَ أَفْوَاجاً». (النبأ/ ۱۸)

۹- «قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فی الصُّورِ». (الأنعام/ ۷۳)

۱۰- «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ». (ق/ ۲۰)

۱۱- «ان كَانَتْ إِلّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَينَا مُحْضَرُونَ». (يس/ ۵۳)

۱۲- «ما يَنْظُرُونَ إِلّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ». (يس/ ۴۹)

۱۳- «وَمَا يَنْظُرُ هؤُلَآءِ إِلّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ». (ص/ ۱۵)

۱۴- «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ». (ق/ ۴۲)

۱۵- «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ* فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ». (المدثر/ ۸- ۹)

۱۶- «فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ اخِيهِ». (عبس/ ۳۳- ۳۴)

۱۷- «الْقَارِعَةُ* مَاالْقَارِعَةُ* وَمآ ادْرَاكَ مَاالْقَارِعَةُ* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱

الْمَبْثُوثِ». (القارعة/ ۱- ۴)

۱۸- «فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ». (الصافات/ ۱۹)

جمع الآيات و تفسيرها

نفخة الموت ونفخة الحياة!

لقد عبّرت الثمان عشرة آية السالفة الذكر كما أشرنا إلى ذلك سابقاً- عن نفخة الصور تحت ستة عناوين مختلفة، وقد جمعنا هذه الآيات مع بعضها كى نسلط الأضواء على تفسيرها حتى يتّضح المفهوم الحقيقى لنفخة الصور من خلال المقارنة بينها.

لقد أشارت الآية الاولى إلى نفخة الصور الاولى وكذلك إلى نفخته الثانية وهذه هى الآية الوحيدة التى جمعت كلا النفختين «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّموَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» ويرى صاحب كتاب (مقاييس اللغة) أنّ مادة (صعق) على وزن (صُعْق) يعنى الصوت الشديد، ويرى أنّ الصاعقة مشتقة من نفس المعنى وهى سبب الموت والدمار، وجاءت هذه المادة أيضاً بمعنى الموت.. وذكر صاحب كتاب لسان العرب أنّ المعنى الأول للصعق هو الإغماء، وشل العقل على أثر سماع الصوت الشديد وذكر بأنّ (الموت) من المعانى الاخرى لهذه الكلمة، حتى أنّه ذكر قول بعضهم إنّ الموت هو أحد معانى الصاعقة.

على أيّة حال فإنّ مفهوم الصعق فى الآية يعنى الموت المباغت الذى يعمّ جميع أهل السموات والأرض، وذكرت الآية الكريمة: «إِلَّامَنْ شاءَ اللَّهُ» فما المقصود من هذه العبارة؟

هناك كلام للمفسرين فى هذا الصدد، قال بعضهم: إنّ هذه العبارة هى إشارة إلى جمع من ملائكة اللّه الصالحين وهم (جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل، وعزرائيل)، وقال بعض آخر:

إنّهم الشهداء، وقيل: إنّ الآية تشمل أيضاً إضافه إلى الملائكة الأربعة الذين سبق ذكرهم حملة العرش الإلهى، ومع ذلك فالنتيجة أنّ جميع هؤلاء يذوقون الموت بحكم قوله تعالى

«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ». (آل عمران/ ۱۸۵)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲

ولم يبق إلّاوجه اللّه الذى هو حى لا يموت: «وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

(الرحمن/ ۲۷)

ولقد أشار ذيل الآية إلى النفخة الثانية: «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ».

الصور فى الأصل بمعنى البوق الذى يستخدم عادة لايقاف أو لتحريك الجند وأحياناً القوافل.. ولقد استخدم فى هذه الآية بمعنى توقف الحياة بأسرها فى عالم الوجود ومن ثم حركتها مرّة اخرى

وهناك شرح مفصل لهذا الموضوع سنتعرض إليه- إن شاء اللّه- فى فقرة (التوضيحات).

وقد أشارت الآية الثانية إلى النفخة الثانية فقط: «وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّموَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ».

ولم يستبعد البعض ومنهم العلّامة الطباطبائى فى تفسير الميزان أنّ المراد من هذه الآية كلا النفختين.

ولكن ذيل الآية يذكر: «وَكُلٌّ اَتَوْهُ دَاخِرِينَ» وهذا يدل على أنّ المقصود هو النفخة الثانية، وفى هذه الآية أيضاً نواجه الجملة الاستثنائية: «إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ» حيث أشرنا إلى تفسيرها فى ذيل الآية الاولى

أمّا الآية الثالثة فتشير إلى النفخة الثانية (نفخة الإحياء): «وَنُفِخَ فى الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ» «۱».

ولقد ذكر المفسرون أَنَّ هذه الآية تختص بالنفخة الثانية ويشهد على هذا المعنى ذيل الآية، وما بعدها من آيات.

وربّما يطرح البعض هذا السؤال: إذا كان الناس يهلعون فى ذلك اليوم من الحساب الإلهى فكيف يفزعون إليه؟

---

(۱). «أجداث» جمع «جَدَث» على وزن «حَدَث» وهو بمعنى القبر، و «ينسلون» من مادة «نَسْل» على وزن «فَصْل» وهو بمعنى السير السريع، ويقول الراغب إنّ المعنى الأصلى لها أخذ من الفصل ويرى أنّه من هذه الجهة يطلق «نسل» على بنى آدم.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳

فقيل فى جواب ذلك: إنّ هذه الحالة حالة لا إراديّة، وبهذه الوسيلة يدعوهم اللَّه تعالى إلى محكمة عدله.

والآية الرابعة ناظرة إلى النفخة الاولى وهى نفحة إماتة جميع المخلوقات وفناء العالم بأسره: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ* وحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً* فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ».

إنّ تعبير (واحدة) الذى تكرر مرّتين فى هذه الآية يدل على أنّ هذه الحوادث تتحقق بصورة مباغتة على شكل ضربة مميتة، ومن جهة اخرى فإنّ هذه الآيات تبين القدرة اللامتناهية للَّهسبحانه وتعالى حيث تفنى جميع المخلوقات بنفخة صور واحدة، بالضبط مثل نفخة البوق التى تحرك جيشاً عظيماً أو توقفه فى مكانه.

بلا شك أنّ الآيات السابقة أشارت إلى النفخة الاولى أمّا الآيات اللاحقة فقد ورد فيها إضافة إلى ذلك كلام عن حوادث المحشر وصحيفة الأعمال وأوصاف الجنّة، وبحكم كون الحوادث المذكورة تقع فى نهاية العالم وبداية القيامة ولا توجد فاصلة كبيرة بينهما، لهذا السبب نرى فى كثير من الآيات القرآنية أنّ حوادث نهاية العالم وقيام القيامة جاءت مرادفة لبعضها البعض.

ويرى بعض المفسرين الكبار، ومنهم صاحب الميزان أنّها النفخة الثانية، قال: «والذى يسبق إلى الفهم من سياق الآيات أنّها النفخة الثانية التى تحيى الموتى «۱» ونحن نستبعد أن تكون هذه الآية قد أشارت إلى النفخة الثانية، حيث إنّها لا تتوافق مع سياق الآية التى تليها والتى تخبر عن دك الأرض والجبال، ولعل الآيات التى وردت (بفاصلة) عن هذه الآية هىالتى ساقته إلى هذا المعنى فى حين أنّ التأمل فى الآيات المختلفة التى تتحدث عن القيامة يدلل على أنّ هذه الآيات تذكر أحياناً حوادث هاتين النفختين معاً وتميز بينهما بالقرائن.

أمّا الآية الخامسة فقد أشارت بوضوح إلى (النفخة الثانية) وذلك لأنّها تخبر عن عدم

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۱۹، ص ۳۹۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴

تأثير روابط الأنساب بين الناس أثناء (نفخة الصور): «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلآ أَنسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلَايَتَسَآءَلُونَ» فمن الواضح أنّ السؤال سواء كان بمعنى التساؤل عن أحوال بعضهم البعض أو بمعنى طلب العون والمساعدة فإنّ كل هذا يحدث فى نفخة القيامة (نفخة الحياة).

ومن الغريب أن نرى بعض المفسرين يحتملون أنّ المراد فى هذه الآية النفخة الاولى

على أيّة حال، فإنّ عدم سؤال بعضهم للبعض الآخر محمول على كلا الاحتمالين بحكم انشغال كل واحد بنفسه وبالاهوال التى يتعرض إليها فلا يفكر بالآخرين.

من هنا يطرح هذا السؤال وهو كيف تتوافق هذه الآية مع غيرها من الآيات التى تذكر:

«فَأَقْبَلَ بَعضُهُمْ عَلَى بَعضٍ يَتَسَآءَلُونَ». (الصافات/ ۵۰)

وكذلك قوله تعالى: «وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوآ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَل أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ». (إبراهيم/ ۲۱)

فيتضح الجواب عن هذا السؤال من خلال ملاحظة الآيات الكريمة بالنسبة إلى غيرها.

فيستفاد من الآيات أنّ هناك مراحل ومواقف متعددة يوم القيامة ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها، والشاهد على هذا الكلام حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى جوابه عن هذا السؤال نفسه حيث قال صلى الله عليه و آله: «ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس: حين يرمى إلى كل إنسان كتابه، وعند الموازين، وعلى جسر جهنّم» «۱».

أمّا الآية السادسة والسابعة فقد أشارتا أيضاً إلى النفخة الثانية، قال تعالى «وَتَركْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فى بَعْضٍ». (الكهف/ ۹۹)

فهل أنّ هذا المشهد العظيم يكون بسبب كثرة الناس أم بسبب حالة الخوف والهلع أم لسيادة الفوضى فى نهاية العالم؟

يرى البعض أنّ هذه الآية هى إشارة إلى (قوم يأجوج ومأجوج) «۲» بعد بناء سد ذى

---

(۱). تفسير روح البيان، ج ۶، ص ۱۰۷.

(۲). راجع قصّة يأجوج ومأجوج، تفسير الأمثل ذيل الآية ۹۸، من سورة الكهف.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵

القرنين (حسب سياق ما قبلها من الآيات) ولكننا نستبعد هذا المعنى بقرينة الآيات التالية لها، (تأمل).

على كل حال فإنّ اللَّه تعالى يضيف فى نهاية الآية: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً» وقال فى الآية التى تليها: «يَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ وَنَحْشُرُ الُمجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً».

«زرق»: جمع «ازرق» وفى الأصل بمعنى زرقاء اللون، ومن الممكن أن يكون هذا اللون إشارة إلى أنّ اللَّه سبحانه وتعالى يحشر المجرمين زرق الأبدان أو عمياً أو عطاشاً لشدّة العطش الذى تتعرض له أبدانهم.

إننا نرى أنّ المعنى الأول هو الأنسب وذلك لأنّه معنى حقيقى، أمّا الثانى والثالث فله بعد كنائى (مجازى).

أمّا الآيتان التاسعة والعاشرة: فقد أشارتا أيضاً إلى النفخة الثانية أىنفخة الحياة والقيامة فقال تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً» وقال: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ».

إنّ الإتيان أفواجاً فى ذلك اليوم قد يكون لورود كل امة مع إمامها إلى المحشر (الأنبياء وغيرهم) أو أنّ كل زمرة من المجرمين الذين اقترفوا ذنباً معيناً يحشرون معاً.

على أيّة حال فهذه الآية لا تتنافى مع قوله تعالى: «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيمَةِ فَرْداً».

(مريم/ ۹۵)

وذلك- كما أشرنا سابقاً- أنّ هناك مواطن ومواقف مختلفة فى يوم القيامة فمن الممكن أن يحشر الناس فى البداية على شكل مجموعات ثم يحضرون فى محكمة العدل الإلهى فرادى (فتأمل).

«الوعيد»: تستعمل هذه المفردة على قول الراغب الإصفهانى ومجموعة من المفسرين وأهل اللغة، فى الشرّ، فى حين كلمة «وعد» تستعمل فى الخير والشر، واستخدمت الآية الكريمة هذا اللفظ (الوعيد) لإنذار المجرمين من ذلك اليوم بالرغم من أنّ القيامة تشتمل على الوعد بالخير والوعيد بالشر.

الآيتان الحادية عشرة والثانية عشرة اللتان وردتا فى سورة يس تنذران بوقوع صيحة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶

شاملة تحدث فى نهاية هذا العالم هى (صيحة الموت) أو (صيحة الحياة) التى تقع فى بداية القيامة.

وفى موردٍ واحد أشارت الآية إلى صيحة نهاية العالم.

فقد كانوا يسألون دائماً متى يتحقق الوعد الإلهى..؟ وكانوا يظنون أنّ هذا الأمر عسير على اللَّه سبحانه وتعالى فيقول اللَّه تبارك وتعالى ليس الأمر كما يعتقد هؤلاء: «ما يَنْظُرُوْنَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ».

وأشار فى المورد الثانى إلى الصيحة الثانية (صيحة الإحياء): «ان كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ».

والصيحة كما يقول الراغب فى مفرداته، فى الأصل تعنى تشقق الخشب أو اللباس المصحوب بالصوت، ويطلق هذا الاصطلاح أيضاً على كل الأصوات والصرخات المرتفعة، وتأتى أحياناً بمعنى طول القامة، وذلك لأنّ الشجرة المرتفعة كأنّما تصرخ وتدعو الناس

إليها.

ولكن صاحب كتاب مقاييس اللغة ذكر أنّ المعنى الأصلى للصيحة هو الصوت العالى و (تصيح) بمعنى تشقيق الخشب وهى كلمة أصلها واوى، ويقول إنّها كانت فى الأصل (تصوح) (فتأمّل).

على أيّة حال، فإنّ المفسرين يرون أنّ الصيحة الاولى هى نفخة الصور الاولى والصيحة الثانية هى نفخته الثانية فى حين أنّ الآية ۵۱ من نفس السورة والتى تقع بين هاتين الآيتين قد أشارت صراحة إلى نفخة الصور ونشور الأموات من قبورهم، وقيل لا- منافاة بين الآيتين حيث إنّ الآية الثانية جاءت موضحة ومفسرة للآية الاولى ويكون مفهومها أنّ نفخة الصور الثانية ما هى إلّاصيحة عظيمة «فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ».

إنّ جميع هذه التعابير تدلل على حقيقة واحدة وهى أنّ نهاية الدنيا وبداية قيام الساعة أمر سهل يسير على اللّه القادر سبحانه وتعالى ولا مبرر لعجب المخالفين من وقوع هذا الأمر، فالكل يموت بصيحة واحدة عظيمة ثم يصبحون رميماً وتراباً وبصيحة عظيمة اخرى يرجعون مرّة اخرى إلى الحياة، ويحضرون جميعاً أمام اللّه تبارك وتعالى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷

الآيتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة: أشارتا مرّة اخرى إلى الصيحتين (صيحة الموت وصيحة الحياة).

تقول الآية الاولى «مَا يَنظُرُ هؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّالَهَا مِنْ فَوَاقٍ» وهناك عدّة أقوال فى تفسير هذه الآية، فقيل إنّها تشير إلى عذاب الاستئصال (وهو العذاب الدنيوى الذى يستأصل جذور الكافرين والظالمين مثل عذاب قوم نوح ولوط وغيرهما).

وقيل: إنّ الآية أشارت إلى نفخة الصور والمعنى الأول يتفق مع سياق الآيات السابقة للآية التى تتحدث عن مجازاة قوم نوح وعاد وثمود وأمثالهم، ولكن مع أخذ ذلك بنظر الاعتبار فإنّ هذه الآية جاءت تهديداً لكفّار مكة مع أنّ هؤلاء مستثنون من عذاب الاستئصال بحكم قوله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهِمْ». (الانفال/ ۳۳)

وعلى هذا الأساس لا يمكن تفسير العذاب فى الآية بعذاب الاستئصال فيكون الرأى الثانى هو الأنسب.

وبناء على ذلك فهل أنّ الآية أشارت إلى نفخة الصور الاولى أم الثانية؟ هناك اختلاف بين المفسرين ولكن وبلا شك أنّ لحن الآية يتوافق مع النفخة الاولى ذلك لأنّ ذيل الآية يقول: «مَالَهَا مِنْ فَوَاقٍ» وهذا التعبير يقال عادة لنفخة الموت ولقد استشهد بحديث نقل عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله حول هذه الآية لبيان النفخة الاولى «۱».

«فواق»: حسب قول الكثير من المفسرين وأهل اللغة، هو مابين حلبتى الناقة وأصله من الرجوع يقال، آفاق من مرضه أى رجع إلى الصحة.

وعلى أيّة حال فإنّ صيحة فناء العالم لا تعطى فرصة لأحد، وينتهى كل شىء فى وقت قصير ويصبح هشيماً تذروه الرياح ويقوم سد محكم يحول بين الإنسان وماضيه.

ولقد أشارت الآية اللاحقة إلى صيحة يوم القيامة: «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوْجِ».

ويعتقد المفسرون بأنّ هذه «الصيحة» هى نفس صيحة القيامة حيث إنّ ذيل الآية دليل

---

(۱). تفسير القرطبى، ج ۸، ص ۵۶۰۱؛ تفسير الكبير، ج ۲، ص ۱۸۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸

واضح على ذلك، والمراد من (الحق) كما يقول المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان والفخر الرازى فى التفسير الكبير والآلوسى فى روح المعانى، هو نفس البعث والنشور.

ولكن ظاهر الآية أنّ المراد بالحق الوارد فى الآية الكريمة هو نفس معناه الأصلى، وبتعبير (الميزان) يعنى القضاء الحتمى، والنشور هو

مصداقه، أمّا تعبير (يوم الخروج) فالمقصود منه يوم خروج الناس من قبورهم.

وهنا يطرح هذا السؤال: ومن الذى يسمع هذه الصيحة؟ هل تسمعها الأرواح قبل ورودها الأجساد؟ أم أنّ الأبدان تحيى وترجع إليها الأرواح عند الصيحة؟ وبهذا يستمر الناس فى سماعهم للصيحة، ومثل ذلك كمثل ساعة الجرس التى تدق قرب شخص نائم فتوقظه، وهناك أقوال اخرى والمعنى الثانى هو الأنسب لسياق الآية.

فى الآية الخامسة عشرة نجد تعبيراً جديداً وهو (نقر) قال تعالى «فَإِذَا نُقِرَ فى النَّاقُورِ* فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ» و (نقر) كما يقول أرباب اللغة، فى الأصل يعنى طرق شىء، والمنقار هى وسيلة الطرق، ومن هنا يكون الطرق ملازماً للصوت و تأتى هذه الكلمة أحياناً بمعنى إيجاد الصوت أو سببه وهو هنا النفخ فى الصور، ولذا نجد أنّ مجموعة من المفسرين فسروا الآية بشكل مباشر بالنفخ فى الصور، فالنقر بمعنى النفخ والناقور بمعنى الصور «١».

وهناك احتمال آخر وهو أنّ تعبير (النقر) جاء لأنّ الصوت الذى ينبعث من البوق من العظمة والشدّة وكأنّه ينقر الاذن نقراً ويغوص إلى المخ.

على أيّة حال، فإنّ هذا التعبير هو إشارة إلى النفخة الثانية بشهادة الآيات التى بعد هذه الآية والتى تخبر عن الوضع العسير الذى يعيشه الكافرون فى ذلك اليوم، ويقول الفخر الرازى: «إذا كان المقصود هو النفخة الاولى (كما يحتمل المفسرون) فسوف لا يكون ذلك اليوم عسيراً على الكافرين لأنّهم يموتون فى تلك الساعة، إنّما اليوم الشديد على الكافرين عند صيحة الإحياء ولذلك يقولون: ياليتها كانت القاضية» «٢».

---

(١) راجع تفاسير مجمع البيان؛ وروح البيان؛ و الكبير فى ذيل الآية مورد البحث.

(٢) راجع تفاسير مجمع البيان؛ روح المعانى؛ روح البيان؛ الفخر الكبير.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹

وفى الآية السادسة عشرة نلاحظ تعبيراً جديداً هو الصاخة، قال تعالى: «فَاذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ اخِيهِ».

«الصاخة»: مشتقة من مادة (صخ) ويقول الراغب هو الصوت الشديد الذى ينبعث من أصحاب النطق.

وقال صاحب مقاييس اللغة، هى الصيحة التى تصم الآذان، وفسّرها البعض: بمعنى طرق رأس الإنسان بالحجر «١»، وقيل: الاستماع والانصات، الصاخة هى التى تصخ الآذان حتى تكاد تصمّها «٢» وتسمى بالصاكة لشدّة صوتها.

وفى كل الأحوال فهذا التعبير إشارة إلى «نفخ الصور» النفخة الثانية، تلك الصيحة العظيمة التى هى صيحة الصحوة والحياة، حيث يساق الجميع إلى عرصات المحشر، وكل واحد مشغول بنفسه إلى الحد الذى يفرّ من أخيه وأبيه وامه وأصدقائه.

ونواجه فى الآية السابعة عشرة تعبيراً آخر حول مسألة نفخ الصور، يقول تعالى «الْقَارِعَةُ* مَا الْقَارِعَةُ* وَما ادْراكَ مَا الْقَارِعَةُ* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ* فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ* فَهُوَ فى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ».

«القارعة»: من مادة (قَرْع) على وزن (فَرْع) وفى الأصل بمعنى الطرق الشديد الذى ينبعث منه صوت عال، ومنها (المقرعة).

فما المقصود من القارعة فى هذه الآيات:

قال بعض المفسرين: إنّ هذا التعبير هو أحد أسماء القيامة وذلك لأنّ الحوادث التى تقع فيها حوادث شديدة وتقرع القلوب لشدّتها وهولها ولقد صرّح البعض من المفسرين بأنّ هذا التعبير يطلق على مجموعة حوادث القيامة التى تبدأ من نفخة الصور الاولى وتنتهى بخاتمة المحكمة الإلهيّة «٣».

---

(١) راجع تفاسير روح المعانى؛ روح البيان؛ الكبير.

(۲) راجع تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۴۴۰؛ التفسير الكبير، ج ۳۱، ص ۴۳؛ تفسير روح المعانى، ج ۳، ص ۴۸؛ و تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۷۰۱۵.

(۳) تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۴۹۹؛ و تفسير روح المعانى، ج ۳۰، ص ۲۲۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰

يقول الفخر الرازى فى تفسيره: واختلفوا فى لمّية هذه التسمية على وجوه:

أحدها: إنّ سبب ذلك هو الصيحة التى تموت منها الخلائق.

وثانيها: إنّ الأجرام العلوية والسفلية تصطدم مع بعضها بشدّة عند تخريب العالم، فيحدث على أثر هذا الاصطدام تلك القرعة فسميت القيامة بالقارعة.

وثالثها: إنّ القارعة هى التى تقرع قلوب الناس بالأهوال والخوف.

ورابعها: إنّها تقرع أعداء اللَّه بالعذاب والخزى والنكال. «۱»

ولكن الآيات التى تأتى بعد هذه الآيات تدلل على أنّ هذا التعبير ناظر إلى النفخة الاولى وهى النفخة التى ترعب جميع الناس ثم تهلكهم وتخرب الجبال، ولقد ذكرت فى تعقيب هذا الموضوع حوادث القيامة كتسلسل طبيعى.

على أيّة حال، فإنّ التعبير أعلاه إمّا أنّه يشير إلى نفخة الصور الاولى أو أنّ النفخة الاولى جزء منها، وإمّا أن يكون قد أشار إلى النفخة الثانية، وهذا ما لا يتوافق مع سياق الآيات، فمن المستبعد جدّاً أن تكون الآية: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» قد أشارت إلى النفخة الثانية والآية التى بعدها: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» أشارت إلى النفخة الاولى

أمّا الآية الثامنة عشرة فنلاحظ فيها تعبيراً جديداً آخر ألا وهو (الزجرة) أو (الصيحة العظيمة)، فى جواب من يعجب من رجوع الحياة بعد الموت، إذ تقول الآية لا تعجبوا فذلك ليس بالعسير: «فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ».

«زجرة»: فى الأصل بمعنى الطرد وبصوت مرتفع، مثل طرد الإبل، وتأتى بمعنى الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليها فريعت لصوته «۲».

وفى كشاف الزمخشرى، زجره يزجره، إذا صاح بمنعه ثم استعملت بمعنى الطراد، وترد أحياناً بمعنى الصوت.

و جملة (ينظرون) ربّما تعنى النظر بحيرة من شدّة الخوف أو نظر أحدهم إلى الآخر أو انتظار الحكم النهائى.

---

(۱). تفسير الكبير، ج ۳۲، ص ۷۰.

(۲). راجع مقاييس اللغة والمفردات للراغب، مادة (زجر).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۱

على أيّة حال فظاهر الآية الكريمة يشير بوضوح إلى نفخة الحياة ونشور الناس من قبورهم وتهيئتهم للحساب، وإنّ أغلب المفسرين قد أشاروا إلى هذا المعنى

يستفاد من مجموع الآيات أنّ نهاية وبداية العالم الآخر إنّما تحدثان بصورة مباغتة وتتزامنان عند وقوع صيحة عظيمة، ولقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك تعابير مختلفة، فأحياناً استخدم الصيحة وأحياناً الزجرة والصاخة والتى هى بمعنى الصيحة واخرى النقر، كما عبّر عنها فى كثير من الموارد بنفخة الصور.

وفى الظاهر لم يلاحظ فى هذه الآيات شرحاً أو توضيحاً لكيفية النفخ، وحكم هذه الحادثة فى الواقع كحكم سائر الحوادث المتعلقة بمشاهد يوم القيامة التى لم ترسم لنا صورة تفصيلية عنها، إلّاأنّ الأحاديث التى سنوردها بهذا الصدد قد تعرضت إلى هذه الحوادث وفصلتها إلى حدّ ما، ولكنّها لم ترفع الابهامات بشكل كلى وبعبارة اخرى لم تستطع أن ترفع هذه الإشكالات وذلك لأنّ هذه الامور

من أسرار العالم الآخر من جهة، ومن جهة اخرى أنّ عقولنا المحدودة بحدود هذه الدنيا وعاجزة عن إدراك هذه الحوادث على حقيقتها.

توضيحات

۱- ما المراد ب (نفخة الصور) أو صرخة الموت والحياة

علمنا أنّ الصور وحسب قول الكثير من أرباب اللغة يعنى البوق أو القرن العظيم (كانوا يصنعون البوق من قرن الحيوان).
فكانوا ينفخون فيه من جهة فيخرج الصوت عالياً من الجهة الاخرى
فهل أنّ هذا التعبير تعبيرٌ مجازيٌّ كناية عن الأمر الصادر من قبل اللَّه تبارك وتعالى ينذر بنهاية العالم المباغتة وبداية القيامة؟ هو تشبيه لما اعتاد عليه الناس فى ايقاف القطعات العسكرية أو إيقافها أو لدعوتها للتجمع، فهى وسيلة تستعمل لإعلام الجميع بالوقوف أو

الحركة أو التجمع؟ (حيث إنّ لحن بوق الوقوف يختلف عن لحن بوق الحركة) ولا- زال هذا الأسلوب معمولًا به فى بعض الثكنات والقطعات العسكرية، فهناك بوق النوم وبوق النهوض وبوق التجمع «۱»؟ أم أنّ هذا التعبير ليس له بعد كنائى وإنّما هى نفخة حقيقية؟ ولكن من الواضح أنّ هذا البوق ليس بوقاً عادياً وإنّما هو صاعقة وصيحة عظيمة تعمّ أرجاء السموات والأرض وتسبب موت جميع الموجودات الحية أو إحيائها وبعث الحياة والحركة فيها.
إنّ هذا الاحتمال هو الأرجح، ويتناسب مع ظاهر الآيات: ونقرأ فى هذا الصدد حديثاً ورد عن الإمام على بن الحسين عليه السلام: «إنَّ الصُّورَ قَرْنٌ عَظيمٌ لَهُ رَأسٌ واحدٌ وَطَرفانِ، وَبيْنَ الطَّرفِ الأَسْفَل الَّذى يلى الأرضَ إلى الطَّرف الأعلى الَّذى يَلى السَّماءَ مِثْلُ ما بَيْنَ تَخُومِ الأَرضينَ السّبع إلى فوقِ السَّماء السّابعةِ، فيه اثْقابٌ بعَدَدِ أرْواحِ الخلائقِ، وَسِعَ فَمُهُ ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرضِ» «۲».
ولقد ورد فى حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه و آله: «الصُّور قَرْنٌ مِن نورٍ فيهِ اثْقابٌ على عَدَدِ أرْواح العِبادِ» «۳».
وهذان الحديثان يؤكّدان أنّ هذا التفسير هو كناية عن موضوع هام بيّن فى هذا المجال.
ولكن نلاحظ فى أقوال بعض المفسرين أنّ (الصور) مأخوذ من جمع (صورة) وقالوا: إنّ المراد النفخ فى صُوَر وأبدان الناس فتدب الحياة فيهم.
إنّ هذا التفسير يتناسب مع النفخة الثانية أى‌نفخة الاحياء وليس النفخة الأُولى ولقد رُفض هذا التفسير من قبل بعض أرباب اللغة حيث ورد هذا المعنى فى (لسان العرب) عن بعض علماء اللغة قال: هذا خطأ فاحش ونوع من التحريف فى كلام اللَّه تعالى وذلك لأنّه ورد جمع (الصورة) فى آيات قرآنية أُخرى على (صُوَر) على وزن فُعَل وليس (صُوْر) وإذا

---

(۱). ورد هذا الكلام فى تفسير روح الجنان، ج ۹، ص ۴۲۱.
(۲). لئالىء الأخبار، ج ۵، ص ۵۳.
(۳). علم اليقين، ص ۸۹۲.

قرأ أحد جملة «ونُفِخَ فى الصُّوْر» «الصُّوَرِ» بفتح الواو فقد إفترى على اللَّه وحرَّف كتابه، فكما أنّ هذا التفسير لا يتوافق مع الروايات السالفة الذكر كذلك لا يتوافق مع الآيات التى وردت فيها تعابير (صعقة) (وزجرة) و (ناقور) وغيرها.
ولا- يستبعد أنْ يكون هذا ناتجاً عن عدم هضم معنى (نفخ فى الصور)، فى حين أنّ الصور ليس بوقاً عادياً وليست النفخة شبيهة

بنفخاتنا.

وعلى أيّة حال فإن التفسير الثانى هو الأنسب من بين التفاسير الثلاثة التى قيلت بهذا الصدد، حيث إنّه ينسجم وسياق ظاهر الآيات ولابدَّ لنا من الاعتراف بعجزنا عن اعطاء توضيح كامل عن نفخة الصور.

٢- تأثير الأمواج الصوتية على الإنسان وسائر الموجودات

من المعلوم أنّ الصوت نوع من الأمواج التى تتحرك فى الهواء وفى السوائل أو الجمادات والأصوات التى تسمعها اذن الإنسان يجب أن لا تقل ذبذباتها عن ٢٠ ولا تزيد عن ٢٠٠٠٠ فى الثانية.. وهناك مخلوقات تسمع الأصوات التى تزيد ذبذباتها عن ذلك، ومن بينها طائر الخفاش حيث إنّ لهذا الحيوان القابلية على سماع الأصوات التى يبلغ مقدار ذبذباتها ١۴۵ ألف ذبذبة «١» فى الثانية، ومن المعروف أنّ الحيوانات تدرك الهزة الأرضية قبل الإنسان ولعل السبب فى ذلك يعود إلى هذا العامل حيث إنّها تسمع الأمواج الصوتية المنبعثة منها والتى لا يتمكن الإنسان من إدراكها، وكما هو معلوم فإنّ الأمواج الصوتية الشديدة تسبب أحياناً تدمير كل شيء، وما تأثير القنابل والمواد المنفجرة على الإنسان والأبنية إلّابفعل هذه الأمواج الشديدة التى يُعبّر عنها ب (أمواج الانفجار) فهى قادرة فى لحظة واحدة على تحطيم أىمقاومة تواجهها، فتحول الإنسان والأبنية إلى حطام متناثر.

على هذا الأساس ليس من العجب أن تكون صيحة القيامة هى السبب فى إماتة الناس

---

(١). يراجع كتاب الصوت، ص ۵٧؛ والنجوم للجميع، ص ٩٠.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۴

وجميع المخلوقات وازالة الجبال فى مدّة قصيرة، ويُحبذ أن ننقل كلاماً للإمام على عليه السلام ورد فى نهج البلاغة: «ويُنفَخُ فى الصُّوْرِ فتزهَقُ كُلُّ مُهْجةٍ وتبكُم كُلُّ لَهْجَةٍ وَتذلُّ الشُّمُّ الشوامخ والصُّمُّ الرَّواسخُ فَيَصيرُ صَلْدُها سَراباً رقرَقاً وَ مَعْهَدُها قاعاًسَمْلَقاً» «١».

فحَريٌّ بنا أن نُدرك أنّ هذه الأشياء تخص (نفخة الإماتة) ومن البديهى أنّ (نفخة الإحياء) شيء آخر فهى صرخة النهوض والحياة والحركة والنشاط.

وتبقى معرفتنا بهذه النفخة وسائر المسائل المتعلقة بيوم القيامة محدودة جدّاً.

٣- إجابات حول نفخة الصور

١- هل أن نفخة الصور تقع مرتين فقط؟

من المعلوم أنّ الآيات القرآنية تشير إلى وجود نفختين (نفخة الإماتة ونفخة الإحياء) وقد لاحظنا ذلك فى الآيات السالفة الذكر.

ولكن يستفاد من بعض الروايات أنّ نفخة الصور تتحقق ثلاث مرات حتى أنّ بعض الروايات تستدل بالقرآن على ذلك ولقد نُقل فى كتاب لئالئ الأخبار عن المرحوم (الديلمى) فى كتاب إرشاد القلوب هذا الحديث: «وله أى «اسرافيل» ثلاث نفخات «نفخة القرع» و «نفخة الموت» و «نفخة البعث») فاذا فنيت الدنيا أمر اللَّه اسرافيل أن يهبط إلى الأرض وينفخ نفخة الفزع كما قال تعالى «وَيَومَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّموَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرضِ إلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ». (النمل/ ٨٧)

... وتزلزلت الأرض وتذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ويميد الناس ويقع بعضهم على بعض كأنّهم سكارى وما هم بسكارى وأمّا نفخة الإحياء فقال تعالى «وَنُفِخَ فى الصُّور فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّموَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ». (الزمر/ ۶٨)

وكما قال تعالى «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ» «٢». (الزمر/ ۶٨)

---

(۱). نهج البلاغة، خطبة ۱۹۵.

(۲). لئالیء الأخبار، ج ۵، ص ۵۴ (مع التلخيص).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۵

ولقـد أضاف البعض نفخة رابعة إلى هذه النفخات الثلاث وهى نفخة الجمع والحضور، والظاهر أنّ هذه النفخة أخذت من قوله تعالى: «إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيْعٌ لَّدَيْنَا مُحضَرُونَ» (يس/ ۵۳)

ولكن فىالواقع أنّها نفس هاتين النفختين، اتسعتا وتبـدلتا إلى أربع نفخات، وذلك لأنّ الفزع الأكبر ماهو إلّامقدمة لموت الناس الذى يحـدث على أثر إدامـة واسـتمرار نفخـة الحيـاة، ويمكن أن نُؤكـد هـذا المعنى بـالرجوع إلى قوله تعالى: «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَـةُ* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ» (تأمل). (النازعات/ ۶- ۷)

۲- مَن الملك المأمور بنفخة الصور

ورد فى الأحاديث الشـريفة أنّ هذا الملك هو اسرافيل، ويعتقد البعض أنّ هذه الكلمة تعنى فى اللغة السريانية (عبداللَّه)، ولقد ورد فى حديث عن الإمام السجاد عليه السلام: «أنّ اللَّه يأمر اسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ...» «۱».

ويستفاد من بعض الروايات أنّ اسرافيل هو أقرب الملائكة للَّه «۲» وهو أول من سجد لآدم من الملائكة «۳».

وما كون نفخة الموت والحياة بيده إلّادليلًا على عظمة منزلة هذا الملك، ويستفاد من الرواية الواردة عن الإمام السجاد عليه السلام: «أنّ نفخة الموت تكون من قبل اسـرافيل، وبعدها يقول اللَّه لاسـرافيل: مت فيموت اسرافيل وتنفخ نفخة الحياة من قبل الخالق نفسه تبارك وتعالى «۴».

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۳۲۴، ح ۲.

(۲). لغتنامه دهخدا، مادة (اسرافيل).

(۳). سفينة البحار، ج ۱، ص ۴۱۴ مادة (سرف).

(۴). تفسير نور الثقلين، ج ۴، ص ۵۰۲، ح ۱۱۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۶

۳- ما هى الفترة الزمنية بين النفختين

يسـتفاد من آيات القرآن الكريم بشكل عام أنّ هناك فترة زمنية بين نفختى الإماتة والإحياء وأنّ تعبير (ثم) الذى ورد فى الآية ۶۸ من سورة الزمر يؤكد هذا المعنى ولكن ورد فى بعض الروايات أنّ أمد هذه الفترة أى (أنّ ما بين النفختين أربعون سنة) ولا أحد يعلم هل أنّ هذه السنين من سنىّ الدنيا أم من سنىّ الآخرة التى يعادل كل يوم منها خمسين الف سنة.

وعلى أيّة حال فإنّ هناك حوادث عظيمة تقع مابين النفختين يتشـكل خلالها عالم جديد وحياة جديدة للناس، فلا يبقى فى هذه الفترة أىُّ مخلوق حىّ فى العالم بأسـره إلّاوجهُ اللَّه الحىّ القيوم، وأمّا ما جاء فى الآيتين ۶۸ من سورة الزمر و ۸۷ من سورة النمل اللتين ذكرتا جملـة «إِلَّا مَنْ شَآءَ اللَّهُ» لا يعنى أنّ هؤلاء لا يشـملهم الموت بل إنّ موتهم موكول إلى زمان لاحق، أىأنّ أجلهم يتأخر، والشاهد على ذلك هذه الآية التى وردت فى ثلاث آيات من القرآن الكريم: «كُلُ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ». «۱» (آلعمران/ ۱۸۵)

والجدير بالذكر هنا أنّ (النفس) لها مفهوم واسع يشـمل جميع الموجودات الحية، أمّا من هم الذين استثنتهم الآية؟ فقد ذكر المفسرون احتمالات عديدة فى ذلك، فقال البعض: إنّهم مجموعة من ملائكة اللَّه المقربين أمثال (اسـرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل)، ولقد

أضاف بعضهم جملة العرش.، وقيل أرواح الشهداء (فى الأبدان المثالية) وقيل: خزنة الجنّة ومالكو النّار.
ويستفاد من رواية الإمام السجاد عليه السلام أنّ جميع الكائنات تموت عند الصيحة الاولى ماعدا اسرافيل الذى ينفخ فى الصور ثم يموت بعد ذلك بأمر اللَّه تعالى

۴- فلسفة نفخة الصور؟

إذا كانت حقيقة نفخة الصور غير واضحة لنا بشكل تام، فلم تكن فلسفته التربوية خافية

---

(۱) راجع الأنبياء، ۳۵؛ العنكبوت، ۵۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۷

علينا.. والمهم لنا هو الآثار التربوية لهذه العقائد الحقّة.

فنفخة الصور تبيّن لنا:

۱- إماتة واحياء جميع المخلوقات ليست حالة عسيرة على اللَّه تبارك وتعالى فهو تعالى قادر على إماتة جميع الخلائق بأسرها بصيحة واحدة تصعقها جميعاً، وكذلك هو قادر على أن يحيى جميع الخلائق بصيحةٍ عظيمة اخرى وكأنّ المخلوقات كانت فى سبات فتبعث هذه الصيحة على ايقاظهم من نومهم العميق، وهذا جواب لمن يشك فى المعاد أو لمن يعتقد بأنّ المعاد من الامور المستحيلة الوقوع كما كانوا يسألون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مراراً.

۲- نفخة الصور انذار لجميع الناس بعدم الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها لكى لايقعوا فى الغرور والغفلة، وأن يؤمنوا بأنّ صيحة القيامة ونفخة الموت ممكنة الوقوع فى كل حين وأنّهم سائرون إلى ديار العدم إلى الموت الذى يطوى جميع آمالهم وأمانيهم.

۳- تعتبر نفخة الصور وايعازها بنهاية هذا العالم وبداية عالم آخر من الدروس التربوية العميقة للناس، فالإيمان بذلك يجعلهم مُهيّأون لاستقبال مثل هذه الحادثة العظيمة وإذا آمنوا بذلك فانّهم لن يتواكلوا بتأخير الأعمال إلى الغد، فليس هناك تاريخ معين لوقوع هذه الحادثة المباغتة التى تقع من غير مقدّمات.

ونذكر حديثاً للإمام السجاد عليه السلام فى هذا المعنى ينقله الراوى بعد شرح موجز حول نفخة الصور فيقول: عندما يصل الإمام عليه السلام إلى هنا: (رأيت على بن الحسين يبكى عند ذلك بكاءً شديداً) (فالإمام فى غاية الوجل من مسألة النهاية المباغتة للدنيا وحلول الآخرة والحضور أمام اللَّه تبارك وتعالى «۱».

---

(۱) تفسير على بن إبراهيم، ذيل الآية ۶۸ من سورة الزمر؛ بحار الأنوار، ج ۶، ص ۳۲۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۹

۳- صحيفة الأعمال

اشارة

ملاحظة: نجد فى الكثيرمن الآيات القرآنية بحوثاً واسعة حول صحيفة الأعمال وقد ذُكرت بتعابير مختلفة، فقد ورد فى أكثر الآيات تعبير (الكتاب) الذى يحمل مفهوماً واسعاً فهو يشمل الصحيفة ويشمل الكتاب أيضاً.

ولقد ورد فى البعض الآخر تعبير (زُبر) جمع (زبور) وهذا التعبير له مفهوم قريب من الكتاب.

وقـد جـاء فى البعض الآخر منها تعبير (طائر) وهو الطير الـذى كان العرب يتفاءلون به، وكانوا يعتقـدون بأنّ مصـيرهم مرتبط به، فيقول القرآن لهم إنّ طائر الخير والشر هو نفس صحيفة أعمالكم.

وقـد وردت فى بعض الآيـات أشارة إلى كلام محررى صـحف الأعمال وعبرت عنهم بتعابير مختلفـة كالرقيب والعتيـد أو رسل اللّه أو (كراماً) أو (متلقيان) وكل واحد منهم مأمور بعمل خاص، (تأمل).

من هنا نقول: ماهى صحيفة الأعمال؟ وهل أنّ لكل إنسان صحيفة أعمال واحدة، أم أكثر من ذلك؟ ومن هم كُتاب صحف الأعمال؟ وكيف يتمّ تسجيل هذه الصحف؟ وكيف تعطى باليمين أو بالشمال؟

هناك بحث واسع فى هـذا الصدد سـنتعرض إليه بعد ذكر الآيات التى تدور حول هذا الموضوع، مع عدم الغفلة عن التعرض بالدرجة الاولى للمسائل التربوية والأخلاقية فى هذه الآيات:

۱- «إِنَّا نَحْنُ نُحيِ الْمَوتَى وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَىءٍ احْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ».

(يس/ ۱۲)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۰

۲- «وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الُمجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا».

(الكهف/ ۴۹)

۳- «أَمْ يَحسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ».

(الزخرف/ ۸۰)

۴- «وَتَرى كُلَّ امَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ امَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَاكُنْتُم تَعْمَلُونَ». (الجاثية/ ۲۸- ۲۹)

۵- «وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً* إِقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً».

(الإسراء/ ۱۳- ۱۴)

۶- «وَكُلُّ شَىءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ* وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ». (القمر/ ۵۲- ۵۳)

۷- «وَكُلَّ شَىءٍ أَحصَيْنَاهُ كِتَاباً». (النبأ/ ۲۹)

۸- «كَلَّا إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ* وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ» «كِتَابٌ مَّرْقُومٌ* كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ* كِتَابٌ مَّرقُومٌ* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ».

(المطففين/ ۷- ۹ و ۱۸- ۲۱)

۹- «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الَيمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ». (ق/ ۱۷- ۱۸)

۱۰- «وَإِنَّ عَلَيكُم لَحافِظِينَ* كِرَاماً كَاتِبِينَ* يَعلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ».

(الانفطار/ ۱۰- ۱۲)

۱۱- «فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَه» «وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِى لَمْ اُوْتَ كِتابِيَه* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه». (الحاقة/ ۱۹- ۲۵- ۲۶)

۱۲- «فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً* وَأَمّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ* فَسَوفَ يَدْعُواثُبُوراً* وَيَصْلى سَعِيراً».

(الانشقاق/ ۷- ۱۲)

۱۳- «فَأَصْحَابُ المَيْمَنِةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنةِ* وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَآأَصْحَابُ

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۱

نفحات القرآن ج ۶ ۹۹

الْمَشْئَمَةِ». (الواقعة/ ۸- ۹)

۱۴- «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصحَابُ الْيَمِينِ* فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ» «وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ* فِى سَمُوْمٍ وَحَمِيمٍ». (الواقعة/ ۲۷- ۲۸ و ۴۱- ۴۲)

۱۵- «وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» ... «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ». ۱ (التكوير/ ۱۰- ۱۴)

جمع الآيات وتفسيرها

تتحدث الآيـة الاولى عن الحياة بعد الموت وعن كتاب الأعمال، ذلك الكتاب الذى يكتب بيد القدرة الإلهيّة وتثبت فيه أعمال الناس كلها وعبر عنه ب «الإمام المبين» «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَنَكتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَىءٍ أَحصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ».

فما المراد بالآثار؟

قيـل: إنّ عبـارة (مـا قـدموا) إشـارة إلى الأعمال التى يؤدّيها الإنسان، (وآثارهم) إشارة إلى السـنن التى يخلفها بعـد موته أو آثار الخير والصدقات الجارية مثل الأبنية والأوقاف والكتب العلمية والتربوية.

وقيـل أيضـاً: إنّ المراد ب (مـا قـدموا) النيـات التى تحصـل قبـل أداء العمل، و (آثار) إشارة إلى الأعمال التى تنجز بعـد النيّة وقيل إنّ (ماقـدموا) إشارة إلى الأعمال الصالحـة والسيئة، و (آثار) إشارة إلى الخطوات التى يخطوها الإنسان لانجاز هذه الأعمال، فيقال للقدم من هذه الجهة (أثر) حيث تترك الاقدام أثرها على الأرض وخاصة الترابية.

ونـذكر حـديثاً حول نزول هـذه الآية، حيث إنّ فريقاً من الأنصار (طائفة من بنى سـلمة كانوا فى ناحية المدينة فشـكوا إلى الرسول بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه فأرادوا النقلة فقال صلى الله عليه و آله: «إنّ اللَّه يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموا بيوتكم» «۱».

«الإمـام المبين»: هو اللوح المحفوظ الـذى تثبت فيه جميع الحقائق حسب قول الكثير من المفسـرين وبناءً على ذلك يسـتفاد من التعبير أعلاه أنّ الإمام المبين هو غير صحيفة

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۴، جزء ۲۲، ص ۴۱۸؛ تفسير الكبير، ج ۶، ص ۴۹؛ تفسير القرطبى، ج ۸، ص ۵۴- ۵۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۲

الأعمال التى تختص بكل فرد، بل هو كتاب عمل عام، فهـذا اللوح بمنزلـة سـجل عام تحصـى فيه جميع أعمال الناس، وسوف نوضـح هذا الكلام فى موضوع (تعدد صحف الأعمال).

عبارة (مبين) إشارة إلى ذكر اللوح المحفوظ وصحيفة الأعمال لجميع الأعمال نظراً لأنّه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الأعمال الصالحة أو السيئة إلّاأحصاها.

ولقـد جـاء فى روايـات متعـددة أنّ المراد من (الإمـام المبين هو الإمـام المعصوم الـذى يبيّن جميع الحقـائق بأمر اللَّه تعالى وبتعليم من الرسول صـلى الله عليه و آله، وفى هـذا الصدد ورد حديث عن أمير المؤمنين عليه السـلام فى تفسـير على بن إبراهيم عليه السـلام قال: «أنا واللَّه الإمام المبين! أُبيّن الحق من الباطل، ورثته من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۱».

ومن خلال هـذه التفاسـير يتبيّن أنّ للإمام المبين مفهوماً واسـعاً فكما يشـير ظاهرهُ إلى كتاب الأعمال الـذى يـدون جميع أعمال الناس كذلك يشير باطنه إلى الإمام المعصوم الذى يُبيّن الحق من الباطل من خلال العلم الذى يرثه عن الرسول صلى الله عليه و آله.

ولقـد أشارت الآيـة الثانيـة إلى هـذا المعنى بصـراحة أكثر: «وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمينَ مُشـفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيلَتَنَا مَالِ هَذَا

الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» فهل أنّ هـذا الكتاب هو كتاب أعمال الناس الذى أشارت إليه الآيةُ الاولى أم أنّه كتاب أعمال كل امةٍ أو كتاب أعمال كل إنسان؟ (وذلك- وكما سنوضح ذلك فى البحوث المقبلة إن شاء اللَّه- أنّ هذه الأنواع الثلاثة من كتب الأعمال.. أخذت من آيات القرآن الكريم).

فالاحتمالات الثلاثـة ممكنـة فى تفسير هـذه الآية ولو أنّ من الممكن أن يكون ذكر (الكتاب) بصورة المفرد إشارة إلى كتاب أعمال جميع الناس، ويستفاد من الآية الكريمة أنّ هذا الكتاب يعرض جميع جزئيات أعمال الإنسان الصالحة والسيئة، الكبيرة والصغيرة، حتى أنّ أصحابها يصيبهم الوجل والخوف من أعمالهم، وسبب وجلهم يعود إلى حضورهم

---

(۱). تفسير على بن إبراهيم، ج ۲، ص ۲۱۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۳

فى محكمـة العدل الإلهى من جهـة ومن جهـة اخرى أنّهم قـد نسوا الكثير من الأعمال ولم يعطوها أهميّة، ولكنّها اليوم تجسدت أمام أعينهم، ومن جهة ثالثة، الفضيحة العظمى أمام الخلائق.

ويجب أن ننتبه إلى هذا المعنى وهو أنّ كلمة (يغادر) مشتقة من مادة (غَدْر) بمعنى الترك، و بناء على ذلك يكون مفهوم هذه الجملة هو أنّ هذا الكتاب لا يترك شيئاً إلّاوسجّلهُ، ويقال لنكث العهد غدر وذلك بسبب عدم الوفاء به.

وتتحدث الآية الثالثة عن كتابة رسل اللَّه تبارك وتعالى «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَانَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْواهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِم يَكْتُبُونَ».

ومن الواضـح أنّه لا يوجـد هناك تضارب بين هـذه الآيـة والآية التى تقول: «إِنَّا نَحنُ نُحْيِ المَوتَى وَنَكتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثَارَهُم» نظراً لأنّ عمـل الرسل والملائكـة إنّما هو فى الحقيقـة عمل اللَّه تبارك وتعالى لأنّه يجرى بأمره، وهناك احتمال بأنّ كتاب أعمال الناس جميعاً (الإمام المبين) يكتب بيـد القـدرة الإلهيّـة، أى بصورة مباشـرة، أمّا كتاب أعمال كل إنسان الـذى عرض فى هذه الآية فيكتب بواسـطة الملائكـة، أمّا تعبير (الرسـل) وهو جمع رسول فـالمراد به هنـا الملائكـة المـأمورون بكتابـة الأعمـال، وليس المقصود وجود عـدد من الملائكة لكل إنسان بل يمكن أن يكون لكل فرد ملك واحد أو ملكان فيكون بصورة الجمع بالنسبة لمجموع الناس.

يقول الزمخشرى فى الكشاف: (السّرّ) ما حدّث به الرجل نفسه أو غيره فى مكان خال أمّا النجوى ما تكلّموابه فيما بينهم همساً «۱».

---

(۱). تفسير الكشاف، ج ۴، ص ۲۶۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۴

الكتاب الذى يتكلم:

الآيـة الرابعـة تنسب عمليـة تـدوين الأعمال إلى اللَّه سبحانه وتعالى إضافة إلى ذلك دلّت على أنّ صـحف الأعمال تنطق يوم القيامة: «وَتَرى كُلَّ امَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ امَّةٍ تُدعى إلى كِتابِها ...* هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَاكُنْتُم تَعْمَلُونَ».

فهى تتحـدث بوضوح عن كتاب أعمال الامم والـذى هو أحد الأقسام الثلاثة لكتب الأعمال، وتعدد هذه الكتب يؤكد حقيقة تسجيل كـل أعمـال الإنسـان وعـدم ترك صـغير ولا- كبير منهـا، ويـدل تعبير- تُـدعى على أنّهم يـدعون ليقرأوا كتبهم، وبالتـالى يكونون هم المحاسبين لأنفسهم، كما جاء صراحة فى الآية الشريفة: «إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَومَ عَلَيكَ حَسِيباً». (الاسراء/ ۱۴)

«وجاثية»: مشتقة من (الجُثوّ) على وزن (عُلوّ) بمعنى الجلوس على الركب والسبب فى اتخاذ هذه الجلسة من قبل أهل المحشر يعود إمّا لشـدّة الخوف أو هى شَبَه للحالـة التى كان يتخذها المتهمون فى قديم الزمان عند الحضور فى المحكمة لإبداء الرأى، حيث يجلسون جلوس القرفصاء، وهو الوضع الذى يتخذه الإنسان عند انتظاره للحوادث المهمّة.

ومن الملفت للنظر هنا نسبة تسجيل الأعمال إلى اللَّه سبحانه وتعالى وهذا يدل على أنّ كاتب الأعمال ليس بالذى تتصور فيه الغفلة أو الخطأ وهو عليم ومحيط بكل شىء، و (نستنسخ) من مادة (نسخ) وحسب قول أهل اللغة أنّ النسخ إزالة شىء بواسطة شىء آخر ويلازمه نفى لشىء وإثبات لشى آخر، وتستعمل هذه الكلمة بمعنى النفى أحياناً واخرى بمعنى الإثبات وثالثة بمعنى الإثبات والنفى معاً.

من هنا يتبين أنّ الاستنساخ يعنى إثبات موضوع مع صرف النظر عن آخر.

ونجد فى الآية الخامسة تعبيراً آخر هو (الطائر): «وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً* إقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ الْيَومَ عَليكَ حَسِيباً».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۵

و «الطائر»: فى الأساس، هو الطير ويراد به العمل أو كتاب الأعمال حسب قول الكثير من المفسرين، ويعود هذا الربط إلى العادات والتقاليد العربية حيث كانوا يتفاءلون للخير والشر بواسطة الطيور، فبعض الطيور يبشر بالسعادة واليمن والبركة، فاذا عرض لهم هذا الطير أثناء خروجهم من منزلهم أو من مدينتهم استبشروا ورأوا ذلك دليلًا على الانتصار والنجاح، وعلى عكس بعض الطيور التى يعتقدون بأنّها نذير شؤم، فالطائر يستخدم للتفاؤل والتشاؤم معاً، لذا فقد قال بعض المفسرين إنّ ما يقابل كلمة طائر فى اللغة الفارسية هو (البخت) ومن هنا يعتبر القرآن الكريم أنّ العامل الرئيس للسعادة والشقاء هو أعمال الإنسان، وقد استعملت هذه الكلمة للتعبير عن كتاب هذه الأعمال، وبهذا المعنى فقد صنع القرآن الكريم من مفهوم خرافى لا أساس له حقيقة واقعية ودعا الناس إليها، مع الأخذ بنظر الاعتبار جملة: «وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً» حيث يمكن القول أنّ تفسير الطائر بالعمل أنسب من تفسيره بكتاب الأعمال وذلك لأنّه ذكر كتاب الأعمال بشكل مستقل فلكون الأعمال متعلقة بعنق الإنسان فهى لا تنفك عنه أبداً، فإن كان العمل صالحاً فيسعد ويأنس به صاحبهُ وإن كان سيئاً فيؤذى صاحبه كالغل أو السلسلة.

وهناك مسألتان اخريان فى هذه الآية:

الاولى عرض كتاب الأعمال يوم القيامة واطلاع الآخرين عليه، فيكون عاملًا فى فضيحة صاحبه لدى جميع الخلائق.

الثانية: إنّ كتابة صحيفة الأعمال واضحة بحيث لا حاجة إلى الحسيب بل يكفى أن يطلع الإنسان على أعماله ويحاسب نفسَهُ بنفسهِ.

فكما يدلّل اصفرار اللون والكآبة على وجود حالة مرضية كذلك تدلّل الطراوة وامتلاء الوجنات والنشاط على الصحة والسلامة، وبهذا يستطيع المريض أن يحكم على نفسه بالمرض أو السلامة ولا حاجة لشهادة الآخرين.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۶

فى الآية السادسة نلاحظ تعبيراً جديداً بخصوص الأعمال وهو كلمة (زبر)، والزبر جمع زبور وهو بمعنى الكتاب.

قال تعالى «وَكُلُّ شَىءٍ فَعَلُوهُ فى الزُّبُرِ* وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ» ومع أنّ هذه الآية أشارت إلى وضع الأقوام السابقة التى كانت لديها أعمال كأعمال الكفّار الذين عاصروا الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله لكن من البديهى أنّه تعالى عندما يصرِّح بأنّ جميع أعمالهم مثبتة ومسجلة فى كتاب، فهذا المفهوم يعنى أنّ أعمال جميع الناس تكون على هذا النحو..

«وزُبُر»: مشتق من (زُبْرَة) على وزن (سُفرة) بمعنى قطعة الحديد الكبيرة ثم اطلقت هذه الكلمة على الخطوط العريضة التى تكتب على الصفحات الكبيرة، لذا يقول الراغب الإصفهانى فى مفرداته: كل كتاب غليظ الكتابة يقال له (زَبُور) ويستفاد من هذا التعبير أنّ الزبور لاـ يطلق على كل كتاب بل يشترط فيه عظمة الخط وغلظته، وأنّ اختيار هذا التعبير لكتاب الأعمال يعبر عن عمق المعنى فهو يبيّن ثبوت ووضوح هذا الكتاب.

إنّ تعبير (الصغير) و (الكبير) وتقديم الصغير على الكبير الذى لم يرد فى هذا الموضع من القرآن فقط بل فى مواضع متعددة، إشارة إلى عدم وجود أى استثناء فى تسجيل أى عمل وأى شخص.

أمّا «مسـتطر» فمأخوذة من مادة (اسـطر) وتعنى الكتابة، وهذا تأكيد آخر على أنّ تسجيل الأعمال وجميع الأقوال وحتى النيات قد جمع فى مفهوم الآية، (تأمل).

وقـد صـرحت الآيـة السابعـة بأنّ الكافرين يظنون أنّهم لن ينالوا جزاء أعمالهم يوم القيامة، فهم يكذبون الآيات الإلهيّة فى حين: «وكلَّ شىءٍ احْصَيْنَاهُ كِتَاباً».

و «أحصـيناه»: مأخوذة من مادة (إحصاء) ومشتقةٌ فى الأصل من احصى حيث كانوا فى الماضى يستعملون الحصى لعد الأشياء بدلًا من أصابع اليد، وكلمة إحصاء بمعنى العد وجاءت لحفظ الحساب.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۷

يقول بعض المفسـرين: إنّ مفهومها هنا ينطبق مع مفهوم الكتابـة ولهـذا السـبب أعربوا كتاباً، مفعولًا مطلقاً لأَحصـينا، فى حين يجب أن يكون المفعول المطلق من مادة نفس الفعل الذى قبله، وبما أنّ معنى الكلمتين واحدٌ فيمكن أن يحل أحدُهما محل الآخر «۱».

كتب فى عليين وأخرى فى سجين:

الآية الثامنة التى وردت فى موضـعين من سورة المطففين تشـير إلى كتاب أعمال الأبرار والفجار، وقد كشـفت عن جزئيات أكثر، فقد ذكرت أولًا كتاب أعمال الفجار: «كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ* وَما أَدْراكَ مَا سِجِّينٌ* كِتابٌ مَرْقومٌ».

وبعـد عـدّة آيـات من نفس السورة جـاء كتـاب أعمال الأبرار: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّين* وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ* كِتابٌ مَّرْقُومٌ* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ».

وقـد ورد فى هـذه الآيـات كلاـم عن (سـجين) و (عليين) التى تحفظ فيها كتب أعمال الفجار والأبرار، لـذا يجب توضـيح معنى هاتين الكلمتين بدقّة:

«سِجّين»: هى صـيغة مبالغة مشتقة من مادة (سِجن) بمعنى السجن، ولقد ذكر المفسرون معانىَ مختلفة لهذه الكلمة مثل النّار أو موضع خاص من النّار تحفظ فيه كتب الفجار.

و نحن نقول: إنّ أصـح الأـقوال هو إنّ سـجين كتاب جامع تجمع فيه كتب أعمال جميع الفجار، وبتعبير أوضـح أنّ هـذا الكتاب كمثل السجل العام الذى يسجل فيه حساب جميع الدائنين والمدينين.

أمّا «عليين» فهى جمع (على) على وزن (ملى) وهو فى الأصل مشـتق من العلو، وهو إشارة إلى المكان المرتفع، ولـذا يطلق هـذا الاسـم على الأشـخاص الـذين يسـكنون المناطق المرتفعة من الجبال، وحسب قول بعض المفسـرين: إنّ المراد (بعليين) أعلى أماكن الجنّة أو أعلى مكان فى السماء، ومن خلال المقارنة بين الآراء حول سجين يتضح أنّ عليين كذلك

(۱). وقيل إنّ (كتاباً) حال، ولكن الاحتمال الأول هو الأصح.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۸

يعنى السجل الكبير الذى تجمع فيه كتب أعمال الأبرار والصالحين وهو سجل عالى المرتبة والمقام فى جوار اللَّه تبارك وتعالى «۱».

الملائكة المراقبون:

الآيـة التاسـعة لم تتحـدث فىالظـاهر عن كتـاب الأعمال لكونها عرضت هـذه الحقيقـة بتعبير آخر: «اذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الَيمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ» فمن الواضح أنّ التلقى هنا إشارة إلى التسـجيل فى صحف الأعمال، ثم قال تعالى للتأكيد أكثر «مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ».

«يتلقى : مشتق من مادة (لقاءِ) ولكن تلقى الأعمال هنا كناية عن أخذها وتسجيلها.

«المتلقيان»: هُما الملكان المأموران بأخذ وتسجيل أعمال الناس.

«قعيـد»: من مـادة قعود وهو الجلوس، ويراد منها الملازم والمراقب كما نقول فى كلامنا المتـداول أنّ فلان جليس فلان بمعنى الملازم والمراقب له «۲».

«يلفظ»: مشـتقة من مادة (لفظ) بمعنى قـذف الشـىء، كما يقال (لفظت الرحى الـدقيق) وتطلق هـذه الكلمة على ما يخرجه الإنسان من فمه، فكأنّها أشياء تقذف إلى الخارج.

«رقيب»: كما قال الراغب فى مفرداته مشتق من مادة (رقبة)، ويطلق على الشخص الذى يحافظ ويراقب شيئاً معيناً أو شخصاً.

«عتيـد»: مشـتق من مادة (عتاد) على وزن (جِهاد) بمعنى إعداد عدّة وذخيرة شـىء قبل الحاجة، لذا يطلق على الشـخص المستعد لأداء فعل معين ب (عتيد).

---

(۱). يجب الالتفات إلى أنّ عليين جمعت حسب قاعـدة جمع المـذكر السالم فى حين أنّ سـجين مفرد ولكن هذا لا يمنع من أن يطلق ذلك على المكان المرتفع والمقام العالى بسبب علو مكانته ومنزلة ساكنيه.

(۲). المتلقيان مثنى وعلى هذا فلابدّ أن يكون (قعيد) مثنى أيضاً، ولكن هناك حذف فى الآية والتقدير، عن اليمين قعيد وعن الشـمال قعيد، وحذفت الاولى بقرينة الثانية.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۵۹

ولقد قال صاحب كتاب مقاييس اللغة: إنّ المعنى الأصـلى ل (عتيد) القوة والضـرب، وهذا المعنى بالنسـبة للمعنى السابق كنسبة اللازم إلى الملزوم، على كـل حال فهل أنّ كل واحـد من هـذين الوصـفين مختص بأحـد الملكين والآخر بالملك الثانى فيكون الأول مراقباً والثانى معداً للتدوين والتسجيل أم أنّ كليهما يدلان على هذا المعنى أى كلاهما يقومان بمراقبة أعمال الإنسان وتسجيل وتثبيت أعماله أيضاً.

يعتقـد بعض المفسـرين، أنّ الرقيب هو إسم لملك اليمين (الـذى هو مأمور بكتابة أعمال الخير) والعتيد اسم لملك الشـمال (الذى هو مأمور بكتابة أعمال الشر).

ولكن يظهر من أقوال بعض المفسرين، أنّهم ذكروا كلا ـ الوصـفين لكلا الملكين، أى إنّ كل واحـد منهما رقيب وفى عين الحال عتيد أيضاً ولقـد نقلت حول هـذين الملكين روايات عديـدة بالغـة الأهميّة نذكر من جملتها حديثاً عن الرسول الأكرم صـلى الله عليه و آله: «صاحب اليمين أمير على صاحب الشـمال فاذا عمل حسـنة كتبها له اليمين بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قـال له صـاحب اليمين امسـك فيمسك عنه سـبع ساعات فإن اسـتغفر اللّه منها لم يكتب عليه شـىء وإن لم يسـتغفر اللّه كتب له سـيئة واحدة» «۱».

وتحمل مثل هـذه الروايات للإنسان رسالـة تربويـة واضـحة، ونسـتنتج من خلال هذه الرواية وبعض الروايات الاخرى أنّ عمل كلٍّ من هذين الملكين منفصل عن الآخر وسوف نفصِّل الموضوع أكثر فى فقرة (التوضيحات).

كُتّاب صحيفة الأعمال:

لقـد ورد فى نفس هـذه الآيـة كلامٌ عن (الكـاتبين) وسـعة اطلاـعهم ومعلومـاتهم: «وَإِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ* كِرَاماً كَاتِبِينَ* يَعلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ».

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۹، ص ۴۴۱؛ وكذلك في تفسير روح المعاني، ج ۲۶ ص ۱۶۴؛ وكذلك ورد في تفسير المراغي، ج ۲۶، ص ۱۶۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۰

فمن الواضح أنّ المراد ب (حافظين) الملائكة المأمورين بحفظ وتسجيل الأعمال، وليس المراد حفظ الإنسان من الحوادث المختلفة، واللّه تبارك وتعالى وصف هؤلاء الملائكة بأربعة أوصاف ولكنها لازمة وملزومة لبعضها في نفس الوقت، وهذه الأوصاف هي:

۱- حفظ ومراقبة الأعمال.

۲- «الكرام» و «كرام» جمع (كريم) وهي إشارة إلى عظمتهم وعلو شأنهم وإن كانوا مأمورين بإحصاء أعمال الإنسان، لكنهم لا يشوبون هذا العمل بالغلظة والقوة بل يقرنونه باللطف والكرامة.

وقيل إنّهم كرام لأنّهم يكتبون الأعمال الصالحة مباشرة بعشرة أمثالها، أمّا الأعمال السيئة وكما ذكر في الرواية السالفة فانّهم يمهلون صاحبها سبع ساعات لعله يتوب.

وقيل: إنّهم كرام لأنّهم يطيرون بالأعمال الصالحة إلى السموات ويعرضونها على الملائكة، أمّا الأعمال السيئة وبحكم كونه تعالى (ستار العيوب) فانّهم يتسترون عليها، وكونهم كراماً يجعل الإنسان يراقب أعماله أكثر وذلك لأنّه يستحي من أن يرتكب عملًا قبيحاً في محضر شخص كريم.

۳- (كاتبين)، وهذا الوصف يعني كيفية حفظهم الأعمال بصريح قوله تعالى فهم يكتبون كل الأعمال ولا يعزب عنهم شيء، ومن المعلوم أنّ الحفظ والكتابة بحاجة إلى اطلاع واسع من جميع الجوانب.

۴- (يعلمون ما تفعلون)، وهذا التعبير يشمل قول الإنسان وأعمال جوارحه وكذلك الأعمال القلبية.

وذكر كلمة (حافظين) بصورة الجمع، إمّا أن يكون هناك ملكان في النهار وملكان آخران في الليل يراقبون أعمال الإنسان (كما جاء في بعض الروايات) «۱»، أو لكون المخاطب جميع الناس وبهذا فسيكون الملائكة الذين يراقبون الجميع جمعاً.

(۱). وسائل الشيعة، ج ۳، ص ۱۵۴ و ۱۵۵، باب ۲۸ من أبواب المواقيت.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۱

كتاب الأعمال في اليمين أو في الشمال:

تشير الآية الحادية عشرة إلى موضوع جديد وهو إتيان كتاب الأعمال، فيؤتى الأشرار والأشقياء كتابهم بشمائلهم أمّا الصالحون والأخيار فيؤتون كتابهم بأيمانهم، وهذه علامة فارقة لتمييز الأخيار من الفجار في محكمة العدل الإلهي: «فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَه ...»، وعلى العكس: «وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوْتَ كِتابِيَه* وَلَم أَدْرِ مَا حِسَابِيَه* يالَيْتَها كَانَتِ الْقَاضِيَةَ»، فهل أنّ اليد اليمنى واليسرى إشارة إلى هذا العضو الخاص من البدن أم هو كناية عن الخير والشر، ولماذا اليد اليمنى كناية عن الخير، واليسرى كناية عن الشر؟

لقد ورد هذا المعنى (كاحتمال) في تفسير (في ظلال القرآن) ولكن نقول لا- توجد ضرورة لهذا التأويل لأنّ إتيان كتاب أعمال الصالحين باليد اليمنى والأشرار باليد اليسرى وسيلة لتمييزهم والتعرف عليهم.

أمّا كلمة (هاؤم) فهي على رأي الكثيرين من المفسرين وأرباب اللغة مركبة من (هاء) وهي اسم فعل (أمر) بمعنى خذ و (ميم) وهو ضمير جمع مذكر مخاطب، وهذه الكلمة تعامل معاملة فعل الأمر فيقال (هاءَ، هاءِ، هائماً، هاؤُم، هاتُن (للمفرد، المذكر والمفرد المؤنث

والمثنى وجمع المذكر وجمع المؤنث) وأحياناً تبدل الهمزة بالكاف فيقال: (هاكَ، هاكِ، هاكما، هاكن) أمّا الهاء الواردة فى آخر كلمتى (كتابِيَهْ وحَسابِيَهْ) فيطلق عليها اصطلاحاً ب (هاء السكون) وهى ليست بضمير وإنّما هى للاستراحة فى الكلام وليس لها مفهومٌ خاص والأصل: (كتابىَ) و (حِسابىَ).

ولقد ورد فى حديث عن عبداللّه بن حنظلة المعروف بغسيل الملائكة وهو من شهداء أُحد، قال: إنّ اللّه يوقف عبده يوم القيامة فيبدى سيئاته فى ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا، فيقول نعم أى ربّ، فيقول له: إنّى لم أفضحك به وإنّى قد غفرت لك، فيقول عند ذلك هاؤم اقرؤا كتابيه إنّى ظننت أنّى ملاقٍ حسابيه، حين نجا من فضيحته يوم القيامة «۱».

---

(۱). تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۲۶۱؛ تفسير فى ظلال القرآن، ج ۸، ص ۲۵۶ ولو أنّ هذا الحديث نقل عن عبداللّه بن حنظلة ولكنه قد سمعه بالواسطة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۲

لقد ورد نفس هذا المعنى بشىء من الاختلاف (إيتاء كتاب أعمال الأبرار باليمين والفجار بالشمال) فى الآية الثانية عشرة من الآيات السالفة الذكر: «فَأَمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بيَمِينِه فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسيراً* وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً* وَأَمّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ وَرآءَ ظَهْرِهِ* فَسَوفَ يَدْعُوا ثُبُوراً* وَيَصْلى سَعِيراً».

فذكرت الآيات السابقة أنّ كتاب أعمال الفجار يؤتى بالشمال، أمّا هذه الآيات فذكرت أنّ كتاب الفجار يوتى (وراء الظهر) ويراد بهذا المعنى أنّ المجرمين عندما يعطون كتبهم بشمائلهم فانّهم ولشدّة حيائهم يجعلون أيديهم وراء ظهورهم حتى تقل رؤية الجمع لهذا السند، سند الجريمة والفضيحة، أو لأنّ أيدى الشمال مغلولة وراء ظهورهم فكما أنّهم جعلوا كتاب اللّه وراء ظهورهم فى الحياة الدنيا فهنا تجعل كتب أعمالهم وراء ظهورهم، أو لكون وجوههم مقلوبة وراء ظهورهم ولأجل رؤية كتب أعمالهم فهم يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم ولا منافاة لأىمن هذه المعانى الثلاثة للآية وما ورد فى الآيات السابقة.

ما المراد ب (الأهل) الذى ذكرته الآية الكريمة؟

قيل: إنّ المراد بالأهل هم النساء والأولاد والآخرين من أهل الإيمان الذين يدخلون الجنّة قبلهم، وقيل: إنّ الأهل هنا إشارة إلى الحور العين، وقيل: إنّ المقصود بالأهل هم سائر المؤمنين الذين لهم سبق قدم فى الجنّة وذلك لأنّ المؤمنين كلهم أهل لبعضهم البعض، وفى الحقيقة (إنّهم جزء من أُسرة واحدة)، ونرى أنّ التفسير الأول هو الأنسب بدليل أنّ نفس هذا التعبير ورد فى الآية ۱۳ من نفس السورة ويراد به الأسرة والزوجة والأولاد والأقرباء، واتحاد السياق يدلّ على أنّ المعنى واحد.

ولقد قسمت الآية الثالثة عشرة هذا التقسيم (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال) بشكل آخر: «فَأَصْحَابُ المَيمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ* وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ».

«الميمنة»: مشتقة من مادة (اليمن) بمعنى السعادة والبركة، ولقد فسرها البعض وقال:

إنّها مأخوذة من مادة (يمين) أىاليد اليمنى يقولون: إنّهم الأفراد الذين يعطون كتبهم

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۳

بأيمانهم (صحيح أنّ مادة يمن) و (يمين) مشتقة من أصل واحد ولكن يعنى أحدهما الخير واليمن والسعادة، ويعنى الآخر اليد اليمنى التى يرونها مظهراً من مظاهر البركة.

ويعتقد الراغب- كما ورد فى مفرداته- أنّ أساس الكلمتين يحمل نفس مفهوم اليد اليمنى فيرى أنّ الخير واليمن والبركة تحصل بالأفعال التى تنجز بواسطة اليد اليمنى

فهذه الكلمة جاءت بمعنى الخير والبركة ويقابلها كلمة المشئمة.

«والمشئمة»: مشتقة من (شؤم) وعلى قول صاحب كتاب مقاييس اللغة أنّ المعنى الأصل لهذه الكلمة هو نفس اليد اليسرى وأنّهم يعتقدون بأنّ اليد اليسرى والأعمال التى تنجز بواسطتها إشارة إلى الشر وسوء الحظ.. ولهذا استعملت كلمة شؤم بهذا المعنى وبهذا السياق، ويكون المراد من (أصحاب الميمنة) و (أصحاب المشئمة) فى الأصل نفس معنى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال الذين يؤتون كتبهم إمّا باليمين أو بالشمال، وبهذا فإنّ تفسير الآية بمجموعة تكون (سعيدة مسرورة) واخرى (شقية تعيسة) بعد المعنى الثانى من معانى الآية الكريمة، ولقد فسر الفخر الرازى أصحاب الميمنة ب (أصحاب الجنّة) إذ يقول «۱»:

هم أصحاب الجنّة وتسميتهم بأصحاب الميمنة إمّا لكونهم من حملة كتبهم بأيمانهم وإمّا لكون أيمانهم تستنير بنور من اللّه تعالى كما قال تعالى «يَسعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ». (الحديد/ ۱۲)

وإمّا لكون اليمين يراد به الدليل على الخير، والعرب تتفاءل بالسانح وهو الذى يقصد جانب اليمين من الطيور إذ يتفاءلون بها بالخير، والتى تطير من الشمال، بالشر.

جملة (ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشئمة) جاءت على صيغة استفهامية، وهذه إشارة إلى المقام الرفيع جدّاً للطائفة الاولى والمقام الدنيء جدّاً للطائفة الثانية فكان منزلة وبركات الطائفة الاولى من العلو والسمو بحيث تخرج عن مستوى تفكير الإنسان، وهذا التفسير كناية لطيفة عن هذا المعنى على عكس التعبير الثانى الذى هو كناية عن شدّة

---

(۱). التفسير الكبير، ج ۲۹، ص ۱۴۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۴

الانحطاط والتدنى، ومع عدم ورود كلام عن كتاب الأعمال فى هذه الآيات إلّاأننا إذا أخذنا سائر الآيات القرآنية التى جاءت فيها هاتان الكلمتان بنظر الاعتبار يكون التفسير أعلاه مناسباً لهذا المعنى

أمّا الآية الرابعة عشرة من الآيات السالفة الذكر والتى وردت فى نفس سورة الواقعة:

«وَأَصْحَابُ الَيمِينِ مَاأَصحَابُ الَيمِينِ* فِى سِدرٍ مَّخْضُودٍ» «وَأَصحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصحَابُ الشِّمَالِ فِى سَمُوْمٍ وَحَمِيمٍ».

فقد ذكر المفسرون فى تفسير هذه الآيات نفس المعانى التى وردت فى تفسير الآيات السابقة.

فقيل: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم أو بشمائلهم أو هم أصحاب اليمين والبركة أو تعيسو الحظ أو الذين يتجهون نحو الجنّة من اليمين أو نحو الجحيم من اليسار أو هم الذين يظهر نورهم على يمينهم «۱».

صحيفة أعمالنا أمام أنظار الجميع:

نلاحظ فى الآية الخامسة عشرة تعبيراً جديداً حول صحف الأعمال وهذا التعبير عميق المحتوى «وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ».

«نشرت»: مشتقة من مادة (نشر) بمعنى الفتح، أمّا سبب ذكر هذا التعبير بخصوص كتاب الأعمال فامّا لكون الكتاب يطوى أثناء الموت ويعاد فتحهُ عند الحساب يوم القيامة ومثله كمثل الملف الذى يُغلَق بختم المحقق ثم يفتح أثناء المحكمة، وإمّا أن تكون الصحف كلّها مجموعة عند اللّه تبارك وتعالى وتنشر وتقسم بين أصحابها يوم القيامة.

لقد انتخب بعض من المفسرين أحد المعنيين السالفين، واحتمل البعض الآخر كليهما، ونحن نقول: إنّ التفسير الأول هو الأنسب لسياق الآية، على أيّة حال فإنّ صحف الأعمال

---

(۱). تفسيرالتبيان، ج ۹، ص ۴۹۳؛ وتفسيرالبيان؛ وتفسيرالكبير؛ وتفسير فى ظلال القرآن، ذيل الآيات مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۵

سوف تنشر فى ذلك اليوم بحيث لا يطلع عليها أصحابها وحسب بل يطلع عليها أهل المحشر أيضاً وتستذكر جميع الأعمال المنسية، وهذا هو أحد عوامل الفرج واستبشار الصالحين، وعذاب وثبور وخزى أهل النّار، وهذه شهادة على هذا المعنى ولذا تقول الآية:

«وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيمَةِ كِتَاباً يَلقَاهُ مَنْشُوراً». (الاسراء/ ۱۳)

يستفاد ممّا ورد فى مجموع الآيات السالفة الذكر أنّه إضافة إلى إحاطة وعلم اللّه تبارك وتعالى بأعمال الناس وشهادة الجوارح وسائر شهود يوم القيامة فإنّ أعمالنا مسجلة فى كتاب، وهذا التسجيل يؤدّى بواسطة رسل وملائكة اللّه.

وفى يوم القيامة يؤتى الأخيار صحائف أعمالهم بأيمانهم والأشرار بشمائلهم وتنطق هذه الكتب وتخبر عن كل ما فيها، وتنشر الصحف وتعرض على الخلائق ويطلع أهل المحشر على أسرار وأخبار هذه الصحف، فأصحاب اليمين يتلقون كتبهم مسرورين مستبشرين ويدعون الجميع لقراءة كتبهم، أمّا أصحاب الشمال فيعلو صراخهم وعويلهم وثبورهم من شدة خوفهم وهلعهم.

ونحن نجد فى هذه التعابير الكثير من الجوانب التربوية، سنتعرض إليها فى فقرة التوضيحات.

توضيحات

۱- صحف الأعمال فى الروايات الإسلامية

إنّ لموضوع كتب الأعمال أو صحف الأعمال صدىً واسعاً فى الروايات الإسلامية، وقد جاءت بعض الروايات كتعبير للآيات السابقة، وهناك روايات مستقلة عن الآيات.

وسنشير إلى بعض من هذه الروايات التى تتضمن كل واحدة منها جوانب تربوية هامة:

۱- نقرأ حديثاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى الإنسان كتابه ثم قيل له اقرأ، قلت: فيَعرفُ ما فيه؟ فقال: إنّ اللّه يذكره فما من لحظةٍ ولا كلمةٍ ولا نقل قدمٍ

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۶

ولا شيء فعله إلّاذكره كأنّه فعله تلك الساعة! فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيره إلّاأحصيها» «۱».

۲- نقرأ فى إحدى خطب نهج البلاغة أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «ونستغفره ممّا احاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر وكتاب غير مغادر» «۲».

۳- جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب، فأمّا المؤمن فيؤتى كتابه بيمينه» «۳».

۴- ونقرأ حديثا آخر للإمام الصادق عليه السلام: «إنّ اللّه تبارك وتعالى إذا إراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه فيقول: عبدى فعلت كذا وكذا وعملت كذا وكذا. فيقول: نعم يارب قد فعلت ذلك. فيقول: غفرتها لك وأبدلتها حسنات. فيقول الناس سبحان اللّه أما كان لهذا العبد سيئة واحدة؟ وهو قول اللّه عزّ وجلّ: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً»» «۴».

۵- نقل فى سنن الترمذى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأمّا عرضتان فجدال ومعاذير، وأمّا العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى: فأخذ بيمينه وأخذ بشماله» «۵».

إنّ هذا التعبير تضمن إشارة إلى (تطاير الكتب) الذى جاء فى عبارات مختلفة، واتضح من خلال هذا الحديث أنّ صحف الأعمال

تتحرك من محلها الأصل (عند العرش أو عليين أو سجين الذى هو مركز جمعها) فتلقى بيد صاحبها فهذا التعبير يدل بوضوح على أنّ كتاب الأعمال هو ليس صفحة الروح الإنسانية بل هو الآثار التى تثبت خارج وجوده (تأمل).

---

(۱). بحارالأنوار، ج ۷، ص ۳۱۵.

(۲). نهج البلاغة، خطبة ۱۱۴.

(۳). بحار الأنوار، ج ۷، ص ۳۱۸، ح ۱۴.

(۴). المصدر السابق، ص ۳۲۴، ح ۱۷.

(۵). سنن الترمذى، ج ۴، ص ۶۱۷، ح ۲۴۲۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۷

۲- ماهية صحف الأعمال

ممّا لا شك فيه أنّ صحف الأعمال الذى تعرض يوم القيامة ليست كمثل الأوراق والدفاتر والكتب المتداولة وإنّما هى نقوش معبرة غير قابلة للانكار، فلو أنّ كتاب الأعمال كمثل هذه الأوراق والدفاتر المستعملة اليوم لاستوجب الأمر ملايين الأوراق لكتابة أعمال الإنسان خلال فترة عمره ولما أمكن للجميع مطالعة مثل هذا الكتاب ولما كان موجباً لخزى وفضح الأشرار وفخر الأخيار، فى حين يستفاد من الآيات والروايات أنّ أعمال الإنسان مثبتة بحيث يمكن الوقوف عليها بإلقاء نظرة واحدة، إضافة إلى ذلك أنّ الخطوط والنقوش الاعتيادية ليست بالشكل الذى لايمكن انكارها، فى حين يتضح من الآيات والروايات أنّ خطوط هذا الكتاب ليست قابلة للانكار وهى سند حى وواضح لكل شخص وحتى لأصحابها.

نتطرق هنا بدقّة إلى بعض التفاسير المختلفة التى قيلت بخصوص صحف الأعمال:

۱- قيل فى تفسيرها: (هى بعينها نفس الإنسان التى رسخت فيها آثار أعماله بحيث نقشت بها).

وجاء ما يطابق هذا التعبير فى كتاب المرحوم الفيض الكاشانى حيث يقول: «إنّ كتاب الأعمال هو كناية عن نفس الإنسان التى رسخت فيها آثار أعماله» «۱»، إلّاأنّ هذا المعنى الكنائى لايتوافق مع ظواهر آيات القرآن الكريم وذلك لأنّ القرآن يذكر إتيان كتاب أعمال أصحاب اليمين بأيمانهم وكتاب الفجار بشمائلهم أو من وراء ظهورهم وهذا التعبير لا يتلائم مع التفسير المذكور إلّاإذا حمل تعبير (يمين) و (شمال) وسائر التعابير الاخرى على المعنى الكنائى وهذا خلاف الظاهر وهو غير جائز بدون دليل، إضافة إلى ذلك لا يمكن أن يتوافق هذا التعبير مع تطاير الكتب الذى ذكرناه سابقاً.

۲- للمرحوم العلّامة الطباطبائى تعبير آخر فى هذا الصدد فيقول فى تفسير الميزان مستفيداً من الآية الشريفة: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ...». (آل عمران/ ۳۰)

---

(۱). تفسير الصافى، ذيل الآية ۱۳ من سورة الاسراء.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۸

«إنّ الكتاب يتضمن نفس الأعمال بحقائقها دون الرسوم المخطوطة على حدّ الكتب المعمول بها فيما بيننا فى الدنيا فهى نفس الأعمال يطلع اللَّه الإنسان عليها عياناً ولا حجّة كالعيان، إنّ كتاب الأعمال بحقائقها مستور عن إدراك الإنسان محجوب وراء حجب الغفلة وإنّما يخرجه اللَّه سبحانه وتعالى يوم القيامة فيطلعه على تفاصيله» «۱».

كذلك لا ينسجم هذا المعنى بما يتعلق ب (الملائكة الكاتبين) وسائر الصفات الأخرى التى وردت فى الآيات والروايات وذلك لأنّ المراد من حقائق الأعمال على الظاهر هو نفس الآثار التى تترك أثراً فى داخل نفس الإنسان، وهنا يرد نفس الإشكال على تفسير المرحوم الفيض الكاشانى.

ولقد ذكر صاحب كتاب (روح المعانى) نفس هذا التفسير بشىء من التفصيل ثم اعترف بأنّ هذا التفسير لا ينسجم مع ظاهر آيات القرآن الكريم «۲»، ومن الممكن أن يقال: كما تترك أعمال الإنسان أثراً فى داخل نفسه كذلك تترك أثراً فى العالم الخارجى أيضاً، وتترك أثراً فى الفضاء والهواء وعلى الأرض التى يعيش عليها وفى كل شىء، وكأنّ أعماله نقشت بها نقشاً طبيعياً غير قابل للانكار.

وهذه النقوش تنقش فى أعماق هذه الموجودات بواسطة قوى عالم الوجود والملائكة، ويوم القيامة يكشف عنها الحجب وتظهر للعيان وتعطى بيد كل إنسان وتكفى نظرة واحدة عليها للاطلاع على حال كل شخص.

ومن البديهى أنّ هذه الآثار لا يمكن إدراكها والاحساس بها فى هذه الدنيا رغم أنّها موجودة ومثبتة، وعندما يأتى ذلك اليوم الذى يكشف فيه هذا الغطاء ويصبح البصر حديداً فسوف نراها عياناً ونقرأُها فنصدق.

وقد استطاع علماء اليوم من خلال دراسة علم الآثار ودراسة المتحجرات المتبقية من

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۱۳، ص ۵۸. ذيل الآية ۱۳ الاسراء.

(۲). تفسير روح المعانى، ج ۱۵، ص ۳۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۶۹

الكائنات الحية منذ ملايين السنين أن يكتشفوا- إضافة إلى شكل هياكلها- الكثير من حقائق حياتها مع أنّ المتحجر ليس حيواناً بعينه بل هو بقايا منه بقيت لحقب طويلة داخل الطبقات الأرضيّة.

الصخور الأرضيّة هى فى الواقع كتاب أعمال وأشكال تلك الحيوانات مدون بخطوط غير قابلة للانكار.

نحن لا نقول إنّ كتاب الأعمال الذى يعرض يوم القيامة هو على هذه الصورة وذلك لأننا ذكرنا أكثر من مرّة أننا لا ندرك من القيامة والمسائل المتعلقة بها إلّانزراً يسيراً، ولكن فى بعض الأحيان يمكن أن يكون الأثر الطبيعى هو نفس الأثر، ومن المناسب هنا أن نذكر حديثاً للإمام الصادق عليه السلام ورد فى تفسير الآية ۱۴ من سورة الاسراء: «يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه، حتى كأنّه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها» «۱».

۳- احتمل البعض أنّ كتاب الأعمال هو (الضمير الباطن) للإنسان فقد أثبت علم النفس اليوم أنّ أعمال الإنسان تؤثر فى وجدانه أو اللاشعور، وهذا التعبير لا يختلف عن تعبير الفيض الكاشانى وسائر المفسرين الذين أشرنا إليهم سابقاً، وفى الواقع أنّ هذا التعبير هو تعبير جديد مشتق من المعنى القديم، والتفسير الثالث هو الأنسب من بين التفاسير الأربعة.

على أيّة حال يجب أن نقول بما أنّ مسألة كتاب الأعمال وردت فى القرآن الكريم وأكدتها الروايات المختلفة لذا يجب أن نؤمن بها حتى وإن لم ندرك مفهومها ومحتواها بشكل تفصيلى، مثلها كمثل سائر المسائل المتعلقة بيوم القيامة، أو أنّ كتاب الأعمال هو مجموعة الآثار التى خطتها أعمالنا خارج وجودنا وتجمع يوم القيامة وتوضع بين أيدينا حسب الأمر الإلهى، وبتعبير آخر هى مجموعة الآثار التكوينية التى يمكن تشبيهها من بعض الوجوه بالأفلام أو أشرطة التسجيل أو ما شاكلها.

ونحن لا نجزم بأنّ الأمر هكذا بل نقول أنّ هناك أوجه للشبه بينها.

---

(۱). تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۲۶۷، ح ۱۱۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۰

۳- فلسفة كتاب الأعمال

ممّا لا- شك فيه أنّ البيان المفصل لكتاب الأعمال في الآيات القرآنية والروايات، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا وأقوالنا ونيّاتنا إلّا أحصاها يهدف بالدرجة الاولى إلى إيجاد آثار تربوية على نفس الإنسان.

ولقد ذكرنا أنّ القرآن اتخذ من بيان جميع المعارف الواقعة وسيلة لتهذيب النفوس وتكامل الأرواح وتنمية مكارم الأخلاق وتقوية عامل التقوى عند الإنسان، كما أنذر الناس كافة ليراقبوا أفعالهم وأقوالهم وسلوكهم وصرّح بأنّ كل شيء في كتاب وسوف تعرض الأعمال من خلاله يوم القيامة من غير نقصان.

حقّاً إنّ الاحاطة العلمية للَّه‌تعالى هي فوق كل شيء، ومن يؤمن إيماناً كاملًا بالاحاطة العلمية للَّه‌وحضوره الوجودي في كل شيء وفي كل زمان لا حاجة له بكتاب الأعمال ولكن في الغالب يمكن أن يكون الالتفات لهذه الحقيقة منشأً لكثير من الآثار على أغلب الناس، فمن يعلم بأنّ هناك أشرطة لتسجيل صوته أينما كان وهناك جهاز مجهز بأفلام لتصوير كل حركاته وسكناته، سرّها وعلنها، ظاهرها وباطنها، وأنّ هذه الأشرطة والأفلام سوف تعرض على شكل ملف كامل غير قابل للانكار في احدى المحاكم الكبيرة، فيقيناً أنّ مثل هذا الإنسان سوف يراقب كل أفعاله وأقواله وسلوكه بشكل كامل وتكون التقوى هي الحاكمة على ظاهره وباطنه.

إنّ الإيمان بكتاب الأعمال الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها والإيمان بالملائكة الذين يراقبون الإنسان ليلًا ونهاراً ويحصون عليه كل أعماله، وكذلك الاعتقاد بأنّ هذه الصحف سوف تنشر يوم القيامة في ساحة المحشر ويكشف فيها عن جميع السرائر فتوجب الخزي والفضيحة أمام الأصدقاء والأعداء، كلّها لها أثر عجيب في الكفّ عن الذنوب وارتكاب المآثم.

هذا على عكس كتاب الأبرار الذي يكون موجباً للفخر والكرامة في المحشر وحتى أنّه أفضل وأعلى وأكثر تأثيراً ممّا ذكر في مقال الشريط والفلم، وهذا عامل مهم جدّاً للتزود من

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۱

الأعمال الصالحة، ولولا ضعف الإيمان أحياناً ووجود حجب الغفلة التي تكون العامل في أبعاد الإنسان عن هذه الحقائق المهمّة لكان الاعتقاد بهذا المبدأ القرآني كافياً لتربية وتزكية كل إنسان.

ونذكر هنا إنّ بعض الأدعية تتضمن دروساً تربوية للإنسان وتركز على ابراز هذا المعنى فنقرأ في الدعاء المعروف بدعاء كميل: «وكل سيئةٍ أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين الذين وكلتهم بحفظ ما يكون مني، وجعلتهم شهوداً عليّ مع جوارحي، وكنت أنت الرقيب عَلَيَّ من ورائهم والشاهد على ما خفي عنهم».

ونختم هذا البحث بذكر حديث للإمام الصادق عليه السلام، جاء في الاحتجاج للطبرسي أنّه:

سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام: عن علة وجود الملائكة المأمورين بتثبيت الأعمال الصالحة والسيئة ونحن نعلم بأنّ اللَّه (عالم السر والخفيات وما هو اخفى .

فقال الإمام عليه السلام: «استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة اللَّه مواظبةً وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهم بمعصيته فذكر مكانهما فارعوى وكفّ، فيقول ربّي يراني، وحفظتي عليّ بذلك تشهدُ!» «۱».

۴- أقسام كتب الأعمال

كما أشرنا سابقاً ومن خلال الآيات القرآنية أنّ هناك ثلاثة أنواع من كتب الأعمال:

الأول: هو الكتاب الذى يختص بكل إنسان ويعرض جزئيات الأعمال ويعطى باليمين أو بالشمال.

ولقد ورد هذا المعنى فى كثير من الآيات التى سبق ذكرها ومن جملتها: «وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً* إِقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً». (الاسراء/ ١٣)

إنّ تعبير (كُلَّ انْسانٍ)، وكذلك تعبير (كِتابَكَ) إشارة واضحة إلى كتاب الأعمال الخاص،

(۱). الاحتجاج، ج ۲، ص ۹۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۲

وكذلك جملة: «هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَه»، وجملة: «يا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتابِيَه» وفى سورة الحاقة الآيات ۱۹، ۲۵ إشارات اخرى إلى هذا المعنى

الثانى: كتاب أعمال الامم، أىالكتاب الذى تجمع فيه أعمال الامة كما ورد قوله تعالى:

«كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا». (الجاثية/ ۲۸)

وقد ورد تعبير كتاب بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع وهذا يدل على أنّ المراد (الامة الواحدة).

الثالث: الكتاب الذى تثبت فيه أعمال جميع الأمم وكافة الناس من الأولين والآخرين، فهو بمثابة السجل المركزى العام الذى تسجل فيه جميع الحسابات، ولقد أشار إليه تعالى:

«وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ». (الكهف/ ۴۹)

وجاء هذا التعبير بصورة أوضح فى قوله تعالى بعد ذكر الأموات وبيان كتابة الأعمال وآثارها من قبل اللّه تبارك وتعالى: «وَكُلَّ شَىءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ». (يس/ ۱۲)

فورد الكتاب فى هذه الآية بصيغة نكرة (التى تفيد الأفراد) وهذا يدل على أحصاء جميع أعمال الخلائق بل إنّ كل الأشياء جمعت فى كتاب واحد.

وقد أشار المرحوم العلّامة الطباطبائى فى تفسير الميزان إلى هذه الكتب الثلاثة «۱»: ولو أنّ هناك اختلاف بين الآيات التى استشهد بها وبعض هذه الأقسام التى ذكرناها.

ويمكن أن نستفيد من الآيتين ۷، ۸ من سورة المطففين أنّ (الأبرار) أو (الفجار) كل منهم له كتاب خاص وهذا يعدّ النوع الرابع من كتب الأعمال.

على أيّة حال فلا توجد أيّة منافاة بين هذه الكتب، ولا مانع من تسجيل عمل ما فى عدّة كتب وسجلات مختلفة لغرض التأكيد والدقّة، وهذا ما نلاحظه فى حياتنا اليومية.

إنّ هذه الكتب وعلى اختلاف أنواعها كلّها تؤكد على حقيقة واحدة مفادها أن يكون الإنسان واعياً يقظاً وليعلم بأنّ أعماله لم تسجل فى مكان واحد بل إنّها مثبتة فى عدّة أماكن وسجلات، ومن غير الممكن أن يصدر من الإنسان عملٌ ما ولا يحاسب عليه يوم القيامة، ويجب أن نعلم بأنّ اللّه تعالى هو الرقيب على الإنسان من وراء كل هذه الكتب والشهود.

(۱). تفسير الميزان، ج ۳، ص ۳۴۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۳

۵- خصائص كتاب الأعمال

من مجموع الآيات والروايات السابقة يمكن تحديد الخصائص الآتية لكتاب الأعمال وهى:

۱- كتاب الأعمال هو صحيفة عمل لمجموع عمر الإنسان وهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها.

۲- كتاب الأعمال حى ناطق ولا- مجال فيه لأدنى شك أو ريب وهو غير قابل للانكار، وكل شخص يتمكن من الفصل والحكم بمشاهدته وحتى المجرمون أنفسهم.

۳- إنّ كاتبى صحيفة الأعمال ملكان وقد عبّر عنهما القرآن ب (رقيب) و (عتيد)- وكما ذكرنا- يستفاد من بعض الروايات أنّ ملائكة الليل والنهار منفصلون عن بعضهم البعض وكل واحد منهم يعطى مكانه للآخر، ولقد أشارت بعض آيات القرآن الكريم إشارة عابرة إلى هذا المعنى

۴- يظهر من بعض الروايات أنّه إضافة إلى ذلك يوجد ملائكة آخرون توكل بهم مهمّة تسجيل بعض الأعمال الخاصة كما ورد فى حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فاذا جلس الأمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر» «۱».

۵- يستفاد من بعض الروايات أنّ الحسنات تكتب فوراً أمّا السيئات فتكتب بعد حين (لعل صاحبها يتوب عن فعله).

ونختم هذا البحث بذكر بعض الجمل القيمة من أدعية الإمام السجاد عليه السلام والتى وردت فى (الصحيفة السجادية) ولنردد معه هذا الدعاء: «اللهم يسر على الكرام الكاتبين مؤنتنا، واملأ لنا من حسناتنا صحائفنا ولا تخزنا عندهم بسوء أعمالنا» «۲» وفى مكان آخر قال:

«فصل على محمد وآله واجعل ختام ما تُحصى علينا كتبة أعمالنا توبة مقبولة» «۳».

---

(۱) صحيح مسلم، ج ۲، ص ۵۸۷، ح ۸۵۰، ولعل مفهوم الحديث هو إذا تأخر المصلى عن الوقت المحدد لصلاة الجمعة فسوف لن يكتب اسمه فى تلك الصحف.

(۲) الصحيفة السجادية الدعاء ۶.

(۳) المصدر السابق، الدعاء ۱۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۵

۴- حضور الأعمال

تمهيد:

المطّلعون على الآيات القرآنية يعلمون جيداً بأنّ بعضاً منها يتحدث عن حضور الأعمال يوم القيامة.

أى أنّ عمل كل شخص يعرض أمامه فى ذلك اليوم خيراً كان أو شراً ويكون موجباً لسروره وسعادته أو عذابه ومعاناته، موجباً للفخر والكرامة أو للفضيحة والعار.

فهل بالإمكان بقاء أعمال الإنسان التى هى عبارة عن مجموعة حركات تمحى وتزول بعد انقضائها؟ وهل من الممكن أن يتحول «العمل» الذى هو جزء من مقومات وجود الإنسان إلى مادة وجسد ويظهر بصورة مستقلة؟

إنّ الكثير من المفسّرين عجزوا عن الإجابة عن هذه الأسئلة، فما كان لهم من حيلة إلّا إلى الحدَس والتقدير، فقالوا مثلًا إنّ المراد ب

(حضور الأعمال) أو مشاهدة العمل «حضور وشهادة جزاء العمل، ثوابه أو عقابه».

ولكننا نعتقد اليوم بأنّ لكل من هذه المسائل جواب وعلى هذا الأساس لا نجد أى دليل لانكار ظواهر هذه الآيات التى تدلّ على تجسّد أعمال الإنسان.

والجدير بالذكر، أنّ محتوى هذه الآيات- مع الأخذ بنظر الاعتبار معناها الحقيقى لا المجازى- ذات معنى عميق ونافذ ومؤثر، ويحلّ لنا الكثير من المشاكل ويجيب عن الكثير من الأسئلة التى تطرح حول عالم القيامة والحساب، كما تترك أثراً كبيراً ومفيداً فى حياة الإنسان من الناحية التربوية، وقبل أن نتناول هذا الموضوع نمعن خاشعين فى بعض الآيات

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۶

القرآنية التى تشير إلى مسألة حضور الأعمال:

۱- «يَومَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُم* فَمَن يَعْمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ». (الزلزال/ ۶- ۸)

۲- «وَوَجَدُوا مَاعَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً». (الكهف/ ۴۹)

۳- «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَاعَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً». (آل عمران/ ۳۰)

۴- «وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ». «۱» (الزمر/ ۴۸)

۵- «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (آل عمران/ ۱۸۰)

۶- «وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ».

(التكوير/ ۱۲- ۱۴)

۷- «وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُم وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ». (الاحقاف/ ۱۹)

۸- «وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّاعَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ». (الزمر/ ۷۰)

۹- «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتُظْلَمُونَ». «۲» (البقرة/ ۲۷۲)

۱۰- «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّاكَسَبَتْ». (البقرة/ ۲۸۱) (آل عمران/ ۱۶۱)

۱۱- «يَومَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَاكَنَزْتُم لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنْتُمْ تَكْنِزُونَ». «۳» (التوبة/ ۳۵)

۱۲- «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». «۴» (الطور/ ۱۶) (التحريم/ ۷)

---

(۱). وجاء نظير هذا المعنى فى الآية ۵۱ من سورة الزمر.

(۲). هناك آيات اخرى بهذا المضمون، النمل، ۱۱۱؛ آل عمران، ۲۵؛ هود، ۱۱۱.

(۳). الزمر، ۲۴ تفيد نفس المعنى

(۴). هناك آيات اخرى بنفس المضمون، وفى الأعراف، ۱۴۷ و ۱۸۰؛ سبأ، ۳۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۷

جمع الآيات وتفسيرها

يومئذ كلٌ يرى عمله:

لقد أشارت الآيات الاولى الواردة فى آخر سورة الزلزال ثلاث مرّات إلى مسألة رؤية الأعمال «يَومَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» و «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ» ثم «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ».

«اشتاتا»: جمع (شت) على وزن (شط) بمعنى «التفرق»، وقد يكون سبب تفرق صفوف الناس فى ذلك اليوم ورود كل امة بإمامها أو أن يتفرق أهل الإيمان عن أهل الكفر والعلماء عن المتعلمين والشهداء عن غيرهم «۱».

«مثقال»: بمعنى وزن، والذرة هى الأجزاء الصغيرة جدّاً، لذا فقد فسّرت الذرة أحياناً بذرات الغبار واخرى بالنملة الصغيرة جدّاً، ويشير ظاهر الآيات بوضوح إلى أنّ الأعمال الصالحة أو السيئة تتجسد أمام صاحبها فى المحشر، ولو أنّ بعض المفسّرين- وبسبب عدم قبولهم لمسألة تجسم الأعمال للأسباب التى أشرنا إليها فى بداية الموضوع- قالوا بالتقدير فقدروا كلمة «جزاء»، والمراد حضور ومشاهدة جزاء الأعمال، وقال البعض: إنّ الرؤية هنا بمعنى العلم والمعرفة أى المشاهدة بعين العقل، وقال البعض الآخر: المراد مشاهدة كتاب الأعمال.

ومن المسلّم أنّ التفاسير الثلاثة لا تتوافق مع ظاهر الآية وذلك لأنّ تقدير أخذ (الجزاء) أو (صحف الأعمال)، مخالف لظاهر الآية والرؤية هنا بمعنى المشاهدة بالعين لا بالقلب التى تنصب مفعولين، فمن المعلوم أنّ الرؤية القلبية تتعدى إلى مفعولين والرؤية الظاهرية تتعدى إلى مفعول واحد، وفى هذه الآية لا نرى إلّامفعولًا واحداً لا أكثر (فتأمل).

والجدير بالذكر أنّ ابن عباس وبالرغم من كونه أقدم المفسّرين قد قبل هنا بمسألة رؤية الأعمال، فيقول فى رواية وردت عنه:

«ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شرّاً إلّاأراه اللَّه إيّاه، أمّا المؤمن فيغفر له سيئاته

(۱). تاج العروس فى شرح القاموس مادة (شت) ويقول البعض أنّها جمع شتيت والبعض الآخر جمع شتات.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۸

ويثيبه بحسناته، وأمّا الكافر فيردّ حسناته تحسيراً له» «۱».

ونرى فى أحاديث المعصومين الواردة فى تفسير الآيات تعابير واضحة تدلل على رؤية وحضور الأعمال، منها ماقاله أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا المعنى

«فمن كان من المؤمنين عمل فى هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده ومن كان من المؤمنين عمل فى هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده» «۲».

ونجد فى الآية الثانية تعبيراً آخر فى هذا المعنى فبعد الإشارة إلى كتاب الأعمال قال تعالى «وَوَجَدُوا مَاعَمِلُوا حَاضِراً».

وقال تعالى «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدَاً».

لقد استبعد جمع من المفسّرين فكرة حضور الأعمال فى هذه الآية فقد فسروها أحياناً بمعنى حضور أخبار الأعمال فى كتاب الأعمال وأحياناً اخرى بمعنى حضور جزاء الأعمال ولكن البعض الآخر احتمل حضور نفس العمل «۳».

وعلى حد قول المرحوم العلّامة الطباطبائى «يمكن أن يكون ذيل الآية شاهداً على هذا الموضوع، وذلك لأنّ حضور نفس العمل لإثبات نفى الظلم عنه تعالى أفضل وأوضح» (فتأمل جيداً).

ولقد طرحت الآية الثالثة هذا التعبير بصراحة وتفصيل أكثر، وذلك لأنّ الكلام كان يدور فى الآية السابقة حول الكافرين والمجرمين، أمّا فى هذه الآية: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً»، فهناك قولان فى تفسيرها:

(۱). تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۴۹۴.

(۲). تفسير نور الثقلين، ج ۵، ص ۶۵۰.

(۳). تفسير روح المعانى، ج ۱۵، ص ۲۶۷؛ و تفسير روح البيان، ج ۵، ص ۲۵۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۷۹

الأول: هو أن يجد كل إنسان ما عمل من أفعال الخير والشرّ محضرة يوم القيامة.

الثانى: هو أن يجد كل إنسان ماعمل من أعمال الخير محضرة ويود أن تكون هناك فاصلة زمانية بينه وبين أعماله السيئة، ويرجع هذا الاختلاف فى تفسير الآية إلى مكان الوقوف فيها، فمنهم من قال: «إنّ الوقوف بعد (محضراً) ومنهم من قال: إنّ الوقوف بعد سوء» «۱». لكن النتيجة فى كلا- التفسيرين واحدة، وذلك لأنّ المستفاد من المعنى الثانى أيضاً هو حضور أعماله السيئة لديه وإن كان يتمنى وجود فاصلة بينه وبينها.

وقد ورد احتمال آخر لبعض المفسرين فيرى أنّ المجرمين يودون لو أنّ بينهم وبين السوء الذى عملوه أمداً بعيداً أو أن بينه وبين هذا اليوم أمداً بعيداً «۲».

ومن المعلوم أنّ الإنسان يتمنى أن يكون بينه وبين الامور التى ينفر منها فاصلة مكانية بعيدة، فى حين أنّ المراد ب (أمداً بعيداً) الذى ورد فى الآية الكريمة يقصد بها الفاصلة الزمانية البعيدة.

ومن الممكن أن يكون سبب هذا التعبير هو أنّ احتمال الحضور والتلاقى يكون أكثر فى الفواصل المكانية، أمّا احتماله فى الفواصل الزمانية فهو معدوم.

فمثلًا أنّ الشخص الذى يعيش خلال سنوات الحرب العالمية يشعر بنوع من القلق والاضطراب، حتى وإن كان بعيداً عن ساحة العمليات العسكرية، أمّا الذين تفصلهم فواصل زمنية (بعيدة) عن تلك الحرب فهم لايشعرون بأى قلق أو اضطراب بسببها.

ومن المعلوم أنّ (الأمد) يأتى دائماً للزمان، ويقول الراغب فى مفرداته: «إنّ معناه يقترب من معنى (أبد) مع فارق بسيط هو أنّ (أبد) زمان ليس له أى حد محدود، أمّا (أمد) فهو زمان له حد مجهول».

---

(۱). الحالة الاولى (الواو) وما عملت من سوء استئنافية، أمّا الحالة الثانية فلكون الواو: عاطفة فجملة «تود» جملة حالية.

(۲). ورد هذا الاحتمال فى تفسير روح البيان، ج ۲، ص ۲۱؛ وفى تفسير فى ظلال القرآن، ج ۱، ص ۵۶۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۸۰

فالحديث فى الآية السابقة يدور حول حضور الأعمال، وتتحدث هذه الآية عن احضار الأعمال، أى إنّها تتناول موضوعاً أوسع، ووِفقها فإنّ اللَّه تعالى وبقدرته المطلقة يحضر جميع الأعمال الصالحة والسيئة شاء صاحبها أم أبى ولذا قال بعض المفسّرين: إنّ هذا التعبير هو أكثر اخافة وفزعاً من تعبير الآية السابقة.

ونواجه فى الآية الرابعة تعبيراً جديداً أيضاً حول هذا الموضوع، قال تعالى «وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ».

«بدا»: مشتقّة من مادة (بدو) بمعنى الظهور التام، ولهذا قالوا للبرارى (البادية) لظهورها بعكس المدن التى كانت تحاط بالأسوار والحصون فتختفى وراءها.

«سيئات ما كسبوا»: تعنى أعمال السوء، وقد فسّرها البعض بمعنى جزاء هذه الأعمال، أو أنّهم قدروا كلمة جزاء، ولكن ظاهر الآية يفيد أنّ أعمالهم السيئة تظهر واضحة جلية فى ذلك اليوم، وذلك لأنّ السيئات- جمع سيئة- تعنى العمل السيء وليس سوء العمل (تأمل جيداً).

ومن الممكن أن يكون هذا التعبير إشارة إلى أنّ الكثير من الأعمال السيئة فى هذا العالم تخفى صورتها الحقيقية مثل الرياء الذى يراد به غير اللَّه تعالى ولكن فى ذلك اليوم وهو يوم الكشف عن السرائر ويوم الظهور يكشف عن الوجه الحقيقى لجميع الأعمال، كما

نقرأ فی الحديث الوارد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فی تفسير هذه الآية: «هی الأعمال حسبوها حسنات فوجدوها فی كفة السيئات».

وهذا الحديث بدوره شاهد آخر على نظرية تجسّم الأعمال «۱».

(۱). تفسير روح البيان، ج ۸، ص ۱۲۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۸۱

ونواجه فی الآية الخامسة تعبيراً جديداً أيضاً، فبعد أن ذمّت الآية البخلاء وأخبرت بأنّ البخل ليس خيراً لهم وإنّما هو ضرر عليهم: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

يستفاد من هذا التعبير أنّ الأموال التی لم تدفع الحقوق المفروضة عليها ولم ينتفع بها أحد ستكون على شكل طوق تطوّق به رقاب البخلاء يوم القيامة، فكما كان وزرها على عواتق أصحابها دون الانتفاع بها فكذلك الأمر فی يوم القيامة.

ولقد ورد فی تفسير العياشی نقلًا عن الإمام الباقر عليه السلام فی توضيح معنى هذه الآية قال:

«مامن عبد منع زكاة ماله إلّاجعل اللّه ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً فی عنقه» «۱».

ولكن ما المقصود بالبخل فی الآية الكريمة: ممّا آتاهم اللّه من فضله؟

يعتقد بعض المفسّرين أنّ الآية ناظرة إلى البخل فی العلم والمعرفة وحسب ما جاء فی سبب نزولها حيث نقل عن ابن عباس أنّ الآية نزلت فی كتمان اليهود لعلامات الرسول صلى الله عليه و آله «۲».

فی حين نجد أنّ هناك روايات عديدة ذكرت أنّ الآية تتعلق بمانعی الزكاة ولا يستبعد أن يكون للآية مفهومٌ واسعٌ بحيث تشمل كل الهبات الإلهيّة التی ذكرناها والتی لم نذكرها.

ويلاحظ أنّ جمعاً من المفسرين لم يأخذوا بظاهر الآية وفسّروها بجزاء الأعمال، وقال البعض منهم: إنّ المراد بالآية الكريمة البخلاء فهم مكلّفون يوم القيامة بالإتيان بمثل هذه الأموال ولكنّهم لن يتمكنوا من ذلك (أی إنّ الذی سيطوقون به هو التكليف وليس نفس الأموال).

ولكنّ هذا النوع من التفاسير إضافة إلى كونه يفتقر إلى الدليل كذلك فهو مخالف لظاهر الآية ولا يتوافق مع الروايات الكثيرة المنقولة عن أئمّة الهدى عليهم السلام فی تفسير هذه الآية.

وتتحدث الآية السادسة عن موضوع جديد وهو (حضور واحضار العمل) قال تعالى

(۱). تفسير العياشی، ج ۱، ص ۲۰۷، ح ۱۵۸.

(۲). لقد وردت رواية ابن عباس فی كثير من التفاسير من جملتها تفسير القرطبی؛ تفسير روح المعانی؛ تفسير المنار، ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۸۲

«وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ».

قال المرحوم الطبرسی فی مجمع البيان: «ما احضرت بمعنى ما وجدت حاضراً من عملها، والعجيب أنّه يقول على أثرها: إنّ لإحضار الأعمال معنى مجازياً لأنّ العمل ليس بالشیء الذی يبقى إذ إنّه يفنى بعد الأداء، وقال البعض إنّ المقصود هو حضور صحيفة الأعمال» «۱».

فی حين- كما سنوضح ذلك فی فقرة (التوضيحات)- أنّ الأعمال لا تفنى أبداً ولا مانع من تجسمها على شكل صور مناسبة فی ذلك

اليوم.

إنّ احضار العمل سواء كان بمعنى (الاحضار) أو (الحضور) (حيث فسّر بكلا المعنيين) يدلّ على ما نصبو إليه من هذا البحث.

استيفاء الأعمال يوم القيامة:

يلاحظ فى الآيات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة تعبيراً آخراً فى مسألة تجسّم وحضور الأعمال، حيث ورد فى هذه الآيات أنّ أعمال الإنسان الصالحة والسيئة (الخير والشرّ) ترجع إلى الإنسان يوم القيامة كاملة غير منقوصة، والظاهر من كل هذه الآيات أنّ المراد هو استيفاء العمل نفسه وليس جزاء العمل أو كتاب العمل.

قال تعالى فى الآية السابعة: «وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُم وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ».

وقال تعالى فى الآية الثامنة بعد الإشارة إلى محكمة القيامة وكتاب الأعمال والشهود ونفى الظلم: «وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّاعَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَّ»، فكأنّ هذه الآية تبيّن علّة الحكم بالحق وعدم ظلم الآخرين الذى ورد فى الآية التى تسبقها فتقول: كيف يقع الظلم والجور على أحد فى حين أنّ نفس أعماله توفى إليه؟! إضافة إلى ذلك أنّ هذه المحكمة

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۴۴۴.

تدار من قبل من هو أعلم بما يفعلون.

ولقد جاء نفس هذا المعنى فى الآية التاسعة: «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتُظْلَمُونَ».

وكذلك ورد فى الآية العاشرة نفس هذا المعنى أيضاً ولكن بعبارات أكثر عمومية وشمولية: «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّاكَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ».

«ووفيت وتوفى ويوفى» كلّها مشتقّة من مادة (وفا) التى تعنى الوصول إلى الكمال و «توفيه»: بمعنى دفع الشيء بصورة كاملة و (توفى) بمعنى أخذ الشيء كاملًا.

ويجب أن نذكر أَنَّ القرآن الكريم يشير فى بعض الموارد بقوله: «انَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابٍ». (الزمر/ ۱۰)

ولكنه يقول فى الآيات السابقة وبعض الآيات الاخرى إنّهم يستوفون نفس أعمالهم، ونحن نقول: إنّه لامنافاة بين الاثنين وذلك للاستفادة من مجموع الآيات الكريمة، فبالإضافة إلى تعلّق الأجر والجزاء بالأعمال فإنّ أعمال الإنسان تستوفى فى ذلك اليوم، ويمكن أن نشبّه هذه المسألة بالسائق الذى يخالف مقررات المرور فكما أنّه يتعرض لخسارة الاصطدام كذلك يجب عليه دفع الغرامة.

ولقد فسَّر الكثير من المفسّرين هذه الآيات بأنّها كناية عن أخذ جزاء الأعمال، لكننا نقول: هذا كلام لا دليل عليه بل وكما لاحظنا أنّ هناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة (التى سنشير إليها لاحقاً) تدلّ على تجسّم وحضور أعمال الإنسان يوم القيامة، لذا فنحن ندع الآيات ومعناها الظاهرى.

وعلى هذا الأساس نتناول بحث تجسّم الأعمال كما فعل ذلك جمع من أهل التحقيق والتفسير والحديث.

وفى الآية الحادية عشرة إشارة إلى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل اللَّه، وكذلك إشار إلى العذاب الأليم الذى ينتظر هؤلاء، فتذكر هذه الآية بوضوح الدراهم والدنانير التى اكتنزوها ولم ينفقوها فى سبيل اللَّه فسوف يؤتى بها يوم القيامة ويحمى عليها

فی نار جهنّم وتکوی بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، ویقال لهم هذا ما کنزتم لأنفسکم فذوقوا ما کنتم تکنزون.
من هنا یطرح هذا السؤال: لماذا خصت الآیة هذه الأعضاء الثلاثة دون غیرها؟
قال البعض: لأنّها تشمل معظم البدن (وإنّما خصت هذه الاعضاء لأنّها تمثل معظم البدن) «۱».
وقیل: لأنّ صاحب المال إذا رأی الفقیر قبضَ جبهته وزوی یمینه وطوی عنه کشحه وولاه ظهره.
وقیل: إنّ المقصود من کسب الأموال حصول فرح فی القلب یظهر أثره فی الوجوه، وحصول شبع ینتفخ بسببه الجنبان، ولبس ثیاب فاخرة یطرحونها علی ظهورهم، فلما طلبوا تزیین هذه الأعضاء الثلاثة، لا جرم أن حصل الکی علی الجباه والجنوب والظهور «۲».
صحیح أنّ هذه الآیة لم تذکر صراحة تجسّم الأعمال، ولکنّها دلّت علی حضور الأموال فی عرصات یوم القیامة، ویمکن أن نعتبر نفس هذا التعبیر إشارة إلی مسألة تجسّم الأعمال، وبالرغم من الزوال والفناء الظاهری لهذه الأموال ولکنها بحکم المعاد سوف تعود وتتجسّد هناک ویحمی علیها فی نار جهنّم وتکوی بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.
ثم یطرح هذا السؤال: ما المراد بالکنز هنا؟ هناک آراء عدیدة فی الإجابة عنه: فمما لا شکّ فیه أنّ للکنز مفهوماً واسعاً یشمل جمیع الأموال النفیسة التی تجمع وتدخر فی مکان ما، فهل یدلّ مفهوم الآیة علی أنّ حرمة ادّخار جمیع الأموال الفائضة عن الحاجة والتی یترتب علیها ماورد فی هذه الآیة من عقوبات؟ أم أنّ الآیة تخصّ الذین یمتنعون من أداء الحقوق الشرعیة کالزکاة وغیرها؟ أمّا الذین یؤدّون الحقوق الواجبة فلم تشملهم هذه الآیة وماورد فیها من عقوبات؟

---

(۱). تفسیر مجمع البیان، ج ۵، ص ۲۶.
(۲). لقد ذکر الفخر الرازی ستة أوجه فی تفسیر هذه الآیة، تفسیر الکبیر ج ۱۶ ص ۴۸، وأشار إلی هذا المعنی تفاسیر روح البیان؛ وروح المعانی؛ والقرطبی.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۸۵

المشهور بین الفقهاء والمفسّرین والمحدِّثین: هو المعنی الثانی، ولقد وردت بهذا الخصوص أحادیث کثیرة منقولة عن الطرفین (السُنّة والشیعة) ومن جملتها الحدیث المنقول عن الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله: «أی مال أدیت زکاته فلیس بکنز» «۱».
کما أنّ هناک احتمالًا آخر وهو أنّ المجتمع الإسلامی إذا تعرض نتیجة تجمید رؤوس الأموال إلی أزمة اقتصادیة شدیدة، فیجب علی أصحاب رؤوس الأموال اخراجها، إمّا عن طریق الانفاق أو عن طریق استثمارها فی مجالات العمل المختلفة من أجل تأمین المتطلبات الضروریة للمجتمع.
فاذا اکتنزوا أموالهم فی مثل هذه الأوضاع ولم یخرجوها للتداول والاستثمار فسوف تشملهم الآیة الکریمة، ولعل مایؤکد هذا المعنی ما ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام إذ قال:
«مازاد علی أربعة الآف فهو کنز أدّی زکاته أو لم یؤدها وما دونها فهی نفقة فبشرهم بعذاب الیم» «۲».

لا تجزون إلّاما کنتم تعملون:

یلاحظ فی الآیة الثانیة عشرة تعبیر جدید فی هذا الصدد وخلاصته أنّ جزاءکم یوم القیامة هو نفس أعمالکم ونجد هذا التعبیر فی کثیر من الآیات القرآنیة فتارة یقول تعالی
«إِنَّمَا تُجْزَونَ مَاکُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».
ولقد ورد عین هذا التعبیر فی الآیة ۱۶ من سورة الطور والآیة ۷ من سورة التحریم.

و قال تعالى: «وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ». (يس/ ۵۴)

و قال أيضاً: «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». (النمل/ ۹۰)

---

(۱). تفسير المنار، ج ۱۰، ص ۴۰۶ وفى صحيح البخارى هناك باب تحت عنوان (ما أدى زكاته فليس بكنز) ج ۱، الجزء ۳، ص ۱۳۲، وكذلك تفسير نور الثقلين، ج ۲، ص ۲۱۳.

(۲). تفسير نور الثقلين، ج ۲، ص ۲۱۳، ح ۱۳۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۸۶

و قوله تعالى: «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ». (يونس/ ۵۲)

وهناك تعابير اخرى من هذا القبيل بشىء من الاختلاف، وبناءً على ما جاء فى ظاهر هذه الآيات فإنّ جزاء الإنسان نفس عمله، فأعماله ترجع إليه فتكون سبباً إمّا فى شقائه ومعاناته وإمّا فى سعادته وسروره، وهذا دليل واضح على مسألة تجسّم الأعمال وعودتها إلى صاحبها وهذا من العدل الإلهى.

وقد اعتبر بعض المفسّرين أنّ (الباء) هى باء السببية فيصبح المعنى «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى إنّما تجزون بسبب الأعمال التى اقترفتموها «۱».

فى حين أنّ هذا التعبير على خلاف ظاهر الآية وهو غير جائز من غير دليل ولا علة للتقدير فى الآيات السالفة الذكر، فما المانع من أن تحضر هناك نفس أعمال الإنسان لتشكل القسم الأعظم من جزائه.

يقول المرحوم العلّامة الطباطبائى فى تفسير الميزان فى ذيل الآية ۷ من سورة التحريم:

«أى إنّ العذاب الذى تعذبون به هو عملكم السيء الذى عملتموه وقد برزت لكم اليوم حقيقته» «۲».

يتضح من مجموع الآيات التى تعرضنا إلى تفسيرها أننا إذا لم نتلاعب بظواهرها ولم نؤولها أو نحملها على معنى آخر ولن نقدر لها أى تقدير كجملة أو كلمة، وبتعبير أوضح إن فسّرنا ظواهر الآيات كما هى عليه اتّضح لنا أنّ أعمالنا تتجسد فى يوم القيامة وفى محكمة العدل الإلهى أو المواقف الاخرى من ذلك اليوم، فتتجسّم وتبرز أمامنا بأشكال تناسب تلك الأعمال فتظهر السيئة على صورة موجودات قبيحة مخيفة ومزعجة، أمّا الصالحة فتتجسد على صورة موجودات لطيفة مؤنسة وتكون قرين الإنسان.

---

(۱). قدر البعض كلمة (على) فيصبح المعنى (على ماكنتم تعملون).

(۲). تفسير الميزان، ج ۱۹، ص ۳۸۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۸۷

توضيحات

۱- رؤية الأعمال فى الروايات الإسلامية

لقد وردت مسألة رؤية الأعمال بنطاق واسع فى الروايات الإسلامية المنقولة عن الشيعة وأهل السُنّة، وهذه الكثرة بلغت إلى حدّ جعل المرحوم الشيخ البهائى يقول فى احدى محاضراته: «تجسم الأعمال فى النشأة الأخروية قد ورد فى أحاديث متكثرة من طرف المخالف والموالف»، وسنتطرق هنا إلى بعض من هذه الأحاديث:

۱- ورد فى حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: روى أصحابنا «رضى اللَّه عنهم» عن قيس بن عاصم قال: وفدت مع جماعة من بنى تميم على النبى صلى الله عليه و آله فدخلت عليه فقلت: يانبى اللَّه عظنا موعظة ننتفع بها، فإنّا قوم نعبر فى البرية، فقال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله: «يا قيس إنّ مع العزّ ذلًّا، وإنّ مع الحياة موتاً وإنّ مع الدنيا آخرة، فإنّ لكل شىء حسيبا، وإنّ لكل أجل كتاب وأنّه لابدّ لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك ثم لا يحشر إلّامعك، ولا تحشر إلّامعه، ولا تسأل إلّا عنه فلا تجعله إلّاصالحاً فانّه إن صلح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلّامنه وهو فعلك».

وورد فى ذيل الروايه أنّ قيس قال: يارسول اللَّه أحب أن يكون هذا الكلام أبياتاً من الشعر نفتخر بها على من يلينا وندّخرها فأمر من يأتيه بحسّان، فقال الصلصال (و كان حاضراً فى المجلس) يارسول اللَّه قد حضرتنى أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس، فقال هاتها، فقال:

تجنب خليطا من مقالك إنّماقرين الفتى فى القبر ما كان يفعل

ولن يصحب الإنسان من قبل موتهومن بعده إلّاالذى كان يعمل! «۱»

۲- فى حديث آخر نقله أبو بصير عن‌الإمام الباقر عليه السلام أو الإمام الصادق عليه السلام: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه فى قبره ست صور، فيهن صورة أحسنهن وجهاً وأبهاهن هيئة، وأطيبهن ريحاً، وانظفهن صورة، قال: فتقف صورة عن يمينه، واخرى عن يساره، واخرى بين يديه، واخرى خلفه، واخرى عند رجليه وتقف التى أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعته التى عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست قال: فتقول التى أحسنهن صورة: ومن أنتم جزاكم اللَّه عنّى خيراً؟ فتقول التى عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التى عن يساره أنا الزكاة وتقول التى بين يديه أنا الصيام، وتقول التى خلفه: أنا الحج والعمرة وتقول التى عند رجليه، أنا بر من وصلت من اخوانى؛ ثم يقلن من أنت؟

فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيبة فتقول أنا الولاية لآل محمّد صلوات اللَّه عليهم أجمعين» «۱».

۳- ورد فى حديث عن الرسول صلى الله عليه و آله: أنّه قال: «قال لى جبرائيل: يامحمد! عش ما شئت فانّك ميت، واعمل ما شئت فانّك ملاقيه» «۲».

۴- وفى حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه و آله: «إنّ المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت؟ فواللَّه إنّى لأراك امرأ صدقٍ، فيقول له أنا عملك فيكون له نوراً وقائدا إلى الجنّة» «۳».

۵- وفى الختام نذكر حديثاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا وضع الميت فى قبره مثل له شخص وقال له ياهذا كنّا ثلاثة، كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، أما أنّى كنت أهون الثلاثة عليك» «۴».

والأحاديث الواردة فى هذا المجال كثيرة ومن جملتها أحاديث المعراج، فلما عرج

---

(۱) كتاب المحاسن طبق نقل بحارالأنوار، ج ۶، ص ۲۳۴، ح ۵۰.

(۲) كنز العمال، ج ۱۵، ص ۵۴۶.

(۳) المصدر السابق، ج ۱۴، ص ۳۶۶.

(۴) فروع الكافى، ج ۳، (كتاب الجنائز)، ص ۲۴۰، ح ۱۴.

نفحات القرآن، ج‌۶، ص: ۸۹

بالرسول صلى الله عليه و آله مرّ على الجنّة والنّار فرأى كل زمرة من العاصين تعذب بعذاب شبيه بأعمالهم، كذلك شاهد أعمال

الصالحين وهم منعمون برفقة أعمالهم.
وما الأخبار الواردة حول الغيبة وتجسمها على صورة قطعة لحم متعفنة يتناولها المغتاب إلّادليلا آخر على هذا المعنى
ويمكن أن نستنتج من مجموع الروايات والآيات السابقة أنّ أعمال الإنسان تتجسد فى عالم البرزخ والقيامة فى صور متناسبة مع العمل، وأن تعبير: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً». (النساء/ ۱۰)
يدل على أنّ باطن العمل يتمتع بنوع من الحضور، فأكل مال اليتيم يكون فى بطنه على شكل نار محرقة ومن لم تكن له عين باصرة لا يرى حقيقة هذا الأمر.
من هنا نقول إنّه ليس من الضرورى حمل جميع هذه الآيات والروايات على المعنى المجازى والكنائى أو إيجاد تأويل أو تقدير لها مع العلم بأنّه لا يوجد أى مانع من العمل بظواهر مثل هذه الآيات وكما سنبيّن ذلك لاحقاً.

۲- تجسد الأعمال فى منطق العقل

الإشكال الأول الذى يرد على مسألة رؤية وحضور الأعمال- كما يتضح من بعض كلمات المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان- هو أنّ العمل من جنس «العرض» لا «الجوهر» فلا يحمل خواص المادة ولا هو مادة بنفسه لذا فهو ينعدم بعد حدوثه.
والإشكال الثانى: هو أنّ العمل يمحى ويزول بعد وجوده، لذا فإنّنا لا نجد آثاراً من أحاديثنا وأفعالنا الماضية إلّاما أحدثت تغييراً فى بعض المواد الموجودة كتحول الحصى والخشب والجص إلى بيت معين، وهذا ليس بتجسم وإنّما هو تحّول ناشىء من العمل (تأمل).
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۰
ولكن إذا أخذنا النكتتين أدناه بنظر الاعتبار فسوف تتضح الإجابة عن الشبهتين السالفتين وكذلك تتضح مسألة تجسم الأعمال:
النكتة الاولى لقد ثبت اليوم أنّ المادة لا تفنى وحتى الأعمال فانّها تتحول إلى صور مختلفة.
فإن تحدّثنا فستنتقل أصواتنا على شكل أمواج صوتية إلى الفضاء المحيط بنا وتصطدم بالأجسام التى تعترضها من جدران وأبنية وأجسام اخرى وتتحول إلى طاقة اخرى ومن الممكن أن يتغير شكل هذه الطاقة مرّات عديدة ولكنها لن تفنى وما حركات أيدينا وأرجلنا إلّانوعٌ من الطاقة وهذه الطاقة (الميكانيكية) لا تفنى أبداً وإنّما تتحول إلى طاقة حرارية أو طاقة اخرى
والخلاصة: ليست المادة لا تفنى فقط بل وحتى طاقتها ثابتة ولا تفنى أيضاً بل تتحول من شكل إلى آخر.
النكتة الثانية: وقد تمّ إثباتها بشكل قاطع من خلال بحوث العلماء وتجاربهم وهى: إنّ هناك علاقة قريبة بين المادة والطاقة، أى أنّ المادة والطاقة مظهران لحقيقة واحدة، فالمادة عبارة عن طاقة مخزونة أمّا الطاقة فهى مادة غير مخزونة (حرة)، لذا يمكن أن تتحول أحداهما إلى الاخرى تحت شروط معينة، فالطاقة الذرية هى تحول المادة إلى طاقة، وبتعبير آخر أنّ الطاقة الذرية: هى انشطار نواة الذرة وتحرير طاقتها الكامنة، ولقد أثبت العلماء أنّ الطاقة الحرارية للشمس تحصل نتيجة الانفجارات الذرية فيها، ولهذا السبب تفقد مقداراً كبيراً من وزنها كل أربع وعشرين ساعة ولو أنّ هذا النقصان ضئيل قياساً بوزن وحجم الشمس.
بلا شكّ وكما أنّ المادة قابلة للتحول إلى طاقة كذلك الطاقة فانّها قابلة للتحول إلى مادة، أى إذا تراكمت الطاقة المنتشرة فانّها تأخذ حالة الجسم المادى.
وعلى هذا الأساس لايوجد أى مانع من عدم فناء ومحو أعمالنا وأقوالنا التى هى طاقات مختلفة وارجاعها مرّة اخرى بأمر اللَّه على صورة جسم.
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۱
ومن المسلَّم به أنّ كل عمل سيكون جسماً بما يتناسب مع خواصه وصفاته، فالطاقات التى تبذل فى سبيل الإصلاح وخدمة الناس

والتقوى تظهر على شكل صورة جميلة تتناسب مع ذلك العمل.

أمّا الطاقات التى تستعمل فى مجال الظلم والجور والقبح والفساد فتتجسم على شكل صورة قبيحة مخيفة.

وعلى هذا الأساس تعتبر حالة تجسّم الأعمال احدى المعاجز العلمية للقرآن، وكما اتّضح أنّ بقاء الطاقة وتحول المادة إليها وبالعكس لم تكن مطروحة آنذاك، لكن الآيات والروايات تحدثت عن هذا الأمر بشكل واضح، وبناءً على ذلك لم تكن هناك مشكلة لا من حيث كون الأعمال من جنس «العرض» ولا من حيث كونها- كما أشرنا- لا تفنى وأنّ العرض والجوهر وجهان لحقيقة واحدة ويتضح هذا المعنى أكثر بالالتفات إلى حركة الجوهر حيث إنّ القائلين بحركة الجوهر يستدلون بالحركات التى تقع فى العرض ويرون أنّ العرض والجوهر لاينفكان عن بعضهما البعض.

ومن المناسب أن نشير إلى هذه النكتة فى نهاية الموضوع.

إنّ العالم الفرنسى (لافوازيه) استطاع بعد جهود حثيثة أن يكتشف أصل بقاء المادة وأثبت أنّ مواد العالم لا تفنى أبداً بل تتحول من شكل إلى آخر.

ولم يمر طويلًا إلّاواكتشف (پيركورى وزوجته) ولأول مرّة العلاقة بين الطاقة والمادة من خلال تجاربه على المواد النشطة اشعاعياً (وهى أجسام تتكون من ذرات غير ثابتة وتتحول بعض أجزائها تدريجياً إلى طاقة) وبهذا الاكتشاف تبدل قانون بقاء المادة إلى قانون بقاء (المادة- الطاقة).

وبهذا تزلزل أصل بقاء المادة وحلّ محله أصل بقاء مجموعة (المادة- الطاقة)، وأخذت عملية تحول المادة إلى طاقة عن طريق انشطار الذرة بعداً علمياً واسع النطاق.

ومن خلال هذا تبيّن أنّ هناك علاقة قريبة بين انشطار المادة والطاقة، ويمكن أن تتحول إحداهما إلى الاخرى وبعبارة اخرى أنّ المادة والطاقة شكلان لحقيقة واحدة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۲

إنّ هذا الاكتشاف العلمى الكبير أحدث تحولًا واسعاً فى مجال البحوث والتجارب العلمية التى أثبتت وحدة العالم أكثر فأكثر.

إنّ هذا المبدأ فى مسألة المعاد وبحث تجسّم الأعمال ودفع الإشكالات التى كان الأقدمون يطرحونها حول هذه المسألة كان له أكبر الأثر فى ازالة موانع إثبات تجسّم الأعمال.

۳- تجسد اخلاق وسجايا الإنسان

يستفاد من الروايات الإسلامية إضافة إلى مسألة تجسّم الأعمال أنّ أخلاق الإنسان تتجسّد أيضاً فى ذلك اليوم على صورة إنسان.

وعلى هذا الأساس فإنّ الناس يردون المحشر على صور مختلفة بما يتناسب مع أخلاقهم وطباعهم، فالذين لهم قلوب مملوءة بنور الإيمان تظهر وجوههم بيضاء ونورانية منيرة، وبعكس ذلك القلوب المظلمة الذين كانوا يعيشون فى ظلمات الكفر فإنّ وجوههم سوف تكون مسوّدة وكالحة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بالقول: «يَومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكفُرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيُضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ».

(آل‌عمران/ ۱۰۶- ۱۰۷)

وقال تعالى فى موضع آخر فيما يتعلق بعاقبة المذنبين والظلمة: «كَأَنَّمَا اغْشِيَتْ وُجُوهُهُم قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظلِماً». (يونس/ ۲۷)

نعم، إنّ ذلك اليوم هو يوم ظهور وتجسد الأعمال، فتبرز كل الأخلاق والطباع الداخلية والملكات النفسية ويصطبغ جميع جسد الإنسان بلونها الخاص كما قال الشاعر الفارسى:

كُلَّما يستوطنُ القَلبَ، لهُهيئَةٌ يومَ انبعاث البَشَرِ
والذى كنتَ عليهِ عاكِفاًفيهِ تُحشَرُ يومَ المَحشَرِ
ونقل بعض المفسرين الكبار عند تفسيرهم قوله تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً». (النبأ/ ١٨)
حديثاً عن الرسول صلى الله عليه و آله، وخلاصته:
كـان معاذ بن جبل جالساً بالقرب من رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله فى منزل أبى أيوب الأنصارى، فقال: يارسول اللَّه أرأيت قول اللَّه تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً»، فقال:
«يامعاذ سألت عن عظيم من الأمر ثم أرسل عينه ثم قال: عشـرة أصـناف من امّتى يحشـرون أشتاتاً قد ميّزهم اللَّه من المسلمين فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لايعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقززهم أهل الجمع، وبعضهم أشد نتناً من الجيف» الحديث، فأمّا الذين على صورة القردة، فالقتات من الناس، وأمّا الـذين على صورة الخنازير، فأهل السـحت، والعمى، الجائرون فى الحكم، والصم البكم، المعجبون بأعمالهم، والـذين يمضـغون السـنتهم العلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم، والذين أشد نتناً من الجيف، الذين يتمتعون بالشـهوات واللذات ويمنعون حق اللَّه تعالى فى أموالهم «١».

---

(١) تفسير مجمع البيـان، ج ١٠، ص ۴۲۳ ولقـد نقـل هـذا الحـديث الكـثير من المفسـرين مثـل أبى الفتوح الرازى فى روح الجنـان؛ والقرطبى؛ وروح البيان؛ وتفسير الصافى فى ذيل الآية مورد البحث.
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۵

۵- محكمة العدل الإلهى

الشهود والميزان والحساب:

تمهيد:

إنّ أهم منازل يوم القيامـة هو مرحلـة حساب الخلائق فى محكمة العدل الإلهى بحضور مختلف الشـهود، فتوزن الأعمال هناك بميزان خاص.
نعم، هى محكمة يتزلزل الجميع فيها ويغمرهم الخوف والوجل.
قاضيها وحاكمها هو اللَّه جلّ جلاله، وشهودها الملائكة المقرّبون.
محكمة كتابها لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها فيُسأل الإنسان فيها عن كل شيء حتى عن نيّاته.
وآيات المعاد فى هذا المجال كثيرة فأحياناً تشير إلى أصل محكمة الآخرة وإلى قاضيها سبحانه وتعالى وأحياناً اخرى تشير إلى الشهود وثالثة إلى الميزان ورابعة إلى كيفية الحساب فى ذلك اليوم.
إنّ الآيات القرآنيـة المتعلقـة بهذا الموضوع إضافة إلى ماتطرحه من نكات ظريفة ودقيقة فى كافة المجالات، فانّها تحمل رسالة تربوية هامـة لهـا أبلغ الأـثر فى تنوير القلوب بنور التقوى والهدايـة وتـدفع الإنسـان إلى القيـام بمسؤولياته على أكمل وجه لتوصله إلى طريق السعادة والتكامل.
بعد هذه المقدمة نرجع إلى القرآن الكريم ولنقرأ هذه الطائفة من الآيات:

۱- «وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ». (يس/ ۳۲)

۲- «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَومَ القِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ». (الحج/ ۶۹)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۶

۳- «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ* أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ». (التين/ ۷ و ۸)

۴- «فَإِلَيْنَا مَرجِعُهُم ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَايَفعَلُونَ». (يونس/ ۴۶)

۵- «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلَآءِشَهِيداً». (النساء/ ۴۱)

۶- «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ». (ق/ ۲۱)

۷- «يَومَ تَشهَدُ عَلَيهِم أَلسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِم وأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (النور/ ۲۴)

۸- «وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ».

(فصلت/ ۲۱)

۹- «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا». (الزلزال/ ۴- ۵)

۱۰- «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسطَ لِيَوم القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كَانَ مِثقَالَ حَبَّةٍ مِّن خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ». (الأنبياء/ ۴۷)

۱۱- «وَالْوَزْنُ يَومَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم». (الأعراف/ ۸- ۹)

۱۲- «هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوم الْحِسَابِ». (ص/ ۵۳)

۱۳- «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ». (آل‌عمران/ ۱۹۹) (المائدة/ ۴) (إبراهيم/ ۵۱) (غافر/ ۱۷)

۱۴- «أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ». (الانعام/ ۶۲)

۱۵- «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم». (الغاشية/ ۲۵- ۲۶)

۱۶- «اقْرَأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَومَ عَلَيكَ حَسِيباً». (الاسراء/ ۱۴)

جمع الآيات وتفسيرها

الجميع محضرون فى تلك المحكمة العظمى

الآيـة الاولى تتحـدث عن حضور جميع الامم أمام اللَّه تعالى فى محكمـة عـدله، فبعـد أن أشارت إلى الأقوام السالفـة وكيفيـة هلاكها بذنوبها، قال تعالى «وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ» (۱).

---

(۱). يرى جمع من المفسرين أنّ الآيـة تعرب على هـذا النحو: إنْ: نافية، ولمّا: بمعنى إلّا، وجميعٌ: بمعنىE مجموع خبر (كل)، وتنوين كـلٌّ: بـدل من المضـاف إليه المحـذوف، وكانت فى الأصل (كلهم)، ومحضـرون: إمّا هو خبر بعـد الخبر أو صـفة لجميع، وعلى هـذا المعنى تكون الجملة هكذا: (وما كلهم إلّامجموعون يوم القيمة محضرون لدينا) وهناك احتمالات اخرى فى إعراب الآية.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۷

صحيح، أنّ الناس وجميع المخلوقات فى هذه الدنيا وفى كافة الأحوال حاضـرون دائماً، فى محضـر اللَّه تبارك وتعالى فهو حاضـر فى كل مكان وهو معنا أينما كنّا، وهو أقرب إلى أنفسنا منّا، ولكن هـذه المسألـة تتخذ بعداً آخر يوم القيامة، فمن جهة يكشف عن جميع حجب الغفلـة والجهل فتصبـح الأبصار حادة قوية والقلوب ذات بصـيرة نافذة ومن جهة اخرى تتجلى فى ذلك اليوم آثار اللَّه أكثر من

أی وقت آخر فتقام محكمة عدله وتوضع موازين القسط.

حقاً إنّه مشهد عظيم، الجميع يحضر ليقف على ماقدم وعمل فی الحياة الدنيا، الكل فی محضر اللَّه تعالى

وتتحدث الآية الثانية عن حكمه وقضائه تبارك وتعالى بين الناس فی ذلك اليوم، وعن الفصل بين جميع اختلافات ومنازعات الناس فی دار الدنيا بمختلف أشكالها وألوانها (العقائدية، أو اليومية)، قال تعالى «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيمَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

من البديهی أنّ أنواع الحجب التی تحيط بفكر وقلب الإنسان فی هذه الدنيا (حب الذات، الأنانية، المصالح الشخصية والطائفية، العصبية وحجاب الذنوب) لا تسمح بحل اختلافات الأقوام والشعوب، ولكن عندما ترفع جميع هذه الحجب ويصبح الحكم للَّه الواحد القهار عند ذلك تنتهی جميع الاختلافات والمنازعات.

إنّ المبطلين بعد ازالة هذه الحجب ينقادون ويرجعون إلى عقولهم بحيث يصبحون هم المحاسبين لأنفسهم، وسنبيّن ذلك فی البحوث المقبلة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۸

أمّا الآية الثالثة فقد أبرزت نفس هذا المعنى بنحو آخر فتحدثت عن الإنسان الجحود الذی خلقه اللَّه سبحانه وتعالى «فِی أحسَنِ تَقوِيم»، وعلى أثر سوء أعماله سقط فی (أسفل سافلين) فتقول الآية: «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ» «۱» أیُّ شیء يكذبك أيّها الإنسان بعد كل هذه الحجج والدلائل بالدين الذی هو الجزاء والحساب (أو أیُّ شیء يُكذِّبُكَ أيها الإنسان بعد كل هذه الحجج والدلائل بالمعاد).

«أَلَيسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ»، أی (أليس اللَّه بأقضى القاضين فيحكم بينك يامحمد وبين أهل التكذيب بك).

أجل فهو أحكم الحاكمين لعلمه المحيط بكل شیء فلا تخفى عليه خافية، فالعلم هو الشرط الأول الذی يجب توفره فی الحاكم، هذا من جهة، ومن جهة اخرى أنّه تعالى غير محتاج لأحد وليس له مصلحة فی شیء حتى يقضی لأجله على خلاف الحق.

أمّا الناس فهم محتاجون فيقعون تحت تأثير المصالح الشخصية أو الجماعية وأحياناً العواطف والأحاسيس فيحكمون حكماً على خلاف الحق والعدل، وبما أنّ اللَّه سبحانه وتعالى منزّه عن كل ذلك فهو أحكم الحاكمين وخير الفاصلين.

والجدير بالذكر أنّ كثيراً من التفاسير ذكرت هذه الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وهی أنّه صلى الله عليه و آله عندما كان يكمل هذه الآيات كان يقول: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

هذا الحديث هو دليل على التفسير الذی ذكرناه سابقاً (تأمل جيّداً).

شهود المحشر:

ورد فی الآية الرابعة كلام عن شهود يوم القيامة فأشارت إلى الذات الإلهيّة المقدّسة فهو

---

(۱) عد أغلب المفسرين الخطاب موجهاً إلى الذين سبق ذكرهم فی السورة المباركة واحتمل البعض أنّه موجّه إلىالنبی الأكرم صلى الله عليه و آله، (تفاسير مجمع البيان؛ الكبير؛ والقرطبی؛ وفی ظلال القرآن- وفی الصورة الاولى تفسير كلمة (يكذّبك) (يجعلك كاذباً) وفی الصورة الثانية يفسر على معناه الظاهر بمعنى ماينسبك إلى الكذب، وعلى أية صورة كانت فإنّ المراد أن لا مجال لانكار المعاد وتكذيب النبی صلى الله عليه و آله لكثرة الآيات والأدلة الواضحة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۹۹

تعالى الشاهد الأول، قال تعالى «فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مايَفْعَلُونَ» «۱».

فالمحكمة التی يكون حاكمها اللَّه جلّ جلاله وشاهدها الأول ذاته المقدّسة فهل من الممكن أن يغفل عن شیء ويفوته عند

الحساب؟!

ومن البديهى أن تكون مثل هذه المحكمة محكمة مثيرة للقلق والوجل لا لاحتمال الحكم بغير الحق بل بسبب سوء أعمالنا.

لقد فسّر بعض المفسرين الشهادة هنا بمعنى الجزاء والمجازاة فى حين أنّه لا ضرورة لمثل هذا التفسير الذى يخالف ظاهر الآية، وذلك لعدم وجود أى مانع لشهادة الذات الإلهيّة المقدّسة على أعمال العباد فى ذلك اليوم وتعيين شهادته تعالى عن طريق الهام الملائكة المأمورين بالحساب.

وقيل: إنّ شهادة اللَّه تكون بإنطاق أعضاء جسم الإنسان فتجيب عمّا اقترفت من أعمال فى الدنيا.

الآية الخامسة تحدّثت عن شهود المحشر أيضاً ولكن كان الكلام فيهايدور حول شهادة الأنبياء على أممهم وشهادة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله على سائر الأنبياء، قال تعالى «فَكَيفَ إذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئنَا بِكَ عَلَى هؤُلَآءِ شَهِيداً».

ومع أنّ هذه الآية لم تذكر صراحة أنّ شهداء كل امة هم أنبياؤها، ولكن القرائن تؤكد هذه المسألة وذلك لأنّ نبى كل امة هو أكثر الناس صلاحية للشهادة على امته كما أنّ الآية الكريمة لم تذكر من المراد بكلمة (هؤلاء) أى من هم بالدقّة؟ ولذا فقد ذكر المفسرون احتمالات لذلك، قال بعضهم: إنّها إشارة إلى قوم الرسول صلى الله عليه و آله فهو الشاهد عليهم يوم القيامة «۲».

---

(۱). جاء فى تفسير الميزان: أنّ (ثم) الواردة فى الآية أعلاه تُفيد التراخى فى البيان لا- التراخى فى الزمان فى حين أنّه يمكن تصور التراخى الزمانى فى مورد الآية أيضاً، وذلك لأنّ اللَّه تعالى يحشر الناس أولًا وبعدها يشهد على أعمالهم نظراً لأنّ المقصود هو الشهادة عند الحساب.

(۲). ورد هذا الاحتمال فى تفسير الكشاف، ج ۱، ص ۵۱۲ وكذلك فى تفسير مجمع البيان ج ۳، ص ۴۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۰

نفحات القرآن ج۶ ۱۴۹

ولكن الكثير من المفسرين قالوا: (هؤلاء) إشارة إلى الأنبياء الذين أشارت إليهم الجملة السابقة، وبهذا سيكون الرسول صلى الله عليه و آله هو الشاهد على جميع الشهود.

ويطرح هنا هذا السؤال: وهو كيف تكون شهادة الأنبياء عليهم السلام على اممهم أو شهادة الرسول صلى الله عليه و آله على الأنبياء مع العلم أنّ معنى الشهود مقترن مع الحضور، وأنّ كل نبى من الأنبياء وبضمنهم الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله جاؤوا فى مقطع زمنى محدد من تاريخ اممهم؟

من الممكن أن يكون المعنى أنّ أرواحهم فى عالم البرزخ ناظرة إلى أحوال اممهم وهذا ينافى قوله تعالى فى الآية التى تتكلم عن لسان المسيح عليه السلام: «وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ»، (المائدة/ ۱۱۷)

فيتضح من خلال هذه الآية الكريمة أنّ الشهادة تعنى الحضور المقترن بالرقابة والتصدى للانحراف وليس بالحضور فقط، أمّا فيما يتعلق بالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فمن الممكن أن يكون حضور روحه المقدّسة على طول تاريخ البشرية هو السبب لهذه الشهادة كما ورد فى الروايات أنّ أول ماخلق اللَّه تعالى نور محمد صلى الله عليه و آله.

عن على عليه السلام: «إنّ اللَّه تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه و آله قبل أن يخلق السموات والأرض والعرش والكرسى واللوح والقلم والجنّة والنّار» «۱».

وهناك احتمال آخر فى معنى الشهادة وهو مقياس الوزن، وذلك لأنّ الإنسان النموذجى يمكن أن يكون بعمله شاهداً على أعمال الصالحين (الأشخاص الذين تشبه أعمالهم أعمال القدوة) وكذلك شاهداً على أعمال الطالحين، وبهذا المعنى لا ينحصر مفهوم الآية بشهود القيامة.

ومن المناسب أن نـذكر حـديثاً للرسول الأكرم صـلى الله عليه و آله فى هـذا الصـدد، فقد روى أنّ النبى صـلى الله عليه و آله قال لابن مسعود: «اقرأ القرآن علىّ» قال: قلت: يارسول اللّه أنت الذى علمتنيه.

قال: «أحبّ أن أسمعه من غيرى». قال ابن مسعود: فافتتحت سورة النساء حتى انتهيت إلى هذه الآية فبكى الرسول صلى الله عليه و آله.

قال ابن مسعود: فامسكت عن القراءة «۲».

---

(۱) بحارالأنوار، ج ۱۵، ص ۴.

(۲) التفسير الكبير، ج ۱۰، ص ۱۰۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۱

وفى نقل آخر وفى امتداد هذه الرواية قال صلى الله عليه و آله: «ياربّ هذا على من أنا بين ظهرانيهم فكيف من لم أرهم» «۱».

والظـاهر أنّ بكاء الرسول صـلى الله عليه و آله إنّما كان للمواقف المرعبـة فى يوم المحشـر ولثقل المسؤوليـة التى وضـعت على كاهله صلى الله عليه و آله ألاـ وهى مسؤوليـة الشـهادة على الحاضـرين والأـهم منهـا الشـهادة على الغـائبين والتى سوف يقـدر عليهـا بالتأييد الإلهى.

ولقد جاء فى الآية السادسة حديث عن شهادة الملائكة فى تلك المحكمة العظيمة، قال تعالى «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ».

«السائق»: هو الذى يسوق النفوس إلى محكمة العدل الإلهى.

«الشهيد»: هو الذى يشهد على أعمالها.

ومع أنّ الآيـة الكريمة لم تصـرّح بأنّ هذا (السائق) و (الشـهيد) هو من الملائكة أو من غيرهم؟ وفى حال كونه من الملائكة فأى ملك منهم؟

ولكن القرائن تؤكـد أنّه من الملائكـة حتمـاً نظراً لكونهم الأـنسب لتحمـل مثـل هـذه المسؤوليـة الثقيلـة وأنّ هـذا العمـل يناسب نفس الملكين المأمورين بتسجيل «الحسنات» و «السيئات» حيث إنّهما أكثر الملائكة اطّلاعاً على أعمال بنى آدم.

وقيل: إنّ السائق هو ملك الموت الذى يسوق الإنسان نحو الموت، والشاهد هو عمل الإنسان أو جوارحه أو صحيفة أعماله.

و فسّر البعض، السائق (بالشيطان) والشاهد بالملك.

و يلاحظ أنّ جميع هذه التفاسير لا تنسجم مع ظاهر الآية باستثناء التفسير الأول، على أيّة حال فإنّ الملك الأول هو المانع من الفرار، أمّا الملك الثانى فهو المانع من الانكار

---

(۱) تفسير القرطبى، ج ۳، ص ۱۷۶۷. ولقد نقل هذا الحديث الآخرون بشىء من الاختلاف.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۲

فيومئذ لامحيص للفرار ولا حيلة لانكار الأعمال.

ويمكن أنّ نشبه حال هؤلاء كمثل حال المجرمين الذين يساقون فى هذه الدنيا إلى المحكمة، فهناك مأمور يسوقهم من ورائهم وآخر يتقدمهم بصحيفة أعمالهم.

وجاء فى نهـج البلاغـة: أنّ الإمام امير المؤمنين على عليه السـلام قال بعـد هـذه الآيـة: «سائق يسوقها إلى محشـرها وشاهد يشـهد عليها بعملها» «۱».

ولقـد ورد فى الآيـة السابعـة كلام عن (شـهادة الجوارح) فى تلك المحكمـة المرعبـة، قال تعالى «يَوْمَ تَشـهَدُ عَلَيهِم أَلْسِـنَتُهُم وَأَيدِيهِم وَأَرجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ».

و قال فی موضع آخر: «يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ». (نور/ ۲۵)

أمّا الآیهٔ الثامنهٔ فهی تشبه الآیهٔ السابقهٔ مع شیء من الاختلاف ألا وهو حدیثها عن شهادهٔ الجلود، قال تعالی «حَتَّى إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيهِمْ سَمْعُهُم وَأَبصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ* وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيَنا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ».

یظهر من الآیات أعلاه أنّ اللَّه سبحانه وتعالی یعطی لأعضاء البدن وحتی الجلد، القدرهٔ علی التکلم والنطق، فکل عضو من الأعضاء یجیب عمّا فعله، فالأذن تجیب عمّا سمعت، والعین عمّا رأت، والجلد عمّا لمس، واللسان عمّا قال، والید عمّا انجزت، والقدم عن الطریق الذی سلکته، فیعترف کل من الأعضاء الستهٔ بالأعمال التی اکتسبها.

و یقول بعض المفسرین، إنّ بعض هذه الأعضاء یشهد علی جمیع أعمال الإنسان کشهادهٔ الزمان ولیس علی أعمال ذلک العضو فقط، وهذا لا یتناسب مع ظاهر الآیات، ومن هنا یتضح أنّه إذا لم تذکر بعض الأعضاء (کالقلب والمخ والشفتین والأسنان بالنسبهٔ للنیات والأغذیهٔ والأقوال) فلا یعنی ذلک أنّ الشهادهٔ تنحصر بهذه الأعضاء الستهٔ، وعلی ما یبدو أنّ

---

(۱). نهج البلاغهٔ، خطبهٔ ۸۵.

کل عضو یجیب عن أعماله، وأی شاهد أصدق من هذا!

ومن الواضح أنّ هذه الشهادهٔ (شهادهٔ الجوارح) ولو أنّها تنطق بقدرهٔ اللَّه سبحانه وتعالی إلّا أنّها لیست شهادهٔ اللَّه مباشرهٔ ولقد نقل ذلک الفخر الرازی فی تفسیره «۱» کأحد التفاسیر التی قیلت بشأن هذه الآیهٔ.

ومن الطریف، طبق هذه الآیات أنّ المذنبین یعاتبون جلودهم: «لِمَ شَهِدتُّم عَلَينَا» أو- کیف شهدتم ضدنا- (السؤال الأول سؤال عن السبب أمّا السؤال الثانی فهو سؤال عن الکیفیهٔ).

أمّا بقیهٔ الأعضاء الخمسهٔ فلا تسأل مثل هذا السؤال، ولعل السبب فی ذلک هو أنّ شهادهٔ الجلود أکثر عجباً من سائر الشهادات وأنّها شهادهٔ غیر متوقعهٔ تماماً، إضافهٔ إلی ذلک أنّ الجلود تلمس بشکل من الأشکال جمیع الأفعال ولا تختص بعضو معین لا کما قال بعض المفسرین إنّ هذه إشارهٔ إلی «الفرج» فقط.

ونختم کلامنا فی هذا البحث بالإشارهٔ إلی أنّه یستفاد من بعض الآیات الکریمهٔ أنّ سائر أعضاء الجسم ماعدا «اللسان» تشهد علی الإنسان أولًا، وبعد أن تتضح المسائل یعترف اللسان أیضاً بالحقیقهٔ کما ورد ذلک قوله تعالی: «اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ». (یس/ ۶۵)

الآیهٔ التاسعهٔ تتحدث عن (شهادهٔ الأرض) علی الإنسان بما عمل، قال تعالی «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا».

وبهذا تعتبر الأرض التی نؤدّی علیها أعمالنا من أهم الشهود فی ذلک الیوم، کما ورد ذلک فی حدیث عن الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله إذ قال: «أخبارها أن تشهد علی کل عبد وامهٔ بما عمل

---

(۱). تفسیر الکبیر، ج ۲۳، ص ۱۹۴.

علی ظهرها تقول عمل کذا وکذا، ویوم کذا وکذا، وهذا أخبارها» «۱».

وقال أبو سعید الخدری: إذا کنت بالبوادی فارفع صوتک بالاذان فانّی سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: «لا یسمعه جنّ ولا انس ولا حجر ولا شجر إلّایشهد له» «۲».

وأعطی بعض المفسرین احتمالات اخری فی تفسیر الآیهٔ: من جملتها أنّ الأرض تخبر عن قیام الساعهٔ فی هذه الأثناء وعندما یشاهد

الإنسان زلزلة الساعة يقول: ما لها: «وَقالَ الإنسان ما لَها» «۳».

و ورد هـذا الاحتمال أيضاً وهو أنّ الأرض تُحدِّث أخبارها بما أخرجت من أثقالها فتقول (هـذا جسد فلان وهذا جسد فلان)، مشيرة إلى الأبدان التى تلفظها.

ولكن التفسير الأول إضافة إلى أنّه ينسجم مع سياق آيات السورة كـذلك يتوافق مع الأحاديث الكثيرة المنقولة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله.

ولقـد وردت أحـاديث كثيرة عن الإمـام على عليه السـلام بخصوص شـهادة الأرض على الصـلاة وعلى تقسيم بيت المال: حيث قال: «صلّوا فى المساجد فى بقاع مختلفة فإنّ كل بقعة تشهد للمصلى عليها يوم القيامة» «۴».

وهنا يطرح هذا السؤال: كيف تتحدث الأرض عن أخبارها؟ لقد أخذ بعض المفسرين بظاهر الآية فقالو: إنّ الأرض ستكون فى ذلك اليوم وبقـدرة اللَّه ذات إدراك وشـعور وقـدرة على النطق فهى تجيب عن الحوادث التى جرت على ظهرهـا ولاـ عجب من هـذا الأمر، حيث: «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ». (العنكبوت/ ۶۴)

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۵۲۶، ولقد ورد نفس هذا المعنى فى تفسير القرطبى؛ وتفسير روح المعانى؛ وتفسير الكبير، ذيل الآية مورد البحث.

(۲) تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۵۲۶، العبارة الموضوعة بين الأقواس هى مطابقة لرواية تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۴۹۳.

(۳) تفسير القرطبى، ج ۲۰، ص ۱۴۹، ذيل الآية مورد البحث.

(۴) لئالئ الأخبار، ج ۵، ص ۷۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۵

فحياة القيامة هى الحياة الحقيقية وكل شيء يصبح حيّا وحتى الأرض فمن الممكن أن يكون لها نوع من الإدراك والشعور.

وقيل إنّ المراد: هو أنّ اللَّه سبحانه وتعالى يخلق فيها أمواجاً صوتية، ففى الواقع أنّ المتحدث هو اللَّه سبحانه وتعالى (ويمكن أن نشبه هذا المعنى بأشرطة التسجيل، حيث إنّ المتكلم ليس جهاز التسجيل وإنّما هو الإنسان الذى سجّل الكلام على الشريط).

وهنـاك احتمـال آخر: هو أنّ المقصود من (حـديث الأرض) هو اظهار آثار الأعمال التى اكتسبها الإنسان على ظهرها حيث إنّ لكل عمل آثاراً.

وانسب هذه التفاسير هو التفسير الأول:

نستنتج من مجموع الآيات السالفة الذكر أنّ فى يوم القيامة بالإضافة إلى شهادة اللَّه تبارك وتعالى بالنسبة لأعمال العباد، كذلك تشهد الأنبياء والملائكة والجوارح والأرض.

ميزان الأعمال:

الآية العاشرة ناظرة إلى مسألة «ميزان الأعمال»، قال تعالى «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوم القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ...».

فكل شيء يوزن بهذا الميزان كبيراً كان أو صغيراً حتى وإن كان بمقدار حبة من خردل فسوف يأتى به اللَّه تعالى للحساب.

و «حبّة الخردل»: حبة صغيرة جداً خفيفة الوزن وتضرب بها الأمثال لصغر حجمها وخفتها، وهى إشارة إلى أصغر الأعمال أى كل شيء فى ميزان حتى صغائر الأعمال.

«موازين»: جمع ميزان وهو الوسيلة لقياس الأشياء، وهـذا التعبير يـدل على أنّ فى ذلك اليوم لا يوجد ميزان واحد للأعمال بل هناك عـدّة مـوازين، قيـل: من الممكن أن يكون لكـل إنسـان، أو امـة أو عمـل، ميزانٌ، فالصـلاة مثلًا توزن بميزان وكـذلك الصيام والحج

والجهاد أى لكل واحد منها ميزان خاص.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۶

وقيل: إنّ الميزان هو واحد لا أكثر «۱»، والدليل على هذا القول بعض الروايات فى هذا المجال (وسنعرض لها لاحقاً) وما صيغة الجمع (موازين) إلّالبيان عظمة الميزان حيث يعادل آلاف الموازين، ولكن- وكما سنتطرق إلى ذلك- لا يوجد أى دليل على هذا التفسير الذى يخالف ظاهر الآية بل هناك عدّة أدلّة على تعدد الموازين.

وما يجب معرفته هنا، هو أنّ ميزان القيامة هو كالموازين الدنيوية، فلكل ميزان كفتان ولكن يختلف عنها بكبره وعظمته؟

وإذا كان الأمر كذلك فكيف توزن الأعمال وهى لا وزن لها؟

هناك عدّة آراء فى هذا المجال:

فقيل: إنّ ما يوزن هو صحيفة الأعمال، وقيل: إنّ الأعمال تتجسّم يوم القيامة. ويصبح لها وزن.

والخلاصة أنّ الذين يعتقدون بأن موازين القيامة تشبه موازين هذه الدنيا قد اجبروا على القول إنّ هناك نوعاً من الأوزان والاثقال حتى يمكن وزنها بمثل هذه الموازين.

ولكن القرآن يدلّل على أنّ المقصود بالميزان هو وسيلة لقياس الأوزان بمعناها العام وذلك لأننا نعلم أنّ لكل شيء وسيلة وزن تناسبه، فمثلًا وسيلة قياس الحرارة يقال لها ميزان الحرارة أو المحرار، ووسيلة قياس الهواء «ميزان الهواء» أو المحرار أيضاً.

وبناءً على ذلك فإنّ المراد ب (موازين الأعمال) الوسائل التى بها تقاس أعمال الأخيار والأشرار. وكما ينقل المرحوم العلّامة المجلسى عن الشيخ المفيد رحمهما الله: «أنّ أمير المؤمنين والائمّة من ذرّيته عليهم السلام هم الموازين» «۲».

وقد نقل فى (اصول الكافى ومعانى الأخبار) عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ شخصاً سأل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية، فقال: «هم الأنبياء والأوصياء» «۳».

---

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۱۷، ص ۵۰- ۵۱.

(۲) بحارالأنوار، ج ۷، ص ۲۵۲.

(۳) تفسير البرهان، ج ۳، ص ۶۱؛ اصول الكافى، ج ۱، ص ۴۱۹ وقد ورد نظير هذا الحديث فى تفاسير اخرى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۷

ونقرأ فى احدى الزيارات المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام قوله: «السلام على ميزان الأعمال» «۱».

فهذه الشخصيات العظيمة هى موازين الأعمال، فالأعمال التى تشابه أعمال هذه الشخصيات تعتبر ثقيلة فى الميزان والأعمال التى لا تشابه أعمالهم تعتبر خفيفة أو لا وزن لها أصلًا، فأولياء اللَّه هم موازين الأعمال فى هذه الدنيا ولكن تبرز وتتجسد هذه المسألة فى العالم الآخر.

ومن هنا اتضح الجواب عن سبب ورود (الموازين) بصيغة الجمع لكون هؤلاء العظماء متعددين.

وهناك روايات ومسائل اخرى فى مجال (ميزان الأعمال) وسوف نتعرض لها فى فقرة التوضيحات.

الآية الحادية عشرة جاءت مكملة ومفسرة لموضوع ميزان الأعمال:

«وَالْوَزْنُ يَومَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يظلِمُونَ».

والجدير بالذكر أنّ اللَّه سبحانه وتعالى جعل لكل إنسان عدداً من الموازين، وهذا التعبير يؤيد التفسير الذى يقول: إنّ لكل عمل ميزاناً، وهناك احتمال: أنّ لكلٍّ من الروح والجسم والأقوال والأفعال ميزاناً خاصاً وهذا المعنى على فرض أنّ الموازين جمع ميزان، فى

حين يرى البعض أنّ موازين جمع موزون (يعنى الشىء الذى يوزن وهى نفس أعمال الإنسان)، فمن المسلم أن يكون لكل إنسان والحالة هذه موازين، أى أنّ له أعمال متنوعة توزن فى ذلك اليوم، لكن هذا المعنى يبدو بعيداً نظراً لذهاب أغلب أرباب اللغة والمفسرين إلى أنّ

---

(۱) المرحوم المحدِّث القمى فى كتابه (مفاتيح الجنان) ولقد أورد هذه الزيارة. كزيارة أولى من الزيارة المطلقة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۸

الموازين جمع ميزان، وقد دلّت الروايات السالفة الذكر على أنّ الموازين بمعنى وسائل لقياس الوزن، وبناءً على هذا يكون ثقل الموازين بسبب ثقل الأعمال التى توضع فيها.

وهناك بحث آخر حول ميزان العدل فى يوم القيامة سنتطرق إليه فى فقرة التوضيحات.

السرعة فى الحساب:

تحدّث الآية الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة عن يوم الحساب وسرعة الأعمال فى ذلك اليوم من قبل اللَّه تعالى

ولقد تحدّث الآية الاولى بعد أن أشارت إلى الآيات التى قبلها إلى جنّات عدن وما فيها من نعم كثيرة من أطعمة وأشربة، وحور عين. فقالت: «هَذَا ما تُوعَدُونَ لِيَوم الحِسَابِ».

إنّ مسألة الحساب يوم القيامة مسألة واضحة جلية بحيث إنّ ذلك اليوم يسمى بيوم الحساب «۱».

ولقد ورد فى الآية التى بعدها حديث عن سرعة الحساب «إِنَّ اللَّه سَرِيعُ الحِسَابِ» وكذلك ورد هذا المعنى فى آيات عديدة من القرآن الكريم «۲»، وهذا التكرار يدلّل على أهميّة وعظمة هذه المسألة، فمن جهة أنّها بشرى للصالحين. حيث تخبرهم هذه الآيات بأنّهم ينالون جزاءهم بسرعة، ومن جهة اخرى أنّ هذه المسألة هى وعيد للكافرين والأشرار بأنّ مجازاتهم لن تتأخر أبداً وسوف ينالون مصيرهم بسرعة.

ولقد وردت حول هذا الموضوع (سرعة الحساب) روايات مثيرة نذكر منها:

ورد فى حديث عن أمير المؤمنين على عليه السلام: «إنّه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة» «۳».

هذا التشبيه فى الحقيقة يدلّ على قصر فترة الحساب، لذا جاء فى رواية اخرى «إنّ اللَّه

---

(۱). اللام فى (ليوم الحساب) لام الاختصاص. وقيل: إنّها لام التعليل وهذا غير صحيح.

(۲). بالإضافة إلى الآية أعلاه ورد نفس هذا المعنى فى الآية ۴، المائدة؛ ۵۱ إبراهيم؛ و ۱۷ غافر.

(۳). تفسير مجمع البيان، ج ۳، ص ۳۱۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۰۹

يحاسب الخلائق كلهم فى مقدار لمح البصر» «۱».

إنّ سبب هذه السرعة واضح. حيث إنّ الحساب منوط بالعلم والاطّلاع الكامل ومنوط أيضاً بالقدرة الخارقة. ورعاية العدالة.

وبما أنّ اللَّه سبحانه وتعالى يمتلك الحدّ الأكمل من هذه الصفات لذا فانّه تعالى له القدرة على محاسبة جميع الناس فى لمحة بصر.

إنّ وضع أعمال الإنسان والآثار التى تتركها فى روحه وجسمه تذكّره دائماً، فهى تحتفظ بنفسها بحساب جميع الأعمال، ويمكن تشبيهها من هذه الجهة بالسيارات أو الطائرات أو السفن. حيث من الممكن حساب جميع ما قطعته السيارة أو الطائرة طيلة عمرها من خلال العدّاد (جهاز الكيلومتر) فكذلك حساب أعمالنا فلا تحتاج إلّاإلى نظرة واحدة لترى وتقرأ هذا المقياس فى وجود الإنسان وعينه

وأذنه ويده ورجله وروحه.

إنّ كل هذه التعابير لها أهداف تربوية هامة، ويتضح هذا بشيء من التأمل والتدبّر فى هذه الآيات.

لقد تحدّثت الآية الخامسة عشرة عن حساب أعمال العباد من قبل اللَّه تبارك وتعالى فقالت صراحة: «إِنَّ إِلَيْنَا ايابَهُم* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم».

فى حين أنّ الآية السادسة عشرة تقول: «اقرأ كِتابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيباً»، ولكن لا يوجد أى تضاد أو منافاة بين الاثنتين. فالحسيب الأصل هو اللَّه تبارك وتعالى ولكنّه يقول للإنسان أيضاً، أنت تستطيع أن تُحاسب نفسك بنفسك، وفى النتيجة تكون جميع المحاسبات واحدة، لا تحيد عن الحق والعدل، لماذا؟

لأنّ أدلة الحساب فى غاية الوضوح والجزاء معين، والقوانين الإلهيّة فى ذلك اليوم

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۱ و ۲، ص ۲۹۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۰

صريحة جليّة فلا مجال للاستنباطات النظرية التى هى منشأ الاختلافات فى أحكام القضاء.

ومن الجدير بالذكر أنّ كلمتى «إلينا» و «علينا» اللتين وردتا فى: «انَّ الَينَا ايابَهُم» «ثُمَّ انَّ عَلَينَا حِسَابَهُم»، خبر مقدّم تفيدان الحصر، أى رجوعهم إلينا وحدنا، وسيكون حسابهم علينا فقط، وبهذا الترتيب فإنّ هذا ينفى جميع الاحتمالات والإشكالات الاخرى على أيّة حال فإنّ هذا وعيد للكفّار والمجرمين الذين أعرضوا عن آيات الحق، وقد أشارت إلى هذا المعنى الآيات التى تسبق هذه الآية.

ويمكن أن تكون هذه الآيات بشرى لأولياء اللَّه الذين يعلمون بأنّ حسابهم على اللَّه وسوف يرجعون إلى محبوب قلوبهم فيجزيهم الجزاء الأوفى وإن كان عندهم زلل أو خطأ فهو يغفره لهم بلطفه وكرمه، وهناك نكتة اخرى جديرة بالاهتمام حيث ورد فى بعض الروايات والزيارات أنّ إياب الخلق وحسابهم على على عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولقد انتقد هذا الاعتقاد بعض مفسّرى أهل السنّة مثل الآلوسى فى روح البيان حيث قال إنّ هذا الكلام يتنافى مع ما ورد فى الآيات أعلاه.

فى حين نحن نعلم بأنّ الإمام علياً والأئمّة المعصومين عليهم السلام كلّهم مطبّقون لأوامر اللَّه وأحكامه، وبناءً على ذلك يصبح حسابهم هو حساب اللَّه تعالى وحكمهم كحكم الأعمال التى تقوم بها الملائكة فى عالم «التكوين» و «التشريع» وتُنسب جميع هذه الأعمال إلى اللَّه سبحانه وتعالى لحكم حصولها بأمره، وفى نفس الوقت تُنسب إلى الملائكة أيضاً.

وهناك شبهة اخرى مشهورة طرحها هؤلاء فى هذا الصدد وهذه الشبهة هى «مابالعرض» و «ما بالذات»، وبتعبير أوضح أنّه لا أحد يزعم بأنّ حساب الخلائق وإيابها ينسب إلى على والأئمّة عليهم السلام بصورة مستقلة، بل إنّ الكل يقول إنّ هذا الفعل بذاته يختص باللَّه وينسب بالواسطة إلى على عليه السلام والأئمّة عليهم السلام، وهذه المسألة لا- تختلف عن مسألة الشفاعة وعلم الغيب وغيرها من المسائل، فجميع هذه الامور تُنسب بالذات إلى اللَّه تعالى وتُنسب بالعرض للأنبياء والأوصياء والملائكة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۱

ومن العجب أنّ الآلوسى قد التفت فى آخر كلامه بشكل عابر إلى هذه النكتة، ولكنه عاد وأدار مسير الحديث معترضاً بقوله: «إن كان المقصود هذا فلماذا يختار علياً عليه السلام لأداء هذا العمل من بين الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين» «۱».

إنّ الإجابة عن هذا السؤال واضحة: وهى أنّ الإمام على عليه السلام رجل شامخ وذو درجة رفيعة وكان مجهول القدر فى الامة الإسلامية، فشاء اللَّه تعالى وعن هذا الطريق أن يبرز مقامه الرفيع لكافة الناس.

والشاهد على هذا الكلام أنّ هناك روايات كثيرة رويت عن طرق أهل السنّة تدلّل على أنّ الرسول صلى الله عليه و آله قال بحق الإمام على عليه السلام: «يا على أنت قسيم النّار والجنّة».

ومن جملة هذه الأحاديث:

۱- ينقل «ابن المغازلى» فى كتاب «مناقب أمير المؤمنين عليه السلام» عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إنّك قسيم الجنّة والنّار» «۲».

۲- ورد نفس هذا المعنى أيضاً عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى مناقب الخوارزمى «۳».

۳- ينقل ابن حجر فى الصواعق المحرقة عن (الدار قطنى)، قال الإمام على عليه السلام ضمن خطاب طويل فى الشورى التى أوصى بتشكيلها عمر (الستة أشخاص): هل فيكم رجل غيرى، قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بحقّه: «ياعلى أنت قسيم الجنّة والنّار؟!» فأجاب الجميع: كلا «۴».

۴- لقد خصص «الحافظ سليمان القندوزى الحنفى فى كتابه «ينابيع المودة» باباً تحت هذا العنوان (فى بيان كون على عليه السلام قسيم الجنّة والنّار) ونقل فى هذا الباب الكثير من الروايات «۵».

---

(۱). تفسير روح المعانى، ج ۳۰، ص ۱۱۸ و ۱۱۹.

(۲). احقاق الحق، ج ۴، ص ۲۵۹.

(۳). المناقب، ص ۲۳۴.

(۴). الصواعق المحرقة، ص ۱۲۴.

(۵). ينابيع المودة، ص ۸۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۲

۵- لقد نقل (ابن الأثير) فى كتابه «النهاية» هذا الحديث.

۶- يلاحظ هذا المعنى صراحة فى الشعر المنسوب للإمام الشافعى:

على حبه جُنّةقسيم النّار والجنّة

وصى المصطفى حقّاًإمام الانس والجِنّة «۱»

وهناك أحاديث كثيرة فى هذا المجال.

مع كل هذه الأدلة فكيف يجرؤ الآلوسى فى روح المعانى ويقول إنّ هذا الحديث كذب وافتراء على على عليه السلام؟ لماذا نسمح للتعصب بأن يحول بيننا وبين التحقيق العلمى؟

توضيحات

۱- وصف للمحكمة الكبرى

من البديهى أننا (سجناء هذه الدنيا) لا نستطيع أن ندرك الحقائق المتعلقة بيوم القيامة بشكل تفصيلى، وذلك لأنّ عالم القيامة من العلو والرفعة بحيث لا يمكننا حتى تصور المفاهيم الحاكمة على ذلك العالم، ويعدُ هذا الأمر من المشاكل العويصة، ومثل ذلك مثل تصور العلوم والدراسات الجامعية بالنسبة لطفل فى المرحلة الابتدائية.

و مع هذا يمكننا أن نتصور صورة اجمالية عن هذه المحكمة على ضوء الآيات والروايات الواردة فى هذا المجال.

إنّ عالم الآخرة عالم يكشف عن جميع الحقائق المستورة، عالم تعمّ الحياة فيه كل شىء، وكل مكان، وحتى الجمادات، اليد، الرجل، العين، الاذن، وحتى الجلد وسائر أعضاء البدن كلها تصبح ناطقة وتجيب عن الأعمال التى اكتسبها الإنسان فى الدنيا، هذا من جهة،

ومن جهة اخرى تتجسم أمام الإنسان جميع أعماله، وتعرض صحف الأعمال بخطوط غير قابلة للانكار ويؤتى بالشهود من الملائكة والأنبياء والأوصياء، والأهم من هذا كلّه شهادة

---

(۱). ينابيع المودة، ص ۸۶. نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۳

الذات الإلهيّة المقدّسة على أعمال الإنسان.

نعم، إنّها عرصات مرعبة مخيفة فيحاسب الإنسان على كل شيء وحتى عن الأعمال التى بمقدار حبّة خردل أو مثقال ذرة فتبدو فى صحف الأعمال حتى النيات، وفى لحظة واحدة يتمّ حساب جميع الخلائق وتُظلل راية الحق والعدل جميع أرجاء هذه المحكمة العظيمة، فيحضر فيها الصغير والكبير حتى الأنبياء والمرسلون فتطوى جميع الخلافات وينهى كل جدل ويحق حق جميع مظلومى العالم ويرى الناس بأعينهم الكثير من الحقائق التى ما كانوا يصدقون بها من قبل.

إنّ الإيمان والاعتقاد بهذه الحقائق له آثار تربوية عميقة فى الإنسان فتنقذه من الضياع والحيرة وتخمد الشهوات وتقضى على المفاسد وتصنع من هذا الإنسان- المادى- ملاكاً طاهراً. وفى الحقيقة أنّ الهدف من عرض هذه الآيات هو نفس هدف القرآن الكريم فى بناء الإنسان وتزكيته.

۲- شهود يوم القيامة

كما قرأنا فى الآيات السالفة الذكر أنّ شهداء تلك المحكمة كثيرون وعلى رأسهم الذات الإلهيّة المقدّسة.

ثم الأنبياء والمرسلون.

وبعدهم الملائكة المقربون.

وبعدهم أعضاء وجوارح الإنسان.

ثم الأرض التى نعيش على ظهرها.

إضافة إلى ذلك فقد أشارت الروايات الإسلامية إلى شهداء آخرين ومن جملتهم:

الأوصياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام:

نقرأ حديثاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حول قوله تعالى: «فَكَيفَ اذَا جِئنَا مِن كُلِّ امَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئنَا بِكَ عَلَى هؤُلَاءِ شَهِيداً». (النساء/ ۴۱)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۴

قال: «نزلت فى امة محمد صلى الله عليه و آله خاصة! فى كل قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم، ومحمّد شاهد علينا!» «۱».

من الممكن أن يكون ذكر امة محمّد صلى الله عليه و آله خاصة للتأكيد، على أنّ هذه الامة خاصة يوجد فيها فى كل قرن إمام معصوم يشهد عليها.

وبناءً على ذلك فإنّ هذا لايتنافى مع شهادة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله على الأنبياء السابقين.

والشاهد السابع من شهود المحشر كما تنقل بعض الروايات هو «الزمان» فقد ورد فى رواية عن أميرالمؤمنين على عليه السلام قال: «ما من يوم يمر على ابن آدم إلّاقال له ذلك اليوم يابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل فىّ خيراً، أو اعمل فىّ خيراً أشهد لك به فى يوم القيامة، فانّك لن ترانى بعده أبداً» «۲».

ومن هنا يطرح هذا السؤال: لماذا كل هذه الشهود؟

الأرض والزمان والملائكة والرسل وجوارح الإنسان والأهم من هذا كلّه شهادة اللّه تبارك وتعالى ألا تكفى شهادة اللّه وحدها؟

نعم، إنّها كافية لأنّه (أحسن الناظرين) و (أحكم الحاكمين) (وعالم السر والخفيات).
ولكن الهدف من كل هذه الشهادات هو تربية الإنسان وتزكيته، فكلما كان عدد الشهود والمراقبين للإنسان أكثر زاد من تأثيرها التربوى على الإنسان، من هنا نرى أنّ اللَّه سبحانه وتعالى زاد عدد الشهود وجعلهم يحيطون بالإنسان ويقفون على أعماله بشكل تام.
بلا شك أنّه يكفى للمؤمن الالتفات إلى أحد هؤلاء الشهود ليكون مراقباً لأعماله، فكيف وكل هذه الشهود؟
إنّ عمل الشهود ليس له بعد تكليفى (إدارى) حتى نقول لماذا نصب هذا العدد من الشهود لعمل واحد؟ وإنّما هى سلسلة حقائق غيبية خارجية، حيث إنّ أعمالنا تترك أثراً على أعضاء جسمنا وجلودنا، وجوارحنا، والمحيط الذى يحيط بنا والأرض التى نمشى عليها والزمان الذى نعيش فيه كمثل الشريط يحفظ ويسجّل آثار عمرنا بأكمله، إنّ حضور

---

(۱). اصول الكافى، ج ۱، ص ۱۹۰.

(۲). بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۱۸۱، ح ۳۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۵

الملائكة أو شهادة الأرواح الطاهرة للأنبياء والأوصياء هى احدى الحقائق التى تنبع من قدرة أرواحهم وعظمتها، وإنّ حضور اللَّه تبارك وتعالى أيضاً فى كل مكان وكل زمان حقيقة غير قابلة للانكار.
لقد تمكن العلماء اليوم من خلال التجارب والبحوث التى أجروها على الطبقات الأرضية والحيوانات المطمورة فى باطنها، والآثار الباقية من الإنسان القديم من اكتشاف حقائق عن هذه الحيوانات، فقد وقفوا على كيفية معيشتها وطراز حياتها فى تلك العصور السحيقة وكتبوا عنها الكثير من الكتب والمقالات.
فاذا تمكن الإنسان بعلمه المحدود أن يتكلم عن مثل تلك الحوادث ويكتشف الكثير من حقائق الحيوانات، والإنسان القديم من خلال آثارها الباقية، فى حين أنّ الدنيا دار الخفيات و الآخرة دار الظهور ويوم البروز، اذن فكيف ستكون القيامة؟
من هنا عندما يتأمل الإنسان بدقّة فى هذه المسائل ويفكر فى عمقها وعظمتها حقّاً حقّاً فانها تهزّه ولعله يصرخ: واغفلتاه، أهكذا عملت مع كل هذه الشهود؟!

۳- ماهو ميزان العمل؟

يقول المرحوم الشيخ المفيد رحمه الله: «ليس الأمر فى معنى ذلك على ماذهب إليه أهل الحشو من أنّ فى القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيهما، فالخبر الوارد أنّ أميرالمؤمنين والأئمّة من ذرّيته هم الموازين فالمراد أنّهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحق عليها والحاكمون فيها بالواجب والعدل» «۱».
ولكن بعض المفسّرين ردوا هذا الكلام. وقالوا: إنّ الميزان فى الآخرة كموازين الدنيا فتوضع الأعمال فيها، حيث تصبح الأعمال ذات وزن أو توزن صحف الأعمال التى لها وزن.

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۷، ص ۲۵۲ (مع التلخيص).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۶

ويقول البعض كالعلّامة المجلسى رحمه الله: نحن نؤمن إجمالًا بالميزان أمّا فيما يتعلق بجزئياته وكيفيته فلا نقول شيئاً من عندنا.
روى أنّ داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه، كل كفّة كما بين المشرق والمغرب، فغشى عليه، ثم أفاق فقال: «الهى! من الذى يقدر أن يملأ كفّته حسنات؟ فقال: يا داود إنّى إذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة» «۱».

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّه سئل عن الميزان، فقال: الميزان العدل» «۲».

من هنا يطرح هذا السؤال: كيف يكون الجمع بين كل هذه الأحاديث؟ فقد ورد فى بعضـها: أنّ الميزان بمعنى الوجود المقدّس للأئمة المعصومين عليهم السـلام وفى حـديث آخر بمعنى العـدل وفى حـديث داود: (كل كفـة كما بين المشـرق والمغرب)، وفى الظاهر أنّ هـذه الأحاديث الثلاثـة متضادة، ولكن إذا أخذنا هذه النكتة بنظر الاعتبار فسوف يزول هذا الاختلاف الصورى، أنّ حقيقة الميزان هى العدل الإلهى وأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام هم مظهر عدله تعالى ومن جهة اخرى أننا نعلم أنّه (بالعدل قامت السموات والأرض) «۳».

ومن هنا يتّضـح سـبب دهشـة داود عليه السـلام عند مشاهدته لعظمة الميزان وذلك لأنّه رأى عظمة مقام العدل، ومقامات محمّد وآله عليهم السلام بحيث وجد أعماله لا شىء قبالها.

ومن الطريف أنّ هذا الميزان وبهذه العظمة يمتلئ بتمرة واحدة إذا كان فيها روح الإخلاص فتوجب رضا اللَّه تبارك وتعالى

ويعتقد بعض المحققين: أنّ الأئمّة المعصومين وأولياء اللَّه بمنزلة كفّة الميزان الاولى

---

(۱). تفسـير روح البيان، ج ۵، ص ۴۸۶ ذيل الآية ۴۷ الأنبياء، ولقد ورد نفس المضـمون مع شـىء من الاختلاف فى تفسير الكبير ذيل الآية مورد البحث، وكذلك فى تفسير روح المعانى الآية نفسها.

(۲). تفسير نور الثقلين، ج ۲، ص ۵.

(۳). الفيض الكاشانى، ورد هذا الحديث فى تفسير الصافى ذيل الآية ۷ من سورة الرحمن.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۷

وأعمال الإنسان وعقائده ونيّاته بمنزلة الكفّة الاخرى فيوازن بينهما يوم القيامة.

ويمكن أن نسـتفيد من هـذا الكلام من خلال الآيـات القرآنيـة التى تـذكر: «ومَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ» أو «فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ...» أو التعبير الذى ورد فى قوله تعالى: «فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَومَ القِيَامَةِ وَزناً». (الكهف/ ۱۰۵)

إنّ خفـة موازين هذه الطائفة ناشـئة من عدم امتلاك الاعتقادات الحقة والأعمال الصالحة وأمّا ثقل موازين الطائفة الاخرى فهى ناتجة عن امتلاك الرصـيد الثقيل من الأعمال الصالحـة والاعتقادات الحقّـة، وعلى أيّة حال، تقام الموازنة بين الناس من جهة وأولياء اللَّه من جهة اخرى فكلما كانت أعمالنا وعقائدنا شبيه ومقاربة لأعمال أولياء اللَّه فسيكون ميزان عملنا ثقيلًا (تأمل).

۴- ماهى الأعمال الثقيلة فى الميزان؟

تلاحـظ فى الروايـات الإسـلامية تعابير مختلفـة حول الأعمال الثقيلـة فى ميزان العـدل الإلهى، وهـذه الأعمال هى موجبات النجاة ونيل الكرامة فى يوم القيامة، وتجسد هذه الأعمال نظرية الإسلام فى المسائل المختلفة ومن جملة هذه الأعمال مايأتى:

۱- ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «مامن شىء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق وأنّ صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة» «۱».

۲- وجـاء فى حـديث آخر عن الرسول صـلى الله عليه و آله فى باب الشـهادة بوحدانيـة اللَّه ونبوّة الرسول صـلى الله عليه و آله أنّه قال: «خَف ميزان ترفعان منه وثقل ميزان توضعان فيه» «۲».

۳- وفى حديث آخر عن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السـلام قال: «ما فى الميزان شىء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد وأنّ الرجل لتوضع أعماله فى الميزان فتميل به فيخرج صلى الله عليه و آله الصلاة عليه فيضعها فى ميزانه فيرجح به» «۳».

---

(۱). سنن الترمذی، ج ۴، ص ۳۶۳، ح ۲۰۰۳.

(۲). تفسیر نور الثقلین، ج ۵، ص ۶۵۹، ح ۸.

(۳). اصول الكافی، ج ۲، ص ۴۹۴ باب الصلاة علی النبی، ح ۱۵ ورد هذا المعنی نفسه فی كتاب بحار الأنوارE فی ج ۹، ص ۵۶، ح ۳۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۸

۴- ورد فی بعض الروایات: «أنّ بعض الأذكار مثل الحمد للّهوسبحان اللّه واللّه أكبر وكذلک لا إله إلّااللّه تملأ میزان العمل یوم القیامة» «۱».

ویستفاد من الأحادیث السابقة أنّ العمل قد یكون صغیراً ولكن له أهمیّة كبیرة یجعل میزان العمل ثقیلًا ویملأ كفتیه وهذا بسبب الأهمیّة العظیمة التی یولیها الإسلام لمثل هذه الحقائق (حقیقة التوحید) (حقیقة محمد صلی الله علیه و آله) (حقیقة التسبیح) وكذلک الإرتباط المعنوی بمحمد وآل محمد صلی الله علیه و آله أو (حسن الخلق) وغیرها.

ولقد قرأنا فی بعض الأحادیث السابقة أنّ تمرة واحدة تنفق بإخلاص لوجه اللّه تعالی وابتغاء مرضاته تملأ كفّة میزان العدل الإلهی الذی یملأ مابین المشرق والمغرب.

۵- یستفاد من بعض الروایات أنّ الناس یوضعون فی المیزان ویوزنون، فذكر المرحوم الطبرسی فی مجمع البیان ذیل الآیة ۱۰۵ من سورة الكهف قال: ورد فی روایة صحیحة أنّ الرسول صلی الله علیه و آله قال: «إنّه لیأتی الرجل العظیم السمین یوم القیامة لا یزن جناح بعوضة» «۲».

والسبب واضح وهو أنّ هؤلاء وعلی الرغم من حسن ظاهرهم لكن أعمالهم وأفكارهم وشخصیاتهم كانت فی هذا العالم فارغة جوفاء.

۵- المسائل التی یسأل عنها یوم القیامة

هناک روایات كثیرة تتعلق بالامور التی یُسأل عنها یوم القیامة وكل واحدة من هذه الروایات تحتوی علی تعابیر عمیقة المعنی وأنّ دراسة هذه الروایات له أبلغ الأثر فی تربیة الإنسان وابراز معالم القیم الإسلامیة.

ومن هذه الروایات ما یأتی:

۱- جاء فی حدیث للرسول الأكرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «لا تزول قدما عبد یوم القیامة حتی

---

(۱). اصول الكافی، ص ۵۴۷، ح ۵.

(۲). تفسیر مجمع البیان، ج ۶، ص ۴۹۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۱۹

یسأل عن أربع: عن عمره فیما أفناه، وشبابه فیما أبلاه، وعن ماله من أین اكتسبه وفیما أنفقه، وعن حبّنا أهل البیت» «۱».

۲- وجاء فی حدیث آخر عن الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله: «أنّه تفتح للعبد یوم القیامة علی كل یوم من أیّام عمره أربعة وعشرون خزانة- عدد ساعات اللیل والنهار- فخزانة یجدها مملوءة نوراً وسروراً فیناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع علی أهل النّار لأدهشهم عن الاحساس بألم النّار، وهی الساعة التی فیها اطاع ربّه- ثم یفتح له خزانة اخری فیراها مظلمة منتنة مفزعة فیناله عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم علی أهل الجنّة لنغص علیهم نعیمها وهی الساعة التی عصی فیها ربّه ثم یفتح له خزانة اخری فیراها فارغة لیس فیها ما یسره ولا مایسوؤه وهی الساعة التی نام فیها أو اشتغل فیها بشی من مباحات الدنیا فیناله من الغبن والأسف علی فواتها حیث كان متمكناً من أن یملأها حسنات ما لا یوصف ومن هذا قوله (ذلک یوم التغابن)» «۲».

۳- وجاء فى حديث آخر للرسول الأعظم صلى الله عليه و آله: «أنا أول قادم على اللَّه ثم يقدم علىَّ كتاب اللَّه ثم يقدم علىَّ أهل بيتى، ثم يقدم علىَّ امتى فيقفون، فيسألهُم ما فعلتم فى كتابى وأهل بيت نبيّكم» «۳».
۴- وجاء فى حديث آخر: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ماسواها» «۴».
۵- وجاء فى حديث آخر: «ان أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة عن جلسائه» «۵».
فمن الممكن أن يشعر القارى بأنّ هناك تضادا فيما يتعلق بأول مايسأل عنه الإنسان يوم القيامة فاذا كان أحدهما هو الأول فكيف يكون غيره الأول أيضاً، ولكن يظهر أنّ المراد بأنّ هناك مجموعة من الأعمال يسأل عنها ضمن المرحلة الاولى وكل الذى ورد فى هذه

---

(۱). خصال الصدوق، (مطابق لماورد فى بحار الأنوار، ج ۷، ص ۲۵۸، ح ۱).
(۲). بحار الأنوار، ج ۷، ص ۲۶۳، ح ۱۵.
(۳). المصدر السابق، ح ۲۲.
(۴). المصدر السابق، ص ۲۶۷، ح ۳۳.
(۵). تفسير درّ المنثور، ج ۵، ص ۲۷۳.
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۰
الأحاديث إنّما من أجزاء هذه المجموعة، ومن المعلوم أنّ هذه الأحاديث توضح أهميّة الموضوعات المذكورة فى المنظور القرآنى، أى توضح أهميّة (التوحيد، والنبوة، وحب أهل البيت، والصلاة، والجلساء).
ويوجد احتمال آخر وهو أنّ هناك مواقف عديدة يوم القيامة وأول ما يسأل عنه فى كل موقف من هذه المواقف هو أحد هذه الأمور.
۶- وجاء فى حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «اتقوا اللَّه فى عباده وبلاده فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم» «۱».
يخبر هذا الحديث بأنّ الإنسان مسؤول حتى عن البيئة والحيوانات وسوف يسأل عنها يوم القيامة.

۶- اليسر والعسر فى حساب المحشر

نستفيد من مجموع الروايات وحتى الإشارات الواردة فى بعض الآيات القرآنية أنّ حساب يوم القيامة حساب دقيق للغاية، وجاء فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لرجل: «يا فلان مالك ولأخيك؟ قال: جعلت فداك كان لى عليه حق فاستقصيت منه حقى، قال أبو عبداللَّه: أخبرنى عن قول اللَّه: «وَتَخافُون سُوء الحِساب» أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم؟ لا-واللَّه خافوا الاستقصاء والمداقة» «۲».
وفى حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّما يداق اللَّه العباد فى الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول فى الدنيا» «۳».
ونستفيد من هذا التعبير أنّ هناك علاقة متينة بين «مستوى الفهم والإدراك» و «التكليف» فالحساب يكون على قدر العقول.

---

(۱). نهج البلاغة، خطبة ۱۶۷.
(۲). بحار الأنوار، ج ۷، ص ۲۶۶، ح ۲۷.

(۳). اصول الکافی، ج ۱، ص ۱۱، ح ۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۱

وفیما یقابل هذه الطائفة (ذات الحساب العسیر) طائفة اخری یکون حسابها یسیراً للغایة قال تعالی «فَأَمَّا مَن أُوتِیَ کِتَابَهُ بِیَمِینِهِ* فَسَوفَ یُحَاسَبُ حِسَاباً یَسِیراً».

(الانشقاق/ ۷- ۸)

وورد فی حدیث عن الرسول صلی الله علیه و آله أنّه قال: «ثلاث من کن فیه حاسبه اللَّه حساباً یسیراً، وأدخله الجنّة برحمته: تعطی من حرمک، وتصل من قطعک، وتعفو عمن ظلمک» «۱».

ویستفاد من بعض الروایات أیضاً أنّ (حسن الخلق) یخفف من حساب یوم القیامة، قال الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله: «حَسّن خلقک یخفف اللَّه حسابک» «۲».

علی أیّة حال، یستفاد من کل هذه المصادر الإسلامیة أنّ الناس یختلفون اختلافاً کبیراً فیما بینهم بالحساب یوم القیامة، فطائفة یشدد اللَّه فی حسابها وتضم الذین یشددون فی حساب الناس فی الدار الدنیا وذوی الاخلاق السیئة، والظلمة.

وطائفة اخری یکون حساب أفرادها سهلًا یسیراً، بسبب أعمالهم الصالحة وحسن أخلاقهم، وتساهلهم وتسامحهم مع عباد اللَّه أو عدم تلبسهم بمال ومقام الدنیا.

وطائفة ثالثة وهی التی تدخل الجنّة بغیر حساب کما ورد فی حدیث عن الامام علی علیه السلام فی تقسیم الناس یوم القیامة قال: «ومنهم الذین یدخلون الجنّة بغیر حساب، لأنّهم لم یتلبسوا من أمر الدنیا بشیء، وإنّما الحساب هناک علی من تلبس بها هاهنا» «۳».

وفی المقابل: منهم الذین یدخلون النّار بغیر حساب کما ورد هذا الحدیث عن الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله: «إنّ اللَّه عزّ وجلّ یحاسب کل خلق إلّامن أشرک باللَّه عزّ وجلّ فإنّه لا یحاسب ویؤمر به إلی النّار» «۴».

ونقل عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «وأمّا الثلاثة الذین یدخلهم النّار بغیر حساب

---

(۱). تفسیر نور الثقلین، ج ۵، ص ۵۳۷، ح ۱۲.

(۲). بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۳۸۳، ح ۲۰.

(۳). میزان الحکمة، ج ۱، ص ۶۲۳.

(۴). بحار الأنوار، ۷۰، ص ۲۶۰، ح ۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۲

فإمام جائر، وتاجر کذوب، وشیخ زان» «۱».

ونختم هذا البحث بحدیث آخر للرسول الأعظم صلی الله علیه و آله: «ستة یدخلون النّار بغیر حساب الأمراء بالجور، والعرب بالعصبیة والدهاقین بالکبر، والتجار بالکذب، والعلماء بالحسد، والأغنیاء بالبخل» «۲».

إلهی نسألک بلطفک وکرمک لما یسرت علینا حساب یوم القیامة، وارحمنا برحمتک، إلهی إنّک تعلم أننا قادمون إلیک بید خالیة وصحیفة سوداء یاأرحم الراحمین ویا أکرم الأکرمین.

---

(۱) بحارالأنوار، ج ۷۲، ص ۳۳۷، ح ۵.

(۲) میزان الحکمة، ج ۲، ص ۴۱۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۳

۶- الصراط والمرصاد

تمهید:

«الصـراط»: هو جسـر ینصب علی جهنّم وعلی الجمیع عبوره وقـد اشـیر إلیه فی الآیات الکریمهٔ بینما ورد ذکره بالتفصـیل فی الروایات الإسلامیهٔ، وکذلک وردت إشارات حول «المرصاد» الذی یفسر أحیاناً بمعنی الصراط وأحیاناً اخری بأنّه ممر خاص من نفس الصراط. وتـدلّ کل التعابیر أنّه لأجل الوصول إلی موضع الرحمـهٔ الإلهیّـهٔ أی الجنّهٔ یجب العبور علی جهنّم وهـذا الأمر غیر میسّـر إلّاللصالحین والأخیار.

فالمـذنبون والمجرمون والفاسـقون والظالمون لا یمکنهم اجتیاز وعبور هذه القنطرهٔ وسوف تزل أقدامهم عنها ویقعون فی جهنّم، ولقد وردت فی تفسیر هذین اللفظین وکذلک فی حقیقهٔ الصراط والمرصاد أحادیث کثیرهٔ فی الروایات الإسلامیهٔ وبحوث المفسرین.

إنّ الاهتمام بهذا الموضوع یساعد فی فهم وبیان الکثیر من المسائل المتعلقهٔ بالمعاد من جههٔ، ومن جههٔ اخری أنّ هذا الموضوع له أثر تربوی کبیر فی تزکیهٔ نفوس المؤمنین.

نکتفی بهذه المقدمهٔ، ونرجع إلی القرآن الکریم ولنمعن فی آیاته خاشعین:

۱- «وَانْ مِّنکُم إِلَّا وَارِدُهَا کَانَ عَلَی رَبِّکَ حَتْماً مَّقْضِیّاً* ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِین فِیها جِثِیّاً». (مریم/ ۷۱- ۷۲)

۲- «انَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرصَادِ». (الفجر/ ۱۴)

۳- «وَلَو نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَی اعْیُنِهِمْ فَاستَبَقُوا الصِّراطَ فَأَنَّی یُبْصِرُونَ». (یس/ ۶۶)

۴- «انَّ جَهَنَّمَ کَانَتْ مِرْصَاداً* لِّلطَّاغِینَ مَآباً». (النبأ/ ۲۱- ۲۲)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۴

جمع الآیات وتفسیرها

طریق الجنّهٔ یمر عبر جهنّم:

الآیـهٔ الاولی تخـاطب الجمیع، وتقـول: «وَانْ مِّنکُمْ إِلَّا وَارِدُهَـا کَـانَ عَلی رَبِّکَ حَتمـاً مَّقضِـیّاً» ثم تقـول: «ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَـوا وَّنَـذَرُ الظَّالِمِینَ فِیهَا جِثِیّاً» من هنا یطرح هذا السؤال، ما المقصود من ورود جهنّم؟

هناک آراء عدیدهٔ وتفاسیر مختلفهٔ حول هذه الآیهٔ فیعتقد البعض من المفسرین أنّ الورود خلاف الصدور وهو قصد الماء ثم یستعمل فی غیره.

یقال وردت الماء أرده وروداً فأنا وارد والماء مورود، وقد وردت الابل الماء، قال تعالی «وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْیَنَ». (القصص/ ۲۳)

ومفهوم هذا أنّ الناس إنّما یحضـرون النّار ویشـرفون علیها من غیر أن یدخلوها، ویکون هذا المعنی نفس تفسـیر (الصـراط) أیالجسر الـذی یمر علی جهنّم فعلی الجمیع اجتیازه وعبوره، فتزل أقـدام المجرمین ویتردون فی النّار، أمّا المؤمنون فیجتازونه بسـرعهٔ ویـدخلون الجنّهٔ.

وخلاصـهٔ الحدیث، یقول صاحب المیزان: «والحق أنّ الورود لا یدل علی أزید من الحضور والاشـراف عن قصد» «۱»، أو بتعبیر الفخر الرازی: (وقد ذکر وجهین لمعنی الورود) أحدهما أنّ الورود بمعنی القرب.

ویسـتفاد من مجموع الآیات القرآنیـهٔ التی وردت فیها هـذه الکلمـهٔ أنّها قد اسـتعملت بمعنی الحضور والقرب واسـتعملت أیضاً بمعنی

الدخول أى إنّها تحمل مفهوماً عاماً يشمل كلا المعنيين، لذا قال تعالى مخاطباً المشركين: «انَّكَمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّم انْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ* لَو كَانَ هؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ».

(الأنبياء/ ۹۸- ۹۹)

وعلى هذا الأساس فلا مانع من أن نفسر (الورود) بمعنى القرب والاشراف وأنّه إشارة

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۱۴، ص ۹۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۵

إلى جسر الصراط، والشاهد على هذا التفسير حديث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال فى تفسير الآية المذكورة: «أما تسمع الرجل يقول: وردنا ماء بنى فلان، فهو الورود ولم يدخله» «۱».

وأوضح من هذا التعبير ماورد فى حديث قصير نقله القرطبى فى تفسيره وهو مروىّ عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «الورود الممر على الصراط» «۲».

وهناك تفسير آخر يرجحه أغلب المفسرين: وهو أنّ البر والفاجر يدخلان جهنّم فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً على الكافرين والمجرمين، كما أصبحت النّار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، فالنار لا تحرق أجسام المؤمنين بسبب عدم سنخية هذه الأجسام مع النّار فيكون حكم أجسامهم كحكم المواد التى تخمد النيران فى حين أنّ سنخية الكفّار تتلائم مع النّار، كمثل المواد المساعدة على الاحتراق.

والدليل على هذا الكلام رواية نقلت عن جابر بن عبداللَّه الأنصارى رضى الله عنه إذ سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول اللَّه يقول: «الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلّادخلا فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً حتى أنّ للناس ضجيجاً من بردها» «۳».

و إذا رجحنا هذا التفسير فسوف لا تكون الآية دليلًا على مسألة جسر الصراط.

الآية الثانية: عبارة عن تهديد ووعيد للظالمين فبعد أن ذكر عذابهم الدنيوى الشديد قال تعالى «انَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ».

«المرصاد»: مشتقة من مادة (رصد) على وزن (حَسَد) وهو المكان الذى يرصد منه

---

(۱). تفسير البرهان، ج ۳، ص ۲۰.

(۲). تفسير القرطبى، ج ۶، ذيل الآية مورد البحث.

(۳). تفسير روح الجنان، ج ۷، ص ۴۳۱ (وقد نقل هذا الحديث جمع آخر من المفسرين من جملتهم صاحب نور الثقلين؛ والفخر الرازى).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۶

ويرقب (قال الراغب الرصد الاستعداد للترقب) والمرصد: موضع الرصد.

فما المراد ب (المرصاد)؟ قال البعض: إنّ اللَّه سبحانه وتعالى رقيب يرقب أعمال عباده فى هذه الدنيا ويأخذهم بالعذاب إذا طغوا، وجاء فى الميزان: «إنّ اللَّه سبحانه وتعالى رقيب يراقب أعمال عباده حتى إذا طغوا وأكثروا الفساد أخذهم بأشد العذاب» «۱».

ولكن ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة» «۲».

و جاء فى حديث آخر فى روضة الكافى عن الإمام الباقر عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه و آله بعد أن ذكر خصائص جسر الصراط أنّه قال: «وهو قول اللَّه تبارك تعالى «انَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرصَادِ»» «۳».

نستفيد من هذين الحديثين اللذين وردا فى تفسير الآية أعلاه أنّ الآية ناظرة إلى القيامة وجسر الصراط مع عدم وجود أىمانع من أن

تكون الآية ناظرة إلى كليهما، يعنى أنّ اللَّه تبارك وتعالى كما أنّه رقيب يرقب أعمال عباده فى هذه الدنيا كذلك هو رقيب فى العالم الآخر فى جواز الصراط، لكن وعلى كل حال فالآية ليس لها مفهوم مكانى وذلك لأنّ اللَّه تعالى لا يحدد بمكان والمقصود هو الاحاطة الوجودية للَّهعلى جميع الامور.

وجاء فى حديث عن ابن عباس: أنّه قال: «إنّ على جهنّم سبع قناطر، يسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان، فإن جاء به تاماً جاز إلى القنطرة الثانية، ثم يسأل عن الصلاة فإن جاء بها جاز إلى الثالثة، ثم يسأل عن الزكاة فإن جاء بها جاز إلى الرابعة، ثم يسأل عن صيام شهر رمضان فإن جاء به جاز إلى الخامسة، ثم يسأل عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما جاز إلى السادسة ثم يسأل عن صلة الرحم فإن جاء بها جاز السابعة، ثم يسأل عن المظالم، وينادى مناد: ألا من كانت له مظلمة فليأت، فيقتص للناس منه، ويقتص له من الناس،

(۱). تفسير الميزان، ج ۲۰، ص ۴۰۹، ص ۲۸۱.

(۲). بحارالأنوار، ج ۸، ص ۶۴ ولقد وردت نفس هذه الرواية فى تفسير البرهان ج ۴، ص ۴۵۸ كتفسير لهذه الآية الشريفة «إنّ ربّك لبالمرصاد» ونقلت عن الإمام الصادق عليه السلام.

(۳). تفسير نور الثقلين، ج ۵، ص ۵۷۲؛ تفسير البرهان، ج ۴، ص ۴۵۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۷

فذلك قوله تعالى «ان رَبَّك لِبالمِرصادِ»» «۱».

ونحن نستبعد أن يكون هذا الحديث وبهذه التفاصيل من الاستنباطات الشخصية لابن عباس، فلابّد أنّه قد سمعه كرواية من الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله أو الإمامعلى عليه السلام.

ولقد ورد تعبير (المرصاد) فى قوله تعالى: «انَّ جَهَنَّمَ كَانَت مِرصَاداً». (النبأ/ ۲۱) ولكن الظاهر من هذه الآية أنّ جهنّم نفسها مرصاد للطاغين والمجرمين، ومع أخذ الآيات السابقة لها بنظر الاعتبار ذهب جمع من المفسرين إلى أنّ المقصود بالمرصاد هو القنطرة التى تمر من فوق جهنّم (يقال للمكان الذى اختص بالرصد وبما أنهم غير قادرين على اجتيازه فيسقطون فى جهنّم). «۲» إضافة إلى أنّ التعبير ب (المرصاد) يطلق على الطرق والمعابر، وبما أنّ جهنّم التى تعتبر باصطلاح آخر خطأً، لذا لاتتناسب مع معنى المرصاد وهذه قرينة اخرى على التفسير أعلاه.

الآية الثالثة والأخيرة أشارت إلى وضع الكفار والمجرمين يوم القيامة وأنّهم سيختم فى ذلك اليوم على أفواههم ولا تتكلم إلّاأيديهم وأرجلهم، قال تعالى «وَلَو نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى اعْيُنِهِم فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ» «۳» لقد ذكر الكثير من المفسرين: أنّ هذه الآية ناظرة إلى وضع هذه الطائفة فى دار الدنيا حيث فسروا الصراط ب (طريق الحق) أىأنّهم يجهدوا أنفسهم فى سبيل العثور على طريق الحق وطريق النجاة، ولكن اللَّه سبحانه وتعالى وبسبب أعمالهم السيئة جعلهم عمياً لا يبصرون وبهذا فهم ليسوا بقادرين على تمييز ومشاهدة طريق النجاة.

(۱). تفسير القرطبى، ج ۱۰ ذيل الآية مورد البحث.

(۲). ورد هذا التفسير فى تفسير الميزان وفى التفسير الكبير (الفخر الرازى) وفى المفردات والقرطبى فى تفسيره.. ذيل آية سورة النبأ، وذكروا هنا المعنى كتفسير للآية أو كأحد الأقوال فى تفسير الآية.

(۳). «طمسنا» من مادة «طَمْس» على وزن «شَمْس» بمعنى محو وازالة آثار الشى ويمكن أن يكون هنا بمعنى محوالعين تماماً أو إطفاء نورها والمطموس والطميس: الأعمى الذى ليس فى عينه شق.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۸

ويوجد هذا الاحتمال أيضاً وهو أنّ هذه الآية ناظرة إلى وضع هذه الطائفة أثناء عبورها من الصراط (جسر جهنّم) فاذا أراد اللَّه جردهم أعينهم بشكل كامل حتى لا يقدروا على المرور من الصراط مهما جهدوا أنفسهم فى ذلك.

والظاهر أنّ عبارة تفسير (فى ظلال القرآن) لها نفس هذا المعنى ونقل القرطبى هذا التفسير كأحد الأقوال فى تفسير الآية، وإلى ذلك ذهب (عبداللَّه بن سلام) «۱» فى تفسير هذه الآية حيث قال: «إذا كان يوم القيامة ومد الصراط، نادى مناد ليقم محمد صلى الله عليه و آله وامته، فيقومون برّهم وفاجرهم يتبعونه بجواز الصراط، فاذا صاروا عليه طمس اللَّه أعين فجّارهم، فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه، ثم يناد مناد ...» «۲».

ونحن نستبعد أن يكون هذا البيان من استنباط (عبداللَّه بن سلام) حيث إنّ ماورد فى هذه الرواية يعد من أخبار الغيب ولا يطلع على الغيب، إلّاالمعصومون عليهم السلام.

ولايستبعد بأنّه قد نقل ذلك كرواية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله.

توضيح

ماهى حقيقة الصراط؟

لقد أشرنا عدّة مرات إلى أنّ أهل الدنيا ليس لهم معلومات مفصلة عن الحقائق المتعلقة بيوم القيامة وعالم ما بعد الموت، حيث هو عالم فوق هذا العالم، ولكن هذا الأمر لا يمنع من المعرفة الإجمالية بهذا الموضوع.

ويستفاد من الروايات الإسلامية أنّ الصراط جسر على جهنّم فى طريق الجنّة ويرده كل

(۱) (عبداللَّه بن سلام) كان من علماء أهل الكتاب الذين اعتنقوا الدين الإسلامى، وكان اسمه الأصل (الحصين) وبعد الإسلام غير الرسول صلى الله عليه و آله اسمه إلى (عبداللَّه) ويعتقد بعض علماء الرجال بأنّه مجهول الحال ويعتقد آخرون بأنّ رواياته ضعيفة، ولكن بما أنّ ابن داود ذكر فى القسم الأول من كتابه فى الرجال أنّه معتبر.. فقد اعتبروا هذا الشيء قرينة على حسن حاله.

(۲) تفسير القرطبى، ج ۸، ص ۵۴۹۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۲۹

برّ وفاجر فالأبرار يمرون عليه بسرعة ويصلون إلى النعم الإلهيّة غير المتناهية أمّا الفجّار فتزل أقدامهم ويتردون فى نار جهنّم.

ولقد ورد فى بعض الروايات أنّ سرعة عبور الناس على الصراط ترتبط بمستوى إيمانهم وإخلاصهم وأعمالهم الصالحة.

فقد ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «منهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النّار منه شيئاً وتترك شيئاً» «۱».

وهنا يطرح هذا السؤال:

لماذا يجب المرور عبر جهنّم للوصول إلى الجنّة؟

هناك نكات لطيفة سنتعرض لها وهى أنّ أصحاب الجنّة عندما يمرون على جهنّم يدركون قيمة الجنّة أفضل إدراك، ومن جهة اخرى أنّ وضع الصراط هناك عبارة عن تجسم لأعمالنا فى هذه الدنيا، لذا يجب المرور عبر جهنّم (المحرقة للشهوات) من أجل الوصول إلى جنة التقوى ومن جهة ثالثة فهو انذار جدى لكافة المجرمين والمذنبين حيث إنّ مصيرهم يؤول إلى العبور من هذا الممر الخطير، لذا ورد فى حديث (مفضل بن عمر) قال:

سألت الإمام الصادق عليه السلام عن الصراط، فقال: «الطراط الطريق إلى معرفة اللَّه سبحانه وتعالى .

ثم قال: «هما صراطان: صراط فى الدنيا، وصراط فى الآخرة، فأمّا الصراط الذى فى الدنيا، فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه فى الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذى هو جسر جهنّم فى الآخرة، ومن لم يعرفه فى الدنيا زلت قدمه عن الصراط فى الآخرة فتردى فى نار جهنّم» «۲».

---

(۱) أمالى الصدوق، مجلس ۳۳.

(۲) معانى الأخبار، ص ۳۲، ح ۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۰

وفى تفسير عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام «۱» أنّه فسّر الصراطين (صراط الدنيا والآخرة) الصراط المستقيم فى الدنيا فهو ما قصر من الغلو وارتفع عن التقصير وأمّا الصراط فى الآخرة فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة.

وهناك نكتة مهمّة أشارت إليها الروايات الإسلامية، وهى أنّه من العسير العبور على هذا الطريق، فقد ورد حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وكذلك عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «إنّ على جهنّم جسراً أدق من الشَعرة وأحد من السيف» «۲».

نعم، هكذا الصراط (المستقيم) وحقيقة (الولاية) و (العدالة) فى هذه الدنيا فهى أدق من الشعرة وأحد من السيف، وهذا يرجع إلى أنّ الخط المستقيم خط واحد دقيق لا- أكثر، أمّا الخطوط الاخرى فهى منحرفة نحو اليمين أو الشمال، ومن الطبيعى أن يكون صراط القيامة هكذا فهو تجسيد عينى للصراط الدنيوى، ومع هذا فهناك طائفة تمر على هذا الطريق الخطر سريعاً فى ظل إيمانها وأعمالها الصالحة.

و ممّا لا- شك فيه أنّ التمسك بالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يسهل اجتياز هذا الطريق المخوف، فقد جاء فى حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنّم لم يجز عليه إلّامن كان معه جواز فيه ولاية على بن أبى طالب» «۳».

ولقد ورد نفس هذا المعنى بتعبير آخر يتعلق ب فاطمة الزهراء عليها السلام ومن البديهى أنّ ولاية الإمام على عليه السلام وولاية الزهراء عليها السلام هما من ولاية الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله ولا يمكن الفصل بين القرآن والإسلام وسائر الائمّة المعصومين عليهم السلام، فإذا لم يكن هناك ارتباط إيمانى

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۶۹، ح ۱۸.

(۲). ميزان الحكمة، ج ۵، ص ۳۴۸ ووردت كلمة «الصراط» فى حديث الإمام الصادق بدل جملة «إنَّ على جهنّم جسراً» (بحارالأنوار، ج ۸، ص ۶۴، ح ۱).

(۳). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۶۸، ح ۱۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۱

وأخلاقى مع هؤلاء العظام فلا يمكن الجواز على الصراط، وتوجد فى هذا المجال روايات عديدة، وللمزيد من المعلومات راجع كتاب بحار الأنوار المجلد ۸ وبالأخص هذه الروايات: (۱۲، ۱۳، ۱۴، ۱۵، ۱۶، ۱۷).

ونختم حديثنا بالإشارة إلى البعد التربوى للإيمان والاعتقاد بمثل هذا الصراط حيث هو صراط مخوف مرعب متزلزل تشوبه الاخطار، صراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، صراط له عدّة مواقف وفى كل موقف يُسأل فيه عن شىء فأمّا الأول فيسأل عن الصلاة وأمّا الثانى فعن الأمانة وصلة الرحم والثالث عن العدالة وما شابه ذلك، ممر لا يمكن لأحد العبور عليه واجتيازه إلّاإذا كان معه جواز فيه

ولاية الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وولاية الإمام على عليه السلام والتخلق بأخلاقهم والسير على نهجهم.

وفى النهاية نقول: إنّه ممر تتوقف قدرة اجتيازه على قدر نور الإيمان والعمل الصالح، ومن لم يقدر على اجتيازه فسيقع حتماً فى نار جهنّم وسوف لن يصل إلى موضع النعم الإلهيّة المادية والمعنوية (الجنّة) أبداً.

وممّا لا شك فيه أنّ الاهتمام بمثل هذه المفاهيم والاعتقاد بها له آثار واسعة فى أفعال الإنسان وتربيته فتحثه على التخلق بأخلاق أولياء اللَّه وتمنحه البصيرة فى انتخاب سبل حياته والتمييز الدقيق بين الحق والباطل.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۳

الجنّة

اشارة

۱- موجبات دخول الجنّة

۲- النعم المادية فى الجنّة

۳- اللذّات الروحية

۴- أبواب الجنّة

۵- سعة الجنّة

۶- هل الجنّة مخلوقة؟

۷- درجات الجنّة

۸- أسئلة وأجوبة حول الجنّة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۵

الجنّة

تمهيد:

إنّ جميع بحوث المعاد تختتم لا محالة بإحدى النقطتين: إمّا (الجنّة) أو (النّار).

فأمّا «الجنّة»: فهى مركز لأنواع المواهب والنعم الإلهيّة المعنوية والمادية.

وأمّا «النّار»: فهى مكان لأنواع العذاب ومختلف العقوبات والحرمان، من هنا نتساءل عن حقيقة الجنّة، وكيف تكون؟ واين تقع؟ وهل هى مخلوقة أم لا؟

هناك آراء عديدة فى هذا المجال، ولأخذ الجواب الصحيح عن هذه الأسئلة يمكننا الاستعانة بالتصريحات أو الإرشادات الواردة فى الآيات الكريمة، إضافة إلى ذلك هناك آيات كثيرة تتحدث عن خواص الجنّة وأصحابها، والنعم الموجودة فيها من الحدائق، والأنهار، والعيون، والأطعمة، والأشربة الطهورة، والألبسة، والحور العين، والولدان المخلدين، والخدم، والحشم، والاحترام، والإكرام المنقطع النظير من الملائكة وكذلك المواهب المعنوية واللذائذ الروحية، وتشكل مجموع هذه الآيات القسم الأعظم من آيات (المعاد).

ونرى من الضرورى الإشارة إلى هذه النكتة وهى: أنّ أفكارنا وتصوراتنا محدودة ضمن المعايير والاطر الدنيوية، لذا فإنّ عقولنا لا تدرك حقيقة الجنّة وما فيها من نعم مخفية، الجنّة أفضل وأعلى وأعمق ممّا رأينا أو كتبنا أو قرأنا.

ولكن على أيّة حال يمكننا- وعلى ضوء دراسة الآيات القرآنية والروايات الواردة فى هذا المجال- أن نرسم صورة إجمالية عن الجنّة ومافيها من نعيم، ومن المعلوم أنّ لهذا

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۶

التصور آثاراً تربوية قيمة، فمهما كانت دوافع الإنسان المادية أو المعنوية فانّها تدعوه إليها وتجذبه نحوها.

بهذه المقدمة نرجع إلى القرآن الكريم ونستعرض الآيات التى تتحدث عن الجنّة، ومن الطريف أنّ هذه الآيات جاءت فى ثمان مجموعات بعدد أبواب الجنّة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۷

۱- موجبات دخول الجنّة فى المنظور القرآنى

اشارة

لقد تحدثت آيات كثيرة فى القرآن الكريم عن أوصاف أهل الجنّة كما حددت الأوصاف والأعمال التى توصل الإنسان إلى الجنّة والتنعم بالمنزلة الرفيعة فيها.

وبهذا فقد بيّنت هذه الآيات المنظور الإسلامى فى مسألة النجاة والسعادة الأبدية وتكامل الإنسان، ويمكن إجمال هذه الأوصاف بالنقاط الآتية:

۱- الإيمان والعمل الصالح

إنّ رأس المال للنجاة والسعادة وفتح أبواب الجنّة هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ اصحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

(البقرة/ ۸۲)

ولقد ورد نفس هذا التعبير أو ما يشبهه فى كثير من الآيات، وما تكراره إلّادليلًا على أهميّة الموضوع وعناية القرآن الخاصة به «۱».

وبهذا فإنّ القرآن الكريم قد كشف النقاب عن الأوهام التى كان يعتقد بها جمع من أهل الكتاب والسائرين على نهجهم من سائر الامم حيث كانوا يتصورون أنّ النجاة ودخول الجنّة تقوم على أساس سلسلة علاقات وروابط معينة، أو أنّهم وضعوا ضوابط غير الإيمان والعمل الصالح، فجاء القرآن ليعبى الناس ويبنى أنفسهم على أساس بعدين رئيسيّين هما (العقيدة) و (العمل).

وهذه الآية التى نحن بصددها جاءت على أثر الآيات التى تتحدث عن اليهود الذين

---

(۱). آل عمران، ۱۳۶؛ النساء، ۱۲۴؛ الأعراف، ۴۲؛ الحج، ۱۴، ۲۳، ۵۶؛ العنكبوت، ۵۸؛ الزمر، ۷۴؛ الاحقاف، ۱۴؛ محمد، ۱۲ وآيات اخرى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۸

كانوا يعتقدون بأنّهم أولياء اللّه واحباؤه: «وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدودَةً ...». (البقرة/ ۸۰)

ومن البديهى أنّ علاقة الإيمان والعمل الصالح هى كعلاقة (الشجرة) و (الثمرة) فالشجرة الطيبة (من أشجار الفواكه) لا تخلو من الثمار الطيبة وكذا الحال بالنسبة للإيمان فهو لا ينفك عن العمل الصالح إلّاأن يكون ضعيفاً أو خالياً من الروح فيتأثر بالشهوات.. والأهواء النفسية، لذا نقرأ حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن حقيقة الإيمان، فقال:

«الإيمان أن يطاع اللَّه فلا يعصى «۱» وبتعبير أوضح: «العمل الصالح هو تجسيم الإيمان القلبى» ولا يعنى هذا الحديث أنّ العاصين أو مرتكبى الكبائر كفارٌ «۲» كما يعتقد الخوارج وإنّما المقصود أنّ الإيمان القوى لا ينفكك أبداً عن العمل الصالح، أمّا الإيمان الضعيف فيمكن أن ينفكك عن هذا العمل الصالح ويقع صاحبه فى ارتكاب الكبائر.

ومن الجدير بالذكر أنّ أغلب الآيات الكريمة تقدم الإيمان على العمل الصالح بالرغم من أنّ الإتيان بالواجبات وترك المحرمات هو أكثر صعوبة من الإيمان ومقدم عليه عرفاً، ولعلّ السبب فى تقديم الإيمان على العمل الصالح يعود إلى أنّ القرآن الكريم يريد أن يبيّن أنّ الإيمان هو أساس الأعمال الصالحة.

وأخيراً فإنّ تعبير الإيمان والعمل الصالح تعبيران واسعان إلى حد يشملان جميع مراحل الإيمان باللَّه وسائر الاصول الاعتقادية، من جهة، والإتيان بكافة الأعمال الفردية والاجتماعية والعبادية والسياسية من جهة اخرى وهذا هو المفتاح الأول من مفاتيح الجنّة.

۲- التقوى

العامل الآخر من عوامل دخول الجنّة هو (التقوى ولقد ذكرت الكثير من الآيات

---

(۱). اصول الكافى، ج ۲، ص ۳۳، ح ۳.

(۲). من الاصول المتفق عليها عند الخوارج هى أنّهم يكفرون مرتكبى الكبائر؛ سفينة البحار، مادة (خرج).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۳۹

القرآنية هذا العامل من جملتها ماورد فى سورة مريم بعد الإشارة إلى (جنات عدن) وبعض من نعمها: «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً». «۱» (مريم/ ۶۳)

من المعلوم أنّ الإسلام أعطى أهميّة كبيرة للتقوى واعتبرها أحد شعاراته المشهورة كما ورد ذلك فى قوله تعالى: «انَّ اكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ اتْقَاكُمْ». (الحجرات/ ۱۳)

فتقول الآية: إنّ الشرف والكرامة هو بتقوى اللَّه سبحانه وهى الوسيلة الوحيدة إلى سعادة الدار الآخرة، فليس من العجب أن تصف الكثير من الآيات القرآنية (التقوى بأنّها مفتاح الجنّة.

«والتقوى : هى اجتناب الذنوب والمعاصى والامتثال لأوامر اللَّه ونواهيه، واتّباع الحق والعدل، وبتعبيرآخر: هى حالة الخوف الباطنية والوازع الذاتى الذى يمنع الإنسان من الوقوع فى المعاصى والآثام، أىأنّ التقوى مفهوم جامع يضم كافة التكاليف الإلهيّة والأخلاقية والإنسانية.

التعبير ب (تلك) فى بداية الآية والذى يشير إلى البعيد هو إشارة إلى عظمة الجنّة وكأنّها عالية بدرجة خارجة عن نطاق الفكر والخيال.

وأمّا كلمة (الإرث) فيمكن أن يشير بها إلى المعانى الآتية:

۱- كل تمليك ثابت، لأنّ الملك الوحيد الذى لا يقبل الرجوع والفسخ هو ما ينتقل عن طريق الارث وكذلك الجنّة فإنّ اللَّه سبحانه وتعالى يورثها للمتقين.

۲- قبل أن يكون للوراثة بعدٌ قانونى وتشريعى فإنّ لها بعداً تكوينياً وطبيعياً إذ تنقل مجموعة الصفات الوراثية للآباء والامهات إلى الأبناء، وبهذا يكون المراد بالإرث فى الآية أعلاه: هو أنّ هناك علاقة معنوية تكوينية بين التقوى والجنّة.

۳- الأموال الموروثة: هى أموال تصل إلى الإنسان بدون تعب وعناء غالباً، والنعم

---

(۱). هنـاك الكثير من الآيـات التى تشـير إلى العلاقـة بين (التقوى و (الـدخول إلى الجنّـة) ومن جملتهـا: آل عمران، ۱۵، ۱۳۳، ۱۹۸؛ الرعد، ۳۵؛ الحج، ۴۵؛ النحل، ۳۱؛ الفرقان، ۱۵؛ الشعراء، ۹۰؛ الزمر، ۳۰، ۷۳؛ الدخان، ۵۱؛ محمد، ۱۵؛ ق، ۳۱؛ الذاريات، ۱۵ وغيرها.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۰

الإلهيّة فى الجنّة من العظمة بحيث تعتبر أعمال المتقين لا شى قبالها، فكأنّ الجنّة تعطى لهم مجاناً وبدون أى‌مقابل لضآلة أهميّة أعمال المتقين قياساً بهذه النعمة العظيمة.

وبتعبير آخر نقول: حقـاً أنّ أعمال الإنسان وتقواه هى الأساس فى اسـتحقاق الجنّة ولكن عظمـة الجنّة وما فيها من النعم كأنّها أعطيت للمتقين مجاناً.

من هنا يجب القول: إضافـة إلى كون الجزاء الاخروى له بعـد استحقاقى كذلك له بعد تفضّلى أيضاً، أى‌أنّ الجنّة هى تفضّل من اللَّه سبحانه وتعالى للمتقين.

۴- ونقرأ روايـة وردت فى تفسـير هـذا المعنى عن الرسول الأكرم صـلى الله عليه و آله قال: «ما من أحد إلّا وله منزل فى الجنّة، ومنزل فى النّار: فأمّا الكافر فيرث المؤمن منزله من النّار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنّة» «۱».

فيـدل هـذا الحـديث على أنّ جميـع النـاس خلقـوا أحراراً فى اختيـارهم فكمـا خلـق عنـدهم الاسـتعداد لـدخول الجنّـة كـذلك خلق عندهم‌الاستعداد أيضاً لدخول النّار وهذا يرتبط بكامل اختيارهم وإرادتهم «۲».

۳- الاحسان

الاحسان عامل آخر من عوامل الـدخول فى موضع النعمـة الإلهيّـة ولقـد أشار القرآن الكريم إلى هذا المفهوم الواسع فى آيات عديدة من جملتها الآية ۸۵ من سورة المائـدة فبعد أن أشارت هذه الآية إلى وضع مجموعة من علماء أهل الكتاب الذين انقلبوا بعد سـماعهم آيات القرآن الكريم وفاضت أعينهم بالدمع ممّا عرفوه من الحق، قال تعالى بصددهـم:

---

(۱). تفسـير نور الثقلين، ج ۲، ص ۳۱، ح ۱۲۱؛ تفسـير مجمع البيان، ذيل الآية ۴۳، من سورة الأعراف، ولقـد ورد فى تفسـير على بن إبراهيم نفس المعنى بتعبير آخر عن الإمام الصادق عليه السلام، ذيل الآية ۱۱، من سورة المؤمنون.

(۲). إنّ هـذا التعبير «الارث» لم ينحصـر فى الآيـة السالفـة الـذكر بل قد ورد فى آيات اخرى نذكر منها: المؤمنون، ۱۰، ۱۱؛ الأعراف، ۴۳؛ الزخرف، ۷۲؛ الشعراء، ۸۵ فهو تعبير واسع.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۱

«فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الُمحْسِنِينَ» «۱».

صحيح أنّ القرآن يصـرِّح بأنّ كل هذه النعم التى أثابهم اللَّه بها لما قالوا بعظمة القرآن والإيمان به ولكن من البديهى أنّ هذا لم يكن قولًا فقـط بـل كـان قولًا ممزوجاً بالإيمان، ذلك الإيمان الـذى ملأ كل وجودهم، لـذا تقول الآيات التى قبلها: «تَرَى اعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ» (المائدة/ ۸۳)

لكن كيف يكون كلاـم هؤلاـء مصـداقاً للاحسـان؟ يمكن القول: إضافـة إلى أنّهم درسوا القرآن وتـدبروا معـانيه جيـداً كـذلك أقروا واعترفوا بدين الحق وعملوا به بشكل جيد.

ونسـتفيد من بعض الروايات أنّ الاحسان هو العبوديـة المقترنـة باليقين الكامل والشـعور بأنّ الأنسان تحت رقابة اللَّه تبارك وتعالى فى جميع الاحوال.. كما ورد ذلك فى حديث عن الرسول الأعظم صـلى الله عليه و آله فقد سـئل عن الاحسان فقال: «أن تعبد اللَّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فانّه يراك» «۲».

ومن الواضح أنّ من يشعر بمثل هذه المراقبة فستكون عبادته عبادة حقّة لها روح وحقيقة وليس ذلك فحسب بل إنّ آثار هذا الشعور ستنعكس على جميع أعمال الإنسان وأقواله وسلوكه.

۴- الجهاد والشهادة

إنّ كل من له أدنى اطلاع على منطق القرآن والإسلام يعلم جيداً بالمقام السامى والدرجة الرفيعة للمجاهدين والشهداء فى الإسلام، فلقد وعد القرآن صراحة هذه الطائفة المضحية بالجنّة، ومن جملة الآيات قوله تعالى «انَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ انْفُسَهُم

(۱). ورد نفس هذا المعنى فى الزمر، ۳۴؛ المرسلات، ۴۴.

(۲). تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۵۵۳، ح ۵۷۹ ذيل الآية الشريفة ۱۲۵ من سورة النساء.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۲

وَامْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقتَلُونَ وَعداً عَلَيهِ حَقّاً فِى التَّورَاةِ وَالْإِ نْجِيلِ وَالْقُرآنِ وَمَن اوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ العَظِيمُ» «۱». (التوبة/ ۱۱۱)

حقّاً إنّها لتجارة لا نظير لها، فالمشترى هو اللَّه سبحانه وتعالى والبائعون هم المؤمنون المجاهدون.

«البضاعة»: الأنفس والأموال التى وهبها اللَّه لهم والثمن الذى يدفع إليهم هو جنّة الخلد وسند هذه المعاملة الكتب السماوية الثلاثة إضافة إلى كل هذا هناك تبريك من قبل المشترى للبائع.

كم هى تعابير جميلة ورائعة! وكم هى معاملة رابحة مقابل متاع زائل وغير ثابت وكم هو ثمن مبارك وخالد، وكم هو مقدار اللطف والمحبة فى هذه المعاملة من قبل اللّه تبارك وتعالى

وعن جابر بن عبداللَّه قال: «انزلت هذه الآية على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو فى المسجد (ان اللَّه..) فكبر الناس فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفى ردائه على عاتقه فقال: يا رسول اللَّه انزلت هذه الآية؟ قال: نعم، فقال الأنصارى: بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل» «۲».

ونستفيد من الآية السابقة أنّها لا تختص بالشهداء فقط بل إنّ هذه المعاملة تشمل المجاهدين فى سبيل اللَّه أيضاً.

ونلاحظ فى الآية تقدم عبارة «يَقْتُلُونَ» على «يُقتَلونَ» وهذا دليل على أنّ الهدف الرئيس من الجهاد هو القضاء على العدو لا الشهادة، وبناء على ذلك فإنّ الشهادة درجة رفيعة لا يبلغها إلّاالخاصة من أوليائه.

من هنا لا يمكن أن يكون الغرض من الجهاد هو الشهادة أبداً وبتعبير أدق الشهادة ليست هدفاً وإنّما هى وسيلة لتحقيق الهدف.

(۱). كما ورد نفس هذا المعنى فى الآيات ۲۰، ۲۱، ۸۸، ۸۹ من نفس السورة، و الصف، ۱۲؛ آل عمران، ۱۴۲.

(۲). تفسير درّ المنثور وطبق نقل تفسير الميزان، ج ۹، ص ۴۲۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۳

۵- نهى النفس عن الهوى

من الامور الاخرى التى هى من موجبات دخول الجنّة، الخوف من اللَّه تعالى ونهى النفس عن الهوى قال تعالى «وَامَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَى . (النازعات/ ۴۰- ۴۱)

ممّا لا شك فيه أنّ هناك علاقة متبادلة بين (الخوف من اللَّه) و (نهى النفس عن الهوى فالاولى بمنزلة الشجرة والثانية ثمرها، فعندما يتجذر الخوف من اللَّه تعالى فى أعماق روح الإنسان، عندئذٍ تشن حرب من الداخل لمواجهة هوى النفس، ومن المعلوم أنّ مصدر

جميع المفاسد والذنوب على سطح الأرض هو (عبادة الهوى ، فمن هنا يكون الخوف من اللَّه مصدر كل الإصلاحات، لذا ورد هذا الحديث النبوى: «ما تحت ظل السماء من إله يُعبد من دون اللَّه أعظم عند اللَّه من هوىً مُتَّبع» «۱» فى ذيل الآية الشريفة «أَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ». الفرقان/ ۴۳)

والجدير بالذكر أنّ ما يقابل هاتين الصفتين (الخوف من اللَّه ونهى النفس عن الهوى صفتان أخريان وردتا فى الآيات التى تسبق هذه الآية من نفس السورة وهما (الطغيان وايثار الحياة الدنيا على الآخرة): «فَأَمَّا مَن طَغَى وآثَر الحَيَاةَ الدُّنيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . (النازعات/ ۳۷- ۳۹)

والحقيقة أنّ هاتين الصفتين مصدر كل البلايا كما أنّ تلك الصفتين مصدر كل خير.

وعلى حد قول بعض المفسرين فالمصادر التى تأتى منها الذنوب السبعة المذكورة فى قوله تعالى «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالانْعَامِ وَالحَرثِ». (آل عمران/ ۱۴)

تتلخص فى هوى النفس، وأنّ مصدر هوى النفس هو عدم المعرفة وعدم الخوف من اللَّه تعالى «۲».

من هنا فما المقصود من (مقام ربّه)؟ هناك آراء مختلفة حول تفسير هذا التعبير فقيل:

المراد مقامه من ربّه يوم القيامة حين يسأله عن أعماله.

---

(۱). تفسير در المنثور، ج ۵، ص ۷۲.

(۲). تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۳۲۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۴

وقيل: إنّه إشارة إلى مقام علم اللَّه ومراقبته لعباده.

وقيل: إنّه إشارة إلى مقام عدالته تعالى

ولكن هذه التعابير ترجع فى الحقيقة إلى الخوف من الأعمال والذنوب وذلك لأنّ اللَّه (أرحم الراحمين) ولا يوجد فى ذاته تعالى مايوجب الخوف منه، فكما أنّ المجرمين يخافون رؤية القاضى العادل ويفزعون من سماع إسم المحكمة فكذلك الحال بالنسبة للمذنبين فانّهم يخافون من مقام العدل والحساب والعلم الإلهى، وفى الحقيقة أنّ هناك جحيم فى هذه الدنيا هى جحيم الشهوات، والجحيم الاخروية إنّما هى جحيم مجازاة تنبع من هذه الجحيم.

ونختم هذا البحث بحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من علم أنّ اللَّه يراه، ويسمع ما يقول، ويعلم مايعملهُ من خير أو شر، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذى خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى «۱».

۶- السابقون إلى الإيمان

من المعلوم أنّ ظهور أىدين جديد يقترن بمخالفة السنن والتقاليد الرائجة فى ذلك المجتمع، وخصوصاً الدين الإسلامى الذى ظهر فى محيط خرافى ملى بأنواع المفاسد والسنن الباطلة الخاطئة.

فمن البديهى أن يكون السبق إلى الإيمان بمثل هذا الدين أمراً عسيراً للغاية ويحتاج إلى شهامة منقطعة النظير، فالسابقون للإيمان يتعرضون عادة لأشد هجمات الجاهلين المتعصبين وبما أنّهم يشكلون الأقلية من المجتمع، لذا فتكون أنفسهم وأموالهم فى خطر دائماً، إضافة إلى ذلك يعتبر هؤلاء القدوة الحسنة والانموذج الأمثل للآخرين وهم الوسيلة والعامل الرئيس فى نشر تعاليم السماء فى الأرض، فمن هنا يكون للسابقين فى الإيمان

---

(۱). تفسير الثقلين، ج ۵، ص ۱۹۷ ح ۴۸؛ اصول الكافى، ج ۲، ص ۷۰ باب الخوف والرجاء ح ۱۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۵

امتياز كبير ودرجة رفيعة وقد وعدهم اللّه تعالى وعداً قاطعاً بدخول الجنّة، كما ورد ذلك فى قوله تعالى «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ* فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ» «۱».

(الواقعة/ ۱۰- ۱۲)

هذا فى حالة تفسير (السابقون) بمعنى السابقين إلى الإيمان، لكن بعض المفسرين فسّروا (السابقون) بمعنى السابقين إلى طاعة اللّه (اطاعة أوامر اللّه) أو السابقين إلى الصلوات الخمس أو الجهاد، أو الهجرة، أو التوبة وأعمال البر، لأنّ السابق إلى الخير إنّما يقتدى به فى الخير وهو شاهد على المراد حتى على هذه الصورة.

وكذا الرجال السابقون المؤثرون المتوكلون على اللّه تعالى لهم الأحقية فى السبق إلى جنات النعيم.

وقيل: (السابقون)- كما جاء فى الروايات الإسلامية- (الإمام على بن أبى طالب عليه السلام) حيث كان أول القوم إسلاماً من الرجال وقيل إنّ السابقين هم (هابيل) و (مؤمن آل فرعون) و (حبيب النجار) و (الإمام على بن أبى طالب عليه السلام) حيث يمثل كل واحد منهم فى عصره مصداقاً واضحاً للقدوة الحسنة فى السبق إلى الإيمان والجهاد وأعمال الخير «۲».

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ أول موهبة جعلها اللّه لهم هى موهبة القرب من اللّه تبارك وتعالى «أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ» والتى تفوق كل النعم العظيمة بما فيها جنات النعيم.

ومن المعلوم أنّ (جنات) تفى بالغرض من دون ذكر (النعيم) الذى هو جمع نعمة، وإنّما ذكرها تعالى للتأكيد، ولإعطائها أهميّة أكبر، من هنا يمكن الإشارة إلى نكتة اخرى وهى أنّ الجنات موضع الرحمة والنعم الإلهيّة فقط وهى على خلاف البساتين الدنيوية التى يلزم إدارتها وصيانتها وحفظها جهود كبيرة إضافة إلى ذلك فإنّها معرضة للآفات والفناء والعدم.

---

(۱). لقد ورد نفس هذا المعنى فى الآية ۲۱ من سورة الحديد وكذا الآية ۱۳۳ من سورة آل عمران.

(۲). للاطلاع على هذه الأحاديث راجع كتاب احقاق الحق، ج ۳، ص ۱۱۴ و ج ۱۵، ص ۳۴۵؛ وتفسير نور الثقلين، ج ۵، ص ۲۰۹، ح ۱۸، ۱۹، ۲۰، ۲۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۶

۷- الهجرة والجهاد

الهجرة بمعنى الابتعاد عن بؤرة الكفر والشرك والظلم والمعاصى، وتكون فى كثير من الموارد السبيل الوحيد لخلاص المؤمنين والصالحين وانقاذهم من معاناتهم، فهم يبتعدون عن أجواء محيطهم الملوث ليعملوا على بناء أنفسهم وإعدادها من أجل تعبئة كافة إمكاناتهم وطاقاتهم للهجوم على أعداء اللّه من كافرين ومشركين وظلمة، ولقد هاجر المسلمون مرّتين فى عصر صدر الإسلام، الهجرة الاولى (هجرة الحبشة) وهى هجرة خاصة حيث هاجرت مجموعة من المسلمين من مكة إلى الحبشة، والهجرة الثانيه (هجرة عامة) من مكة إلى المدينة وتعتبر هذه الهجرة بداية فصل جديد فى تاريخ الإسلام، ومن البديهى أن ترك المنازل والممتلكات والأهل والأقارب والأصدقاء والوطن الذى نشأ فيه المرء وترعرع فيه أمر عسير للغاية، هذا من جهة، ومن جهة اخرى مواجهة المشاكل لغرض الاعداد للجهاد والهجوم على مواطن الكفر والفساد، لذا فإنّ القرآن الكريم وعد المهاجرين بأعظم الدرجات وبشرهم برحمته ورضاه: «وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ».

وقال تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم

بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ». «۱» (التوبة/ ۲۰- ۲۱)

تتحدث الآيتان الكريمتان عن ثلاث صفات (الإيمان، الهجرة، الجهاد) طبعاً أنّ كل واحدة من هذه الصفات ترتبط مع الاخرى برابطة العلة والمعلول فكان إيمانهم هو السبب فى هجرتهم وهجرتهم مقدمة لجهادهم وجعل اللَّه سبحانه وتعالى جزاءهم ثلاثة امور هى (الرحمة الإلهيّة) و (الرضوان) و (جنات النعيم) وبهذا فقد جعل اللَّه سبحانه وتعالى مقابل كل صفة اجراً عظيماً، فالإيمان يستوجب مغفرة الذنوب والهجرة تستوجب جلب الرضوان الإلهى والجهاد بالأموال والأنفس هو السبب فى دخلوهم جنات النعيم.

روى الحاكم أبو القاسم الحسكانى قال: «بينما شيبة والعباس يتفاخران إذ مرّ عليهما

(۱). لقد ورد هذا المعنى فى الآية ۱۰۰ من سورة التوبة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۷

على بن أبى طالب عليه السلام قال: بِمَ تفخران؟ قال العباس: لقد أوتيت من الفضل مالم يؤت أحد، سقاية الحاج، وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام. وقال على عليه السلام: وأنا أقول لكما لقد أوتيت على صغرى ما لم تؤتيا. فقالا: وما أوتيت ياعلى؟ قال: ضربت خرطوميكمابالسيف حتى آمنتما باللَّه تبارك وتعالى ورسوله فنزل جبرائيل عليه السلام بالآية «اجَعلتم سِقايةَ ...»» «۱».

وللمفسرين بحوث كثيرة فى مسألة (كيف اعتبر القرآن درجة الذين هاجروا وجاهدوا أعلى من درجة غير المؤمنين؟ فى حين أنّ (غير المؤمنين) ليس لهم أية درجة أصلًا).

يمكن القول فى جواب قصير إنّ المراد بيان أنّ النسبة بينهما هى نسبة الأفضل إلى من لا فضل له وهذا كثير فى مورد الصفات التفضيلة كقوله تعالى «وَلَعَبدٌ مُّؤمِنٌ خَيرٌ مِّن مُّشرِكٍ». (البقرة/ ۲۲۱)

ويلاحظ أمثال هذا التعبير الكثير فى القرآن والروايات وكلام العرب.

والخلاصة: أنّ نفس عمل سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام عمل حسن من أى شخص كان أمّا إذا كان الفاعل كافراً أو مشركاً فلا قيمة له، حيث إنّ الكفر والشرك يحبطان الأعمال الصالحة.

۸- الصبر والتحمل عند الشدائد

مسألة الاستقامة هى أساس لكل الأعمال الصالحة وركن أساس فى امتثال كل طاعة واجتناب كل معصية.

وعلى هذا الأساس فلا عجب أن تعدّ الاستقامة من العوامل المهمّة فى دخول الجنّة كما ذكر فى ذيل هذه الآية: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً». «۲» (الدهر/ ۱۲)

وعند دخولهم الجنّة تستقبلهم الملائكة بالترحيب، وهذا دليل على عظمة مقام

(۱). شواهد التنزيل لابى القاسم الحسكانى، ذيل الآية مورد البحث ص ۲۴۴ فما بعدها. ولقد ورد نفس المضمون بشىء من الاختلاف فى كتب كثيرة لأهل السنّة راجع إحقاق الحق، ج ۳، ص ۱۲۲ و ۱۲۷.

(۲). لقد ورد نفس هذا المعنى فى سورة الرعد، ۲۱، ۲۴؛ الفرقان، ۷۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۸

الصابرين: «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ». (الرعد/ ۲۴)

ومن المعلوم أنّ الآية التى نحن بصددها هى من آيات سورة الدهر التى نزلت على قول أكثر مفسرى الشيعة والسنة فى حق على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، حيث ضربوا أروع الأمثلة فى الصبر والتحمل حينما تصدقوا بما عندهم من طعام إلى

(المسكين) و (اليتيم) و (الأسير) وبقوا ثلاثة أيّام متتابعة يفطرون بالماء فقط وهذا هو الصبر على الطاعة.

من البديهى: أنّ الصبر والتحمل عند مشاكل ومصاعب الحياة وكذلك الصبر والتحمل على ترك مانهى اللَّه عنه من عوامل الاثارة والذنوب والمعاصى.. يكون مفتاح من مفاتيح الجنّة فيبدل اللَّه تعالى ما لقوه من المشقة والكلفة نعمة وراحة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذه الآية خصت من بين جميع النعم الإلهيّة الألبسة الفاخرة الجميلة ويعود السبب فى ذلك إمّا لأنّ هذه الثلة من الصابرين إضافة إلى ما جادوا به من الطعام للجياع كذلك أنّهم وما وهبوه من الألبسة إليهم واكتفوا بلباس بسيط أو أنّ جمال ظاهر الإنسان بالدرجة الاولى يكمن فى زيه ولباسه كما أنّ لباس (التقوى هو زينة وجمال الباطن.

۹- الإيمان والاستقامة

ركزت بعض الآيات القرآنية على مسألة الاستقامة والثبات على طريق الإيمان واطاعة الأوامر الإلهيّة فقد ورد فى قوله تعالى «انَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* أُولَئِكَ اصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعمَلوُنَ». «۱» (الاحقاف/ ۱۳- ۱۴)

استقاموا مشتقة من مادة (الاستقامة) أى ملازمة الطريق المستقيم والثبات على الطريق الصحيح وبتعبير آخر الابتعاد عن كل زيغ وانحراف والثبات على ماشهد الإنسان به من دين

---

(۱). ولقد ورد نفس هذا المعنى فى الآية ۳۰، ۳۱ من سورة فصلت.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۴۹

الحق، والتفسير ب «الاعتدال» من أربات اللغة إنّما هو من هذا الباب أيضاً.

قال الراغب فى مفرداته: «يقال: الاستقامة: الطريق الذى يقع على خط مستقيم ولهذا يقال للطريق الحق: (الصراط المستقيم) واستقامة الإنسان هى ملازمة الطريق المستقيم» «۱».

إضافة إلى أنّ مفهوم الاستقامة يعنى استواء الطريق كذلك أنّه يعنى المقاومة والثبات، وعلى هذا الأساس فتعبير الاستقامة على النهج الصحيح من عوامل الدخول إلى موضع اللطف والكرامة الإلهيّة (ألا وهى الجنّة) وورد عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام فى تفسير الآية أنّهم قالوا: «استقاموا على ولاية اميرالمؤمنين» والتى تعد الخط المستقم للإسلام الصحيح «۲».

ولو تأملنا فى الآية الكريمة لوجدنا أنّها ذكرت (الإيمان) أولًا (قالوا ربّنا اللَّه) وبعدها عطفت (الاستقامة على الطريق الصحيح) على الإيمان ب «ثم» التى تفيد العطف المباشر لتوحى إلى أنّ عملًا كهذا هو نتيجة مثل ذلك الإيمان، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الإنسان يحزن على امور قد حدثت فى الماضى وأحياناً اخرى يخاف ويقلق من أمور قد تحدث فى المستقبل، يقول القرآن الكريم فى الآية مورد البحث: «فلا خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

ونختتم هذا الموضوع بحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال سفيان الثقفى: قلت: يارسول اللَّه أخبرنى بأمر أعتصمُ به. قال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله: «قل ربّى اللَّه ثم استقم، قال: فقلت: ما أخوف ما تخاف على: فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بلسان نفسه فقال: هذا» «۳».

۱۰- إطاعة اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله

من الأعمال التى توجب دخول الجنّة هى اطاعة اللَّه والرسول صلى الله عليه و آله كما ورد ذلك فى ق. له

---

(۱). مفردات الراغب، مادة (قوم).

(۲). تفسير على بن إبراهيم ج ۲، ص ۲۶۵، ذيل الآيتين ۳۰ و ۳۱ من سورة فصلت واللتين تشبهان الآية أعلاه.

(۳). تفسير الكبير، ج ۱۰، ص ۲۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۰

نفحات القرآن ج۶ ۱۹۹

تعالى «وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذلِكَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ». «۱» (النساء/ ۱۳)

تعبير (جنات) يدلّ على تعددها وأنّ كل واحدة منها أحد مقامات العارفين والصالحين والأطهار.

أمّا تعبير (تجرى من تحتها الأنهار) فدلالة على جمال بساتينها ورونقها ودوام خضرتها لأنّ أنهارها دائمة الجريان.

«خالدين فيها»: إضافة إلى أنّ الآية نفت احتمال فناء وسلب النعمة التى هى عادة من عوامل القلق جاءت الآية بصيغة الجمع وهذه إشارة إلى أنّ أهل الجنّة يتمتعون بنعمة الاجتماع والانس مع بعضهم البعض.

فى حين أنّ الآية التى بعدها والتى تتحدث عن عصيان اللَّه ورسوله جاءت بصيغة المفرد (خالداً) وهذه إشارة إلى أنّهم (أهل النّار) يتعذبون بالوحدة والعزلة وكأنّ كل واحد منهم سجين فى زنزانة انفرادية فى نار جهنّم.

۱۱- الاخلاص

خلوص العقيدة، وخلوص العمل، وخلوص النية، من موجبات دخول الجنّة، قال تعالى «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَاكُنْتُم تَعْمَلُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ* أُولئِكَ لَهُم رِزْقٌ مَّعْلُومٌ* فَوَاكِهُ وَهُمْ مُّكرَمُونَ* فِى جَنَّاتِ النَّعِيم». (الصافات/ ۳۹- ۴۳)

فبعد أن أشارت هذه الآيات إلى عذاب أهل النّار استثنت المخلصين وقالت إنّهم فى معزل من كل هذا العذاب.

من هنا يجب أن نعرف من هم (المخلَصين) (بفتح اللام)؟ إذا تأملنا فى الآيات القرآنية فسوف ندرك جيداً أنّ (المخلِص) بكسر اللام يعنى الشخص الذى أخلص نفسه وأعماله

---

(۱). نفس هذا المعنى ورد فى الآية ۱۷ من سورة الفتح.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۱

ونيّته، وغالباً ما يستعمل هذا فى مراحل بناء الإنسان لنفسه، فى حين أنّ (مخلَص) (بفتح اللام) يطلق على الذين بلغوا الدرجات العلى من الإيمان والمعرفة والعمل، فهؤلاء خارجون عن وساوس الشيطان وأحابيله، فلا سلطان للشيطان عليهم، قال تعالى «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ اجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ الْمُخلَصِينَ». (ص/ ۸۲- ۸۳)

وفى الحقيقة أنّ أدران وجود الإنسان على قسمين: الأول يمكن تشخيصه وعلاجه، والثانى لا يمكن ازالته وعلاجه إمّا لكونه مخفى عن الإنسان أو أنّه ظاهر وجلى ولكن لا قدرة له على ازالته، فعندما يضع الإنسان قدمه فى طريق الإخلاص ويعمل على تخليص نفسه من أدران القسم الأول والتى تقع ضمن استطاعته وقدرته فإنّ اللَّه سبحانه وتعالى يخلصه ويزكيه بلطفه وكرمه من أدران القسم الثانى وحينئذٍ يليق لمقام ال «مُخلَص».

والعجيب أنّ اللَّه سبحانه وتعالى وهب لهذه المجموعة من المواهب والعطايا ما لم يَهَب غيرهم، ومن جملتها الرزق المعلوم وهو رزق خاص لا يشبه رزق غيرهم فهؤلاء يتلذذون بلذة القرب من الذات الإلهيّة المقدّسة فاللَّه تعالى أخلصهم لنفسه فلا يشاركه فيهم أحد حيث إنّ قلوبهم لم تتعلق بشى غيره تعالى فليس فيها إلّااللَّه سبحانه، ولقد أشار تعالى إلى ذلك فى قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ»، ومن خواصهم كذلك بلوغهم مقاماً سامياً من العرفان فعباد اللَّه المخلصين يصفونه تعالى وصفا يليق به أو بما يلقب به من الأوصاف،

لا كما يصفه الكفّار أو المشركون، قال تعالى «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ». (الصافات/ ۱۵۹- ۱۶۰)

وبهذا فإنّ معرفتهم باللّه أعلى المعارف وأليقها، وصيانتهم من الشيطان وهوى النفس أشد وجزاؤهم يوم القيامة أجزل وأوفر وهذا هو جزاء المخلَصين.. (اللهم اجعلنا من المخلَصين بحق محمد وآله الطاهرين).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۲

۱۲- الصدق

قلما نجد فى أعمال الإنسان مثل جمال وجاذبية (الصدق والواقعية)، ويتبيّن من الآيات والروايات أنّ وزن الصدق ثقيل جدّاً فى ميزان الأعمال، وذلك لأنّه يعد من أسمى أوصاف أولياء اللّه وهو أحد مفاتيح الجنّة كما صرح بذلك القرآن الكريم: «هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ ابَداً». «۱» (المائدة/ ۱۱۹)

ومن الواضح أنّ المراد بالصدق فى هذه الدنيا هو الصدق فى العقيدة والقول والفعل وكل صفة من هذه الصفات هى علامة من علامات (التقوى عند الإنسان فى هذه الدنيا وإلّا فلا محل للصدق فى الآخرة حيث لايُكذب هناك.

إضافة إلى هذا فإنّ الأوضاع يوم القيامة لا مجال فيها إلّاللصدق، وحتى المذنبون فإنّهم إن عمدوا إلى انكار الحقائق مؤقتاً فسُرعان ما يدركون بأنّ لا جدوى من الانكار وبالتالى يعترفون بجميع ذنوبهم.

ويمكن أن نستفيد من هذا التعبير ضمناً أنّ جميع الأعمال الصالحة تنحصر فى الصدق، ويتضح التحليل المنطقى لذلك بشىء من التأمل حيث إنّ جميع الذنوب إنّما هى ناشئة من عدم الصدق فى ادّعاء الإيمان والإسلام، فالشخص الذى يعترف ويقر بقانون كيف يسمح لنفسه بمخالفته؟

وتتّضح أهميّة الصدق من هذه الناحية وهى أنّ اللّه سبحانه وتعالى جعله الوسيلة لكشف حقائق الناس، كما ورد ذلك فى حديث عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله قال: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحج والمعروف، وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث، وأداء الأمانة» «۲»، وقال صلى الله عليه و آله فى حديث آخر: «إنّ الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنّة» «۳».

إذن فالصدق مفتاح من مفاتيح الجنّة.

---

(۱) فى هذه الآية يكون «هذا» مبتدأ و «يوم» خبر وجملة «ينفع ...» مضافة إلى «يوم».

(۲) بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۹، ح ۱۳.

(۳) المحجة البيضاء، ج ۸، ص ۱۴۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۳

۱۳- تزكية النفس

ممّا لا شك فيه أنّ الجنّة هى محل الصالحين والأخيار، ولقد ذكر القرآن ذلك صراحة كجزاء لمثل هؤلاء الأشخاص ورد فى قوله تعالى، عن لسان سحرة فرعون بعد غلبة معجزة موسى وإيمان وتسليم السحرة بما جاء به والتمرد على فرعون فقالت: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَاولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدنٍ تَجرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى . (طه/ ۷۵- ۷۶)

«تزكى : مشتقة من مادة (تزكية) وتشمل تزكية العقيدة وكذلك تزكية الأقوال والأفعال أيضاً.

وفى الحقيقة أنّ الجنّة محل مطهر من جميع القذارات والأدران، ومن الطبيعى أنّ هذا المحل لا يصلح إلّاللأخيار الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

وقد قال بعض المفسرين: إنّ (الدرجات العلى جعلها اللَّه لمن كان له إيمان وعمل صالح وتزكية نفس.

وعلى هذا الأساس لا يتنافى أن تكون الدرجات الأقل للمؤمنين الذين خلطوا أعمالًا صالحة بأخرى سيئة، أو حتى الذين ارتكبوا أحياناً المنكرات.

ولكن هؤلاء لن يستطيعوا دخول الجنّة التى هى محل القدس والطهارة ما لم يتطهروا من هذه الذنوب، وهناك احتمال آخر وهو أنّ هذه الآيات لم تكن عن لسان سحرة فرعون وإنّما هى كلام اللَّه المباشر، ولكن ومهما كان تفسير الآية فإنّ المعنى واحد.

۱۴- الانفاق والاستغفار

الاستغفار من الذنوب والتوبة والانفاق فى السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو والصفح عن الناس وعدم الإصرار على الذنب مجموعة من الصفات تعرضت لها بعض الآيات من القرآن الكريم ووعدت فى مقابل ذلك الجنّة، قال تعالى «وَسَارِعُوا إِلَى مَغفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُم

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۴

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمواتُ وَالْأَرْضُ اعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»، وهذه الآية كالتوطئة لذكر ما يذكره تعالى بعد من أوصاف المتقين ثم شرع ببيان هذه الأوصاف وقال: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمحْسِنِينَ* وَالَّذِينَ اذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا انفُسَهُم ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم»، ووعدهم فى نهاية الآية المغفرة والجنّة: «اولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحتِهَا الْأَنهارُ ...».

(آل عمران/ ۱۳۳- ۱۳۶)

«المسارعة»: هى الاشتداد فى السرعة وهى ممدوحة فى الخيرات ومذمومة فى الشرور، والمسابقة إلى المغفرة هى إشارة إلى السبق إلى أسباب المغفرة، لذا فسرها البعض بالإسلام وقيل أداء الفرائض وقيل الهجرة وقيل الصلوات الخمس وقيل الجهاد وقيل التوبة والتى تعد كل واحدة منها من عوامل المغفرة الإلهيّة، وتشكل هذه الأوصاف موجبات السبق إلى الجنّة والفوز بها، ولقد أشارت الآيات بعدها إلى مسألة الانفاق والاستغفار والعفو والصفح والاحسان وكل هذه الامور من الأسباب المهمّة للمغفرة ودخول الجنّة.

ولقد ورد نفس هذا المعنى فى قوله تعالى بشىء من الاختلاف حيث حَلَّ تعبير (سابقوا) محل (سارعوا) قال تعالى «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». (الحديد/ ۲۱)

ومنالبديهى أن (سارعوا) من باب (مفاعلة) وتأتى بمعنى التسابق والنتيجة واحدة (تأمل).

ولكن بعض المفسرين فسروا (سارعوا) بمعنى المبادرة أو الاشتداد فى السرعة ولم يروها من باب (مفاعلة).

على أيّة حال، فإنّ هذه التعابير تدلل على أنّ الدنيا ساحة تسابق، والهدف النهائى من هذه المسابقة هو الوصول إلى المغفرة والفوز بالجنّة وبهذه السعة التى وصفتها الآية الكريمة، وسوف نتكلم حول (سعة الجنّة) فى نهاية هذا الجزء إن شاء اللَّه.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۵

۱۵- الخوف من اللَّه

الخوف من اللَّه تبارك وتعالى يعنى الخوف من عدالته وحسابه وكتابه وعقابه درع حصين أمام الذنوب والمعاصى وعامل فعال فى مواجهة الظلم والفساد والعصيان ولهذا السبب يعتبر الخوف مفتاحاً من مفاتيح الجنّة كما قال تعالى «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ».

(الرحمن/ ۴۶)

ولقد ذكر المفسرون فى تفسير (مقام ربّه) احتمالين:

الأول: الاحاطة العلمية للرب تعالى بجميع أعمال الإنسان ونواياه.

الثانى: مقامه بين يدى ربّه للحساب (حيث يوجد مقدَّر فى هذه الصورة والتقدير هو:

«مقامه بين يدى ربّه» «۱».

ومهما كان التفسير فإنّ الخوف من اللَّه هو الوازع من كل معصية وخطيئة كما ورد ذلك فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من علم أنّ اللَّه يراه ويسمع ما يقول من خير أو من شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فله جنتان» «۲».

ولقد قيل فى تفسير (جنتان) آراء عديدة:

۱- المقصود الجنّة (المادية) و (المعنوية) كما ورد ذلك فى قوله تعالى: «جَنَّاتٌ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ ... وَرِضوانٌ مِّنَ اللَّهِ»، فالاولى هى البساتين التى تجرى من تحتها الأنهار والثانية رضا المعبود والمحبوب الحقيقى أى اللَّه تعالى

۲- وقيل الجنّة الاولى للإيمان والثانية للعمل.

۳- وقيل جنّة لفعل الطاعات وجنّة لترك المعاصى.

۴- وقيل جنّة جزاء للعمل وجنّة تفضل من اللَّه.

وهذه الأقوال- كما ترى لا دليل على شى منها، ويمكن أن يكون التعبير الأول هو الأنسب، واعتبار جميع الآراء ممكن أيضاً.

---

(۱) ورد كلا الاحتمالين فى تفسير مجمع البيان، و تفسير الميزان.

(۲) تفسير مجمع البيان، ج ۹ و ۱۰، ص ۲۰۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۶

۱۶- التولى والتبرؤ

أى محبّة أولياء اللَّه ومعاداة أعداء اللَّه، وبتعبير آخر التودد للصالحين والأخيار، والتبغض للكفار والأشرار، والقرآن الكريم اعتبر التولى والتبرؤ مفتاح الجنّة كما جاء ذلك فى قوله تعالى «لَّاتَجِدُ قُوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَآءَهُم أو أَبْنَاءَهُم أو إِخْوانَهُم أو عَشِيرَتَهُم». (المجادلة/ ۲۲)

ثم قال تعالى «أُولَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بروُحٍ مِّنهُ وَيُدْخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجرى مِن تَحتِهَا الْأَنْهَارُ». (المجادلة/ ۲۲)

وكما أشار تعالى فى ذيل الآية الكريمة إلى أجرهم المعنوى بقوله: «رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ»، وفى النهاية أعطاهم اللَّه تاج الفخر والشرف ونعتهم بأنهم حزب اللَّه: «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ» ومن الواضح أن لا تجتمع محبتان فى قلب واحد فإمّا محبة اللَّه أو محبّة أعدائه، وعلى هذا الأساس فإنّ أقوى الأواصر وأمتنها هى تلك المبنية على أساس محبّة اللَّه ومحبّة أوليائه، أمّا ما سواها فهى علاقات زائفة لا معنى لها.. (فيبيّن تعالى أنّ بين الإيمان وموادة أهل المحادة تضاد فلا يجتمعان لذلك).

إنّ هذه الموادة ليست هى علاقة فحسب بل هى برنامج عمل متكامل فى كافة المجالات والأصعدة، أى‌هى حرب ضد ظلم الظالمين وفساد المفسدين وجرم المجرمين وهؤلاء هم المخلصون فى إيمانهم، وقوله تعالى «أُولَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيْمَانِ» يحمل معنى عميقاً، فالكتابة جرت بيد القدرة الإلهيّة وعلى صفحة القلب وهى بمعنى ثبات ورسوخ حقيقة الإيمان فى قلوبهم بحيث لا تتغير ولا تزول أبداً، أجل فمثل هؤلاء الأفراد المؤيدين بروح القدس أيضاً هم الجديرون بحمل اسم (حزب اللَّه) الذى هو مظهر من مظاهر التولى والتبرؤ.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۷

۱۷- الاهتمام بالصلاة

اشارة

ذكرت الآيات ۲۲- ۳۴ من سورة المعارج تسع صفات من صفات أهل الجنّة وعلى أثر هذه الصفات يعدهم اللَّه تعالى بالجنّة، وهذه الصفات هى: المحافظة على الصلاة، وتعيين حق ثابت فى أموالهم للمحرومين، والإيمان بيوم الجزاء، والخوف من عذاب اللَّه، والمحافظة على الفروج، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والقيام بالشهادة، والمحافظة على آداب وشرائط وروح الصلاة، وبعد ذكر هذه الصفات قال تعالى «أُولَئِكَ فِى جَنَّاتٍ مُّكرَمُونَ». (المعارج/ ۳۵)

وهذا التعبير تعبير واحد لجميع النعم الجسمانية والروحانية.

ومن الطريف أنّ هذه الصفات التسع ابتدأت بالصلاة واختتمت بالصلاة أيضاً مع هذا الاختلاف، وهو أنّها ابتدأت بالاستمرار على الصلاة وانتهت بالمحافظة عليها أى‌حفظ آدابها وشرائطها وخصوصياتها، تلك الآداب والشرائط تحفظ مظهر الصلاة من الفساد والبطلان وكذلك تقوّى روح الصلاة التى تتمثل بحضور القلب وازالة موانع قبولها كأكل السحت، وشرب الخمور، والغيبة، وأمثال ذلك.

إذن فالآية تدلل على أنّ أعمال الخير كلها تبدأ بالصلاة وتنتهى بالصلاة أيضاً، ومن الناحية العملية أنّ أول ما يجب على الإنسان البالغ، الصلاة وآخر ما يلازمه حتى نهاية عمره، الصلاة أيضاً، اللطيف هو أنّ للمحافظة على الصلاة طرفين: الأول: وجوب المحافظه عليها من الفساد والخلل، والثانى: أنّ الصلاة تحفظ الإنسان من الفحشاء والمنكر «إِنَّ الصَّلاةَ تَنهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ»، ونختم هذا البحث بحديث عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله إذ قال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة» «۱».

---

(۱) تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۱۶۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۸

الخلاصة:

إنّ كل ما أشرنا إليه فى الفقرات الماضية يمثل جانباً مهماً من أسباب دخول موضع الرحمة وهذه الامور تعكس النظرية الإسلامية فى مجال توفير أسباب النجاة والسعادة الأبدية، ومن جهة اخرى تمثل الدافع القوى، للتزود بالأعمال الصالحة الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية، وبلا شك أنّ استلهام هذه المفاهيم له أكبر الأثر فى ايصال الإنسان إلى أوج التكامل والتربية والافتخار.

إلهى وفقنا لطاعتك ولا تحرمنا من مفاتيح أبواب جنانك

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۵۹

۲- النعم المادية فى الجنّة

تمهيد:

اشارة

لقد اتّضح فى بحث المعاد الجسمانى أنّ المعاد فى التصور القرآنى له بعد جسمانى وبعد روحانى أيضاً، حيث إنّ الإنسان فى تلك

العرصات يحضر بجسمه وروحه، وأنّ المواهب والعطايا الإلهيّة تشمل الاثنين معاً، فالذين يعتقدون أنّ النعم فى الجنّة كلها نعم معنوية وروحية وأنّ الآيات التى تتحدث عن هذه النعم المادية إنّما هى تعبر بلغة الكناية فإنّ هؤلاء قد غفلوا عن هذه الحقيقة وهى أنّهم وبحصرهم النعم هناك بالنعم الروحية فانّهم ينفون المعاد الجسمانى وهذا خلاف صريح للآيات القرآنية التى تؤكد على وجود هذه النعم، وكما ذكرنا فى بحث المعاد الجسمانى فإنّ الجسم والروح توأمان مرتبطان معا ولا يمكن أن يبلغا التكامل بمعزل عن أحدهما الآخر، إضافة إلى هذا أنّه لايمكن للروح أن تلتذ بالمواهب والعطايا الإلهيّة بمعزل عن الجسم.

على أيّة حال، فالنعم الجسمانية فى الجنّة كالنعم الروحية متنوعة وواسعة للغاية وجاذبة للنفس، ولقد أكد على ذلك القرآن كثيراً لكى يلفت انتباه الناس إلى الأعمال والصفات والفضائل التى توجب هذه المواهب (ومن المعلوم أنّ الإنسان يفكر بالنعم المادية قبل الروحية) وفى نفس الوقت فتح اللَّه سبحانه فصلًا مهماً لبيان النعم المعنوية واللذات الروحية (وسنتطرق إلى هذا فى الفصل اللاحق).

وإذا لم تكن النعم الروحية من ناحية شمولية البيان بمقدار النعم المادية لكنّها أكثر بكثير من النعم المادية من الناحية الكيفية، وسنستعرض أدناه جملة من المواهب والنعم المادية الموجودة فى الجنّة تحت هذه العناوين:

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۰

۱- حدائق الجنان

۲- الظل الظليل.

۳- قصور أهل الجنة.

۴- الفرش والأرائك.

۵- الأغذية والأوانى.

۶- الشراب الطهور.

۷- أفضل شراب أهل الجنّة.

۸- الأكواب والصحاف والأوانى والكؤوس (الأقداح).

۹- ألبسة الجنة.

۱۰- حلى الجنّة.

۱۱- الحور العين.

۱۲- الخدم والسقاة.

۱۳- المضيفون.

۱۴- النُزُل.

۱۵- النعم التى لا تتصور.

ولقد وردت فى كل من هذه المواضيع آيات متعددة فى القرآن الكريم وسوف نستعرض هذه المواضيع على ضوء تلك الآيات.

۱- حدائق الجنان

يتبيّن على ضوء الآيات الواردة فى هذا المجال أنّ الجنّة هى مجموعة حدائق وبساتين لا مثيل لها ولا نظير فى هذه الدنيا وكل ما رسمه لنا القرآن الكريم لا يمثل إلّاصورة تقريبية كى يتمكن ساكنو هذه الدنيا من إدراك هذه المعانى، وإلّا فإنّ حقيقة الجنّة هىما وراء إدراكنا، لقد ذكر القرآن أكثر من مائة آية حول الجنّة وبتعابير مختلفة مثل (جنات) أو (جنّة)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۱

أو (جنتان)، فنقرأ قوله تعالى: «وَمَن يُطِعِ اللَّه وَرَسُولَهُ يُدخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجرى مِن تَحتِهَا الأنهَارُ». (النساء/ ۱۳)

وفى قوله تعالى: «واللَّهُ يَدْعُوَا إِلَى الْجَنَّةِ وَالمَغْفِرةِ بِاذنِهِ». (البقرة/ ۲۲۱)

وفى قوله تعالى: «وَلِمَن خَافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ». (الرحمن/ ۴۶)

فهـذه الكلمات (جنات، جنتان، جنة) مشـتقة من مادة (جنّ) على وزن (فَنّ) وهو الستر والتستر، ويقول الراغب فى مفرداته ستر شـىمن الحس، وعلى هذا الأساس له مشتقات كثيرة.

«والجنّة»: بمعنى البسـتان وذلـك لأنّ أرضـها مسـتورة بأغصان الأشـجار ولكن صاحب كتاب مقاييس اللغـة يقول: الجنّة مايصـير إليه المسلمون فى الآخرة وهو ثواب مستور عنهم اليوم، ولكن نحن نستبعد هذا المعنى وذلك لأنّ بساتين الدنيا يقال لها أيضاً جنّة وهذا لا يكون إلّالسبب ستر أرضها بواسطة أغصانها، (تأمل).

و «الجنين»: الولد فى بطن امّه، والجَنان: القلب لأنّه مسـتور فى الصدر والمِجَن: الترسُ، وكل ما استتر به من السلاح فهو جنة (على قول صـاحب مقـاييس اللغـة) و (الجِن) و (الجان) يطلق على الموجودات الحيّـة المسـتورة عن أعين الخلق، وكـذلك على الثعابين العظيمة تشبيهـا لها ب «الجن» (الـذى هو موجود خطر خفى)، ويطلق على عظام الصـدر- جناجن- ولعل السـبب فى هـذه التسـمية كونها درعا لحفظ القلب.

«جنون»: بمعنى ذهاب العقل واصل الجنون هو الستر، جنون الليل: سواده وستره للاشياء، على أيّة حال فإنّ المهم فى هذا الموضوع هو أنّ بساتين الجنّة كثيفة الأشجار إلى درجة سترت أرضها بأغصانها المتدلية.

ولقد وردت فى عشـرات الآيات بعد ذكر (جنات) جملة (تجرى من تحتها الأنهار) وهذا يدل على أنّ الماء يجرى دائماً تحت الأشجار وبتعبير آخر أنّ أغصان أشجارها تظل على المياه التى تجرى تحتها، فيكون الماء تحتها (تأمل جيداً)، وهذا يعود إلى

أولًا: أنّ الماء والشـجر يشـكلان مع بعضـهما البعض منظراً جميلًا فى منتهى الروعة والجمال، وكأنّ كل واحدٍ منهما ناقص ويحتاج إلى اكمال من الآخر.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۲

وثانيـاً: أنّ الأنهـار تؤَمّن طراوة دائميـة للأشـجار، فالتى تجرى من تحتها المياه تكون خضـراء زاهيـة، إمّا الأشـجار التى لا تتوفر لها مياه دائمـة أو يؤتى به من الخـارج فلاـ تتمتع بمثـل هـذه الطراوة والاخضـرار، فالمـاء هو أسـاس حياة النباتات ولابـدّ من توفر هـذا العنصـر الأساس للحياة بجانبها دائماً، وجاء فى احدى الروايات: «إنّ أنهار الجنّة ليست فى اخاديد إنّما تجرى على سطح الجنّة منضبطة بالقدرة حيث شاء أهلها» «۱»! والأعجب من هذا أنّه ليس فقط الأشـجار تجرى من تحتها الأنهار بل- وكما جاء فى بعض الآيات- إنّ (الغرف) بنيت على الأنهـار أيضـاً فالأنهـار تجرى من تحتهـا كمـا ورد فى قـوله تعـالى «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الجَنَّةِ غُرَفاً تَجرِى مِن تَحتِهَا الأنهَارُ». «۲» (العنكبوت/ ۵۸)

۲- ظلال الجنّة

لقد أشارت آيات عديدة إلى ظلال الجنّة ومن جملتها: «وَاصـحَابُ اليَمِينِ مَااصحَابُ اليَمِينِ* فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ* وَظِلٍّ مَّمدُودٍ* وَمآءٍ مَّسكُوبٍ».

(الواقعة/ ۲۷- ۳۱)

من المعلوم أنّ ظلال الأغصان هى أجمل وأروع من أىظلال، فظلال الأشجار ليست كمثل ظلال الخيام والغرف المظلمة الفاقدة للتهويـة، حيث تعمل الرطوبـة الملائمـة للأوراق على تلطيف الظل ويضـيف لها عطر الأشـجار وتفتـح الأزهار جمالًا آخر إلى جمالها، وظلال الجنّة ظلال دائمة لذا فلا تختل سكينة الإنسان وراحة باله أبداً: «اكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا». (الرعد/ ۳۵)

وعبر عنه أحياناً ب (ظل ظليل)، قال تعالى «وَنُدخِلُهُم ظِلّاً ظَليلًا» «۳». (النساء/ ۵۷)

---

(۱). تفسير القرطبى، ج ۱، ص ۲۴۰.

(۲). ورد نفس هذا المضمون فى الآية ۲۰ الزمر أيضاً.

(۳). «الظل الظليل» كناية عن الظل الكامل والدائم والعالى، ولقد أشارت آيات عديدة إلى مسألة الظل فى سورة الرعد، ۳۵؛ يس، ۵۶؛ المرسلات، ۴۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۳

اتّضح من خلال ما مرّ: أنّ أجواء الجنّة لا مثيل لها ولا نظير فهى فى منتهى اللطافة والجمال والاعتدال، كما نقرأ ذلك فى قوله تعالى «لايروْنَ فِيهَا شَمساً وَلَا زَمهَريراً». «۱» «۲» (الإنسان/ ۱۳)

أى أنّهم لا يرون شمساً يتأذون بحرها ولا زمهريراً يتأذون ببرده.

۳- قصور أهل الجنّة

لقد أشارت آيات عديدة من القرآن إلى مساكن أهل الجنّة وبتعابير مختلفة، قال تعالى

«ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ». (التوبة/ ۷۲)

ولقد ورد نفس هذا التعبير فى سورة الصف الآية ۱۲.

«طيبة»: لها معنى واسع جدّاً يشمل جميع المزايا، ومعناها فى الأصل: الشىء الذى ترتضيه النفس الإنسانية ويبعث عند الإنسان (طيب النفس)، أو أنّ السكن فيها مطهر وصالح فى كل الأحوال، وهذه الكلمة جمعت كل خواص السكن الجيد، وقد عبرت سورة الفرقان عن المساكن بتعبير (غرفة) وتعنى: البناء فوق البناء.

قال تعالى: «أُولئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرفَةَ بِمَا صَبَرُوا». (الفرقان/ ۷۵)

«غرفة»: من مادة (غَرف) على وزن (فعل): وتأتى بمعنى رفع شى وتناوله، ويقال (غرفة) للشىء الذى يرفع ويتناول، ثم اطلق ذلك على القسم العلوى للبناء (الغرفة كما قيل:

البناء فوق البناء فهو الدرجة العالية من البيت وهى كناية عن الدرجة العالية فى الجنّة).

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الغرف تتمتع بعدة خصائص فأجواؤها ألطف وأجمل الأجواء ومناظرها أحسن المناظر، ومحلها يؤمن أفضل سكن لساكنيها، وماتعبير «غرفة» إلّا إشارة إلى هذه الخيرات، ولذا نقرأ فى قوله تعالى «وَهُم فِى الغُرُفاتِ آمِنُونَ». (سبأ/ ۳۷)

---

(۱). «زمهرير» مشتقة من مادة «زمهر» بمعنى شدة البرد أو شدة الغضب والمراد هنا المعنى الأول.

(۲). ورد نفس المعنى فى سورة الواقعة، ۳۰؛ ويس، ۵۶؛ والمرسلات، ۴۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۴

وهناك تعبير آخر فى هذا المجال قال تعالى «لَهُم غُرَفٌ مِّن فَوقِهَا غُرَفٌ مَّبنِيَّةٌ تَجرى مِن تَحتِهَاالْأَنْهَارُ». (الزمر/ ۲۰)

وعندما أشار إلى محل إقامة أهل الجنّة قال تعالى: «انَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ امِينٍ* فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ». (الدخان/ ۵۱- ۵۲)

ومن هنا يجب الإشارة إلى هاتين النكتتين:

۱- لقد أشارت بعض الآيات الكريمة (مثل الآية ۱۲ من سورة الصف) من بين جميع النعم فى الجنّة إلى (المساكن الطيبة) ويعود فى ذلك إلى أنّ (السكن) يعتبر أحد أهم عوامل راحة الإنسان وسكينته، وهذا المسكن هو مسكن طاهر ومطهر من جميع القذارات

الظاهرية والباطنية فهو يُؤمن كل أسباب الأمن والأمان والاستقرار وراحة البال للإنسان، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ (السكن) أخذ من مادة (سكون) وتعنى الهدوء.

۲- لقد ذكر القرآن الكريم عدة امور واعتبرها من موجبات السكينة والاطمئنان وهى:

۱- البيوت السكنية المناسبة سواء فى الدنيا أو فى الآخرة: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً». (النحل/ ۸۰)

۲- الازواج الصالحة: «وَمِن آيَاتِهِ ان خَلَقَ لَكُم مِّن انفُسِكُم أَزوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيهَا».

(الروم/ ۲۱)

۳- الليل من موجبات السكينة والهدوء: «وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً». (الانعام/ ۹۶)

۴- دعاء الرسول صلى الله عليه و آله للذين يؤتون الزكاة: «انَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُم». «۱» (التوبة/ ۱۰۳)

۵- السكينة الناتجة عن الإيمان: «هُوَ الَّذِى انزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ المُؤمِنِينَ». (الفتح/ ۴)

ولا شك أنّ لبعض هذه الامور بعداً مادياً، وللآخر بعداً معنوياً.

---

(۱). ميزان الحكمة، ج ۲، ص ۱۵۹۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۵

۴- الفرش والأرائک

من النعم الإلهيّة الاخرى فى الجنّة الفرش والأرائك المختلفة وهى فى منتهى الروعة والجمال والجذابية.

قال تعالى «مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ». (الرحمن/ ۵۴)

ومن الطريف أنّ بطانة هذه الفرش من أفخر الأقمشة فى الدنيا أمّا ظاهرها فهو من اللطافة والجمال والقيمة بحيث يعجز عنها الوصف، وعلى قول بعض المفسرين هى من الامور التى يقول القرآن بصددها: «فَلَا تَعلَمُ نَفسٌ مَّا اخفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ اعيُنٍ». (السجدة/ ۱۷)

ولقد ورد حديث عن الرسول صلى الله عليه و آله قال: «ظواهرها نور يتلألأ» «۱».

وفى سورة الغاشية نجد تعبيراً آخر ضمن توصيف النعم المختلفة فى الجنّة: «وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ». (الغاشية/ ۱۶)

«زرابىّ»: جمع (زَرْبِيّة) على وزن (شَرْقية) وهى على قول بعض أرباب اللغة مشتقة فى الأصل من الكلمة الفارسية «زربفت» وهو القماش الذى يستعمل فى نسيجه الذهب بدلًا من القطن والصوف، وتأتى أحياناً بمعنى القماش الغالى الثمن «۲» (البسط الفاخرة)، وقال بعض أرباب اللغة والمفسرين أنّ (زِربى) جمع ازربى بكسر الزاء و (زربية) فى الأصل بمعنى أنواع النباتات التى اختلطت فيها الألوان الصفراء والحمراء الخضراء، ولهذا السبب يطلق على الفرش التى تحمل ألواناً زاهية متنوعة، «۳» وقد وصفت هذه الفرش ب (مبثوثة)، وهى (المبسوطة المنشورة أو المفرقة فى المجالس).

ونجد فى نفس هذه السورة فى الآية السابقة عبارةاخرى تصف الوسائد وتقول:

«وَنَمارِقُ مصفُوفةٌ».

---

(۱). تفسير القرطبى، ج ۹، ص ۶۳۴۹.

(۲). التحقيق فى كلمات القرآن الكريم مادة (زرب).

(۳). تفسير المراغى، ج ۳۰، ص ۱۳۳ قاموس اللغة مادة (زرب).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۶

«نمارق»: جمع (نُمرقة) على وزن (غُلْغُلة) ويقول صاحب (صحاح اللغة) هى وسائد صغيرة يُتكأ عليها (وقد توضع أثناء الاستراحة والجلوس على الرجلين ويُتكأ عليها).

وفى سورة الرحمن نجد تعبيراً آخر فيما يتعلق بالفُرش فى الجنّة قال تعالى «مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ». (الرحمن/ ۷۶)

«رفرف»: على قول الراغب فى المفردات الأوراق والمناشف، ثم اطلق على الأقمشة الزاهية الألوان، وقال بعض أرباب اللغة أنّ الرفرف: بمعنى أطراف الخيمة التى تهتز بحركة الريح، ورفرفة: بسط جناحى الطائر «۱» (تحريك الطائر جناحيه).

وقيل: ثياب خضر تبسط على السرير، ويوجد هذا الاحتمال أيضاً وهو البساتين التى ترف من نضارتها، لأنّ رفرف تعنى كسر الخباء ونحوه حيث تتحرك حين هبوب الريح، ويقول أبو الفتوح الرازى فى تفسير (الرفرف): المروج الخضراء.

أمّا «عبقرىّ»: فهو مشتق من «عَبْقر» (على وزن جعفر) ويقول (صحاح اللغة) و (المفردات): موضع كانت العرب تزعم أنّه كثير الجن ثم اطلق على كل ما يتعجب من كماله وقوته وحذقه، ويطلق على كل شخص عالم ماهر عبقرى، وجمعه عباقرة «۲».

على أيّة حال، فإنّه يطلق على الأشخاص الذين ليس فوقهم شىء وعلى الأشياء الفاخرة النفيسة، وفى الآية هو وصف للاقمشة الفاخرة وقيل هو الديباج، وقيل البسط.

وقيل: (عبقر) اسم مدينة مشهورة بحياكة أحسن أنواع الأقمشة «۳».

أمّا فيما يتعلق بالسُرُر التى يجلس عليها أصحاب الجنّة وقد عبّر ب (السرر) جمع (سرير) كما فى قوله تعالى: «عَلَى سُرُرٍ مَّوضُونَةٍ* مُّتَّكِئِينَ عَلَيهَا مُتَقابِلِينَ». (الواقعة/ ۱۵- ۱۶)

ولقد تكرر هذا التعبير فى خمسة مواضع من القرآن الكريم، فقد وصف هذه السرر فى

---

(۱). مقاييس اللغة.

(۲). اعترض بعض أرباب اللغة وبعض المفسرين على هذا الجمع وذلك لأنّه منسوب إلى شىء لا يجمع إلّافى حالة مجى الكلمة على صيغة الجمع كأن يقال (عباقر) ثم تنسب (عباقرى) ومن المعلوم أنّ الجمع بين النسبة وصيغة الجمع غير وارد عند الادباء.

(۳). تفسير روح الجنان، ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۷

الآية السالفة ب (موضونة) وهى مشتقة من مادة (وَضْن) على وزن (وَزْن) وفى الأصل بمعنى (النسج) واطلاقه على نسج السرر استعارة يراد بها إحكام نسجه.

ومن هنا يمكن أن يكون هذا المعنى إشارة إلى أنّ الأسرّة منسوجة بنسج خاص من اللؤلؤ والياقوت والجواهر أو منسوجة من خيوط الذهب والفضة (أو منسوجة بقضبان الذهب مشبكة الدرر والجواهر) أو لأنّها مرتبة بترتيب خاص، على اختلاف آراء المفسرين، وقد وصفت فى آيات اخرى ب «مصفوفة» مثل: «مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصفُوفَةٍ».

(الطور/ ۲۰)

وقال فى آيات اخرى «مرفوعة»: «فِيهَا سُرُرٌ مَّرفُوعَةٌ». (الغاشية/ ۱۳)

فلقد أشارت الآية الاولى إلى ترتيبها وتقاربها، والثانية إلى علوها وارتفاعها.

ويشير ارتفاع سُرُر أهل الجنّة إلى علو مكانتهم وطهارتهم وقربهم أو أنّهم يشرفون من فوقها على مناظر الجنّة المحيطة بهم من كل جانب.

على أيّة حال، فإنّ هذه السرر تكون بهيئة مجاميع حتى يبلغ أصحابها أنسهم وحسن عشرتهم وصفاء باطنهم، كما جاء ذلك فى موضعين من القرآن حيث ورد تعبير: «على سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ». (الحجر/ ۴۷) (الصافات/ ۴۴)

أى (يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض ولا يرى بعضهم قفا بعض).

والجدير بالذكر هو أنّ (سُرُراً) جمع (سرير) من مادة (سُرور) وكأن الجلوس على الأسرة عموماً وعلى أسرة الجنّة خصوصاً من عوامل النشاط والارتياح والسرور، إضافة إلى أنّها متعلقة بمجالس الانس والسرور.

وفى مواضع اخرى عبر القرآن الكريم بتعبير آخر وهو (الأرائك)، وورد هذا التعبير خمس مرات فى القرآن فقال فى موضع: «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ». (الكهف/ ٣١)

ولقد ورد نفس هذا التعبير بشى من الاختلاف فى الآية: «فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ». (يس/ ٥۶)

وورد نفس هذا التعبير أيضاً فى سورة الإنسان، وقال تعالى فى آيتين من سورة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۸

المطففين: «عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ». (الانسان/ ١٣) (المطففين/ ٢٣- ٣۵)

«أرائك»: جمع أريكة، وعلى قول الكثير من المفسرين (مثل صاحب مجمع البيان، والقرطبى، والفخر الرازى، وصاحب روح المعانى) بمعنى الحجلة إذا كان فيها سرير، وفسّرها البعض بالسرير الذى فيه مظلة، فالأريكة السرير وهى (البيت المزين للعروس).

ويقول الراغب فى المفردات: مأخوذة من (اراك) وهى اسم شجرة معروفة.

ويقول أبو الفتوح الرازى فى ذيل الآية ١٣ من سورة الإنسان: إنّ «السرير» و «الأريكة» معنيان مختلفان أحدهما فيه مظلة والآخر بدونها. وتدل تعابير القرآن على هذا المعنى لأنّ الكلام عن السرر طرح فى موارد مجالس انس أهل الجنّة حيث يتقابلون ويتسامرون، فى حين أنّ الأرائك تختص بجلساتهم الخاصة أىعندما يختلون مع ازواجهم كما ورد فى قوله تعالى «هُم وَازوَاجُهُم فى ظِلالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ». (يس/ ۵۶)

ومن هنا يمكن أن نستنتج: أنّه عندما يقول القرآن: «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَونَ فِيهَا شَمساً وَلَا زَمْهَرِيْراً». (الإنسان/ ١٣)

ومن الممكن أن تكون الآية قد أشارت إلى هذا المعنى وهو أنّ الشمس تشرق عليهم عندما يجلسون على هذه الأَسِرّة الخاصة، ولو أنّ هناك تفسيراً آخر قد اشير إليه فى حينه.

ومن الطريف أنّه وردت فى القرآن خمس آيات حول الأَسِرّة وخمس آيات حول الأرائك، ولقد وردت إشارات متساوية عن الحياة العامة والخاصة لأهل الجنّة.

وهناك كلام طويل حول أوصاف هذه الأَسِرّة والأرائك ورد فى الأخبار والروايات اعرضنا عن ذكره لأجل الاختصار.

۵- الأغذية والأوانى

إنّ الأغذية المادية لأهل الجنّة- كما يستفاد من القرآن الكريم- متنوعة للغاية، ويستفاد

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۶۹

من مجموع آيات القرآن الكريم أنّ الغذاء الرئيسى لأهل الجنّة هو من جنس الفواكه، وورد هذا المعنى تحت عناوين مختلفة مثل «فاكهة» «وفواكه» «وثمره» و «ثمرات» و «أُكُل» فى آيات كثيرة من القرآن الكريم.

وقد ورد فى قوله تعالى: «فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ». (الرحمن/ ۵٢)

و «فاكهة»: حسب قول صاحب كتاب مقاييس اللغة مشتقة فى الأصل من «فكه»، والتى تعنى طيب الخاطر، وعلى هذا الأساس سميت الفاكهة، فاكهة، حيث إنّ أكلها يطيب الخاطر.

و «المفاكهة»: تعنى الممازحة بالكلام اللطيف.

و «الفاكه»: يطلق على الشخص المزّاح ذى المعشر الطيب.

ويعتقد الكثير من المفسرين أنّ الفاكهة تشمل جميع أقسام الفواكه، ويؤكد الراغب فى مفرداته هذا المعنى، فى حين أنّ البعض يقول: (الفاكهة) تشمل جميع الفواكه ماعدا العنب والرمان (أو ماعدا الرطب والرمان)، وذلك لأنّ سورة الرحمن، الآية ۶۸ عطفت هذين الجنسين على الفواكه، من هنا فانّهم يعتقدون أنّها لن تدخل فى مفهوم الفاكهة، فى حين أنّ هذه الآية لا تدلّ على هذا المعنى وإنّما نجد فى كثير من المواطن يذكر الخاص بعد العام لأهميّة الخاص.

وفى اعتقاد جمع من المفسرين أنّ تعبير «زوجان» إشارة إلى أنّ لكل ثمرة نوعان وضربان متشاكلان: نوع فى هذه الدنيا، ونوع من شكله غريب لم يعرفوه فى الدنيا، وقيل:

إنّ هذا التعبير هو إشارة إلى تنوع فواكه الجنّة كل نوع أكثر لذة من الآخر، ولقد بيّن القرآن الكريم تنوع اغذية أهل الجنّة بهذا الشكل: «وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ». (الواقعة/ ۲۰)

وقال فى موضع آخر: «وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ». (المرسلات/ ۴۲)

ولقد أكدت بعض الآيات على فواكه خاصة باعتبارها فاكهة الجنّة: «فِيهِما فَاكِهَةٌ وَنَخلٌ وَرُمَّانٌ». (الرحمن/ ۶۸)

وقال الفخر الرازى فى تفسيره: «إنّه تعالى ذكر نوعين من الفواكه الشجرية وهما الرمان والرطب لأنّهما متقابلان فأحدهما حلو والآخر غير حلو وكذلك أحدهما حار والآخر بارد

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۰

وأحدهما فاكهة وغذاء والآخر فاكهة، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخر من فواكه البلاد الباردة، وأحدهما أشجاره فى غاية الطول والآخر أشجاره بالضد وأحدهما ما يؤكل منه بارز وما لايؤكل كامن والآخر بالعكس فهما فى الضدين والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى مابينهما» «۱».

وقال تعالى فى موضع آخر: «حَدَائِقَ وَاعْناباً». (النبأ/ ۳۲)

وجاء فى آية اخرى «فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ». (الواقعة/ ۲۸- ۲۹)

لقد فسّر أغلب المفسرين (الطلح) بمعنى شجرة الموز التى لها أوراق عريضة خضراء جميلة، وثمرتها حلوة ولذيذة الطعم.

و «منضود»: من مادة (نضد)، وتعنى «المتراكم»، أىإذا جعل بعضه على بعض، وهذه إشارة إلى عذق الموز وشجرة الموز ذات الأوراق العريضة الخضراء الجميلة وثمرتها حلوة المذاق.

وقيل: المنضود (المراد الورق لأنّ شجر الموز من أوله إلى أعلاه يكون ورقاً بعد ورق) «۲».

ويجمعهما (السدر، والطلح) نوعان: أوراق صغيرة، وأوراق كبيرة، والسدر فى غاية الصغر والطلح وهو شجر الموز فى غاية الكبر فقوله تعالى «فى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وطَلْحٍ مَّنْضُودٍ» إشارة جامعة لجميع الأشجار نظراً إلى أوراقها «۳».

وإضافة إلى ذكر الفاكهة أشار القرآن الكريم إشارة عابرة مختصرة إلى «الطلح» بشكل عام وإلى «لحم الطير» بشكل خاص، فقال فى أحد المواضع بعد ذكر مجموعة مهمّة من النعم الموجودة فى الجنّة: «وَامْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» «۴». (الطور/ ۲۲)

---

(۱). تفسير الكبير، ج ۲۹، ص ۱۳۴.

(۲). المصدر السابق، ج ۲۹، ص ۱۶۲.

(۳). المصدر السابق.

(۴). «أمددناهم» من مادة «إمداد» وهو العطاء المتتابع أو المستمر، وقال بعض أرباب اللغة مثل صاحب القاموس: إنّ الامداد بمعنى تأخير الأجل وإدامة الحياة، وهو لا يختلف كثيراً عن المعنى الأول.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۱

جملة: «مِّمَّا يَشتَهُونَ» لها معنى واسع جدّاً حيث تشمل كل أنواع الأغذية بكافة أقسامها وأشكالها وكيفياتها.

وقال فى موضع آخر بعد ذكر أنواع النعم وأنواع الفواكه فى الجنّة: «وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشتَهُونَ». (الواقِعَة/ ۲۱)

ولعل السبب فى تقديم الفواكه فى كلا الآيتين: هو أنّ الفواكه تعد الغذاء الأفضل والأحسن والألذ، ويعتقد البعض أنّ الغذاء الطبيعى للإنسان هو الفواكه، ويرونه موجوداً «آكلًا للفواكه» ولهذا السبب لا يستطيع الإنسان الانتفاع من اللحوم أبداً على وضعها الطبيعى، بل لابدّ من إجراء تغييرات عليها، ومزجها مع أشياء اخرى حتى يمكن الاستفادة منها.

فى حين أنّ الفواكه مألوفة لديه على شكلها الطبيعى ومن دون إجراء أى‌تغييرات عليها.

فضلًا عن أنّ أكل الفاكهة قبل اللحوم فيه لطف خاص.

۶- الشراب الطهور

إنّ الأشربة فى الجنّة كالفواكه وسائر الأغذية متنوعة ومنعشة للغاية، ولقد عبّر القرآن الكريم عنها بتعابير مختلفة، والغريب أنّ الكثير من هذه الأشربة تكون على شكل أنهار، ولقد أشار القرآن الكريم إلى أربعة أقسام منها.

قال تعالى «مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا انْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَانهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّر طَعْمُهُ وَانهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وانهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفّىً». (محمد/ ۱۵)

هذه الأشربة الأربعة والتى تجرى فى أنهار الجنّة الأربعة (لا يجرى كل واحد منها فى نهر خاص بل فى كل الأنهار) تبين مجموعة من أنواع الأشربة المختلفة، فالماء لرفع العطش، واللبن للتغذية، والعسل للذة والقوة، والخمر للذّة والنشاط وهو شراب طهور.

إنّ هذه الأشربة مخلوقة بشكل لا يعتريها الفساد وإن طال الزمن ولا يتغير طعمها أبداً،

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۲

وتحتفظ دائماً بحداثتها، فالجنّة محيط منزه من كل كدر، فلا وجود فيها حتى لميكروب واحد يفسد أطعمة أهلها وأشربتهم.

والجدير بالذكر أنّ ماء هذه الدنيا يتغير لونه وطعمه بمرور الزمان، أمّا مياه أنهار الجنّة فهى تبقى على حالها ووضعها الأول صافية، زلال مطهرة، وكذلك الحال بالنسبة للبن، ففى الدنيا يفسد سريعاً بعد برهة من الزمن فيتبدل طعمه إلى طعم حامض وهذه مقدمة لفساده وتلفه، أمّا لبن الآخرة فهو لبن سائغ شرابه لذيذ لا يتغير طعمه ولا يعتريه عارض كالذى يصيب الألبان فى الدنيا.

الخمر والشراب، شراب غير مستساغ ولا لذّة فيه ويوصف بمرارة المذاق ورداءة الطعم فهو مذهب للعقل، ومفسد للروح.

أمّا خمر أهل الجنّة فهو شراب لذيذ منعش يبعث فى النفس النشاط والحيوية الرحمانية لا الشيطانية.

وعسل الدنيا تشوبه فى الغالب الكثير من الكدورات والشوائب، أمّا عسل الآخرة فهو عسل مصفى خالص بمعنى الكلمة، ومن الجدير بالذكر: أنّ القرآن الكريم اعتبر العسل جزءً من المشروبات وحتى فى سورة النحل والتى تتحدث عن (النحل) ذكره كشراب: «يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ الوَانُهُ». (النحل/ ۶۹)

ولعل السبب فى ذلك هو أنّ العسل إذا شرب كمشروب (شربت العسل) فيكون أكثر لذّة ومنفعة وحيوية.

ولقد أشارت آيات سورة الدهر والتى تعرضت لأنواع النعم التى وعدها اللَّه سبحانه للأبرار من عباده إلى مجموعة اخرى من الاشربة قال تعالى «انَّ الأَبرَارَ يَشرَبُونَ مِن كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً* عَيْناً يَشرَبُ بِهَا عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً». (الدهر/ ۵- ۶)

وقال تعالى فى نفس السورة: «وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا* عَيناً فِيهَا تُسَمَّى سَلسَبِيلًا». (الدهر/ ۱۷- ۱۸)

وقال تعالى فى السورة ذاتها: «وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً». (الدهر/ ۲۱)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۳

فهذه الآيات أشارت إلى عدد من الأشربة «الطهور» فى الجنّة:

الأول: الكافور، وهو شراب خاص مهدىء، حيث إنّ الكافور فى اللغة له عدة معان:

منها الرائحة الطيبة، ومنها مادة بيضاء اللون يضرب المثل فى برودتها وبياضها ولها رائحة قوية خاصة مهدئة، وهى تقابل الزنجبيل الحار وهو عبارة عن جذور بنية لها طعم ونكهة طيبة تضاف أحياناً إلى الأطعمة والأشربة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ العرب يستخدمون نوعين من الشراب ولحالتين مختلفتين، تارة: منشط ومقوى، والاخرى: مضعف ومهدئ، الأول يمزجونه مع الزنجبيل، والثانى: مع الكافور.

ومن المعلوم أنّ حقائق العالم الآخر لا تستوعبها عقولنا، لذا فلا حيلة لبيان هذه الحقائق إلّا أن نستخدم هذه الألفاظ بمفاهيم أوسع وأعلى

وقال جمع من المفسرين أيضاً: إنّ الكافور: اسم عين ماء فى الجنّة تشبه الكافور فى صفارها وبياضها ورائحتها الطيبة وبرودتهاولكن ليس بطعمها، (ولابدّ من الإشارة إلى أنّ الكافور المألوف هو نوع من الصمغ يستخرج من شجرة فى جنوب الصين أو بلاد الهند وله استخدامات طبية).

إنّ التفسير الذى أشرنا إليه هو الأنسب وذلك لا نّ شراب الكافور يقابل شراب (الزنجبيل).

والجدير بالذكر أنّ القرآن يقول: إنّ هذا الشراب الزنجبيلى ينبع من عين فى الجنّة اسمها (سلسبيل) ويعتقد الكثير أنّ هذه الكلمة مشتقة من (سَلاسَة) بمعنى الجُريان، ويرى البعض أنّها مشتقة من (تسلسل) بمعنى الحركة المتتابعة والمستمرة وهى إشارة إلى أنّها سلسلة تتسلسل فى الحلق.

وقيل: إنّ هذه الكلمة مركبة من كلمتين «سال» و «سبيل» بمعنى طلب الطريق وهذه إشارة إلى غاية سلاسته وعذوبته.

على أيّة حال، يستفاد من مجموع التعابير أنّ عين السلسبيل فيها شراب فى غاية اللذة والسلاسة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۴

الشراب الثالث الذى أشارت إليه الآية الكريمة هو «الشراب الطهور» وساقيه هو اللّه تبارك وتعالى وهو يبعث على تطهير الجسم والروح من كافة الأدران والكدورات (وهذا شراب خاص للأبرار والمحسنين كالنوعين السابقين) بعكس خمر الدنيا الذى هو نجس وينجس الروح والبدن.

ويعتقد بعض المفسرين أنّ هذا الشراب يسقى بعد تناول الأغذية (فاذا أكل [الإنسان ماشاء سقى شراباً طهوراً فيطهر بطنه ويصير ماأكل رشحاً يخرج من جلده أطيب ريحاً من المسك)، لقد ذكر الفخر الرازى هذا التفسير كرواية.

وقال صاحب تفسير الميزان: « (وسقاهم..) أىبالغاً فى التطهير لا يدع قذارة إلّاأزالها ومن القذارة قذارة الغفلة عن اللّه سبحانه وتعالى والاحتجاب عن التوجُّه إليه فهم غير محجوبين عن ربّهم» «۱».

وورد فى تفسير «منهج الصادقين» نقلا عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا شرب المؤمن الشراب الطهور نسى ما سوى اللّه وانقطع إليه بالكامل» «۲».

وذكرت سورة المطففين ضمن عرضها للنعم الإلهيّة التى وعدها اللّه سبحانه وتعالى للأبرار: «يُسقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّختُومٍ» ثم قال: «خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِى ذلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ» وفى الختام قال: «وَمِزَاجُهُ مِن تَسنِيمٍ* عَيناً يَشرَبُ بِها المُقَرَّبُونَ».

(المطففين/ ۲۵- ۲۸)

كلمة (رحيق) على قول أغلب المفسرين هو الشراب الخالص من الغش والقذى (أى خمر صافية خالصة من كل غش).

«مختوم»: ممنوع من أن تمسّه يد حتى يفك ختمه للأبرار، وهذا تأكيد آخر على خلوصه وصفائه.

«ختامه مسك»: إشارة إلى الذى خُتم إناؤه بالمسك، ويستخدم الختم عادة للتأكد والاطمئنان من عدم لمسه أو فتحه حيث يوضع الشى فى إناء معين ويغلق غلقاً محكماً من

(۱). تفسير الميزان، ج ۲۰، ص ۱۳۰.

(۲). منهج الصادقين، ج ۱۰، ص ۱۱۰. (طبقاً لنقل التفسير الاثنى عشرى، ذيل الآية مورد البحث).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۵

جميع الجوانب ثم يختم ويوضع على (الختم) مقدار من الطين أو العجين أو الشمع الأحمر أو النحاس أو أيّة مادة اخرى تفى بالغرض، وبهذا (لا يمكن فتح أو كسر هذا الإناء) فلا سبيل إلى مافى الإناء إلّابكسر ذلك الختم، وكان العرب ينظرون إلى ختم الإناء قبل كل شى ليعرفوا أنّه لم تصل إليه يد. ويسمونه (المختوم).

وهناك تفاسير عديدة فى هذا المجال لا نراها تتناسب وظاهر الآية.

«تسنيم»: من مادة (سَنَم) على وزن (صَنَم) وفى الأصل على رأى صاحب (مقاييس اللغة) بمعنى (العلو والارتفاع) ومنه (سنام البعير)، واطلق على ألسنة النّار، والغيوم المرتفعة والدخان وسنابل النباتات أيضاً.

لذا «عين التسنيم» عين فى الجنّة تكون سبباً فى الارتفاع والعلو، يقال: سنمه أى‌رفعه ومنه سنام الابل، ولذلك إذا شربها المقربون يتقربون من المقام الإلهى والفناء فى نور الحق أكثر فأكثر.

وقيل: «تسنيم»: عين تقع فى الطبقات العليا فى الجنّة يَنصبُّ شرابها عليهم من عُلوٍّ انصباباً.. وقيل هو نهر يجرى فى الهواء فيصب فى أوانى أهل الجنّة وهو خالص للمقربين ويمزج بمقدار من الرحيق المختوم للأبرار وهو نوع آخر من شراب الجنّة.

ويظهر من خلال الجمع بين هذه المعانى: أنّ هذه العين لها مكانة عالية رفيعة من ناحية المكان وكذلك من حيث التأثير المعنوى فهى توصل الروح وتجذبها إلى مقام القرب الإلهى.

۷- أفضل شراب أهل الجنّة

لقد ذكرت الآيات السالفة الذكر سبعة أنواع من الأشربة، ونستنتج من مجموع هذه الآيات أنّ مشروبات الجنّة على أنواع وأقسام مختلفة، فمنها يجرى فى الأنهار (أنهار من لبن وعسل وماء وخمر)، ومنها: مختومة، ومنها ينبع من عيون من سماء الجنّة أو طبقاتها

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۶

العليا، ومن الواضح أنّ أشرف شراب أهل الجنّة هو الشراب الذى يسمى «تسنيم» وهو خاص بالمقربين.

وورد فى تفسير على بن إبراهيم: «إنّ أشرف شراب أهل الجنّة يأتيهم من أعالى تسنيم وهى عين يشرب بها المقربون، والمقربون آل محمد صلى الله عليه و آله، والمقربون يشربون من تسنيم بحتاً صرفاً وسائر المؤمنين ممزوجاً!» «۱».

ويأتى (الشراب الطهور) فى الدرجة الثانية، ولقد أشارت إليه سورة الإنسان، الآية ۲۱، بقرينة، أنّه الشراب الوحيد فى القرآن الكريم الذى يكون ساقيه هو اللّه تعالى

ومن المعلوم أنّ جميع هذه الأوصاف التى نسمعها ونقرأُها ماهى إلّاصورة غير واضحة تتجسم فى أذهاننا عن ذلك العالم الكبير، وإلّا فلا يمكن توصيف هذه النعم وهذا الشراب الطهور من قبل سجناء عالم المادة: «فَلا تَعْلَمُ نَفسٌ مَّا اخفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ اعيُنٍ».

(السجدّة/ ۱۷)

والطريف أنّ القرآن الكريم عبر بتعابير مختلفة لرفع أى‌ابهام فى مجال الاختلاف الواضح بين الأشربة الدنيوية المكدرة بأنواع الكدورات، والشراب الطهور فى الجنّة قال تعالى «بَيضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ». (الصافات/ ۴۶)

لا كمثل شراب الدنيا المر الطعم غير المستساغ الشرب حتى أنّ شاربيه يتجرعونه فى بادئ الأمر بكراهة، أمّا شراب الجنّة فهو شراب لذيذ منعش تعقبه نشوة معنوية وروحية غير قابلة للوصف.

ثم يضيف تعالى بقوله: «لَافِيهَا غَولٌ وَلَا هُم عَنهَا يُنزَفُونَ». (الصافات/ ۴۷)

إنّ شراب الدنيا يفسد العقل ويسكر الأبدان بحيث يصبح الجسم من الضعف والوهن فلا يقدر على الحركة وحفظ التوازن.. أمّا أشربة الجنّة فتعمل على تأجيج شعلة العقل والذكاء، وتشد من جاذبية العشق، وتهّى الجسم والروح للتمتع باللذات المعنوية والمادية بشكل أفضل «۲».

---

(۱). تفسير على بن إبراهيم، ج ۲، ص ۴۱۲.

(۲). «غَوْل» على وزن «قَوْل» فى الأصل بمعنى غالَ: أهلكه وأخذه من حيث لا يدرى، وتطلق هذه الكلمة على الفساد الخفى الذى ينفذ فى الشيء.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۷

وقال تعالى فى مكان آخر بعد الإشارة إلى بعض من أشربة الجنّة: «لَّايُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلَا يُنزِفُونَ» «۱». (الواقعة/ ۱۹)

«يُصَدَّعون»: من مادة (صداع) على وزن (رُباع) وهو الصداع المعروف (أى لا يأخذهم من شربها صداع)، وأصله (صَدْع).

فعندما يتعرض الإنسان إلى صداع شديد فكأنّ رأسه يريد أن يتصدع من شدّة الألم، فتستعمل هذه الكلمة للتعبير عن آلام الرأس الشديدة.

الخلاصة: أنّ خمر الدنيا رديء الطعم.. كريه الرائحة.. يجلب الصداع ويسبّب فقدان الوعى وضعف العقل.. ويسبب الكثير من الأمراض الجسمية والروحية، وقد يعقبه حالة التهوع.. والتقى والآلام المعوية، فى حين أنّ خمر الآخرة شراب لذيذ منعش يزيد العقل ويعمل على تربية الجسم والروح وله نشوة روحية ومعنوية غير قابلة للوصف.

۸- الأكواب والصحاف والكؤوس

ممّا لا شك فيه أنّ المطلوب الرئيس من الأغذية والأشربة هو نفسها لا الأوانى، ولكن بلا ريب أنّ لكيفية عرض الغذاء والأوانى المستعملة فيها تأثير عميق فى جذابية الأطعمة والأشربة وصفائها ومضاعفة اللذّة الناتجة منها، لهذا السبب رسم القرآن الكريم وفى آيات عديدة صورة إجمالية عن هذه الأوانى التى هى فى منتهى الروعة والجمال فى عبارات قصيرة عميقة المحتوى

إنّ جميع هذه الألفاظ والمعانى لا تمثل إلّاصورة باهتة عن الوضع هناك، وإلّا فكل شيء هناك فوق حد التصور.

قال تعالى «يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ». (الزخرف/ ۷۱)

---

(۱). «ينزفون» من مادة «نَزْف» على وزن «حَذْف» بمعنى ذهاب الشى بصورة تدريجية ومنه نزف الدم.. وهذا ما يفعله الشراب الدنيوى فى وجود الإنسان، إذ يحطمه تدريجياً.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۷۸

«صحاف»: جمع (صَحفة) على وزن (صفحة) وتعنى: الأوانى الكبيرة والواسعة (لأنّ هذه المادة فى الأصل بمعنى الاتساع).

«اكواب»: جمع (كَوْب) وهو القدح الذى لا عروة له (وهناك معان اخرى ولكن المشهور هو هذا القول).

والجدير بالذكر أنّ وصف (من ذهب) ذكر بخصوص الصحاف ولكن عطفها على الأكواب يدلل على أنّها من ذهب أيضاً «۱».

وقال تعالى فى موضع آخر: «بِاكْوَابٍ وَّابَارِيقَ وَكَأْسٍ مّنْ مَّعِينٍ». (الواقعة/ ۱۸)

«أباريق»: جمع (ابريق) وحسب ماصرح به أرباب اللغة أنّها مشتقة من الكلمة الفارسية (آبريز) بمعنى القدح الذى له عروة وخرطوم لسكب السوائل.

يقول: «الجواليقى» فى «المعرب من الكلام الأعجمى» إنّ هـذه الكلمـة تعنى فى الفارسـية، إمّا طريق العبور من الماء، أو سـكب الماء، وقيل: إنّ هـذه الكلمة مأخوذة من مادة «برق» والتى هى كلمة عربية «۲»، وبناءً على ذلك فإنّ ما جاء فى تفسـير مجمع البيان والقرطبى (فى ذيل الآية) غيرصحيح.

«كأس»: القـدح الممتلى بالشـراب وقال بعض المفسـرين: وعلى عادة العرب فى شـرابهم تكون لـديهم أوان كبيرة فيها الخمر معـدة ثم يغرفون منها بالأباريق ثم يصبونه فى الأقداح ويلاحظ هذا الترتيب أيضاً فى (الشراب الطهور).

حيث تكون فى البداية فى الأكواب ثم الأباريق وأخيراً الكأس «۳»، وعُبِّر فى الشعر القديم عن هذا الموضوع بتعبير (القدح) (الكأس).

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ جنس أوانى الجنّة حسب مايستفاد من الآيات الكريمة،

---

(۱). فى الحقيقـة: كانت الجملـة فى الأصل (اكواب من ذهب) وحذفت عبارة (من ذهب) تجنباً للتكرار مثل قوله تعالى «الذاكرين اللَّه كثيراً والذاكرات».

(۲). التحقيق فى كلمات القرآن الكريم.

(۳). تفسير الكبير، ذيل الآية مورد فى البحث.

مختلف، فبعضها من الذهب كما أشرنا إلى ذلك وبعضها من «الفضة» وبعضها من «البلور».

قال تعالى «وَيُطَافُ عَلَيهِمْ بانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكوَابٍ كَانَتْ قَوارِيرَاْ». (الدهر/ ۱۵)

والعجب أنّه يقول بعدها مباشرة: «قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً». (الدهر/ ۱۶)

«قوارير»: زجاجات لها بياض الفضـة وصـفاء القوارير وهـذه من خواص الجنّة، وذلك لأنّ القوارير فى الدنيا لا تصـنع من الفضة وإنّما تصـنع من الزجاج، فى حين أنّ الفضة احدى الفلزات، ولكن ليس ببعيد أن يخلق اللَّه نوعاً من الفضة الشـفافة تصـنع منها هذه القوارير كما ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ينفذ البصر فى فضة الجنّة كما ينفذ فى الزجاج» «۱».

وهذا دليل على أنّ كل شى فى الآخرة هو أعلى وأفضل وأكمل من هذا العالم.

وعلى أيّة حال وكما أشرنا سابقاً فإنّ أوانى أهل الجنّة من اللطافة والرونق والجمال..

بما يضاعف لذة المأكول والمشروب لأهل الجنّة.

۹- ألبسة الجنّة

اللبـاس له أهميّـة كبيرة فى الحيـاة الـدنيا فهو أولًا: يحفظ الجسم ويقيه الحر والبرد والاضـرار المختلفـة، وثانياً: يعتبر اللباس زينـة مهمة للإنسان فكم نجـد أنّ لطراز الألبسـة ابتـداء من جنس القماش وحتى نوع خياطته ولونه يحكى عن طرز تفكير المرء وشخصـيته، ونجد على طول التاريخ أنّ للملابس دوراً مهماً فى زينة الإنسان وبهائه.

ممّـا لاـ شك فيه أنّ اللباس فى الجنّة لا يهـدف إلى دفع البرد والحر أو حفظ الجسم من أنواع الآفات والأمراض والعوارض، حيث إنّ كـل شـى هناك فى حـد الكمال فلا أمراض ولا آفات و.. من هنا تكون الملابس مظهراً من مظاهر الزينـة، ولعل لهـذا السـبب ركزت الآيات القرآنية على إبراز مظهر زينة اللباس وجاء ذلك ضمن تعابير مختلفة، ولكنّها تحكى جمال

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۴۱۰.

وبهاء وجذابية ملابس أهل الجنّة.

قال تعالى «وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ». (الكهف/ ۳۱)

وورد نفس هـذا المعنى بشـى من الاختلاف فى قوله تعالى فى آيتين الاولى «يَلبَسُونَ مِن سُـندُسٍ وَإِسـتَبرَقٍ» وفى الآيـة الثانية: «عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضرٌ وَإِسْتَبرَقٌ» «۱».

(الدخان/ ۵۳) (الدهر/ ۲۱)

ونقرأ فى تعبير آخر: «وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ». (الحج/ ۲۳)

ولقد ورد نفس هذا التعبير فى الآية ۲۳ من سورة فاطر، وشبيهه فى سورة الدهر، الآية ۱۲.

وكلمة «سندس» حسب اجماع أهل اللغة والمفسرين (ما رقَّ من الثياب) وهى ثياب حريرية فاخرة. وأصل هذه الكلمة غير عربى فلقد ورد فى بعض كتب اللغة أنّ أصلها فارسى أو رومى «۲»، ولو أننا لم نعثر على هذا المعنى فى اللغة الفارسية.

و قال البعض: إنّ أصلها يونانى «۳».

وقال آخرون: السندس: قماش من الحرير يستعمل فى نسجه خيوط من الذهب.

وأمّا «استبرق» على قول أرباب اللغـة والمفسـرين (ما غلظ من الملابس الحريريـة ولا يراد به الغلظـة فى الخيوط إنّما يراد به المتانة فى النسيج).

وقيل: إنّ (الاستبرق) فارسى معرب اصله «استبر» أو (ستبر) والذى يعنى السميک، وقيل هو الديباج المنسوج بالذهب، وقيل السندس: الديباج الرقيق الفاخر الحسن، والاستبرق:

الديباج الغليظ الذى له بريق. وهذا يدل على أنّ ثياب أهل الجنّة من الحرير الخالص وبأشكال مختلفة.

---

(۱). «عـاليهم» من مـادة «علوّ» أى‌من فوقهم. وقيـل: فى اعرابهـا احتمالاـن، الأول: أنّها «ظرف» لأنّها تحمل معنى «فوق»، والآخر: «حال» للضمير «هم» الذى جاء فى الآيات السابقة.

(۲). التحقيق فى كلمات القرآن الكريم.

(۳). معجم اللغة ل (دهخدا).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۱

ويمكن الإشارة هنا إلى أنّ الحرير وبسبب نعومته ولطافته وقبوله لألوان مختلفة يعتبر من أفضل الأقمشة وأفخرها.

وبما أنّ الناس لم يعرفوا لباساً أغلى وأفخر من الحرير لذا استعملت هذه الكلمة فى توصيف لباس أهل الجنّة، وإلّا فكل شى فى الجنّة فوق حد التصور.

والجدير بالذكر أنّ الآيات الكريمة تحدثت عن اللون الأخضر، ولعل السبب فى ذلك هو أنّ هذا اللون أجمل الألوان فى عالم الطبيعة والخلق، فهو لون يبعث على البهجة والارتياح فى النفس، فالنباتات بشكل عام خضراء، والبحار والمياه تبدو أحياناً زرقاء وأحياناً اخرى خضراء، ولهذا فإنّ هذا اللون يبعث فى الروح الإنسانية البهجة والطمأنينة والارتياح.

ويعتقـد بعض العلماء بأنّ اللون الأخضـر لون مهـدئ ومسـكن، ونقرأ فى أحـد الكتب مقالة تحت عنوان: (الصـحة واللباس): «إنّ اللون الأخضـر له أثر كـبير فى علاـج الأـمراض العصبيـة والنفسـية والهستريـا والارهـاق العصبى، وكـذلك له الأـثر فى زيـادة قوة الإـدراك والتحمل ويبعث الأمل والاعتـدال، كـذلك له الأثر فى ازالة حالات الأرق وتخفيف ضـغط الدم، وتسـكين أوجاع الأعصاب، ويلاحظ أنّ أغلب الذين ينتخبون اللون الأخضر فى الوهلة الاولى رحماء واقعيون، ويتمتعون بتعادل روحى ونفسى.

ولقد اجريت تجربة على ثلاث مجاميع من العمال.. المجموعة الاولى عهد إليها حمل صـناديق خضـراء اللون، والثانية، صـناديق سوداء

اللون والثالثة، بنیة اللون، فلوحظ أنّ أغلب المراجعین للمستشفی هم من المجموعة الثانیة والثالثة وکانوا یشکون من آلام فی الظهر وآلام اخری

یذکر أنّه کان فی لندن جسر أسود اللون وکان الکثیر من الناس ینتحرون بإلقاء أنفسهم من فوقه، ولما غیروا لونه إلی الأخضر لوحظ انخفاض نسبة الانتحار بشکل کبیر» «۱».

وعرف منذ القدم هذا القول: (ثلاث یذهبن الحزن: الماء والخضراء والوجه الحسن).

---

(۱). الجامعة الاولی والنبی الخاتم، المرحوم الشهید الدکتور پاک نجاد، ج ۱۸، ص ۱۳۳- ۱۳۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۲

ونختم هذا الموضوع بما نقله أحد المفسرین: «لو بسط ثوب من أثواب الجنّة فی الدنیا لاندهش أهلها جمیعاً» «۱».

۱۰- حلی الجنّة

أشرنا فی البحث السابق إلی ألبسة أهل الجنّة، وسنتطرق فی هذا البحث إلی حلیهم أیضاً.

من المعلوم أنّ للحلی والزینة المناسبة أثر نفسی کبیر علی روح الإنسان، فتبعث فیها الارتیاح والانبساط والبهجة، وإذا لم تخرج عن حد الاعتدال فلا- باس فی ذلک وهو عمل مرضی، لذا نجد أنّ الکثیر من الآیات القرآنیة والروایات أکدت علی الزینة والتجمل والتطیب حتی أثناء العبادة ومن جملتها: ارتداء الألبسة الطاهرة، اختیار الألوان المناسبة، تمشیط الشعر، استعمال العطور والطیب، والتختم بالیمین ونحو ذلک.

ویستفاد من آیات عدیدة من القرآن أنّ أهل الجنّة یتجملون ویتزینون بأفخر أنواع الحلی، وبهذا فهم یتمتعون بلذة نفسیة کافیة، ولقد ورد فی ثلاث آیات من القرآن الکریم قوله تعالی «یُحَلَّوْنَ فِیهَا مِنْ اسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ». «۲»

«أساور»: جمع (اسْوِرَة) علی وزن (تجربة) وهی أیضاً جمع (سُوار) علی وزن (غبار) و (کتاب) ومشتقة من الکلمة الفارسیة (دستوار).

ولقد صرحت آیتان من الآیات الثلاث بالإضافة إلی (الذهب) ب (اللؤلؤ) أیضاً، ویقول بعض المفسرین أنّها إشارة إلی أساور الجواهر واللؤلؤ، ولو أخذنا بنظر الاعتبار أنّ (اللؤلؤ) عطف علی محل (من أساور) وهو منصوب فیکون بمنزل المفعول به ل «یحلون» فیکون معنی الآیة هکذا: «یُحَلَّونَ فِیهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤلُؤاً وَ لِبَاسُهُم فِیهَا حَرِیرٌ».

(الحج/ ۲۳)

ومن الممکن أن تکون زینة اللؤلؤ مشتقة من الأساور، وکذلک یمکن أن تکون جزءاً منها.

---

(۱). روح المعانی، ج ۱۵، ص ۲۴۹.

(۲). الکهف، ۱۳ والحج، ۲۳ وفاطر، ۳۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۳

ویحتمل البعض: أنّ أهل الجنّة بالإضافة إلی تزینهم بأساور من ذهب کذلک أنّهم یتزینون بأساور من اللؤلؤ الخالص أیضاً.

ولقد أشار القرآن الکریم فی موضع واحد إلی (أساور الفضة): «وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ». (الانسان/ ۲۱)

من هنا یطرح هذا السؤال: أنّ الأساور سواء کانت من ذهب أو من فضة فهی من زینة النساء، ولا یتحلی الرجال عادة بالأساور فهل یختلف الأمر فی الجنّة؟

یجب أن نلاحظ هذه المسألة وهی أننا نجد وفی أماکن مختلفة من هذا العالم أنّ کلا الجنسین یتزینون بالأساور ولا یختص بالنساء

فقط.

ويتبيّن من اعتراض فرعون على موسى الذى كان يقول: «فَلَولَا الْقِىَ عَلَيهِ اسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ». (الزخرف/ ۵۳)

إنّ هذا الموضوع كان له شياع فى عرف أهل مصر، وتدل الزينة على شخصية الرجال وعظمتهم.

لقد أشرنا فى البحوث السابقة ولمرات عديدة إلى هذه المسألة وهى أنّ القرآن يحدثنا بلغتنا وماهو سائد عندنا، ومن البديهى أنّ زينة أهل الجنّة وحتى زينتهم المادية هى أعلى من أن تحيط بها أفكار أهل الدنيا.

۱۱- الحور العين

يعتبر اختيار الزوجة الصالحة من أهم عوامل الراحة والسكينة والأُنس والحيوية فى هذه الدنيا.

فالزوجة الصالحة (وكذلك الأمر بالنسبة للزوج الصالح) تسهل على الزوج تحمل جميع مشاكل الحياة وصعوباتها، وتعطى للحياة طعماً خاصاً مليئاً بالمحبة والبهجة والسعادة.

وعلى العكس- فى حالة عدم امتلاك زوجة أو امتلاك الزوجة غير الصالحة- فسوف تتبدل حلاوة الحياة وعذوبتها إلى جحيم لايطاق حتى وإن توفرت جميع أسباب الراحة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۴

وبتعبير آخر، إنّ الزوجة الصالحة التى تتحلى بالفضائل الأخلاقية والخصال الحميدة.

لم تكن أساس اللذة الجسمانية فقط وإنّما تعتبر أساس اللذة الروحانية أيضاً.

فليس من قبيل المصادفة أن يركّز القرآن الكريم ضمن عرضه لأنواع النعم فى الجنّة على هذه المسألة، فقد عبّر بتعابير عميقة المحتوى فى هذا المجال.

قال تعالى فى موضع: «وَلَهُمْ فِيهَا ازوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ». (البقرة/ ۲۵)

وصف الأزواج بكونها (مطهرة) له مفهوم جامع وشامل، فكما يدل التعبير على نقائها وصفائها من كل النقائص والأقذار الجسمية والخلقية، كذلك يشمل أيضاً نزاهتها من العيوب والأدران المعنوية والخُلقية، ومن المعلوم أنّ أهم شرط فى اختيار الزوجة هو طهارتها.

إنّ تعبير (مطهرة) أكثر عمقاً من تعبير طاهرة (فمطهّرة) تشير إلى أنّ اللّه سبحانه وتعالى هو الذى طهّرها ومن يطهره اللّه ويشهد على طهارته تكون حالته واضحة بيّنة.

وجاء نفس هذا المعنى فى هذا الحديث (أزواج مطهرة من أنواع الأقذار والمكاره) «۱».

لقد عبّر القرآن فى عدّة مواضع عن زوجات أهل الجنّة ب (الحور العين)، فقال تعالى:

«وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ». (الدخان/ ۵۴)

وورد نفس هذا التعبير فى الآية ۲۲ من سورة الطور. وذهب إلى أبعد من ذلك فى قوه تعالى: «وَحُورٌ عِينٌ* كَامثَالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ». «۲» (الواقعة/ ۲۲- ۲۳)

وقال تعالى «حُورٌ مَّقصُورَاتٌ فِى الخِيَامِ». (الرحمن/ ۷۲)

و نقرأ فى قوله تعالى: «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ...* كَانَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرجَانُ». (الرحمن/ ۵۶- ۵۸)

«حور»: جمع (حوراء) و (أحور)، وعلى قول الكثير من أرباب اللغة والمفسِّرين (شدة

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۱ ذيل الآية ۲۵ من سورة البقرة وهكذا ذكرها المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۴۰.

(۲). هناك احتمالات عديـدة فى محل اعراب «حور عين»، ومن جملتها مبتـدأ لخبر محـذوف تقديره (لهم حور عين)، أو عطف على (ولدان مخلدون ...) والاحتمال الأول هو الأرجح وذلك لأنّ الحور العين ليست للخدمة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۵

بياض العين فى شـدة سوادها) وهذا غاية جمال العين. ولعل السـبب فى ذكر القرآن لجمال العين هو أنّ أكثر جمال الإنسان فى عينيه، ولقـد فسّـره البعض ببياض جميع الجسم لذا تطلق كلمة التحوير على عملية غسل الملابس وتبييضـها. ويمكن الجمع بين المعنيين على أساس اتّصافهما ببياض الجسم وجمال العيون وسعتها.

ومن هذا الباب أيضاً أُطلقت كلمة (الحواريون) على أصحاب السيد المسيح عليه السلام الذين كانوا يرتدون الملابس البيضاء.

أمّا كلمة «عِين» جمع (أعين) على وزن (أفضل) و «عَيناء» فى الأصل بمعنى العين الوسيعة، وتطلق هذه الكلمة على المرأة التى تمتلك عينين واسعتين جميلتين وجذّابتين أو الرجل كذلك.

وممّـا تجـدر الإشـارة إليه أنّ كلمتى «حور» و «عين» تطلق على المـذكر والمؤنث أيضاً، لهـذا فهى تحمل مفهوماً واسـعاً بحيث يشـمل جميع الأزواج فى الجنّة، زوجات للرجال المؤمنين، وأزواج للنساء المؤمنات (سنتكلم عن هذا الموضوع أيضاً فى مكان آخر).

يلاحظ أنّ القرآن الكريم قد أكّد على جمال العيون- وكما أشـرنا- أنّ جمال الإنسان يكون قبل كل شـىء وبعد كل شـىء فى عينيه، فالعيون معيار جمال الجسم والروح.

«لؤلؤ»: أى الـدر المصون المخزون فى الصـدف لم تمسّه الأيـدى، والذى يكون له صـفاء ورونقٌ خاصٌّ حين اسـتخراجه من الصدف. وتشبيه «حور العين» ب (اللؤلؤ المكنون) إشـارة إلى لطافتهـا وجمالهـا الخارق. ومن الممكن أن يكون إشارة إلى أنّها مستورة بشـكل كامل عن أنظار الآخرين، فلا يد مسّتها ولا عين وقعت عليها.

وقـال بعض المفسِّرين أيضاً «۱»: بمـا أنّ (حور) مشـتقة من مـادة (حيرة)، فيكون مفهومهـا هو أنّ الحور العين من الجمال بحيث تتحير العيون عن النظر إليها.

وبعـدها امتـدح اللّه (الحـور العين) بقـوله: (خيرات حسـان)، أى نسـاء خيّرات الأخلاـق حسـان الوجوه، وذكر صـفة اخرى لهن وهى (مقصورات فى الخيام)، قيل المقصور بمعنى

---

(۱). أبو الفتوح الرازى فى تفسيره. نقل ذلك عن بعض المفسرين القدماء (تفسير روح الجنان، ج ۱۱، ص ۱۳).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۶

المسـتور أى مستورات فى القباب، وقيل مصونات محفوظات مخدّرات لا يبتذلن، وقيل مقصورات أى قصرن على أزواجهن فقط دون غيرهم.

وقيل نفس الشـىء فى تفسـير قوله تعالى (قاصـرات الطرف)، وذلك لأنّ «طرف» على وزن (حرف) بمعنى (جفن العين)، لأنّها تطرف فينطبق عليهـا تـارة وينفتـح تـارة، ويكون المعنى: قصـرن طرفهن على أزواجهن لم يرون غيرهم، وهـذه أعظم صـفة وأكبر امتياز حيث لاترى أحسن من زوجها، فليس لها أى علاقة بغيره.

وممّا تجـدر الإشارة إليه أنّ كلمـة «الخيمة» فى اللغة العربية لا تنحصـر بالخيمة المصـنوعة من القماش، بل تطلق على كل بناية مدورة، حتى قـال بعض أربـاب اللغـة: «كـل بنايـة بنيت من الحجر و ... وغيره هى خيمـة، وأنّ الخيمـة فى الأصـل حسب قول صـاحب كتـاب مقاييس اللغة بمعنى الإقامة والثبات».

ويستفاد من الروايات الإسلامية أنّ خيام الجنّة وحكمها كسائر النعم الإلهيّة الاخرى لا يوجد أى شبه بينها وبين الخيام الدنيوية، فبعضها قطعٌ من اللؤلؤ.

وجاء فى وصف آخر للحور العين حيث شبههن بالياقوت والمرجان: «كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرجَانُ». (الرحمن/ ۵۸)

أى هنّ على صفاء ولون وتلألؤ الياقوت وبياض وجمال المرجان.

ومن المعلوم أنّه إذا امتزج هذان اللونان مع بعضهما يشكلان أحلى الألوان وأجملها.

«ياقوت»: حجر معدنى فى غاية الشفّافية، وعادة يكون أحمراللون.

«مرجان»: يشبه أغصان النباتات. ويوجد فى البحار، وله ألوان مختلفة ويراد منه هنا اللون الأبيض، وقيل إنّه اللؤلؤ الصغير، حيث تتصف مثل هذه اللئالى ببياض وجمال وشفافية أكثر «۱»، ولكن يعتقد العلماء اليوم أنّ (المرجان) موجود حىّ ويشبه الأغصان الصغيرة للشجرة وينمو فى أعماق البحار، وكان العلماء يعتقدون لفترة طويلة بأنّه نوع من أنواع النباتات، ولكن اتّضح فيما بعد أنّ له صفات الحيوان رغم أنّه ملتصق بصخور قاع البحر.

---

(۱). ذكر هذا المعنى الراغب فى (مفرداته) ومجموعة من أهل اللغة والتفسير.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۷

وجاء فى سورة الواقعة وصف آخر لهن وهو (أبكار) ثم «عرب».

«أتراب»: قال للّه‌تعالى «فَجَعَلنَاهُنَّ أَبكَاراً* عُرُباً اترَاباً». (الواقعة/ ۳۶- ۳۷)

«أبكار»: جمع «بكر» أى خلقناهن عذارى كلما آتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، ويستفاد من بعض الروايات وكلمات المفسِّرين أنّ هذه الحالة حالة دائمية لا تتغير.

«عُرُب»: على وزن (كُتُب) جمع (عَروب) على وزن (طَروب) أو (عربا) أى متحننات على أزواجهن متحببات إليهم، وقيل عاشقات لأزواجهن، وقيل العروب اللعوب مع زوجها، وفى الأصل مأخوذة من مادة (اعراب) التى تعنى الإظهار، وقد تعنى أنّ لسان حالها يدل على عفتها وطهارتها.

وفسّرها البعض أيضاً بمعنى الدلال وهو قريب من المعنى السابق.

ولقد ذكرت كلمة «أتراب» فى ثلاث آيات من القرآن الكريم كوصف للحور العين «۱» وهى جمع «تِرْب» على وزن (حزب) بمعنى (المتساويان) فى السن، وتستخدم فى الجنس المؤنث على الأغلب، وقيل: إنّها فى الأصل مشتقة من «ترائب» بمعنى اضلاع القفص الصدرى: أى متشابهات ... وقال البعض إنّها مشتقة من مادة (تُراب) وكأنّهم ولدوا فى وقت واحد ووطؤوا تراب الأرض معاً.

على أيّة حال فإنّ التساوى فى السن يمكن أن يكون إشارة إلى تقاربهم، حيث إنّ الأزواج المتقاربين فى السن يدركون غالباً أحاسيس ومشاعر بعضهم البعض على نحو أفضل، أو أنّه إشارة إلى تشابههم فى الخلقة والقامة والصورة والسن حتى أصبحوا متشاكلين.

ولكن ذكر هذا الوصف مع بقية الأوصاف الاخرى مثل «عرب» و «كواعب» و «قاصرات الطرف» يدلل على أنّ المعنى الأول هو الأنسب.

«كواعب»: لقد ورد هذا الوصف مرّة واحدة فى القرآن الكريم فى سورة النبأ، و (كواعب) جمع (كاعب) بمعنى الفتاة صغيرة السن، وهى مشتقة من مادة (كعب) والتى تعنى فى الأصل

---

(۱). سورة النبأ، ۳۳؛ ص، ۵۲؛ الواقعة، ۳۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۸

بروز ظاهر القدم، واستعملت هنا للإشارة إلى الفتيات الصغيرات السن اللاتى أشرفت أثداؤُهُنَّ على البروز، ولقد ورد كذلك أنّ

الكواعب إشارة إلى مرحلة البلوغ الجسمى حيث يبدأ الجسم بالنمو السريع فى هذه المرحلة.
وبهذا الشكل فإنّ الحور العين يتّصفن بجميع الصفات والمحاسن وحسن الظاهر والباطن والفضائل الجسمانية والروحانية والأخلاقية، وبذلك يتّصفن بكل ما هو حسن.
ونكرر مرّة اخرى ونقول: إنّ كل ذلك إشارات لحقائق مادية ومعنوية عليا للعالم الآخر ولا يمكن إدراك تفاصيلها.

۱۲- الخدم والسقاة

إنّ اللّه سبحانه وتعالى اتم نعمته على أهل الجنّة واعطاهم كل شيء ومن جملتها المضيّفون الذين يخدمونهم وبأعلى كيفية.
و «السُقاة»: وهم الذين يطوفون على أهل الجنّة ويسقونهم من الشراب الطهور.
إنّ حسن ظاهرهم ولطف باطنهم وصلاح خَلقهم وخُلقهم من الدرجة بحيث يجذب إليهم أهل الجنّة وينسيهم كل ما تحملوه من الآلام والمعاناة فى الدنيا فى سبيل اطاعة أوامر اللّه تعالى
ولقد تحدث القرآن الكريم فى آيات عديدة عن (الغلمان) و (الولدان المخلدون) ووصفهم بأجمل الأوصاف.
إنّ التعابير الواردة فى هذا الصدد، وكسائر المواهب والعطايا الإلهيّة متنوعة ومختلفة، فقد جاء تعبير «غلمان» فى قوله تعالى «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ».
(الطور/ ۲۴)
تعبير (يطوفُ) (مع ملاحظة كونه فعل مضارع يفيد الاستمرار) دليل على أنّ طوافهم حول أهل الجنّة طواف دائمى.
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۸۹
«لؤلؤٌ مكنون»: وصف للخدمة، فهم فى حسنهم وصباحتهم وصفائهم وبياضهم كاللؤلؤ المصون فى الصدف، أو الذى اخرج تواً من الصدف.
صحيح أنّ الجنّة- حسب التعابير الواردة فى الآيات والروايات- لاتحتاج إلى خدم، وكل مايريد أهل الجنّة مهيأ وجاهز، ولكن هذا يعبّر عن مقدار الاحترام والاكرام المنقطع النظير لأهلها من قبل الخدم.
ولو أنّ هذه الآية لم تخبر صراحة، عن علّة طوافهم، ولكن الآيات التى بعدها أشارت إلى أنّ مهمتهم تتعلق بخدمة وتضييف أهل الجنّة بأنواع الأشربة والشراب الطهور، ومختلف الأغذية.
التعبير ب (لهم) يدل على أنّ لكل واحدٍ من أهل الجنّة خدماً خاصين به، وقيل: ليس على الغلمان مشقة فى خدمة أهل الجنّة بل لهم فى ذلك اللذة والسرور إذ ليست تلك الدار دار محنة.
وقد نقل الكثير من المفسّرين هذا الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله: قيل يارسول اللّه الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم؟ فقال: «والذى نفسى بيده إنّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» «۱».
ومن الجدير بالذكر أنّ (الغلمان) جمع غلام وتعنى فى اللغة (الصبى) لا العبد «۲».
ومن البديهى أنّ الأفراد بهذا السن يتمتعون بالنشاط والحيوية والجدية.
وذكر القرآن الكريم تعبيراً آخر بخصوص الخدم وهو «ولدان»، قال تعالى «يَطُوفُ عَلَيهِمْ وِلدَانٌ مُّخَلَّدُونَ* بِأَكوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ». (الواقعة/ ۱۷- ۱۸)
«ولدان»: جمع «وليد» بمعنى (مولود)، وهنا بمعنى (الغلام) وما ذهب إليه البعض من كونهم صغار المؤمنين يخدمون آباءهم فهو بعيد «۳»، وذلك لأنّهم إن كانوا مؤمنين فهم

(۱). راجع تفاسير مجمع البيان؛ روح الجنان؛ روح البيان؛ القرطبي؛ و الكشاف ذيل الآية مورد البحث.

(۲). لقد كتب الكثير من أرباب اللغة في تفسيرها «الغلام هو الطار الشارب» (مقاييس اللغة، المفردات، لسان العرب).

(۳). تفسير الكبير، ج ۲۹، ص ۱۴۹ ذكر هذا الاحتمال في تفسيره واستبعده.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۰

يُخدمون لا أنّهم خدم للآخرين، وإن كانوا غير مؤمنين فلا سبيل لهم.

وتعبير (مخلدون) إشارة إلى بقائهم على حالهم فيبقون صغاراً دائماً لا يكبرون ولا يلتحون فهم على هيئتهم من حداثة السن والنشاط والحيوية.

ولقد ورد نفس هذا التعبير بتوضيح أكثر وألطف، قال تعالى «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ اذَا رَأَيْتَهُم حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنْثُوراً». (الإنسان/ ۱۹)

وهذا شاهد آخر على أنّ المراد من (ولدان) هو نفس (الغلمان) الذين وصفتهم الآيات السابقة ب (لؤلؤ مكنون)، وهنا وصفتهم هذه الآية ب (لؤلؤ منثور).

ولقد احتمل الكثير من المفسرين أنّ هؤلاء الغلمان هم أطفال المشركين والمؤمنين الذين رجحت كفة سيئاتهم، فلم يؤاخذهم اللَّه سبحانه بأعمال آبائهم ولكن جعلهم خدماً لأهل الجنّة وهم مسرورون بذلك.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار ما أشرنا إليه سابقاً في تضعيف هذا الاحتمال، وما الرواية التي نقلت في هذا المجال إلّارواية مرسلة لا أكثر.

وجاء في تعبير آخر (بصيغة المبني للمجهول) يشير إلى المضيفين في الجنّة، قال تعالى:

«يُطَافُ عَلَيهِم بِكَأسٍ مِّنْ مَّعِينٍ». (الصافات/ ۴۵)

ولقد ورد شبيه هذا المعنى بشيء من التفاوت كدليل على تنوع الموائد في الجنّة في قوله تعالى: «وَيُطَافُ عَلَيهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكوَابٍ كَانَت قَوَارِيرَاْ». (الدهر/ ۱۵)

ونقرأ تعبيراً آخر في قوله تعالى: «يُطَافُ عَلَيهِم بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكوَابٍ». (الزخرف/ ۷۱)

«صحاف»: جمع «صحفه» وعلى قول الزمخشري (طبق ما جاء في مصباح اللغة): إناء مستطيل (كبير)، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار المادة الأصلية للكلمة والتي تعني الانبساط والاستواء، فيمكن أن يكون إشارة إلى إناء يشبه (الصينية).

و «أكواب»: جمع (كوب) وهو إناء للشراب لاعروة فيه وقد يعبر عنه ب (القدح) أحياناً.

والجدير بالذكر وعلى قول بعض المفسِّرين (صحاف) (جمع كثرة) و «أكواب» جمع «قلة»، وهذا يعود إلى أن تنوع الأغذية وصحافها أكثر من تنوع المشروبات وأكوابها «۱»،

---

(۱). تفسير روح المعاني، ج ۲۵، ص ۹۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۱

وتقتضي فصاحة القرآن التطرق حتى لمثل هذه الجزئيات، (تأمل).

وأخيراً، ولو أنّ هذه الآيات الأخيرة لم تبيّن أوصاف المضيّفين، ولكن يمكن أن تفسرها الآيات السابقة وتدلل عليهم وعلى مواصفاتهم.

۱۳- المضيفون

يلاحظ في مجالس الضيافة ولأجل تقدير واحترام الضيوف على أحسن وجه حضور شخصية أو مجموعة من الشخصيات المحترمة،

وهؤلاء يقومون بواجب الضيافة كدعوتهم الضيوف إلى تناول الطعام أو المراجعات أو سائر لوازم الضيافة، وغالباً مايكون هؤلاء من غير الخدم.

وهذا يعتبر احتراماً مضاعفاً، وكذلك يمنح الضيف أهميّة وعظمة خاصة، بالإضافة إلى ذلك يزيد من احترامه وتقديره.

ويستفاد من الآيات الكريمة أنّ هذا المعنى عهد به إلى الملائكة وخزنة الجنّة. فإنّهم يدعون أهل الجنّة للانتفاع من نعمها.

ورد في قرآن الكريم (ومن دون أن يذكر القائل): «كُلُوا وَاشرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ». (الطور/ ۱۹)

ولقد ورد عين هذا التعبير في الآية ۴۳ من سورة المرسلات.

فهل أنّ المتكلم هو اللّه تبارك وتعالى وهل ورد هذا الكلام كاحترام وأكرام وعناية ولطف خاص من قبل اللّه تبارك وتعالى؟ أم أنّ هذا الكلام صادر عن الخزنة والملائكة ...؟

على أيّة حال، فإنّ جميع نعم الجنّة هنيئة، وما قول «هنيئاً ...» إلّاعناية اخرى تضاف إلى جميع النعم.

ولقد ورد شبيه هذا التعبير بشيء من الاختلاف في قوله تعالى «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا اسْلَفْتُمْ في الْايَّامِ الْخَالِيَةِ» «۱». (الحاقة/ ۲۴)

---

(۱). في اعراب «هنيئاً» أقوال: يرى البعض أنّها وصف بمحل «المفعول المطلق» ويكون التقدير (كلو أكلًا هنيئاً)، وقيل: إنّها وصف المفعول به ويكون المعنى (كلو واشربوا مأكولًا ومشروباً هنيئاً)، وفي الواقع أنّ هنيئاً هو نفس المأكول والمشروب.

وعلى أيّة حال، فإنّ المراد من «هنيئاً». أنّ الطعام أو الشراب لايترك أي أثر سيء على الإنسان. بل إنّه يهضم بكل سهولة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۲

إنّ هذه الآية لم تشر إلى المتكلم أيضاً، وما جاء في الآيات لا يختلف عمّا ذكرناه في الآية السابقة.

۱۴- النُّزل

نلاحظ في بعض الآيات تعبيراً عميق المعنى يكشف عن حقيقة جديدة وهذا التعبير هو (النُزُل)، وقد ورد في قوله تعالى: «لَهُم جَنَّاتٌ تَجرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّن عِنْدِ اللّهِ وَمَاعِنْدَ اللّهِ خَيرٌ لِّلابرَارِ». (آل عمران/ ۱۹۸)

كما ورد نفس هذا المعنى في الآية ۱۰۷ من سورة الكهف، والآية ۱۹ من سورة السجدة، والآية ۶۲ من سورة الصافات والآية ۳۲ من سورة فصلت.

ولأجل توضيح المفهوم الحقيقي لهذه الآيات، فلابدّ من توضيح المعنى الدقيق للنزل.

قال الراغب في مفرداته: (النزل مايعد للنازل من الزاد)، وعلى ضوء هذا التفسير تكون جميع النعم التي تعد لاستقبال الضيوف مصداقاً من مصاديق النزل، ولقد ورد نفس هذا المعنى في «صحاح اللغة» و «المقاييس».

وقال بعض المفسرين: «النزل مايعطي الملك النازل وقت نزوله قبل أنّ يجعل له راتباً أو يكتب له خبزاً» «۱».

وقيل: (النزل) «۲» أول طعام يقدم إلى الضيف (وكما هو جارٍ في زماننا حيث يقدمون عصير الفواكه، أو الفواكه للضيف في أول حلوله) وينسجم هذا المعنى مع مفهوم (النُنزل).

---

(۱). تفسير الكبير، ج ۲۵، ص ۱۸۲.

(۲). تفسير المنار، ج ۴، ص ۳۱۴- لقد ذكر ثلاثة معان مختلفة ومتقاربة في نفس الوقت.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۳

وبناءً على ذلك ومع الأخذ بنظر الاعتبار «الجنات» بكل نعمها ومواهبها يكون مفهوم «النزل» في ذلك المضيف الكبير هو: وجود

استقبالات أعلى وأهم ولعلها تكون إشارة إلى تلك النعم المعنوية والجذبات الروحانية والمظاهر القدسية، ولهذا السبب ورد فى قوله تعالى بعد جملة: «نُزُلًا مِّن عِندِ اللَّهِ» قوله تعالى: «وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيرٌ لِّلابرَارِ».

(آل عمران/ ۱۹۸)

حتى وإن كان (النزل) بمعنى مايعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب (كما قال ذلك بعض المفسرين). فإنّه لا يمكن انكار أنّ ضيافة الشخص الكريم لاتنحصر بإطعام الضيوف فقط، بل تشمل إضافة إلى ذلك تقديم أنواع الهدايا والعطايا التى تهدى إليهم، وما الطعام والشراب إلّاشيئاً يسيراً قبال هذه الامور.

وبناءً على هذا ومهما كان معنى (النزل)، فانه إشارة لطيفة إلى تلك المواهب المعنوية والروحانية للجنّة.

۱۵- النعم التى لا تتصور

ممّا لا- شك فيه أنّ النعم المادية فى الجنّة لا تنحصر بما قيل سلفاً، فطبيعة هذا العالم المحدود تحول دون أن يكون لدينا تصور متكامل عن النعم المادية والروحانية فى العالم الآخر.

ومن جهة اخرى، أنّ حب التنوع عند الإنسان يدفعه لطلب المزيد من المواهب والنعم المختلفة، ولذا عنى القرآن الكريم بهذه المسألة عناية خاصة وأعلن صراحة: «وَفِيهَا ماتَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ». (الزخرف/ ۷۱)

وهذا التعبير هو أكثر التعابير شمولية وجمعاً فيما يتعلق بالمواهب والنعم الإلهيّة فى الجنّة.

يقول المرحوم (الطبرسى) فى مجمع البيان: «لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۴

فى الجنّة من أنواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان» «۱».

والملفت هو ذكر هذه الجملة بعد بيان العديد من نعم الجنّة حتى يُعْرف أنّ نعم الجنّة لاتنحصر بها.

وهنا يطرح هذا السؤال: لماذا ذكر تعالى لذة الأعين بعد لذة الأنفس؟ هناك عدّة احتمالات:

الأول: أنّ جملة «تشتهيه الأنفس» تشمل جميع اللذات، أمّا لذّة «الأعين» ولِما لها من أهميّة استثنائية فقد وردت على شكل (ذكر الخاص بعد العام).

الثانى: أنّ الجملة الاولى إشارة إلى لذات جميع الحواس (حاسة السمع، واللمس، والذوق، والشم)، أمّا جملة «تلذ الاعين» فهى إشارة إلى لذة حاسة البصر وهذه اللذة تعادل جميع اللذات أو أكثر.

الثالث: أنّ الجملة الاولى أشارت إلى جميع اللذات الجسمانية (المادية)، أمّا الجملة الثانية فقد أشارت إلى اللذات الروحانية (المعنوية). أى النظر بعين البصيرة إلى جمال الخالق المطلق، ومشاهدة صفات الجمال والجلال التى تعادل كل لحظة منها جميع النعم المادية فى الجنّة.

ومن الواضح أنّ محيط الجنّة محيط منزه ومقدس، لذا فإنّ طلبات الإنسان من أنواع النعم (المشروبة والمأكولة والملبوسة والمشمومة وغيرها) لا تتعدى الأشياء الظاهرة التى تليق بالإنسان الطاهر، وعلى هذا فلا استثناء فى عمومية الآية، ولا تحتاج إلى تساؤلات هذا وذاك من قبيل هل تشمل الطلبات السيئة للنفس؟

لقد ورد نفس هذا المعنى فى قوله تعالى «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشتَهِى انفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا ماتَدَّعُونَ» «۲». (فصلت/ ۳۱)

قال بعض المفسرين: إنّ الجملة الاولى إشارة إلى جميع النعم المادية فى الجنّة، أمّا

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۵، ص ۵۶.

(۲). «يدَّعُون» من مادة «ادّعاء» (افتعال من دعاء) بمعنى طلب الشيء.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۵

الجملة الثانية فهى إشارة إلى المواهب المعنوية بقرينة قوله تعالى: «دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ انِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». (يونس/ ۱۰)

إنّ هذا التفسير يعتبر تفسيراً مناسباً، حيث إنّ شهوة النفس تكون أكثر فيما يتعلق ب (المسائل المادية)، أمّا الدعاء فيستعمل عادة فى المسائل المعنوية.

ونقرأ تعبيراً آخر فى قوله تعالى «وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ انفُسُهُمْ خَالِدُونَ». (الأنبياء/ ۱۰۲)

وإضافة إلى ماذكرنا هناك آيات اخرى فى هذا المجال:

فنجد فى تعبير جديد: «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ». (نحل/ ۳۱)

وكذلك ورد نفس هذا التعبير فى سورة الفرقان الآية ۱۶.

ويلاحظ هذا التعبير أيضاً (وبشيء من الاختلاف) فى ثلاث سور اخرى من القرآن (الزمر/ ۳۴، والشورى ۲۲، و ق/ ۳۵).

ويتّضح من مجموع ماذكر فى هذا الفصل، أنّ العطاء الإلهى فى الجنّة لا تحدّه أىحدود، لا من حيث المقدار، ولا الكيفية والنوع، ولا الزمان والمكان، وبناءً على ذلك فإنّ ما ذكر فى الفصول الماضية إنّما هو عبارة عن نماذج واضحة لما يمكن أن يدركه أهل هذا العالم إجمالًا، أمّا النعم التى هى فوق تصورنا وإدراكنا فقد أشارت إليها الآيات القرآنية المذكورة بعبارات أكثر شمولية وعمومية.

وفى الحقيقة أنّ الجنّة والعطاء الإلهى فيها ما هو إلّامظهر كامل من مظاهر القدرة واللطف الإلهى، وبما أنّه لا نهاية لقدرته ولطفه تعالى . فكذلك لا نهاية ولاحد لعطاياه ومواهبه فى الجنّة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۷

۳- اللذّات الروحية

اشارة

نظراً لوجود أبعاد روحية وجسمية فى «المعاد» ونظراً لكون الروح أسمى وأشرف من الجسم بمرّات وَمرّات، فينبغى إذن عدم الشك فى أنّ النعم الروحية والمعنوية للجنّة أفضل وأسمى وأعظم بمرّات من النعم المادّية والجسمية!

ولكن لمّا كان الوصف لا يتسع عادة للتعبير عن هذه النعم، وهى امور تعتمد على المشاهدة (القلبية) لا على القول والسماع فلهذا غالباً ما نعثر فى الآيات القرآنية على إشارات مبهمة لهذه النعم التى يتمتّع بها أصحاب الجنّة باستثناء الموارد التى يمكن شرحها وبيانها حيث تولى القرآن الكريم شرح وتبيان عدد منها.

وبعبارة أخرى فإنّ لذّة إدراك معرفة اللَّه وما فيها من نفحات جلالية وجمالية وأنوار ألطافه الخفيّة، والسكر لدى ارتشاف كأس العشق لذاته المقدّسة تعادل بل وتفوق اللحظة الواحدة منها كل النعم المادية فى هذا العالم.

وقد نتصور أحيانا نماذج بسيطة لهذه النعم فى الدنيا تتجلّى لنا عندما نقف بين يدى اللَّه سبحانه وتعالى وننقطع للعبادة والخلوة، فنمد الأيدى بالدعاء والمناجاة ونغرق بالاستغاثة ونداء يا قاضى الحاجات، فننسى الدنيا وما فيها، وفى لحظات قصيرة نحس وكأننا فى حالة ذوبان فى جمال اللَّه الذى لا مثيل ولا نظير له، وبالخصوص لو كنّا فى هذه اللحظات فى بعض الأماكن المقدّسة، فى بيت اللَّه الحرام أو عرفات والمشعر وغيرها من الأماكن والعتبات المقدّسة المخصصة للعبادة، فيشعر الإنسان بلذة لا يمكن لأىقلم أو بيان أن يصفها ويتصورها.

تصّور لو أنّ هذه الحالات تحصل وبشكل أكثر قوّة بآلاف المرات وتستمر لساعات

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۸

وأيّام وليال وأشهر وسنوات متواصلة، كيف سيكون الحال؟ خاصّة مع انعدام عوامل الغفلة عن ذكر اللَّه فى الجنّة وزوال المسببات التى تعصف باستقرار القلب وحضوره، وانكشاف الحجب وموانع المعرفة من أمام الابصار، حيث يصبح إدراك الإنسان وبصيرته أشدّ وأقوى ولا وجود هناك للوساوس الشيطانية التى تقف حجر عثرة دوماً فى وجه سالكى هذا الطريق.

يمكن حينذاك تصّور ما يجرى هناك، وما هى النعم المعنوية العظيمة التى تتجلّى لنا، وما هى النفحات الجذابة التى تستقطب الروح إلى جوار قرب اللَّه، وتجعلها غارقة فى أنوار ذاته وغافلة عن ذاتها حتى يصل بها الحال إلى عدم رؤية ما سواه ولا تطلب سواه، ولا ترى إلّا ما تحب، وتحب كل ما ترى

ونعود الآن إلى القرآن مع الالتفات إلى الإشارات المذكورة أعلاه لنرى القرآن نفسه وهو يبّين هذه النعم التى يمكن تلخيصها تحت الأبواب الآتية:

۱- الاحترام الخاص

تبدأ الاحترامات الخاصة لأهل الجنّة منذ لحظة دخولهم فيها فيقابلهم خزنتها مهنّئين، كما ورد فى القرآن الكريم: «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى اذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ ابْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ». (الزمر/ ۷۳)

يُستفاد من هذه الآية أنّ خزنة الجنّة ينتظرون المتقين بلهفة على أبواب الجنّة وقد فتحوا لهم أبوابها من قبل وما أن يصلوا إليها حتّى يسارعوا إلى استقبالهم بأجمل التحيات ووافر الاحترام ويدعوهم بأطيب العبارات إلى الجنّة والحياة الخالدة فيها «۱».

---

(۱). الملفت للنظر هنا أنّ القرآن استعمل «واو» الحالية فى جملة «وفُتِحت أبوابها» للتعبير عن انفتاح الأبواب مسبقاً (كما ورد هذا فى الآية ۵۰ من سورة ص «جَنَّات عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ». إلّاأنّه تعالى يقول عن النّار: «حتّى إذا جاءُوها وَ فُتِحت أبوابها» بدون استعمال «واو» الحالية.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۱۹۹

نعم هذه هى الأصول المتّبعة فى استقبال الضيف العزيز، فأول الأمر تفتح الأبواب والمضّيفون ينتظرون على الباب، وما يكاد يدخل حتّى يستقبلوه بالترحاب وهذه من اللذات المعنوية الثمينة.

«والخزَنة»: جمع (خازن) وهو بمعنى الحارس والمراقب، والمقصود هنا هو الملائكة الذين يتولون المحافظة على الجنّة وتسيير شؤونها.

وفى المرحلة اللاحقة بعد دخول الجنّة يُؤمر ملائكة اللَّه المقربون بالدخول عليهم من كل باب والترحيب بهم وتهنئتهم. ورد فى قوله تعالى «وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقبَى الدَّارِ» «۱». (الرعد/ ۲۳- ۲۴)

ويُفهم من الآية السابقة أنّ جموعاً من الملائكة يدخلون عليهم من كل باب، مع الالتفات إلى أنّ كل باب من أبواب الجنّة مخصص لواحد من الأعمال الصالحة مثل: (باب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الحج) فيتضح أنّ كل مجموعة من الملائكة تدخل عليهم لأجل واحد من الأعمال الصالحة التى أدوها فى الدنيا، والطريف فى الأمر أنّ كل هذه الأعمال تتلخص فى معنى الصبر بكل أنواعه: الصبر على الطاعة والصبر على المصيبة، والصبر عن المعصية.

والأهم من كل ذلك التحية والسلام الصادر من اللَّه إلى أهل الجنّة، وهو سلام مقرون بالمحبّة ومليء باللطف والرحمة، كما جاء فى قوله تعالى «سَلَامٌ قَولًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ» «۲».

(يس/ ۵۸)

هـذا السـلام وهـذه التحيـة الإلهيّـة التى تنفـذ فى أعماق النفس وتملؤها بالطاقة فتشد إليها نفوس أهل الجنّة بما فيها من لطف واحسان وتجعلها مستغرقة بالبهجة، إنّها نعمة لا تضاهيها نعمة، أجل، إنّ سماع نداء المحبوب المنبعث من جوده ولطفه لَهُو أفضل من الدنيا وما فيها.

---

(۱). هذه الجملة تقديرية، وتقديرها هو: فنعم عاقبة الدنيا الجنّة.

(۲). قيل فى إعراب هذه الجملة: «سـلام» خبر «أنّ» «لهم» مقدّرة. و «قولًا» مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: يقول قولًا، وهناك آراء اخرى أيضاً فى هذا الصدد. إلّاأنّ ما ذكرناه هو الأنسب.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۰

نفحات القرآن ج ۶ ۲۴۹

إنّ نفحة لقاء المحبوب ورؤية لطف الحبيب والسلام الذى يعنى رفع الحجب، يحوى من اللذّة والأشواق والبهجة بحيث لو بقى العشاق بعيدين عن فيضه المعنوى لما صبروا، على تحمل ذلك، وقد روى بعض مفسرى السُنّة حديثاً قيّماً عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: «لو حجبت عنه ساعة لمتّ» «۱».

وعلى أيّة حال، فإنّ أسمى أمانى أهل الجنّة وأشرف مفخرة لهم وأحبّ ساعة إليهم، هو أنّ يسلّم عليهم الرّب الرحمن الرحيم.

وتجـدر الإشارة إلى أنّ هناك آيات عديدة اخرى فى القرآن الكريم تتضـمن اهداء التحية لأهل الجنّة من غير أن تحدد مصدر التحية والسلام كما فى «الآية ۴۶ من سورة الحجر- والآية ۷۵ من سورة الفرقان- والآية ۳۴ من سورة ق». فربّما يكون مصدر التحية الملائكة، ويحتمل فى بعضها أن يكون السلام من أهل الجنّة على بعضهم، أو ربّما يكون من اللَّه وهذا أفضلها وأكملها.

۲- اجواء الامن والسلام

إنّ أكثر ما يعكر صـفو روح الإنسان فى الـدنيا هو عـدم الشـعور بالأمان فى شتى مناحى الحياة، وعـدم الشـعور بحلاوة الـدنيا يعود فى الغالب إلى عـدم ثقـة الإنسان بما بين يديه، فهو غير واثق من المسـتقبل ولا هو واثق من أبناء جنسه، لا سـيما إذا كانت لديهْ نعمة أكثر فهو يجد نفسه عرضة لأمواج متلاطمة من الحقد والحسد والكراهية بما يجعل الدنيا مظلمة فى عينيه.

واحـدى النعم الروحيـة المتوفّرة فى الجنّة هى الشـعور بالأمن والأمان فى جميع المجالات، فلا خوف من انـدلاع الحرب ولا وجل من المخاصمات، ولا الحقد له وجود ولا الحسد، والعشق والوفاء يملأ الأرجاء، وكذلك المحّبة والاخوّة تحيط بالجميع.

---

(۱). تفسير روح البيان، ج ۷، ص ۴۱۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۱

نلا حظ فى القرآن الكريم آيتين فيهما وصف جميل وغنى للجنّة وهو «دار السلام» وهذا ما جاء فى الآية الكريمة: «لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ».

(الأنعام/ ۱۲۷)

وكذلك جاء هذا الوصف فىقوله تعالى: «وَاللَّهُ يَدعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ». (يونس/ ۲۵)

ينقسم المفسرون فى تفسيرهم لمعنى (دار السلام) إلى قسمين:

الأول: يرى أنّ السلام هنا يعنى السلامة من كل ألم وآفة وبلاء، وهو من أوصاف الدار أى: الجنّة، فلا وجود هناك لصراع الناهبين فى الدنيا المادّية ولا أثر للسـلوكية المنحرفة لأصحاب الثروة الغافلين عن ذكر اللَّه، ذلك المكان خالٍ من الحروب وإراقة الدماء ولا مكان

فيه للاستعمار والاستثمار، نعم هناك دار السلام والوئام والأمن والأمان «۱».

الثانى: يرى أنّ السلام من أسماء اللَّه، وعلى هذا فدار السلام هى من قبيل المضاف والمضاف إليه، وهو إشارة إلى أنّ الجنّة دار اللَّه، وكلا المعنيين جميل رغم أنّ المعنى الأول يبدو مناسباً أكثر، لأنّ أصل هذه المفردة- بناءً على قول الراغب الإصفهانى- يعنى الخلو والسلامة من العيب والنقص الظاهرى والباطنى، حتّى أنّ هذه المفردة أطلِقت على ذات البارى عزّ وجلّ كواحدة من صفاته وأسمائه الحُسنى لأنّ ذاته المقدّسة سالمة من العيب والفناء.

ويظهر كذلك من جملة (لهم دار السلام) أنّها تتطابق والمعنى الأول. (تأمل).

وورد فى حديث عن ابن عبّاس أنّه قال: «دار السلام: الجنّة وأهلها لهم السلامة من جميع الآفات والعاهات والأمراض والاسقام، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغير الأحوال عليهم، وهم المكرمون الذين لا يهانون أبداً، وهم السعداء الذين لا يشقون أبداً، وهم الفرحون المسرورون الذين لا يغتمون ولا يهتمون أبداً، وهم الأحياء الذين لا يموتون

(۱). بلغنى وأنا أكتب هذه الجمل أنّ المستعمرين بقيادة أمريكا قد بدأوا قبل عدّة ساعات بهجوم على العراق وأنّ المئات من طائراتهم تضرب وبشكل متواصل جميع المنشآت الحيوية فى هذا البلد (۲۷/ ۱۰/ ۱۳۶۹ المصادف ليوم ۳۰ جمادى الثانية عام ۱۴۱۱).

أبداً، فهم فى قصور الدر والمرجان أبوابها مشرعة إلى عرش الرحمن والملائكة يدخلون عليهم من باب سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار» «۱».

وأخيراً تأتى تكملة هذا الموضوع فى الآية الكريمة: «وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ اخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ* لايَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَاهُمْ مِّنهَا بِمُخْرَجِينَ» «۲». (الحجر/ ۴۷- ۴۸)

وبما أنّ كلمة «غل» تحتمل الكثير من المعانى الواسعة التى تدل فى الغالب على الصفات الباطنية القبيحة التى تعكر صفو الروح والجسد والعائلة والمجتمع، لهذا يفهم من هذه الآية أنّ صدور أهل الجنّة خالية من الحقد ولا تحمل قلوبهم أىضغينة وعداوة وكبر وحسد، فاللَّه قد نزع من قلوبهم كل هذه الصفات الرذيلة، فسادتهم روح الاخوة والمحّبة. وما أجمل وألطف مثل هذه الأجواء الخالية من تلك الصفات التى يخيم عليها الحب والعطف والسلام والوئام.

وحتى فى الحياة الدنيا كلما أزيلت أمثال هذه الرذيلة من المجتمع كلما ساده الأمن والاستقرار، وعلى العكس من ذلك كلما انتشر وجود أمثال هذه الظواهر فى أىبيت أو مجتمع أصبحت مصدراً للنزاعات الدامية والمؤسفة وسبباً لزعزعة الأمن والاستقرار.

وممّا يثير الاهتمام أنّ القرآن الكريم جعل الاستقرار الداخلى مكمّلًا للاستقرار الخارجى حيث يقول: لا يوجد فى الجنّة تعب أو اضطراب، وينعدم فيها الخوف من زوال النعم، وهو الهاجس الذى يقلق بال الإنسان الذى ينعم بالخيرات ويكدّر عليه عيشه، وكل هذه الأسباب تجعل من نعم الجنّة هنيئة مستساغة «۳».

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۹۴، ح ۱۷۶.

(۲). «غلّ» مشتقّة من كلمة «غلل» على وزن «بَلَل»، وتعنى فى الأصل النفوذ التدريجى للشىء، ولهذا يُقال للماء الذى يجرى ويتسلل بين الأشجار (غلل)، وكذلك يقال للحسد والحقد والعداوة «غل» لأنّها تنفذ إلى القلب خفية وبالتدريج، وكذلك يطلق على الخيانة اسم «الغلول» لهذا السبب.

(۳). ورد ما يشابه هذا المضمون مع بعض الاختلاف الجزئى فى: الآية ۴۳ من سورة الأعراف؛ والآية ۳۵ من سورة فاطر.

۳- الأمان بعد الخوف

إنّ نعمـة الأمن وبغض النظر عن جـذورها التی أشـرنا إلی بعضـها فی بحثنا السابق، تُعـد من أكبر النعم المعنويـة التی يعز علی الإنسان فقدانها ولو للحظة واحدة، وهذه الحقيقة يشعر بها الأشخاص فی المناطق الصحراوية الموحشة، أو فی المناطق الحربية المعرّضة فی أی وقت للقصف بالصواريـخ والقنابـل، فهنـاك يتكـدَّر معين الحياة الصافی وتمضـی الساعات والـدقائق ثقيلـة وعسيرة، والنقطـة المقابلة لذلك هی مناطق الأمن والأمان «۱».

يَصفُ القرآن المجيد حال المتقين بقوله: «انَّ الْمُتَّقِينَ فِی مَقَامٍ امِيْنٍ». (الدخان/ ۵۱) فلا هم يخشون هجوم الشياطين ولا يخافون سلطة الطواغيت ولا هم يتعرضون للآفات والبلايا ولا يعتريهم الحزن والغم!

ولهذا السبب يضيف فی مكان آخر: «ادْخُلُوا الجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ».

(الأعراف/ ۴۹)

لقـد لاحظنـا مـن خلال التجربـة أنّ بعض النـاس- ورغـم مـايتوفر له من متطلبـات الحيـاة ومسـتلزمات الراحـة- يعيش حالـة من القلق والاضطراب بسبب الحزن والهم الذی يستحوذ عليه، أو لوجود الخوف والهلع الذی ينتابه فيقض مضجعه فنراه لا يلتفت مطلقاً إلی كل تلك النعم ولا يعير أدنی اهتمام لما بين يديه، ففی مثل هذه الأحوال يمكن لمس حقيقة وعمق التعابير القرآنية بشأن أهل الجنّة.

لابدّ أنّ أهل الجنّة يشـعرون حتّی فی هذه الدنيا بشـیء من ذلك الأمان والسـكينة فی ظل إيمانهم، وينعمون بالاسـتقرار حتّی فی أشدّ المعضـلات من خلال الاعتمـاد علی حقيقـة التوكـل وروح التسـليم والرضـا بالإرادة الإلهيّـة: «أَلَـا انَّ اوْلِيَاءَ اللَّهِ لَاخَوفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» ... «لَهُمُ البُشرَی فِی الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِی الْآخِرَةِ». (يونس/ ۶۲- ۶۴)

---

(۱). كلمـة «آمنين» الواردة فی الآيـة ۵۵ من سورة الـدخان؛ والآية ۴۶ من سورة الحجر بشأن أهل الجنّة، وكـذلك كلمة «آمنون» فی الآية ۳۷ من سورة النبأ حيث تقول: «وهم فی الغرفات آمنون» هاتان الكلمتان تشيران إلی نفس هذا المعنی

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۴

۴- الأخلّاء والأصدقاء الأوفياء

ومن أهم اللذائذ الروحية الأخری معاشـرة الأصدقاء المخلصين والاخلّاء الذين يتصفون بالإيمان والسجايا الرفيعة، ويفوح من أرواحهم عطر المحبّـة والمودّة، إنّ الجلوس مع هؤلاء لحظـة واحدة يغمر النفس ببهجة لاتوصف، وتذكر الآيات القرآنية الشـريفة أنّ أهل الجنّة ينعمون بهـذه النعم فيجالسون الأخلاء ويتحـدثون إليهم، ولكن ما هی المواضيـع التی تدور حولها أحاديثهم؟ هذا ما لا يمكن التكهن به، لعلهم يتحدثون فی مواضيع يستحيل علينا إدراكها اليوم، ولكن من البديهی أنّها من نوع الأحاديث التی تحيی القلوب.

تطالعنا الآيتان بما يأتی: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ انْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً «۱»* ذلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَی بِاللَّهِ عَلِيماً». (النساء/ ۶۹- ۷۰)

نعم، إنّ الأخلاء فی الجنّة هم خيرة ذوی الفضائل فی العالم: كالأنبياء العظام والخلّص من أصحابهم والصديقين والشهداء والصالحين.

ولو قارنا هـذا مع ما يجری فی هـذه الـدنيا حيث يضـطر الناس فی كثير من الأحيان إلی تحمل العذاب الناتج عن معاشـرة أشـخاص لا يجمعهم وإيّاهم انسجام أو ترابط، يمكن حينذاك فهم طبيعة الأوضاع الموجودة فی الجنّة.

والـذی يسترعی الاهتمام هنا أنّ الكثير من المفسـرين قد نقلوا روايات عديدة بشأن نزول هذه الآية، ننقل فيما يلی ملخّصـها (مع وجود بعض الاختلاف بين المفسرين فی النقل):

يروى إنّها نزلت فى ثوبان مولى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، إذ كان شديد الحبّ لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله قليل الصبر عنه فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه، فسأله رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن حاله، فقال: يارسول اللَّه ما بى وجع غير إنى إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت

(۱). يرى البعض أنّ كلمة «رفيقا» جاءت هنا تمييزاً ولهذا وردت مفردة، واعتبرها البعض الآخر حالًا. وان مجيئهامفردة (مع أنّ الحال جمع) إمّا لكون كلمة رفيق تعنى المفرد وتعنى الجمع أيضاً أو تضمنها لمعنى الجنس.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۵

وحشة شديدة حتى ألقاك، فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأنّى إن أُدخلت الجنّة فأنت تكون فى درجات النبيين وأنا فى درجات العبيد فلا أراك وإن أنا لم أُدخل الجنّة فحينئذٍ لا أراك أبداً. فنزلت الآية «۱».

وكلمة «ذلك» التى تستعمل عادة إشارة للبعيد، جاءت هنا للدلالة على عظمة هذه النعمة الإلهيّة، وكأنّها عالية إلى الحد الذى يجعلها بعيدة عن متناول أيدينا، وكذلك عبارة «فضل من اللَّه» إنّما هى تأكيد على هذا المعنى وإشارة إلى أنّ هذه النعمة لا يمكن الحصول عليها بمجرّد العمل، بل تنال بفضل اللَّه.

وتجدر الإشارة إلى قضية أخرى فى هذه الآية، وهى ذكرها لأربع جماعات بالترتيب واعتبارهم كأصدقاء فى الجنّة وهم: «الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين».

ويبدو أنّ هذا الترتيب يدل على تسلسل درجاتهم. فقال بعضهم: «إنّ الأنبياء وُضعوا فى المقام الأول لأنّهم وصلوا فى مجال المعرفة الإلهيّة إلى حد رؤيته عن قرب بباصرة القلوب، والصديقون فى المقام الثانى من المعرفة وهم كمن يرى الأشياء بعينيه من بعيد، والشهداء فى المقام الثالث وهم كمن يدرك وجود الشىء بالأدلة العقلية، والصالحون فى المقام الرابع وهم كمن يقبل الأشياء عن طريق تقليد الكبار واتّباع أهل الفن» «۲».

يمكن فى كثير من الحالات اطلاق كلمات (الشهداء والصالحين والصديقين) على الأنبياء أيضاً، لكن ربّما يُقال: إنّ هذه الأوصاف الأربعة عندما تصبح فى ازاء بعضها فانّها تعطى مثل هذا المعنى

ويبدو أنّ هناك تفسيراً أكثر روعة بشأن هذه الدرجات الأربع، وهو أنّ الحاجة إلى هداية المجتمع الإنسانى تحتاج فى بداية الأمر إلى الأنبياء أى (القادة الربّانيين). ومن بعدهم يأتى دور الصديقين أىالمبلّغين الصادقين فى القول والعمل الذين ينشرون دعوتهم

(۱). راجع تفاسير مجمع البيان؛ والكبير؛ والقرطبى؛ والمراغى؛ وروح المعانى؛ وفى ظلال القرآن ذيل الآية مورد البحث.

(۲). مقتبس من تفسير روح المعانى، ج ۵، ص ۶۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۶

من بعدهم، وفى المرحلة التالية عند اصطدامهم بالعوائق والموانع تبرز الحاجة إلى أشخاص يهبّون للدفاع ويقدّمون التضحيات حتّى يتمكّن الصالحون أخيراً من حكم المجتمع.

وفى هذه المناسبة ينبغى الإشارة إلى أنّ مرافقة هذه الفئات الأربع لا تعنى وحدة المقام معها، بل تعنى إمكانية الإرتباط بها كما هو الحال فى اتصال الطالب باستاذه أو الجندى بآمره.

ورد ما يشبه هذا المعنى ولكن بثوب آخر- فى قوله تعالى: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ». (الحجر/ ۴۷)

ويلحظ فى الآية ۳۱ من سورة الكهف إشارة إلى نفس المعنى أيضاً.

وعلى أيّة حال، فإنّ مرافقة هؤلاء الصالحين والاتصال بهم يُعد من أكبر اللذات المعنوية لأصحاب الجنّة.

۵- العلاقات الطّيبة

إنّ ما يملأ أجواء الحياة بهجةً هى الأحاديث الطيّبة التى يتبادلها الناس مع بعضهم، فلو كانوا كلهم صادقين ويفكّرون بشكل اصولى ويتعاملون فيما بينهم بالانصاف والمودّة ويتبادلون الحبّ والاحترام، لكانت حياتهم مملوءة بالاستقرار والبهجة، ولكن لو انحرفت العلاقات فيما بينهم نحو الكلام القبيح وتبادلوا التهم والأكاذيب والذم والتقريع وتنابزوا بالكلمات الفجّة التى تأباها الآداب العامّة، يصبح من الصعب على أحدهم صيانة شخصيته والتعامل فى مثل هذه الأجواء بل إنّ هذه الأجواء تصبح خانقة ومؤلمة له.

وأحد الخصائص الموجودة فى الجنّة هى خلوّها من هذه الظواهر، فأهل الجنّة لا يسمعون كلمة كذبٍ واحدة على مدى خلودهم أبداً ولا تطرق أسماعهم الكلمات النابية ولا الأحاديث الباطلة، وهذه من أهم الفضائل المعنوية التى يتمتّعون بها.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۷

قال تعالى فى القرآن الكريم: «لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغواً وَلَا تَأْثِيماً* إلَّا قِيلًا سَلَاماً سَلَاماً». (الواقعة/ ۲۵- ۲۶)

فيُحيي بعضهم الآخر، والملائكة أيضاً تسلّم عليهم، والأهم من كل ذلك هو سلام اللَّه عليهم وما تحمله تلك التحيات من المحبّة والاخلاص والصفاء، أجل، إنّ مجالس أهل الجنّة فوّاحة بالحب والمودّة، وإذا توفّرت مثل هذه الأجواء فى أى مكان فهو نموذج من الجنّة.

وجاء فى موضع آخر من الكتاب المجيد: «لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوَاً وَلَا كِذَّابَاً». (النبأ/ ۳۵)

«اللغو»: فى اللغة يعنى الكلام الفارغ، وبعبارة اخرى الكلام الذى لا يتضمن أيّة أفكار أو معانٍ، ويبدو أنّ الكلمة مأخوذة اصلًا من (لغا) وهو صوت زقزقة العصافير، أمّا الضمير «فيها»: فقد أرجعه اغلب من فسر هذه الآية إلى أحد هذين الاحتمالين:

الأول: أنّه يرجع إلى كلمة الجنّة. الثانى: أنّه يرجع إلى كلمة الكأس التى وردت فى الآية السابقة لها. فاذا كان الاحتمال الأول فالمعنى واضح. وإذا صح الاحتمال الثانى فيكون المعنى أنّ شراب أهل الجنّة لا يسكر ولايسبب فيه أىلغو.

لكن التفسير الأول أكثر انسجاماً مع معنى «فيها» والآيات الاخرى المشابهة، وورد نفس هذا المعنى فى آية اخرى أقصر وأكثر وضوحاً حيث يقول تعالى «فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ* لَاتَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً». (الغاشية/ ۱۰- ۱۱)

هناك آيات قرآنية أخرى تؤكد على هذا المعنى منها (مريم/ ۶۲) و (يونس/ ۱۰).

إضافة إلى ماذكر، يتنعم أهل الجنّة بكثير من المتع المؤنسة ومجالس الفرح والبهجة والأحاديث المسلّية والمزاح اللطيف كما يصفهم القرآن: «إِنَّ اصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ». (يس/ ۵۵)

تعنى كلمة «شُغُل» أية حادثة أو حالة تشغل الإنسان، ولكنها هنا تفيد معنى الحالة المسلّية التى تبعث السرور، وذلك بوجود قرينة «فاكهون» وهى جمع «فاكه» وتعنى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۸

الإنسان المسرور، وهى مشتقة من كلمة «فكاهة» ومعناها المزاح، وتعنى كلمة «فاكه» فى اللغة العربية الإنسان الممازح المرح الذى يجيد الأحاديث الطريفة.

وبما أننا نجهل طبيعة الأشياء التى يتسلى بها أهل الجنّة لأننا نقيس كل شىء فى هذا العالم بمعيارنا المحدد الصغير، فمن البديهى أنّ النعم التى يشغلون بها هناك لا يمكننا حتّى تصّورها فى هذا العالم.

وعلى أيّة حال فإنّ الامور التى تستهويهم وتشغلهم هناك تكون سبباً لنسيان آلام هذا العالم وهول المحشر أو فقدان بعض الأحبّة، ولا شك أنّ مواضيع التسلية السبعة أو العشرة التى ذكرها بعض المفسرين، إنّما هى موضوعة وفقاً للمعايير والتصورات الدنيوية للتسلية، وإلّا فالاوضاع فى ذلك العالم تختلف عّما فى هذا العالم «۱».

۶- الانشراح النفسی

قد یُدعی الإنسان أحیاناً إلی أجمل الحدائق، وتوفّر له کافة مستلزمات الراحة، إلّاأنّ روحه منقبضة فلا یتلذذ بأی منها، فالإنسان یشعر بلذة النعم الإلهیّة فیما إذا کان منشرح النفس.

یُستفاد من مجمل الآیات الواردة فی هذا الصدد أنّ الفرح والانشراح یظهر علی وجوه أهل الجنّة بکل وضوح، وقد استخدم القرآن الکریم عبارات جذّابة فی هذا الصدد، فإلیک مثلا قوله: «ادخُلُوا الْجَنَّةَ انْتُمْ وَأَزْوَاجُکُمْ تُحْبَرُونَ». (الزخرف/ ۷۰)

فکلمة «تُحبرون»: مأخوذه من المصدر (حبر) علی وزن (فکر)، وتعنی فی الأصل الآثار الجمیلة حسب ما وردت فی کتاب (مقاییس اللغة)، ولذلک یطلق علی الأشیاء المزّینة اسم «مُحَبَّر» علی وزن مُشّجر وسمّی الحِبرُ حِبراً لأنّه یترک وراءه أثراً جمیلًا، ویُقال للعلماء «أحبار» لأنّهم یمتلکون آثاراً قیّمة، وهذه الکلمة تعنی هنا البهجة والانشراح الذی یظهر أثره علی الوجوه «۲».

---

(۱). ورد نفس هذا المضمون فی سورة الطور، الآیة ۱۸.

(۲). ورد نفس المعنی فی سورة الروم، الآیة ۱۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۰۹

وقد وردت الإشارة إلی هذا الموضوع بتعبیر آخر فی قوله تعالی: «تَعْرِفُ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِیمِ». (المطففین/ ۲۴)

فکلمة «النضرة»: تعنی فی الأصل الجمال، والمقصود من (نضرة النعیم) الطراوة والنعومة التی تظهر من أثر وفرة النعمة والحیاة المرفهة وتعکس حالة (الارتیاح والانبساط الداخلی) کما أنّ «تعابیر الوجه تفشی سر الداخل» «۱».

وقد فسّر بعضهم هذه الکلمة بمعنی السعید والفرح والمستبشر کما جاء فی قوله تعالی

«وُجُوهٌ یَومَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ* ضَاحِکَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ» «۲». (عبس/ ۳۸- ۳۹)

ولکن الآیات السابقه لها تظهر أنّ هذه الآیة تشرح حال المؤمنین فی مشهد المحشر ولیس فی الجنّة.

وفسرها البعض الآخر بمعنی النور والجمال والاشراق الذی لا یتیسر للبیان وصفه، «۳» وذهب البعض الآخر إلی أنّها تعنی البِشْر والبشاشة التی تظهر علی وجوههم شعوراً منهم برضا المحبوب أیاللَّه سبحانه وتعالی «۴».

ونقرأ هذا الوصف الآیة الکریمة: «وُجُوهٌ یَومَئِذٍ نَّاعِمَةٌ* لِّسَعْیِهَا رَاضِیَةٌ».

(الغاشیة/ ۸- ۹)

کلمة «ناعمة»: مأخوذة من مصدر (النعمة) وتعنی هنا الاستغراق فی النعمة إلی حد ظهور آثارها من السرور والارتیاح علی الوجه.

وقال آخرون: إنّها تعنی النعومة واللطافة، وهذه أیضاً حاصلة من النعم المختلفة «۵».

ومن الطبیعی أنّ هذه النعومة والطراوة، أو تلک الوجوه المنیرة علی قول بعض المفسّرین

---

(۱). جاءت تعابیر مشابهة فی سورة القیامة، الآیة ۲۲؛ وسورة الدهر، الآیة ۱۱.

(۲). تفسیر الکبیر، ج ۳۱، ص ۹۸ (نقله باعتباره قولًا).

(۳). المصدر السابق، ص ۹۹.

(۴). روح البیان، ج ۱۰، ص ۳۷۱.

(۵). تفسیر المیزان، ج ۲۰، ص ۲۷۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۰

وکأنّها القمر فی اللیلة الرابعة عشرة، لیست معلولة للنعم المادیة فقط لأنّ النعم المادیة لا یمکنها لوحدها إیجاد مثل هذه الآثار، ومن

المؤكد أنّ هذا الأثر ناتج عما يختلج فى نفوس أصحابها من أحاسيس ومشاعر معنوية وروحية سامية تنعكس آثارها على أجسامهم، وختام الآية شاهد على هذا المعنى أيضاً.

۷- الشعور برضا اللّه

ليس هناك شعور يخامر الإنسان أكثر من شعوره برضا محبوبه وعزيز قلبه، فهذا الشعور يثير لديه بهجة وارتياحاً لا يوصفان.

نعم، إنّ نيل رضا المحبوب من أكبر اللذات المعنوية، وهى لذّة ممزوجة بالشعور بالشخصية وقيمة الوجود، لأنّه إن لم يكن يتحلّى بالقيمة والشخصية، لما كان موضع قبول محبوبه الأكبر.

لقد أشار القرآن الكريم مراراً إلى هذه القضية المهمّة وجعل منها ركيزة يستند عليها، فبعد الإشارة إلى الجنان اليانعة والأزواج المطّهرة، ورد فى قوله تعالى: «وَرِضوانٌ مِنَ اللَّهِ» (آل عمران/ ۱۵)

فهذه النعمة التى تُعتبر أفضل من جميع النعم قد لُخّصت فى جملة قصيرة وبليغة.

وفى الآية ۷۲ من سورة التوبة ازيح الستار أكثر عن هذا الموضوع، فبعد الإشارة إلى مجموعة من النعم المادية المتوفّرة فى الجنّة ومنها الحدائق التى تجرى من تحتها الأنهار والمساكن الطّيبة، يقول تعالى «وَرِضوَانٌ مِّنَ اللَّهِ اكبَرُ» ثم تُختتم الآية بالجملة: «ذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ».

فاستخدام تعابير من أمثال «أكبر» و «ذلك هو الفوز العظيم» يُظهر بوضوح عدم وجود نعمة تضاهى هذه النعمة وبالشكل الذى يتضمن مفهوم الحصر وكأنّ الجملة تريد أن تقول:

(ذلك هو الفوز العظيم لا غير).

لقد ذكرنا عدّة مَرّات عدم إمكانية تصوّر أىٍّ من النعم المادّية للعالم الآخر فى نطاق هذا السجن الدنيوى المحدود، فكيف يجوز ذلك بشأن نعمة روحية ومعنوية كبرى ألا وهى «رضوان اللَّه».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۱

و يمكننا أن نفهم بشكل إجمالى الفارق بين النعم المادّية والمعنوية واللّذات المنبثقة عن أىٍّ منهما، فنحن نعرف مثلًا أنّ اللذة الناتجة عن لقاء الحبيب الغالى بعد سنوات من الفراق، أو الشعور باللذة من جرّاء اكتشاف قضّية علمية معقدة كُنّا نبحث عنها لسنوات طويلة، والأكثر من كل ذلك النفحات الروحية والانشراح النفسى الذى يغمرنا حين العبادة الخالصة والمناجاة المقرونة بحضور القلب والمحبّة الدافئة، نعرف أنّه لا يمكن مقارنة كل هذا بلذّة الطعام والشراب وسائر اللذات المادّية الاخرى

روى أبو سعيد الخدرى حديثاً عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال فيه:

«إنّ اللَّه يقول لأهل الجنّة: ياأهل الجنّة؛ فيقولون لبيك ربّنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى ياربِّ وقد اعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقكَ:

فيقول: ألا ـ اعطيكم أفضلَ من ذلك، فيقولون ياربّ وأىُّ شىءٍ أفضل من ذلك فيقول: احلُّ عليكم رضوانى فلا أَسخطُ عليكم بعده أبداً» «۱».

وورد نفس هذا المعنى عن الإمام على بن الحسين عليه السلام ولكن بتعبير آخر، جاء فى آخرهِ: «فيقول تبارك وتعالى رضاى عنكم ومحبّتى لكم خير وأعظم ممّا أنتم فيه» «۲».

«رضوان»: يعنى الرضا والارتياح بالمعنى المصدرى، ومجيئُها هنا على هيئة النكرة يدل على العظمة، أى إنّ رضوان اللَّه الأكبر أهم من كل شىء.

و قيل أيضاً: إن تنكيرها هنا فيه دلالة على القِلّة، أى إنّ أقلَّ رضاً من اللَّه يُعتبر أكبر من جميع النعم المادية المتاحة فى الجنّة.

وعلى أيّة حال، فليس فى ميسور أحد وصف تلك النفحات الروحية واللذات المعنوية التى ينالها الإنسان بسبب الشعور برضا اللَّه، نعم إنّ أى جانب من هذه اللذة الروحية يفوق جميع النعم والمسرّات الموجودة فى الجنّة.

وممّا يسترعى الانتباه أَنَّ الآية (۱۱۹) من سورة المائدة، وبعد سردها للنعم المادية فى

(۱). تفسير روح الجنان، ج ۶، ص ۷۰؛ تفسير روح المعانى، ج ۱۰، ص ۱۲۲.

(۲). تفسير العيّاشى، آخر الآية مورد البحث وفقاً لما جاء فى تفسير الميزان.

الجنّة، أشارت إلى الرضوان وصورته وكأنّه أمر متبادل بين الخلق والخالق قائلة: «رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ». وما أجمل أن يكون الرضا من الجانبين، فهو يغرقهم بالنعم حتّى يرضون، ويغمرهم بالمحبّة بحيث يعلن لهم عن رضاه، وخلاصة القول أنّه لا فوز أكبر من أن يشعر الإنسان بأنّ مولاه ومحبوبه ومعبوده راضٍ عنه. ودلالة ذلك الرضا أنّه يفيض عليه بكل ما يتصور وما لا يتصور من النعم.

وعبارة «راضية مرضية» من الآية ۲۸ من سورة الفجر هى أيضاً إشارة إلى نفس هذا المعنى إذ تصوّر النفس المطمئنة لعباد اللَّه المخلصين الذين يصلون إلى جوار قرب المحبوب قائلة: إنّ صاحب النفس المطمئنة يرجع إلى ربّه وهو راضٍ عنه وربّه راضٍ عنه أيضاً، وهنا يصدر الأمر الإلهى: «فَادْخُلِي فِي عِبَادِي» كتاج للكرامة يزّين به الرأس، فياله من فخر كبير عندما يخاطب تعالى الإنسان فى قوله: «عبادى»!

نعم هذه هى عقبى من اجتاز مرحلة النفس الأمّارة والنفس اللوامة ووضع قدمه على أعتاب النفس المطمئنّة. فكبح جماح الأهواء، وأَلجم الشيطان وامتطى مركب التقوى

ولا تقتصر الآيات المتعلقة برضا اللَّه فى يوم القيامة باعتباره نعمة إلهيّة، على ما ذكرناه، فهذا المعنى يلوح للعيان فى آيات اخرى أيضاً ويعكس الأهميّة الاستثنائية لهذا الموضوع «۱».

۸- نظر اللَّه إليهم ونظرهم إليه

إنّ من أثمن اللذّات المعنوية هى أن يجود المحبوب الجامع لكل الكمالات بنظرة لطف على الإنسان ويتحدّث إليه، والأكثر أهميّة من كل ذلك أن يتمكن الإنسان من بلوغ مقام شهود ذاته المقدّسة أى إنّه يراه بقلبه ويغرق فى بحر جماله.

وقد أكّد القرآن الكريم مراراً على هذه النعمة المعنوية، فتذكر احدى الآيات العذاب

(۱). راجع سور، القارعة، ۷؛ والتوبة، ۲۱؛ والحديد، ۲۰؛ والبيّنة، ۸.

الإلهى الأليم على من يكتم آيات اللَّه بالقول: «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ الِيمٌ». (البقرة/ ۱۷۴)

ويتحدث القرآن فى موضع آخر عن نفس هذا الموضوع والعذاب الإلهى على من يشترون بعهد اللَّه ثمناً قليلًا: «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ الِيمٌ». (آل عمران/ ۷۷)

نعم، إنَّهم محرومون من لذّة التكلم مع اللَّه ونظرة رحمته ولطفه، ولذلك فهم لا يطهرون، ولما كانت الجنّة مأوى الأطهار فهم يبقون فى جهنّم يذوقون أليم عذابها.

و نستفيد من هاتين الآيتين أنّ هذه النعم والهبات سوف يخص بها اللَّه سبحانه وتعالى المؤمنين وأصحاب الجنّة، وسوف يكلمهم

بلطف، ولهم نفس المنزلة التی أولاها لأنبيائه فی هذه الدنيا، فالتذوا واستأنسوا بما وهبهم اللَّه سبحانه وتعالی، وأيّة لذّة أعظم وأحسن من هذه اللذّة؟ فبالإضافة التی نعمة الحديث معهم، فإنّ اللَّه ينظر إليهم نظرة لطف خاص، وآية موهبة أعظم من هذه الموهبة؟ حيث ينظر المحب نظرة لطف ومحبّة إلی محبوبه الصادق العاشق الولهان؟!

ومن البديهی أنّ الكلام لا يكون باللسان، ولا النظر يكون بالعين، فاللَّه سبحانه أجل من الجسم والجسمانية.

ربّما يحصل أحياناً أن يغضب الأب علی إبنه فلا يكلّمه ولا ينظر إليه، وإذا كان الابن واعياً فهو يعتبر هذا التجاهل من أبيه تجاهه أكبر عذاب نفسی له، أمّا فی حالة الرضا عنه فهو يجلس معه وينظر إلی قوامه ويحادثه بانشراح ومحبّة وهذا من دواعی فخر الابن وسعادته.

هذا فی عالم المادّة والجسم والصورة، ونفس هذه القضيّة تحدث بمقياس أسمی فی عالم المعنی بين المولی الحقيقی وعباده.

وذكرت سورة القيامة لذّة النظر إلی الجمال الذی لا مثيل له للمحبوب الحقيقی: «وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* الَی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ». (القيامة/ ۲۲- ۲۳)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۴

وما يلفت الانتباه هنا هو أنّ تقديم (إلی ربّها)- وهو ما يفيد الحصر-، يدلّ علی أنّهم ينظرون إليه فقط فی ذلك اليوم ولا ينظرون إلی سواه، وهم إن نظروا إلی غيره فهی ليست إلّا نظرة عابرة، ومع ذلك فهم يرونه هو وحده لأنّ كل ما فی العالم مظاهر لذاته المقدّسة وآثار لطفه ورحمته، وفی الحقيقة أنّ رؤية الأثر هی بمثابة رؤية المؤثر.

وهناك احتمال آخر أيضاً فی تفسير هذا المقطع من الآية: «الَی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» يشير إلی انتظار الناس لرحمة اللَّه ولطفه، كما نقول أحياناً إنّ الشخص الفلانی لا ينظر إلّا إليك أی أنّه ينظر كرمك وفضلك، أو عندما نقول إننا نعقد الأمل عليك، ولا مانع من اتساع معنی الآية لتشمل كلا المفهومين.

وقد استدل أغلب مفسری أهل السُنّة عند وصولهم إلی هذه الآية ببعض الروايات الضعيفة التی تشير إلی المشاهدة الحسيّة للَّه‌تعالی وقالوا: إنّ أحد نعم أهل يوم القيامة رؤية اللَّه بهذه العين، حتی أنّ بعضهم قال: إنّ اللَّه يظهر فی السماء علی هيئة النور! وهم ينظرون فوق رؤوسهم ويلتذّون بمشاهدة نور اللَّه بهذه العين المجرّدة.

وقد بحثنا فی الجزء الرابع من هذا التفسير وبشكل موسّع فی بطلان مثل هذه التصوّرات المليئة بالشرك والتی تهبط فی تصوير الإله إلی أنّه جسم محدود بالمكان والاتّجاه، وشرحنا كذلك ضعف هذه الأحاديث، ولا نری لزوم تكرار ما سبق القول فيه، وإننا نعتبر مثل هذا الخطأ الفاحش ناتجاً عن الابتعاد عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام ونسيان حديث الثقلين المتواتر «۱».

من البديهی أنّ آثار عظمة اللَّه فی ذلك اليوم أوضح بكثير ممّا عليه الحال فی الدنيا، وكذلك الحجب المظلمة التی تغطی قلوب المؤمنين فی هذا العالم فانّها ستُزاح جانباً حتّی ليمكنهم مشاهدة ذاته المقدّسة من خلال نظرة قلبية وروحية واحدة، بل ويكون الفيض الشهودی أحياناً أعمق، فيغمرهم بجماله فينسون الجنّة والنعم التی هم فيها.

و نختم بحثنا هذا بآية أُخری تتحدث عن هذا الموضوع بأسلوب آخر، إذ ورد فيها:

---

(۱). للمزيد من المعلومات، يرجی المراجعة الی ج ۴، ص ۱۷۵- ۱۹۲ من هذا التفسير.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۵

«كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَومَئِذٍ لَمحْجُوبُونَ». (المطففين/ ۱۵)

وهل هناك جزاءٌ أشدّ ايلاماً من حرمان الإنسان من لقاء اللَّه ومنعه من الحضور فی المحضر الإلهی المقدّس.

ومفهوم هذا الكلام هو أنّ المؤمنين غير محجوبين فی ذلك اليوم، بل يتمتّعون برؤية جمال الحق ويتلذّذون بفيض لقاء المحبوب الذی لا نظير له، وإن كان ذلك الحجاب عذاباً أليماً للكفّار فهذا اللقاء هو من أمتع اللّذات بالنسبة للمؤمنين.

۹- لهم ما يشتهون

قد يقوم المضيّف أحياناً بتهيئة جميع المستلزمات الضرورية لضيفه العزيز، لكنَّها عادة ما تكون محدودة بشكل أو آخر، إلّاأنّه عندما يعِدُهُ بتوفير كل ما يشتهى وما يطلب بلا استثناء فالضيف يشعر فى مثل هذه الحالة بالارتياح والسكينة لأنّه يتأكد من انعدام أيّة قيود أو حدود فى هذا الصدد.

و كما أنّ هذا الكلام يصدق على النعم الماديّة فى الجنّة، وهو كذلك يصدق تماماً على النعم المعنوية فيها، وبعض تعابير الآيات القرآنية تتّسق معانيها أكثر مع النعم المعنوية، فمثلًا ورد قوله تعالى بعد التحدث عن حدائق الجنّة: «لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ». (الشورى/ ۲۲)

فتعبير «عند ربّهم» وتعبير «ذلك هو الفضل الكبير» يتناسبان مع العطايا المعنوية والروحية فى الجنّة، وقد اشير إليهما بعد تبيان النعم الماديّة.

وقد ورد نفس هذا المعنى فى قوله تعالى دون الإشارة إلى النعم المادية: «لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ». (الزمر/ ۳۴)

وعلى هذا فلا توجد هناك أيّة قيود على النعم فى الجنّة وخاصّة فى الأبعاد الروحية والمعنوية، بالإضافة إلى ما تتضمنه هذه التعابير من دلالات على عدم محدوية نِعَم الجنّة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۶

فى الاطُر المادية، فهى تُظهر أيضاً عدم وجود أيّة محدوية فى أيٍّ من الجانبين.

وبتعبير آخر إنّ اللَّه يهب الإنسان القدرة التى تجعل من إرادته سبباً لحصول أيّة نعمة، خلافاً لما عليه الحال فى الدنيا إذ إنّ إرادة الإنسان فيها تابعة لوجود الأسباب وتوفّر العوامل، فعندما يرغب الإنسان فى التجوال فى روضة أو بُستان ولا يكون الجو معتدلًا ولا الأشجار يانعة، فإرادة الإنسان لا تستطيع مطلقاً خلق أجواء ربيعية أو أشجار مورقة نديّة، ولكنه فى الجنّة ما أن يطلب شيئاً حتّى يتحقق له بإذن اللَّه، وهذا الامتياز مثير للعجب «۱».

وقد طرح بعض المفسرين، الذين يصرّون على قضية رؤية اللَّه تعالى هذه المسألة هنا وقالوا: إنّها تتضمن المشاهدة أيضاً، فمن ذا الذى لا يطلب ولا يبغى رؤية اللَّه جل وعلا؟! «۲»

لكن خطأهم الفاحش يكمن فى عدم رغبتهم للاذعان لهذه الحقيقة وهى أنّ مشاهدة اللَّه حسيّاً أمر غير ممكن، وذلك لأنّ الاتصاف بالجسمية والمكانية والأينية لا تعدو أن تكون من الصفات الخاصة بالمخلوقات وهو أمر مستحيل بشأن ذاته المقدّسة، وأهل الجنّة لا يطلبون المحال، أمّا المشاهدة القلبية والباطنية فهى متيسرة فى هذا العالم وكذلك فى العالم الآخر.

وفى نفس هذا السياق ورد فى قوله تعالى «لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ». (ق/ ۳۵) ويدلّ هذا التعبير على توفير كل ما تتسع له جملة «لهم ما يشاءُون» وكل ما تشتمل عليه إرادتهم إضافة إلى توفير جميع النعم والعطايا التى لم تخطر على بال أى إنسان، ويشملهم بلطفه الذى يستعصى على البيان وصفه.

ويُستدل من بعض الروايات أنّ جملة: «ولدينا مزيد» هى إشارة إلى أيّام الجمعة التى يحظى فيها أهل الجنّة بكرامات وعنايات خاصة من قبل البارى جلّ وعلا، وهو أكثر لديهم

---

(۱). مقتبس من تفسير الميزان، ج ۱۷، ص ۲۶۰.

(۲). تفسير الكبير، ج ۲۶، ص ۲۸۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۷

باثنين وسبعين مرّة «۱»، وتوجد هناك آيات اخرى فى القرآن الكريم تتّسق بشكل أو آخر مع الآيات السابقة الذكر «۲».

۱۰- النعم التى لا يدركها التصور

تُلحظ فى القرآن الكريم تعابير تذهب إلى أكثر بكثير ممّا ذكرناه لحد الآن، فهى تتحدث عن قضيّة تخرج عن إطار التفكير لدى جميع أبناء البشر ولا تسعها دائرة التصور والخيال والوهم، وهى أبعد ممّا قرأنا وكتبنا.

إنّ استدلال الآيات القرآنية بمثل هذا الأمر يعكس مدى عظمة النعم الإلهيّة والتى يعجز البيان عن وصفها، وهى من الآيات العجيبة فى القرآن، مثل: «فَلَا تَعلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ اعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (السجدة/ ۱۷)

وجاء فى حديث مشهور عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إنّ اللَّه يقول أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» «۳».

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه البشارة العظمى قد وردت فى القرآن الكريم فى أعقاب سرده لصفات المؤمنين الذين يقومون الليل لمناجاة ربّهم (صلاة الليل) والذين ينفقون من أموالهم؛ وهذه دلالة على أنّ أفضل الطاعات والعبادات والأعمال الصالحة هى «صلاة الليل»، «والانفاق»، والغريب فى الأمر أنّ صلاة الليل تعنى عبادة يؤدّيها المؤمن فى الخفاء، وكذلك الانفاق الخالص فإنّه غالباً ما يجرى فى الخفاء كذلك، ويكون الجزاء على ذلك من قبل اللَّه تعالى فى الخفاء أيضاً، فجعله مستوراً ولم يُطلع عليه أحداً.

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۲۶، ح ۲۷.

(۲). من جملة ذلك: سورة يس، الآية ۵۷؛ سورة فصلت، الآية ۳۱ والتى تشتمل على النعم المختلفة ويتبيّن ذلكمن خلال تعابيرها: «ولهم ما يدّعون» «ولكم فيها ما تدّعون».

(۳). نقل هذا الحديث عدد كبير من المفسرين منهم الطبرسى فى مجمع البيان؛ والآلوسى فى روح المعانى؛ والقرطبى فى تفسيره؛ والعلّامة الطباطبائى فى الميزان، وذكره كل من البخارى ومسلم فى كتابيهما.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۸

وهناك نقطة اخرى أيضاً تسترعى الإنتباه وهى أنّ تعبير «قرّة أعين» تعنى برودة الأعين «۱». لأنّه من المعروف بين العرب أن «دموع الشوق» التى تنهمر عادة من الأعين عند الفرح الشديد تكون باردة، على العكس من دموع الحزن التى تتصف عادة بالحرارة والحرقة، لذا فإنّ العربى عندما يريد القول: إنّ الموضوع أو الحادثة الفلانية مدعاة للسرور والارتياح، نراه يقول «قرة العين أو قرّة أعين».

وعلى أيّة حال فهنالك كلمات وآيات لا يبلغها عقل الإنسان مهما بلغ من التسامى ومهما ارتقى من الذُرى وكلما تعمّق لسبر أؤغوارها كلما توصل إلى مفاهيم وأبعاد جديدة، حتّى يصل الفكر إلى مكان يقف عنده ويعترف بعدم القدرة على بلوغ أعماقه، والآية التى نبحث فيها تمثل فى الواقع إشارة قيّمة وذات مغزىً للنعم الروحية والمعنوية العظيمة لأصحاب الجنّة، فهى تحمل بين طيّاتها هذا المفهوم وهو عدم استطاعة أى إنسان حتّى الأنبياء المرسلين والملائكة المقرّبين من بلوغ هذه الحقيقة ومعرفة ما أخفى اللَّه من جزاء لخاصة عباده، ومن المؤكد أنّهم يبلغون درجات عالية من القرب إلى ذاته المقدّسة ومراحل رفيعة من وصال لقائه ومنازل سامية من عنايته وألطافه لا يدركها إلّامن بلغها.

۱۱- خلود نِعَم الجنّة

وممّا يضفى على الجنّة أهميّة بالغة وقيمة معنوية كبيرة ويميّزها تماماً عن جميع النعم الدنيوية هو (عدم إمكانية فنائها أو زوالها)، فلا

قلق هناك من ذلك ولا خوف ولا وجل من انقطاعها، فالإنسان مطمئن البال فى هذا الجانب تماماً، وهذا الشعور بالأمان يضفى على تلك النعم طعماً خاصاً.

هذه الحقيقة يعرف معناها كل من ينال نصيباً وافراً من النعمة ثم تنتابه الهواجس الداهمة فى إمكانية ذهابها، فتمسى حلاوتها مرارة فى فمه.

---

(۱). «قُرّ» فى اللغة على وزن «حُرَّ» وتعنى البرودة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۱۹

ويتضمن القرآن الكريم آيات عديدة فى هذا المجال وهى تذكّر دوماً بهذه الحقيقة وتزفّ البشرى للإنسان معلنة عن خلود النعم الإلهيّة، ليهنأ بها الإنسان ويعيش فى فرح وحبور.

جاء فى قوله تعالى «أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا». (الرعد/ ۳۵) ولما كان هذا البحث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة الخلود فإننا سنتناوله بالبحث فى فصل آخر وبشكل مستقل.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۱

۴- أبواب الجنّة

تمهيد:

من المتعارف أنّ طريق الدخول إلى أيّة دار أو بناية أو حديقة مسوّرة إنّما يكون من أبوابها، وعلى هذا فأبواب الجنّة تحدد مداخلها، وقد تكون للأبواب أقفال لا تفتح إلّا بأدواتها الخاصّة، وهو ما يطلق عليه العرب اسم «مفتاح» وجمعه: «مفاتيح»، أو «مقليد ومقاليد»، لكن أبواب ومفاتيح الجنّة لها مفهوم آخر، وتشير إلى الأعمال والامور المفيدة الخالصة التى تكون سبباً لدخول الجنّة، وقد وردت فى القرآن إشارات غامضة إلى أبواب الجنّة، لكن التفسيرات التى وردت بشأنها فى الروايات الإسلامية، تجسّد بوضوح القيم الإسلامية بشأن المعايير التى تؤدّى إلى دخول مستقر الرحمة الكبرى أى الجنّة، نعود إلى القرآن لنتأمل فى الآيات المختلفة التى وردت فى هذا الصدد:

۱- «حَتَّى اذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ ابْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ». (الزمر/ ۷۳)

۲- «جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوابُ». (ص/ ۵۰)

۳- «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرتُم».

(الرعد/ ۲۳- ۲۴)

جمع الآيات وتفسيرها

الجنّة فى الانتظار!

تشير الآية الاولى إلى حركة أصحاب الجنّة (زمراً زمراً) نحو الجنّة: «حَتَّى اذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ ابْوَابُهَا وَقَالَ لَهُم خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»، ويفهم منها أنّ أصحاب الجنّة عند

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۲

وصولهم إليها تفتح لهم الأبواب وكأنّ الجنّة فى انتظارهم فتستقبلهم ويقول لهم خزنتها سلام عليكم، حتّى أنّهم لا يتحمّلون مشقة فتح

الأبواب.

ويتجلّى نفس المعنى فى الآية اللاحقة ولكن بتعبير آخر: «جَنَّاتِ عَدنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْابوَابُ».

ولما كانت كلمة «مفتّحة» من باب التفعيل وتعطى فى مثل هذه الموارد مفهوم الكثرة والتأكيد، فهى ربّما تشير إلى انفتاح جميع الأبواب أمامهم لا باب واحدة، وأنّها مفتوحة على مصاريعها تماماً.

هل تنفتح هذه الأبواب من ذاتها وكأنّ لها روح وحياة، أم أنّها تنفتح مع اقتراب أهل الجنّة منها احتراماً لهم؟ أم أنّها تنفتح بمجرّد القصد والأمر والإرادة ولا حاجة لأية واسطة أُخرى أم أنّ ملائكة الجنّة وخزّانها قد فتحوها من قبل احتراماً لأهلها ووقفوا جانباً ينتظرون قدومهم، كما نفعل نحن تجاه الضيوف الأعزاء؟ يبدو أنّ الاحتمال الأول يناسب المقام أكثر من غيره؛ ويحتمل أن تكون صيغة المجهول دلالة على ذلك، وفى نفس الوقت يبدو أنّ انتظار ملائكة الجنّة وخزّانها إلى جانب الأبواب متناسباً مع الآية الاولى

وأخيراً ورد فى الآية الثالثة دخول الملائكة من الأبواب المختلفة للجنّة، وذلك بعد استقرار أصحابها فيها، فتقول الآية: «وَالمَلائِكَةُ يَدخُلُونَ عَلَيهِم مِّن كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ».

ألا يعنى هذا أنّ جميع الأعمال الصالحة، التى تمثل فى الحقيقة أبواب الجنّة، تتلخص فى الصبر والاستقامة؟!

توضيحان

١- أبواب الجنّة فى الأحاديث الإسلامية

لم تُشِر أى من الآيات القرآنية إلى وجود ثمانية أبواب للجنّة، بل أُشير إلى أنّ

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۳

جهنّم: «لَهَا سَبعَةُ أَبوَابٍ». (الحجر/ ۴۴)

لكن الأحاديث الشريفة قد أشارت مراراً إلى أنّ للجنة ثمانية أبواب، وذلك إشارة إلى أنّ طرق الوصول إلى السعادة والتى تمثل الجنّة مظهرها هى أكثر من طرق السقوط فى هاوية البلاء والتى تمثل جهنّم مركزها، وأنّ رحمة اللَّه تسبق غضبه: «سبقت رحمته غضبه».

وقد جاء فى حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إن للجنّة ثمانية أبواب». ثم تطرق إلى شرح هذه الأبواب فقال: «يدخل من بعضها الصدّيقون ومن بعضها يدخل الشهداء والصالحون، ومن بعضها يدخل محبّو أهل بيت العصمة عليهم السلام و ...» «۱».

وورد فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «أحسنوا الظن باللَّه واعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبواب، عرض كل منها مسيرة أربعين سنة» «۲».

هذا فى حين تشير بعض الأحاديث الأُخرى إلى وجود واحد وسبعين باباً للجنّة. وورد هذا المضمون فى حديث لأمير المؤمنين عليه السلام «۳».

ويحتمل أن تكون هذه الاعداد إشارة إلى كثرة الأبواب. إلّا أنّها ذكرت فى أحد المواضع على أنّها ثمانية مقارنة بأبواب جهنّم وذلك للدلالة على أنّ أسباب بلوغ السعادة تفوق أسباب الشقاء، بل ويشير موضع آخر إلى كثرة الأقوام الذين يدخلون مستقر الرحمة الإلهيّة، كل من طريقه الخاص.

و يتّضح من التعابير المختلفة لهذه الروايات أنّ أبوابها تتناسب والأعمال الصادرة عن الصلحاء والمخلصين.

جاء فى حديث منقول عن الإمام الصادق عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله: «للجنّة باب يقال له باب المجاهدين، يمضون إليه فاذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم والملائكة ترحّب بهم» «۴».

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۲۱، ح ۱۲.

(۲). المصدر السابق، ص ۱۳۱، ح ۳۲.

(۳). المصدرالسابق، ص ۱۳۹، ح ۵۵.

(۴). اصول الكافى، ج ۵، ص ۲، ح ۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۴

وورد نفس هذا المعنى فى نهج البلاغة ولكن بصياغة أُخرى «إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه اللَّه لخاصّة أوليائه» «۱».

وجاء أيضاً فى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إنّ للجنّة باباً يُدعى الرّيان لا يدخله إلّا الصائمون» «۲».

ونقل عنه أيضاً (صلوات اللَّه عليه): «إنّ للجنّة باباً يُقال له باب المعروف لا يدخله إلّا أهل المعروف» «۳».

كما أشارت أحاديث أُخرى إلى «باب الصبر» و «باب الشكر» و «باب البلاء»، حتّى ذكر أنّ «أبواب الجنّة تحت ظلال السيوف» «۴» (وذلك إشارة إلى الجهاد).

و تنبغى الإشارة إلى أنّ بعض الأحاديث تفيد أنّ أبواب الجنّة هم رجال اللَّه العظماء، كما جاء فى الكافى عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «إنّ عليّاً باب من أبواب الجنّة» «۵»، وهذه إشارة إلى أنّ كل من يتّبع هذا الرجل العظيم فى سلوكه وإيمانه وعمله، يدخل الجنّة.

يتّضح ممّا سبق معنى ومفهوم أبواب الجنّة وكيفيّتها أيضاً.

۲- المكتوب على أبواب الجنّة

إنّ المكتوب على باب كل بناية يعكس عادة المحتوى والهدف الحقيقى لتلك البناية، ويتبيّن من الروايات الإسلامية وجود كتابات على أبواب الجنّة تستوجب التأمل، وأنّ التمعّن فى مدلولات تلك الروايات يضفى عمقاً أبعد على ما ذكرناه آنفاً بشأن معانى أبواب

---

(۱). نهج البلاغة، الخطبة ۲۷.

(۲). بحار الأنوار، ج ۹۳، ص ۲۵۲، ح ۱۷.

(۳). المصدر السابق، ج ۷۱، ص ۴۰۸، ح ۳.

(۴). ميزان الحكمة، ج ۲، ص ۱۰۴ (نقلًا عن تفسير در المنثور، ج ۱، ص ۲۴۸).

(۵). اصول الكافى، ج ۲، ص ۳۸۹، ح ۲۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۵

الجنّة ويستخلص منها حقائق أكثر سعة وأهميّة.

من جملة ذلك الحديث الوارد عن جابر بن عبد اللَّه نقلًا عن النبى صلى الله عليه و آله: «مكتوب على باب الجنّة لا إله إلّااللَّه محمد رسول اللَّه، على أخو رسول اللَّه» «۱».

ونظراً لكون الحديث أعلاه مذكوراً فى الكثير من كتب الشيعة والسنّة وبعبارات متباينة، فهو يبيّن مدى أهميّة هذه الأسس الثلاثة فى دين الإسلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام فى حديث له: «على باب الجنّة مكتوب الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر» «۲». فيشير هذا الحديث إلى أنّ أحد المبادىء الأساسية لدخول الجنّة، هو الاهتمام بالمشاكل المالية للفقراء والمساكين فى المجتمع وتقديم العون لهم.

وأخيراً جاء فى حديث آخر شرحٌ لما جرى فى المعراج ومشاهدة الجنّة والنّار فى ذلك السفر، فورد فيه أنّ النبى صلى الله عليه و آله

قال: «للجنـة ثمانيـة أبواب ... على كل باب منها أربع كلمات كل كلمة خير من الدنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها وللنار سـبعة أبواب على كـل بـاب منهـا ثلاث كلمات كل كلمـة خير من الـدنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها فقال لى جبرئيل: اقرء يامحمـد عليّ ما على الأبواب فقرأت ذلك؛ أما أبواب الجنّة فعلى أول باب منها مكتوب:

لا إله إلّااللَّه محمد رسول اللَّه على ولى اللَّه لكل شيء حيلة وحيلة العيش أربع خصال:

القناعة، وبذل الحق، وترك الحقد، ومجالسة أهل الخير، وعلى الباب الثانى مكتوب: لا إله إلّا اللَّه محمد رسول اللَّه على ولى اللَّه لكل شيء حيلـة وحيلـة السـرور فى الآـخرة أربع خصـال مسـح رؤوس اليتامى والتعطف على الأرامل والسـعى فى حوائـج المؤمنين والتفقد للفقراء

(۱) بحـار الأنوار، ج ۸، ص ۱۳۱، ح ۳۴. ورد هـذا الحـديث أيضـاً أو مـا يشـابهه فى الكـثير من كتب السـنّة منهم الحافـظ أبـونعيم الإصـفهانى، فى حلية الأولياء، ج ۷، ص ۲۵۶، والحافظ أبو بكر البغـدادى فى تاريـخ بغداد، ج ۷ ص ۳۸۷، وابن المغـازلى فى كتاب منـاقب أمير المؤمنين (مخطوط)، والحافظ السـمعانى النيسابورى فى مناقب الصـحابة، والطبرى فى ذخائر العقبى (ص ۶۶)، وابن حجر العسـقلانى فى لسـان الميزان، ج ۴، ص ۸۱ ونقله جماعـة آخرون (للاطلاـع على مزيـد من المعلومات يمكن مراجعـة ج ۴ من كتاب احقاق الحق، ص ۱۹۹ وما تلاها، وص ۲۸۰ وما تلاها وص ۳۸۷).

(۲) بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۸۱، ح ۱۴۰ (ربّما يكون المراد من العدد ۱۸ مرّة هو أنّ القرض يتضمن عملين من أعمال الخير وهما أولًا: «قضاء حاجـة المؤمن» وثانياً: الحفاظ على حيثيته. ولكل واحـد منها عشـرة حسـنات، وبما أنّه يسترد المبلغ لـذلك تنقص منه حسـنتان وتبقى له ثمانية عشر).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۶

والمسـاكين، وعلى الباب الثالث مكتوب: لا إله إلّااللَّه محمـد رسول اللَّه على ولى اللَّه لكل شـىء حيلـة وحيلـة الصـعبة فى الـدنيا أربع خصال قلة الكلام وقلة المنام وقلة المشـى وقلة الطعام، وعلى الباب الرابع مكتوب: لا إله إلّااللَّه محمد رسول اللَّه على ولى اللَّه من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضـيفه من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم جاره من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم والديه من كـان يؤمن بـاللَّه واليوم الآـخر فليقل خيراً أو يسـكت، وعلى الباب الخامس مكتوب: لا إله إلّااللَّه محمـد رسول اللَّه على ولى اللَّه، من أراد أن لا يُظلم فلا يظلِم ومن أراد أن لا يُشْـتَم فلا يَشتِم ومن أراد أن لا يُذَل فلا يذِل ومن أراد أن يتمسك بالعروة الوثقى فى الدنيا والآخرة فليقل لا إله إلّااللَّه محمـد رسول اللَّه على ولى اللَّه، وعلى الباب السادس مكتوب: لا إله إلّااللَّه محمـد رسول اللَّه على ولى اللَّه من أراد أن يكون قبره وسـيعاً فسـيحاً فليبنِ المساجـد ومن أراد أن لاـ تـأكله الديـدان تحت الأرض فليسـكن المساجـد ومن أحب أن يكون طرياً مطرّاً لا يبلى فليكنس المساجد ومن أحب أن يرى موضعه فى الجنّة فليفرش المساجد بالبسط، وعلى الباب السابع مكتوب: لاـ إله إلّـا اللَّه، محمـد رسول اللَّه، على ولى اللَّه، بيـاض القلب فى أربع خصـال: عيـادة المريض، واتبـاع الجنائز، وشـراء الأكفان، وردّ القرض، وعلى الباب الثامن مكتوب: لا إله إلّااللَّه، محمـد رسول اللَّه، على ولى اللَّه، من أراد الدخول من هذه الأبواب فليتمسك بأربع خصال: السخاء، وحسن الخلق، والصدقة، والكف عن أذى عباد اللَّه تعالى «۱».

إنّ الأبعاد التربوية والإنسانية لهذا الحديث شاملة وواضحة، وتبيّن أنّ دخول جنان الخلد رهين بأيِّ أعمال وصفات.

(۱) بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۴۵، ح ۶۷ (مع شى من التلخيص).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۷

۵- سعة الجنّة

تمهيد:

لقد قلنا مراراً أنّ العالم الـذى نعيش فيه محدود وحقير جدّاً بالقياس مع العالم الآخر، وأنّ البعث لا يمكن مقارنته فى السعة والشمول بالأطر الضيّقة الموجودة فى عالمنا، ولا أدلُّ على ذلك من الآيات القرآنيـة والروايات الإسلامية التى تتحدث عن مساكن أهل الجنّة وسعتها، ولابدّ لمثل هذه النعم العظمى أن توجد فى عالم عظيم وهائل.

نعود إلى القرآن لنتمعن فيه وهو يصف هذه السعة والعظمة:

۱- «سَابِقُوا إِلَى مَغفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرضِ السَّمَاءِ وَالْأَرضِ أُعِدَّت لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ». (الحديد/ ۲۱)

۲- «وَسَارِعُوا إِلَى مَغفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّموَاتُ وَالْأَرْضُ اعِدَّت لِلمُتَّقِينَ». (آل عمران/ ۱۳۳)

۳- «وَاذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً». (الدهر/ ۲۰)

جمع الآيات وتفسيرها

كعرض السموات والأرض:

لقد قدرت الآية الاولى سعة الجنّة بعرض السموات والأرض بقولها: «سَابِقُوا الَى مَغفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرضُهَا كَعَرضِ السَّمَاءِ وَالْأَرضِ اعِدَّت لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ».

ومن الواضح أنّ المقصود من «العرض» هنا ليس ما يقابل الطول بل المقصود هو المفهوم

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۸

اللغوى الذى يعنى السعة والامتداد، «۱» وقد تحملت جماعة من المفسّرين مشقّة كبيرة للعثور على طول الجنّة بسبب الخطأ الذى وقعوا فيه فى فهم معنى «العرض».

وقال البعض أيضاً: إنّ لهذا التعبير بُعد كنائىٌّ، لأنّ أوسع ما يمكن أن يتصوّره ذهن الإنسان هو عرض السموات والأرض، وإلّا فسعتها الحقيقية أكبر من هذا بكثير.

وممّا يلفت الانتباه أنّ الحـديث ابتـدأ أولًا بالمغفرة الإلهيّة، ثم تطرق ثانياً إلى الجنّة وما فيها من امتداد وذلك لأنّ المغفرة تعنى التطهر من الـذنوب ونيل الاستحقاق فى القرب الإلهى وهو ما يفوق الجنّة أهميّـة، إضافـة إلى أنّ الطهارة والمغفرة إذا لم تتحققا، فلن يكون هناك طريق للجنّة.

الفعل «سابقوا» مأخوذ من مصـدر «المسابقـة» وهو إشارة إلى هذه المسألة التى تعنى أنّ للجنّة والمغفرة أهميّة بالغة تحتّم على المؤمنين بذل الجهد لبلوغهما كما يفعل الابطال عادة حين التسابق لبلوغ هدف معيّن.

ويفهم من هذا التعبير أيضاً أنّ هذه الدنيا لا تعدو أن تكون سوى حلبة سباق والهدف النهائى لها هو ذلك العالم.

ولكن على أى شـىء يجرى التسابق؟ لقـد وضع الكثير من المفسـرين أصابعهم على مصاديق خاصـة دون سواها، كأمثال التسابق نحو «الإسلام» أو «الهجرة» أو «الصلوات الخمس» أو «الجهاد» أو «التوبة».

إلّا أنّه من الواضـح أنّ الآيـة تحمل مفهوماً أوسع يشـمل جميع الطاعات والأعمال الصالحـة، وأنّ ما ورد فى كلام هـذه المجموعـة من المفسرين يمثّل فى الواقع مصداقاً واحداً من هذا المفهوم الواسع.

---

(۱). قال الكثير من أصحاب اللغة أنّ «العرض» يقابل «الطول». لكنهم لم ينكروا أنّ العرض جاء أيضاً بمعنىالسعة، ووفقاً لما ورد فى

کتاب «التحقیق فی کلمات القرآن الکریم» المعنی الأصل للعرض هو وضع الشیء فی مقابل الانظار، ولما کان نظر الإنسان غالباً ما یقع علی عرض الأشیاء لا طولها، لذلک استخدمت هذه الکلمة فی المعنی المذکور أعلاه، وعلی هذا فعرض السموات والأرض فی الآیة التی نبحثها یعنی کل وجودهما الذی یمکن مشاهدته.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۲۹

أمّا الآیة الثانیة فهی انعکاس- ولکن بتعابیر أُخری لنفس هذه القضیة، فهناک کان الکلام عن السباق وهنا عن المسارعة، وهناک أوضحت الآیة أنّ سعة الجنّة بعرض السماء والأرض، وهنا حُذِفت «کاف» التشبیه، وحلّت کلمة السموات محل کلمة السماء، وأشارت الآیة هناک إلی أنّها- أی الجنّة- اعدّت للذین آمنوا باللَّه ورسله، وهنا تقول الآیة أنّها: «اعدّت للمتقین» حیث نصّت علی «وَسَارِعُوا الَی مَغفِرَةٍ مِّن رَّبِّکُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّموَاتُ وَالْأَرضُ اعِدَّت لِلمُتَّقِینَ».

ولا- یخفی أنّ «التسابق» یرتبط «بالمسارعة فی العمل» وأنّ «المتقین» هم «الذین یؤمنون باللَّه ورسله» وذلک لأنّ التقوی هی انعکاس للإیمان الراسخ، وکلمة «السماء» تنطوی أیضاً علی معنی الجنس الذی یشمل جمیع السموات، إذن فالآیتان فی واقعهما تنشدان حقیقة واحدة.

وهنا واجه الکثیر من المفسّرین سؤالًا حول ما إذا کانت سعة الجنّة کعرض السموات والأرض، فلن یبقی هناک مکان للنار! ویمکن تبیان جواب هذا السؤال بالصورة الآتیة، وهی أنّ العالم یومذاک سیکون أوسع بمرّات عدیدة من عالمنا هذا، لأنّه عالم أفضل وأکمل، وستکون سعة الجنّة فیه بسعة السماء والأرض فی عالم الیوم، والنّار فی معزل عنه، لأنّ ذلک العالم أوسع من عالمنا الیوم فی جمیع الجوانب.

وهناک جواب آخر أیضاً عن هذا السؤال یتلخص فی أنّ النور والظلام متزاحمان، وکذلک النعمة والنقمة فی هذا العالم ولا تجتمعان طبعاً فی مکان واحد، ولکن ذلک العالم لا یحفل بمثل هذا التزاحم، فربّما یوجد الاثنان معاً وهما یغطّیان العالم فی وقت واحد، وبما أنّهما مرحلتان من مراحل الوجود والکینونة فهما لا یتزاحمان مع بعضهما.

ویمکن الإتیان بمثال بسیط لتوضیح هذا المعنی فی الأذهان وهو: ربّما تقوم احدی محطات الارسال الاذاعی ببث صوت رقیق وناعم علی احدی موجاتها وفی نفس الوقت ینبعث من محطّة إرسال أُخری صوت مزعج وکریه یصمّ الآذان مصحوباً بأنغام مرعبة،

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۳۰

وربّما تغطی هاتان الموجتان جمیع أنحاء الکرة الأرضیة إلّاأنّهما غیر مسموعتین من قبل الناس العادیین، والشخص الوحید الذی یمکنه الاستماع هو الذی یستطیع تنظیم أمواج محطته مع الموجه الاولی إذ یمکنه عند ذاک الاستغراق فی سماع النغمات الممتعة، أمّا الذین ینظمون أمواج محطتهم مع الموجة الثانیة فیلقون العذاب والشقاء وکان الفریق الأول فی الجنّة والثانی فی جهنّم، وسنشرح هذا الکلام عمّا قریب بإذن اللَّه.

وجاء فی الآیة الثالثة والأخیرة تعبیر غنی بخصوص عظمة الجنّة، وظاهر الآیة یُخاطب به الرسول صلی الله علیه و آله: «وَاذَا رَأَیْتَ ثَمَّ رَأَیتَ نَعِیماً وَمُلکاً کَبِیراً» «۱».

وطرحت فی تفسیر الملک الکبیر آراء متعددة تبلورت بصورة رئیسیة حول محورین:

فقال جماعة: إنّ الملک الکبیر إشارة إلی سعة وعظمة الجنّة وما فیها من قصور وغرف وحدائق، ومن جملة ذلک ماورد فی أحد التفاسیر: «إنّ أدناهم منزلة ینظر فی ملکه من مسیرة الف عام، وفی بعض الروایات لمسافة الفی سنة» «۲».

واعتبره آخرون إشارة إلی العظمة المعنویة للجنّة والمقامات الرفیعة لأهلها، ومن جملة ذلک: أنّ الملائکة لا یدخلون علیهم إلّاباذنٍ منهم، ویؤدّون لهم التحیة والسلام، أو أنّ الفناء والزوال لا وجود له هناک، أو أنّ لکل واحد منهم هناک سبعین باباً «۳».

وفسّر جماعة آخرون «الملک» بمعنی الملکیة، والبعض الآخر قالوا إنّه یعنی الحاکمیة.

وقال آخرون فى تفسير «الملک الكبير» أنّه يعنى «القرب إلى اللَّه والشهود المعنوى

---

(۱). «ثَمّ» هنا ظرف مكان. و «رأيت» فعل لازم، وعلى هذا يكون معنى الآية: عندما تنظر هناك ترى نعمة كبيرةوملكاً عظيماً. وبناءً على التفسير الآخر يكون «رأيت» فعل متعدّ و «ثمّ» اسم إشارة للبعيد ومفعول به، فيكون مفهوم الآية: (إذا رأيت ذلك المكان رأيت نعيماً وملكاً كبيراً).

(۲). تفسير روح الجنان، ج ۱۱، ص ۳۵۲؛ و تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۳۶۶۹؛ و تفسير المعانى، ج ۲۹، ص ۱۶۱؛ و تفسير مجمع البيان، ج ۹ و ۱۰، ص ۴۱۱.

(۳). تفسير البرهان، ج ۴، ص ۴۱۵؛ وتفسير مجمع البيان، ج ۹ و ۱۰، ص ۴۱۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۳۱

لجلاله وجماله» ويمكن الجمع بين كل هذه المعانى، لعدم وجود أى تضاد بينها.

والذى يتّضح من مجموع هذه الآيات أنّه وكما أنّ النعم فى الجنّة تستعصى على الوصف بسبب أهمّيتها واتساعها وتنّوع أشكالها، فكذلک الحال بالنسبة لعظمة الجنّة وسعتها.

فكلّما يُقال فى هذا الباب يبقى قاصراً عن أداء الوصف المطلوب.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۳۳

۶- هل الجنّة مخلوقة؟

تمهيد:

مع أنّ الوعد الإلهى حق، ولا تخلف فيه، وأنّ جزاء المؤمنين ومعاقبة وتعذيب الكافرين الذى وعد بهما اللَّه سيتحقق قطعاً، لأنّ التخلف عن الوعد لا يكون إلّابسبب العجز والضعف أو بسبب الجهل والندم، وهذا ما لا يمكن أن توصف به ذاته المقدّسة، وعلى هذا يمكن للجميع أن يرجوا وعده ويخشوا وعيده وما أنذر به من العقاب، إلّاأنّ الآيات القرآنية- رغم ذلک- تؤكّد أنّ الجنّة والنّار مخلوقتان الآن وهما موجودتان الآن وجاهزتان لاستقبال المستحقّين! و يُستفاد أيضاً من الروايات المختلفة أنّ الأعمال الصالحة التى تصدر عن الناس هى التى توجد الجنّة، وهذا يُعتبر دليلًا على وجود الجنّة فى هذا الوقت، وسبب هذا التأكيد من أجل أن تدخل مسألة العقاب والثواب مرحلة أكثر جدّية، ولأجل أنّ يشعر المحسنون بوجود جزاء لأعمالهم على مقربة منهم، وليتحسس المسيؤون عواقب أفعالهم.

ونعود بعد هذا التمهيد الوجيز إلى القرآن ونتدبّر فى الآيات الواردة فى هذا الصدد:

۱- «وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّموَاتُ وَالْارْضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ». (آل عمران/ ۱۳۳)

۲- «وَجَنَّةٍ عَرضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْارْضِ أُعِدَّت لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ».

(الحديد/ ۲۱)

۳- «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلكَافِرِينَ». (البقرة/ ۲۴)

۴- «وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّت لِلكَافِرِينَ». (آل عمران/ ۱۳۱)

۵- «وَلَقَد رَءَاهُ نَزْلَةً أُخرى عِندَ سِدْرَةِ المُنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَى .

(النجم/ ۱۳- ۱۵)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۳۴

۶- «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَانَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ». (العنكبوت/ ۵۴)

۷- «إِنَّ الابرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ* يَصْلَونَهَا يَومَ الدِّينِ* وَمَا هُم عَنهَا بِغَائِبِينَ». (الانفطار/ ۱۳- ۱۶) ۸- «كَلَّا لَو تَعلَمُونَ عِلمَ اليَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَينَ الْيَقِينِ». (التكاثر/ ۵- ۷)

جمع الآيات وتفسيرها

اعدّت للمتقين!

جاء فى الآية الاولى والثانية بعد الإشارة إلى سعة الجنّة وعظمتها وأنّها كعرض السموات والأرض، إلى أنّها «أعدّت للمتقين».

قال كبار المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية أنّه يُستفاد منها أنّ الجنّة مخلوقة وموجودة الآن «۱».

وممّا يلفت الانتباه أنّ القرطبى أشار فى تفسيره لهذه الآية قائلًا: «يرى غالبية علماء الإسلام أنّ الجنّة مخلوقة الآن وموجودة، وأنّ صريح روايات المعراج والروايات الاخرى الواردة فى «الصحيحين» وغيرهما يفيد هذا المعنى لكن المعتزلة رفضوا هذا المعنى ولم يعتقدوا به وقالوا: إنّها تخلق بعد نهاية هدا العالم، وذلك لأنّها دار الثواب وهنا دار التكليف، وهما لاتجتمعان» «۲». ولا يشكل استدلال المعتزلة هذا إلّامغالطة لا أكثر ولا أقل، لأنّ الحديث هنا يدور حول خلقها حالياً لا دخول الناس فيها.

وتناولت الآيتان الثالثة والرابعة موضوع الوجود الحالى ل «جهنّم» إذ جاء فى إحداهما:

«فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ اعِدَّتْ لِلكَافِرِينَ».

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۲، ص ۵۰۴؛ و تفسير الكبير، ج ۹، ص ۴؛ و تفسير روح البيان، ج ۲، ص ۹۴؛ و تفسير روح الجنان، ج ۳، ص ۱۸۸؛ و تفسير القرطبى، ج ۲، ص ۱۴۶؛ و تفسير روح المعانى، ج ۴، ص ۵۱؛ و تفسير المنار، ج ۴، ص ۱۳۲.

(۲). تفسير القرطبى، ج ۲، ص ۱۴۴۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۳۵

فتدل هذه الآيات على الوجود الحالى لجهنّم أيضاً وقد صرح بهذا المعنى جماعة من المفسرين، رغم ما ورد بشأنها من تفسير، وما قيل فى معنى «اعدّت» فمع أنّه فعل ماض إلّا أنّه يدل على المستقبل لأنّ المستقبل المؤكد يأتى أحياناً على صيغة الفعل الماضى، وهذا بخلاف ظاهر الآية، ومثل هذا التفسير غير ممكن بلا وجود شاهد وقرينة.

وتتحدث الآية الخامسة عن قصة معراج النبى صلى الله عليه و آله قائلة: «وَلَقَد رَءَاهُ نَزلَةً أُخرى عِندَ سِدرَةِ المُنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَى .

لكن هل أنّ «جنّة المأوى» هى جنّة البرزخ أم أنّها جنّة الخلد؟

فالمفسرون يختلفون فى الحكم على هذا الموضوع، فكلمة «المأوى ربّما تستدعى إلى الذهن معنى الخلود رغم ما يفترضه كون هذه الجنّة فى بعض السموات من تداعى معنى الجنّة البرزخية، لأنّ جنّة الخلد تمتد على سعة الأرض والسموات.

وعلى هذا فالاستدلال بالآية الآنفة الذكر بشأن مخلوقية الجنّة لا يتطابق إلّامع التفسير الأول، ورجّح جماعة من المفسرين هذا المعنى منهم: الطبرسى فى مجمع البيان والعلّامة الطباطبائى رحمه الله فى الميزان.

وتتحدث الآية التالية عن احاطة جهنّم بالكافرين بسبب اصرارهم وعنادهم إذ يقول القرآن الكريم: «يَسْتَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَانَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ».

إنّهم لم يؤججوا لأنفسهم جهنّم الدنيا بشركهم وذنوبهم وعصيانهم وظلمهم فحسب بل وحتّى جهنّم الآخرة قد أصبحت محيطة بهم لاسيما مع التنبه إلى بداية الآية التى تتحدث عن استعجال الكّفار بالعذاب، ومن المناسب هنا القول: لماذا تستعجلون فإنّكم الآن فى

جهنّم إلّاأنّ حجب هذا العالم تحول دون تأثيرها المباشر عليكم، لكن هذه الحجب ستزول يوم القيامة وتشاهدون حينها بأعينكم إحاطة جهنّم بكم «۱».

وطرح احتمال آخر فى تفسير هذه الآية وهو أنّها إشارة إلى يوم القيامة، والآية التالية لها والتى جاء فيها: «يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوقِهِم». (العنكبوت/ ۵۵)

هى بمثابة القيد لإحاطة جهنّم.

(۱). رجح المرحوم العلّامة الشعرانى هذا المعنى فى هامش تفسير روح الجنان، ج ۹، ص ۳۰.

وبعبارة اخرى جُعلت هذه الجملة إشارة إلى المستقبل المؤكد، فكما ذكرنا أنّ اللغة العربية تعبر عن المستقبل المؤكد «المضارع المتحقق الوقوع» بالحال حيناً وبالفعل الماضى حيناً آخر.

ويمكن الاستعانة بآيات سورة الانفطار لتأكيد التفسير الأول حيث جاء فيها: «انَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ* وَانَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ* يَصْلَونَهَا يَوْمَ الدِّينِ* وَمَاهُم عَنهَا بِغَائِبِينَ».

يتّضح من هذا التعبير أنّ «الصلى» يكون يوم القيامة إلّاأنّ جهنّم محيطة بالكافرين الآن، رغم أنّ الحجب تحول دون احتراقهم فى الدنيا، لاسيما ما ورد فى جملة: «وَمَا هُم عَنهَا بِغَائِبِينَ» فهو تأكيد مجدد على هذا المعنى (فتأمّل).

وتخاطب الآية الآخيرة منكرى يوم القيامة قائلة: «كَلَّا لَو تَعلَمُونَ عِلمَ اليَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ» ثم تضيف مؤكّدة: «ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَينَ اليَقِينِ».

ولو أننا أخذنا معنى الآية كما هو فى الظاهر (واعتبرنا «لو» شرطاً وجزاؤها «لترونّ الحجيم») لكانت تعنى: إنّ الذين لديهم «علم اليقين» يشاهدون جهنّم وهم فى هذا العالم، وهذا الكلام يستلزم وجودها حالياً.

أثار المفسرون ضجّة فى تفسير هذه الآية، واختار كل منهم طريقاً خاصاً وكأنّهم فى الغالب لم يتمكنوا من هضم هذا المعنى وهو إمكانية إشارة هذه الآيات إلى مشاهدة جهنّم فى الدنيا، ومن ثم مشاهدتها فى الآخرة.

فنحن نرى عدم إمكانية اعتبار الآية مكرّسة تماماً للآخرة وذلك لأنّ جميع الكفار والمجرمين يرون جهنّم فى القيامة وهذا ممّا لايحتاج إلى الشرط، ولهذا اعتقد جماعة بحذف جزاء الشرط هنا بل وادّعى الفخر الرازى اتّفاق المفسرين على هذا المعنى «۱». ولكن من البديهى أنّ هذا الكلام مبالغ فيه فليس هناك اتّفاق فى الآراء بشأن هذه المسألة، وعلى أيّة حال فقد اعتبر جماعة من المفسرين أنّ المعنى يكون هكذا: «لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر» «۲».

(۱). تفسير الكبير، ج ۳۲، ص ۷۸.

(۲). تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۵۳۰.

أمّا المجموعة الأخرى التى رأت عدم صحة الرأى القائل بحذف الجزاء، فإنّها اعتبرت الرؤية علمية وقلبية، واستناداً إلى هذا سيكون معنى الآية: «لو أنّكم علمتم علم اليقين لأيقنتم بجهنم».

من الواضح أنّ كلا التفسيرين الأول والثانى يخالف ظاهر هذه الآيات، لأنّ اعتبار الجزاء محذوفاً يخالف القاعدة وكذلك تفسير الرؤية بمعنى العلم «۱».

وعلى هذا لو أننا أخذنا الآية كما هى من غير حذف أو تقدير، وفسّرنا ألفاظها طبقاً لمعناها الحقيقى: فستكون النتيجة نفس التفسير

المذكور آنفاً، وقد ارتضى بعض المفسّرين هذا المعنى ولو بأعتباره واحداً من الاحتمالات على أقل تقدير.

ويلحظ فى الروايات الإسلامية تعابير واضحة تتسّق وهذا المعنى من جملتها القصّة المشهورة لذلك الشاب المؤمن والتى وردت فى كتاب الكافى وبصورة حديث منقول عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال «إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب فى المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه، مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه فى رأسه، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كيف أصبحت يافلان؟ قال: أصبحت يارسول اللَّه موقناً، فعجب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من قوله وقال: إنّ لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقينى يارسول اللَّه هو الذى أحزننى وأسهر ليلى واظمأ هواجرى فعزفت نفسى عن الدنيا وما فيها حتى كأنّى أنظر إلى عرش ربّى وقد نصب للحساب وحُشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأنّى أنظر إلى أهل الجنّة، يتنعمون فى الجنّة ويتعارفون وعلى الارائك متكئون وكأنّى أنظر إلى أهل النّار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأنّى الآن أسمع زفير النّار يدور فى مسامعى، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لأصحابه: هذا عبدٌ نوّر اللَّه قلبه بالإيمان، ثم قال له، ألزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع اللَّه لى يارسول اللَّه أن ارزق الشهادة معك فدعا له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النبى صلى الله عليه و آله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر» «۲».

---

(۱). كلمة «الرؤية» تفيد معنى العلم أيضاً وذلك فيما لو تعدت إلى مفعولين، بينما هذه الآية ليست كذلك، وينبغى الالتفات إلى أنّ الآية التالية «ثم لترونّها عين اليقين» يمكن أن تشير إلى القيامة.

(۲). اصول الكافى، ج ۲، ص ۵۳ باب حقيقة الإيمان، ح ۲ (مع بعض التلخيص).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۳۸

و جملة «كأنّى الآن اسمع زفير النّار يدور فى مسامعى» دليل على وجود جهنّم حالياً وأنّه يراها بعينه عن طريق الإيمان الممتزج بالشهود.

ويُستفاد من مجموع الآيات المذكورة أنّ الجنّة والنّار مخلوقتان وموجودتان حالياً ولو عُرِض هناك شكّ فى دلالة بعض هذه الآيات لا يمكن- على أقلّ تقدير- التشكيك فى دلالة المجموع، وخاصة الآيات التى تدور فيها كلمة «أعدّت».

توضيحات

۱- آراء العلماء المسلمين فى خلق الجنّة والنّار

يعتقد أغلب العلماء المسلمين- كما أشرنا سابقاً- بأنّ الجنّة والنّار موجودتان فى الوقت الحاضر واستدلوا ببعض الآيات المذكورة مسبقاً لتدعيم معتقدهم هذا، لكن بعض علماء الكلام من أمثال أبى هاشم وعبد الجبار وهما من قدماء المتكلمين يعتقدون بأنّ الجنّة والنّار ليس لهما وجود حالياً وأنّهما سيخلقان فيما بعد، وتأكيداً لرأيهم هذا استدلّوا بالآية الشريفة: «كُلُّ شَىءٍ هَالِكٌ إلَّاوَجْهَهُ». (القصص/ ۸۸)

فلو كانتا موجودتين حالياً فانّهما ستتعرضان للفناء فى نهاية هذا العالم وعندئذ تتنافى هذه الآية مع الآية القرآنية القائلة: «اكُلُهَا دَائِمٌ». (الرعد/ ۳۵)

يقول العلّامة الحلى رحمه الله ردّاً على هذا الاستدلال: «إنّ الهلاك والفناء اللذين وردا فى الآية يُراد منهما الخروج عن قابلية الاستفادة، ومن البديهى أنّ الناس وجميع المكلفين لو كُتب عليهم الفناء لما عادت للجنّة أيّة فائدة».

والجواب الآخر عن هذا السؤال هو أنّ الجنّة والنّار غير موجودتين فى ظاهر هذا العالم بل فى باطنه، والهلاك والفناء يصدقان على

ظاهر هذا العالم. (سيأتى عمّا قريب مزيد من التفاصيل بهذا الصدد).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۳۹

وقال البعض أيضاً: إنّ الآيـة: «كُلُّ شَىءٍ هَالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ» تشير إلى أنّ اللَّه عزّ وجلّ وكل ماخلق بغير أسباب مادّيـة وبلطفه ورحمته، خالـد، وأنّ كلمـة «وجه اللَّه» تشـمل جميع هـذه المعانى ومنها الجنّة والنّار وأنّ الفانى والهالك هو عالم المادّة الذى جاء إلى الوجود بعلل مادية.

٢- الوجود الحالى للجنّة والنّار فى الروايات الإسلامية

هناك الكثير من الأحاديث الإسلامية تدعم هذا المعنى وتؤكد أنّ الجنّة والنّار مخلوقتان حالياً، ومن جملة ذلك ماورد عن الإمام على بن موسـى الرضا عليه السـلام حين سأله أحد أصـحابه عن الجنّة والنّار هل هما مخلوقتان؟ قال عليه السـلام: «وإنّ رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله قد دخل الجنّة ورأى النّار لمّا عُرِج به إلى السماء». فقال له السائل: إنّ قوماً يقولون إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين. فقال عليه السلام: «ماأولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنّار فقد كذّب النبى وكذّبنا» «١».

ووردت فى الكثير من الروايات الإسلامية المتعلّقة بمعراج النبى صلى الله عليه و آله إشارات إلى موضوع الجنّة والنّار ووجودهما حالياً وهى تشـكل فى الحقيقة تأكيداً لما ورد فى الآيات التى تناولناها بالبحث وأشار إليها القرآن الكريم فى سورة النجم أثناء الحديث عن معراج النبى صلى الله عليه و آله.

قال على بن إبراهيم فى تفسير هـذه الآية: «وَلَقَد رَءَاهُ نَزْلَةً اخرى عِندَ سِدرَةِ الْمُنتَهَى «... وأمّا الرد على من أنكر خلق الجنّة والنّار فقوله عندها جنّة المأوى أى عند سدرة المنتهى فسدرة المنتهى فى السماء السابعة وجنّة المأوى عندها» «٢».

وهناك روايات تؤيد هذا المعنى جاءت فى مصادر أهل السـنّة ومصادر الشيعة بخصوص ولادة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام جاء فيها أنّ نبى الإسلام صلى الله عليه و آله قال: «لما عرج بى

---

(١). بحار الأنوار، ج ٨، ص ١١٩، ح ۶.

(٢). تفسير على بن إبراهيم، ج ٢، ص ٣٣٥.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۰

إلى السماء أخـذ بيـدى جبرائيـل عليه السـلام فـأدخلنى الجنّة فناولنى من رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفـة فى صـلبى فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجـة فحملت بفاطمة عليها السـلام ففاطمة حوراء إنسـية فكلما اشـتقت إلى رائحة الجنّة شـممت رائحة ابنتى فاطمة» «١».

جاء فى تفسير قوله تعالى «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَّا الِمحرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً ...».

(آل عمران/ ٣٧)

وفى الكثير من المصادر الإسلامية الشيعية منها والسُنّية أنّ ذلك الطعام كان من فاكهة الجنّة كان اللَّه يعطيها لمريم فى غير أوانها «٢».

وهناك روايات إسـلامية وردت بشأن فاطمة الزهراء عليها السـلام منها أنّ اللَّه تعالى قد أنزل عليها مائدة من الجنّة وقد أكل منها النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السـلام وعدد من نساء النبى صـلى الله عليه و آله والجيران وأنّ النبى صلى الله عليه و آله قد شبّه ذلك بقصة مريم وقال: «الحمد للَّهالذى جعلك شبيهة بسيّدة نساء بنى اسرائيل» «٣».

قد يُقال إنّ هذا الكلام يتعلّق بالجنّة البرزخية وهى الجنّة التى تسـتقر فيها أرواح الشـهداء بعد الشهادة وقبل القيامة، والجواب على مثل هـذا الاـعتراض هو أنّ الجنّة البرزخيـة ليست جنّة مادّيـة بل هى ذات بعـد مثالى والأرواح تنعم فيها على هيئـة القوالب المثاليـة، ومن

البـدیهی أنّ مثل هذه الجنّة الخالیة من الجانب المادی لن تحوی فاکهة نظیر الفاکهة الموجودة فی عالمنا هذا والتی یمکن أنّ یستفید منها الجسم المادّی، بل هی تشبه فی بعض جوانبها المشاهد التی یراها الإنسان فی المنام ویتلذذ بها.

---

(۱). ورد مضمون هذا الحدیث فی الکتب الشیعیة وفی الکثیر من الکتب السنّیة مثل: ذخائر العقبی ص ۳۶ وص ۴۴؛ والمستدرک علی الصحیحین، ج ۶، ص ۱۵۶؛ و تفسیر الدر المنثور للسیوطی فی تفسیر آیة «سبحان الذی اسری بعبده».. وکتب اخری

(۲). تفسیر العیاشی؛ وتفسیر البرهان؛ و تفسیر نور الثقلین؛ وکذلک تفسیر الدر المنثور ذیل الآیة ۳۷ من سورة آل عمران.

(۳). نقله کل من الزمخشری فی الکشاف؛ والسیوطی فی تفسیر در المنثور فی ذیل الآیة ۳۷ من سورة آل عمران؛ والثعلبی فی قصص الأنبیاء فی ص ۵۱۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۱

إضافة إلی هذا نقرأ فی روایات عدیدة أنّ الجنّة حالیاً فی حالة بناء واتساع بواسطة أعمال الإنسان، فبعض أعمال الإنسان ینتج عنها غرس أشجار جدیدة فی الجنّة، ولا- تصح مثل هذه الأخبار إلّاإذا کانت الجنّة موجودة حالیاً، ومن جملة ذلک ماورد فی الروایات التالیة التی تحمل ابعاداً تربویة رفیعة:

۱- نقل أبو أیوب الأنصاری حدیثاً عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «فی لیلة المعراج مَرَّ بی إبراهیم الخلیل علیه السلام وقال: مُر امّتک أن یکثروا من غرس الجنّة فإنّ أرضها واسعة وتربتها طیّبة قلت وما غرس الجنّة؟ قال. لا حول ولا قوة إلّاباللَّه» «۱».

۲- جاء فی حدیث عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال: «من قال لا إله إلّااللَّه، غرست له شجرة فی الجنّة» «۲».

۳- نقل الإمام الصادق علیه السلام حدیثاً عن آبائه عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال: «من قال سبحان اللَّه غرس اللَّه له بها شجرة فی الجنّة، ومن قال الحمد للَّهغرس اللَّه له بها شجرة فی‌الجنّة، ومن قال لا اله إلّااللَّه غرس اللَّه له بها شجرة فی الجنّة، ومن قال اللَّه أکبر غرس له بها شجرة فی الجنّة» فقام له رجل من قریش کان بین الحاضرین وقال له: اذن فشجرنا فی الجنّة أکثر، فقال له النبی صلی الله علیه و آله: «نعم ولکن إیّاکم أن ترسلوا علیها نیراناً فتحرقوها» «۳».

۴- وجاء فی حدیث آخر عن النبی صلی الله علیه و آله أنّه قال: «لمّا اسری بی إلی السماء دخلت الجنّة فرأیت فیها ملائکه یبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وربّما أمسکوا، فقلت لهم: مالکم ربّما بنیتم وربّما أمسکتم؟ فقالوا حتّی تجیئنا النفقة! فقلت لهم: وما نفقتکم؟ فقالوا: قول المؤمن فی الدنیا: سبحان اللَّه والحمد للَّهولا إله إلّااللَّه واللَّه أکبر، فاذا قال بنینا، وإذا أمسک أمسکنا» «۴».

نختم هذا البحث بحدیث للمرحوم العلّامة المجلسی، فقد قال فی نهایة هذه الروایة

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۴۹، ح ۸۳.

(۲). ورد هذا الحدیث فی کتب کثیرة منها: المحاسن؛ ثواب الأعمال؛ بحار الأنوار عن اصول الکافی، ج ۲، ص ۵۱۷ ح ۲.

(۳). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۸۶، ح ۱۵۴.

(۴). المصدر السابق، ج ۱۸، ص ۳۷۵، ح ۸۰ (بشیء من التلخیص).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۲

المتعلقة بالجنّة والنّار والتی أوردها فی بحار الأنوار: «إعلم أنّ الإیمان بالجنّة والنّار علی ماوردتا فی الآیات والأخبار من غیر تأویل من ضروریات الدین، ومنکرهما أو مؤولهما بما أوّلت به الفلاسفة خارج من الدین، وأمّا کونهما مخلوقتان الآن فقد ذهب إلیه جمهور المسلمین إلّاشرذمة من المعتزلة والآیات والأخبار الواردة دافعة لقولهم مزیّفة لمذهبهم، والظاهر أنّه لم یذهب إلی هذا القول أحد من الإمامیة إلّاما ینسب إلی السید الرضی» «۱».

۳- جواب على اعتراضين

لعل منكرى الوجود الحالى للجنّة والنّار يتمسكون باعتراضين أحدهما عقلى والآخر نقلى، أمّا الاعتراض العقلى فهو أن إيجادهما قبل القيامة لغو وعبث، لأنّه مامن أحد يدخل الجنّة أو النّار قبل حساب يوم القيامة ويبدو هذا شبيهاً لمن يبنى قبل الف عام داراً لمن يأتى بعد ألف عام، أليس هذا عبث؟!

والجواب على هذا الاعتراض واضح وهو أنّ هذه القضية- كما سبق منّا القول فيها- تترك تأثيراً تربوياً على الناس، فاللّه سبحانه وتعالى يريد أن يُفهم الناس أنّ الثواب العظيم غير مؤجّل ولا العقاب الأليم، بل كلاهما حاضر، ويبدو هذا الفعل شبيهاً بتهيئة مجموعة من الجوائز فى بداية العام الدراسى للطلبة الذين يحوزون فى نهاية العام على أعلى الدرجات بل وقد نضعها معروضة أمام أنظارهم ونقول لهم هذه المكافأة لمن يبذل أقصى الجهد فى الدراسة، أو يبدو شبيهاً بإعداد السجن والمشنقة مقدّماً للقتلة والجُناة.

ومن البديهى أنّ مثل هذا العمل لا يُعَدُّ عبثاً، بل له آثار عميقة أيضاً فى الجانب التربوى، ولكن بما أنّ الجنّة والنّار محجوبتان عن أهل الدنيا بسبب الحجب الموجودة حافظت الآيات القرآنية والأخبار النبوية فى هذا الصدد على ذلك التأثير.

والاعتراض الآخر هو علمنا بأنّ «كُلُّ شَىءٍ هَالِكٌ الَّا وَجْهَهُ» فى نهاية هذا العالم، ويمكن تقديم عدّة إجابات على هذا الاعتراض.

الأول: إنّ المقصود من «كل شى» هو الدنيا بأجمعها وما يتعلق بها، أمّا معنى «الهلاك» فلا

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۲۰۵، ذيل ح ۶۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۳

يصدق على الجنّة والنّار فهما من الأشياء الباقية والمستثناة من الهلاك فوق العالم المادى أو فى باطنه، وهما خارج نطاق الدنيا الفانية.

الثانى: إنّ «الوجه» المستثنى يشمل جميع الامور التى تنتسب إليه بقوّة بحيث تُعتبر داخلة ضمن مفهوم «الوجه» وبما أنّ الجنّة والنّار هما مظهر رحمته وغضبه وموضع الثواب والعقاب فهما داخلتان ضمن الاستثناء طبعاً.

الثالث: إنّ «الهلاك» يعنى انعدام المستفيدين من الشىء كالدار العامرة التى يموت أهلها وتبقى بلا وارث، فهذه الحالة تسمّى أحياناً بالهلاك.

۴- أين الجنّة؟

يُطرح هذا السؤال جدّياً مع أخذ قضيّتين بنظر الاعتبار:

الاولى وهى أنّ الجنّة موجودة الآن، (طبقاً للشواهد المتأتّية من الآيات والروايات المذكورة سابقاً).

والثانية: إن عرض الجنّة كعرض السماء والأرض (استناداً إلى صريح الآيات الواردة فى البحث السابق).

ولعل البعض يقول: أين يقع بالدقّة مثل هذا الوجود الذى هو كعرض السماء والأرض؟

وكيف يمكن وجود مثل هذا الشيء دون أن تطاله حواسّنا؟

وقد أجاب جماعة عن مثل هذا السؤال بقولهم: تفيد الآيات القرآنية أنّ الجنّة موجودة فى السماء، فكما أشرنا سابقاً، إنّ عروج النبى صلى الله عليه و آله كان إلى السماء حيث أخبرت الآية الشريفة: «عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَى (وهذه النقطة هى أسمى وأرفع نقطة فى السماء). (۱)»

(النجم/ ۱۵)

رغم أنّ البعض اعتبرها الجنّة البرزخية التى تصعد إليها أرواح الشهداء أو أنّها جنّة آدم،

(۱). صرّح بذلك المرحوم الطبرسى فى تفسير مجمع البيان؛ والفخر الرازى فى التفسير الكبير؛ والعلّامة الطباطبائى فى تفسير الميزان؛ والبرسوئى فى تفسير روح البيان؛ فى ذيل الآية ۲۲ من سورة الذاريات أو ذيل الآية ۱۵ من سورة النجم أو فى كليهما.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۴

ولكن كلا هذين الاحتمالين يخالف معنى التعبير الظاهرى لجنّة المأوى

وجاء فى قوله تعالى «وَفِي السَّمَاءِ رِزقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ». (الذاريات/ ۲۲)

إذ يعتقد كثير من المفسرين أنّ المقصود من «ماتوعدون» هى جنّة الخلد التى وعد اللَّه بها عباده «۱»، وقال جماعة إنّ هذا يشمل الجنّة والنّار رغم قول البعض أنّ الغرض هو الإشارة إلى العذاب الدنيوى الذى ينزل على الكفّار والجبابرة (كعذاب قوم نوح وقوم لوط وأمثالهما).

محصّلة هذا الكلام هو أنَّ جنّة الخلد تقع فى ماوراء السماء الدنيا وسعتها كعرض السماء والأرض أو أنّها أوسع من ذلك بعدّة مرّات لعدم وجود ما هو أوسع من هذا البيان ليصف به القرآن سعة الجنّة، وعلى هذا الأساس فهى موجودة ومكانها فى السماء وسعتها كعرض السماء والأرض فى هذه الدنيا.

وقد طرح بعضهم عدّة مؤاخذات على هذا الرأى وهو إذا كانت الجنّة فوق الفلك التاسع فهذا يستلزم أنّها كائنة فى اللامكان واللاجهة! وهى إنّ كانت واقعة فى طبقات السماء أو بين فلكين من هذه الأفلاك فهذا إمّا يستلزم التداخل أو انفصال الأفلاك عن بعضها، وكل هذا محال ولا يتّسق مع التعبير القرآنى القائل: إنّ سعتها كعرض السموات والأرض.

ولا يخفى أنّ هذا الاعتراض قائم فى الحقيقة على أساس هيئة بطليموس والأفلاك التسعة التى يعتقد أنّها قائمة فوق بعضها كطبقات قشرة البصل ولا يوجد بينها أىفاصل ولكن بعد أن ثبت الآن بالدلائل القطعية بطلان هذه العقيدة، وحتى أنّ بطلانها فى بعض الحوانب ثبت حسّياً، لم يَعُد هناك أىدليل تستند عليه مثل هذه الاعتراضات ولا يوجد هناك أىمانع من وجود عوالم كبيرة اخرى أوسع بكثير من سمائنا وأرضنا هذه فوق هذه النجوم الثابتة والسيارة وفوق المجّرات، وعليه فلا تعارض مع مفهوم الآية الآنفة الذكر أيضاً.

(۱). صرّح بذلك المرحوم الطبرسى فى تفسير مجمع البيان؛ والفخر الرازى فى التفسير الكبير؛ والعلّامة الطباطبائىفى تفسير الميزان؛ والبرسوئى فى تفسير روح البيان؛ فى ذيل الآية ۲۲ من سورة الذاريات أو ذيل الآية ۱۵ من سورة النجم أو فى كليهما.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۵

النظرية الأخرى تقوم على رأى جماعة من الفلاسفة الذين ينكرون مادّية الجنّة والنّار، وعلى هذا ذهبوا إلى عدم حاجة الجنّة إلى المكان المادّى بل هى فى ماوراء عالم الحس والمادّة، وقد تحدّث صدر المتألهين عن هذا الموضوع فى كتاب الأسفار قائلًا:

«واعلم أنّ لكل نفس من نفوس السعداء فى عالم الآخرة مملكة عظيمة الفسحة، وعالماً أعظم وأوسع ممّا فى السماوات والأرضين، وهى ليست خارجة عن ذاته بل جميع مملكته ومماليكه وخدمه وحشمه وبساتينه وأشجاره وحوره وغلمانه كلها، قائمة به، وهو حافظها ومنشئها بإذن اللَّه تعالى وقوته، ووجود الأشياء الاخروية وإن كانت تشبه الصور التى يراها الإنسان فى المنام أو فى بعض المرايا لكن يفارقها بالذات والحقيقة، أمّا وجه المشابهة فهو أنّ كلا منها بحيث لا يكون فى موضوعات الهيولى ولا فى الأمكنة والجهات لهذه المواد، وأن لا تزاحم بين أعداد الصور لكل منهما وأنّ شيئاً منهما لا يزاحم شيئاً فى هذا العالم فى مكانه أو زمانه، فإنّ النائم ربما يراه فى يقظة هذا العالم، وهى مع كونها مغايرة لما فى الخارج بالعدد لكن لا تزاحم ولا تضايق بينها.. وأمّا وجه المباينة فهو أنّ نشأة الآخرة والصور الواقعة فيها قوية الجوهر شديدة الوجود عظيمة التأثير إلذاذاً وإيلاماً، وهى أقوى وأشد وآكد، وأقوى من موجودات

هذا العالم، فكيف بالصور المنامية والمرآتية، ونسبة النشأة الآخرة إلى الدنيا كنسبة الانتباه إلى نشأة النوم» «۱».

وبالرغم من استخدامه لتعابير مختلفة بشأن المعاد فليس من السهل الحكم على رأيه من خلال هذه التعابير، لكن من الواضح أنّ هذا التفسير للمعاد لا- يتطابق مع ظاهر بل مع صريح القرآن، بل يتناسب مع آراء الذين يعتبرون المعاد روحياً فقط، فقد ورد في النص السابق أنّ الجنّة في داخل ذات الإنسان وفي نفسه وروحه وكل شيء هناك له صورة مثالية، وكل شيء روحاني، بل وأنّ الموجد له هي روح الإنسان!

لقد ذكرنا فيما سبق عشرات الآيات التي تثبت جسمانية المعاد، وذلك ضمن عدّة مجاميع وبإمكان كل مجموعة أن تكون جواباً على مثل هذا الرأي.

(۱). الاسفار الأربعة، ج ۹، ص ۱۷۶ الفصل ۱۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۶

أمّا الرأي الثالث الذي يمكن طرحه في هذا الصدد فهو أنّ كلًّا من الجنّة والنّار تقعان في باطن هذا العالم، وحجب عالم الدنيا تحول دون رؤيتهما، لكن أولياء اللَّه بإمكانهم مشاهدتهما، وقد استطاع النبي الكريم صلى الله عليه و آله أثناء معراجه حيث صار بعيداً عن ضجيج سكان هذا العالم، أن يرى بعينه الملكوتية قطعة من الجنّة في العالم الأعلى وحتّى أنّ أولياء اللَّه قد يتاح لهم بين الفينة والأخرى أثناء بعض النفحات مشاهدة ذلك وهم على الأرض!

وقد تكون الآيات التالية إشارة إلى هذا المعنى «انَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ».

(العنكبوت/ ۵۴)

وقال: «انَّ الْأَبرَارَ لَفِى نَعِيمٍ* وَانَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ». (الانفطار/ ۱۳- ۱۴)

وكذلك: «كَلَّا لَو تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ». (التكاثر/ ۵- ۶)

يمكن تشبيه وجود الجنّة في باطن هذا العالم بماء الورد في الورود، فمع أنّ ماء الورد مادّة وكذلك الورود لكن ذلك لايمنع من وجود أحدهما مخفياً داخل الآخر فلا يشاهد بالعين.

والتشبيه الآخر الذي يمكن الإتيان به لتقريب الموضوع إلى الأذهان، وهو تشبيه سبق ذكره حيث توجد أشياء كثيرة في عالم المادّة هذا لا يتيسّر لنا إدراكها في الظروف الاعتيادية، وكثير منها موجود في داخل هذا العالم المادّي فعلى سبيل المثال توجد في فضاء هذا العالم أمواج إذاعية عديدة تبثها في الفضاء محطات الاذاعة العالمية، وتصل أحياناً بواسطة الأقمار الصناعية إلى جميع أرجاء العالم، وتوجد أنواع متعددة من هذه الموجات في كل بيت، لكنّ أحداً لايشعر بها، ولعل بعضها يحمل أنغاماً وأصواتاً جذّابة ورائعة، وقد يحمل بعضها الآخر أصواتاً مزعجة وصفّارات انذار وأنغاماً تشمئز منها النفوس، وكذلك محطات التلفزة، فقد تبث صوراً ومشاهد جميلة وجذّابة وتربوية فيما تبث محطّات اخرى مشاهد الحرب والدمار والخراب والمذابح والحرائق والجرائم، وكل هذه الصور والمشاهد والأصوات المختلفة موجودة في عالمنا المادى هذا وفي هذا الفضاء

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۷

المحيط بنا، وقد اصطنعت لنفسها جنّةً وناراً في داخل هذا العالم، فيقوم بعض الناس بتنظيم أجهزة الاستلام لديهم مع الأصوات الجّذابة والأنغام المريحة والمشاهد الممتعة والمفيدة، بينما ينظم البعض الآخر أجهزة الاستلام- اختياراً أو اضطراراً- مع الأنغام والأصوات والمشاهد المعاكسة للُاولى فيعيش الفريق الأول أجواء عالم ممتع، والفريق الثاني يعيش في عالم من العذاب والأذى وهذه كلها كامنة في قلب هذا العالم المادّي.

نأمل عدم حصول الالتباس في الفهم، فنحن لا نقول أبداً إنّ الجنّة والنّار هكذا تماماً بل نقول ما المانع في أن يكون في عمق هذا

العـالم عـالم آخر أو عوالم اخرى ونحن لاـ نتمكن فى الظروف الحاليـة من الاطّلاع عليها مطلقاً لوجود الحجب المتعـددة الحائلـة بيننا وبينها؟

إنّ من أوتى القدرة على إزاحة هذه الحجب فبإمكانه رؤية تلك العوالم حتّى وإن كان هو فى هذا العالم، (فتأمّل).

وقـد اتيـح للنبى الكريم صـلى الله عليه و آله أثنـاء معراجه إلى السـماء- حيث خفّت ضـجّة عـالم المـادّة، وتقلصت الهموم والمشاغل وتعاظمت مظاهر جلال اللّه وجماله- ازاحة الحُجب ومشاهدة جوانب من العالمين (الجنّة والجحيم) الواقعتين داخل هذا العالم.

وليس معنى هـذا أنّ الرسول الكريم صـلى الله عليه و آله أو سائر أولياء اللّه لا يتمكّنون من مشاهـدة الجنّة والنّار وهم على الأرض، بل إنّ هذا قد حصل أيضاً فى بعض الأوقات على الأرض كما يتّبين من بعض الروايات.

جاء فى الحـديث الذى نقله الراوندى فى «الخرائج» أنّ أصـحاب الإمام الحسـين عليه السـلام حين أكدوا له وفاءهم الكامل له وامتنعوا عن مغادرة الميدان ونقض البيعة: «دعا لهم بالخير وكشف عن أبصارهم فرأوا ما حباهم اللّه من نعيم الجنان وعرّفهم منازلهم فيها» «۱».

ويروى مؤلف كتاب «مقتل الحسين» بعد ذكره لهذه الرواية: «وليس ذلک فى القدرة الإلهيّة ولا فى تصرفات الإمام بغريب، فإنّ سحرة فرعون لما آمنوا بموسى عليه السلام وأراد فرعون قتلهم آراهم النبى موسى منازلهم فى الجنّة» «۲».

---

(۱). الخرائج للراوندى طبقاً لما ورد فى «مقتل الحسين» للمقرم، ص ۲۶۱؛ وبحار الأنوار ج ۴۴، ص ۲۹۸.

(۲). أخبار الزمان للمسعودى، ص ۲۴۷ (استناداً إلى مقتل الحسين، ص ۲۶۱).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۸

ورد فى بعض الروايات أيضاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام أرى بعض أصحابه حوض الكوثر «۱».

وهـذه النظريـة حول مكان الجنّة تحل ضـمناً مسألة سـعتها التى هى كعرض السـموات والأرض وترد على بعض اعتراضات المتكلمين بشأن ضرورة التداخل.

وعلى أيّـة حال فإنّ ما طرحناه بخصوص وجود الجنّة والنّار فى باطن هـذا العالم لا يتجاوز النظريـة، والاعتقاد به يحتاج إلى مزيـد من الدراسة والأدلة والشواهد.

---

(۱) بحارالأنوار، ج ۶، ص ۲۸۷، ح ۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۴۹

۷- درجات الجنّة

تمهيد:

تدل العبارات القرآنية المختلفة على أنّ حدائق الجنّة متعددة ومتنوّعة، ولو أمعنا النظر فى الروايات الواردة فى تفسير الآيات النازلة فى هذا الصدد لاستخلصنا منها أنّها تحدد درجات ومنازل أهل الجنّة وتضع كل فئة منهم فى المكانة اللائقة بهم ضمن هذه الحدائق، كل شخص حسب أفضليّة وسمو مقامه.

فهناک- مثلا- حديث وارد عن النبى صلى الله عليه و آله فى تفسير الآيات من سورة (الرحمن) الواردة بخصوص حدائق الجنّة أنّه قال صلى الله عليه و آله: «جنّتان من ذهب للمقرّبين، وجنّتان من ورق لأصحاب اليمين» «۱».

ومن الواضح أنّ استعمال كلمتى الذهب والفضّة فى هذا الحديث يشير إلى تفاوت درجتَى هاتين الجنتين.

مع هذه اللمحة التمهيدية نعود إلى آيات القرآن الكريم لنشاهد، ماذا تقول عن ذلك:

۱- «قُلْ أَذَلِكَ خَيرٌ امْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً».

(الفرقان/ ۱۵)

۲- «اولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنهَارُ». (الكهف/ ۳۱)

۳- «امَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُم جَنَّاتُ المَأوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ».

(السجدة/ ۱۹)

۴- «انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِردَوْسِ نُزُلًا».

(الكهف/ ۱۰۷)

---

(۱). تفسير درّ المنثور، ج ۶، ص ۱۴۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۰

نفحات القرآن ج۶ ۲۹۹

۵- «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* اولَئِكَ المُقَرَّبُونَ* فِى جَنَّاتِالنَّعِيمِ». (الواقعة/ ۱۰- ۱۲)

۶- «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ» «ذَوَاتَا افْنَانٍ» «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ» «مُدْهَامَّتَانِ». (الرحمن/ ۴۶- ۴۸- ۶۲- ۶۴)

جمع الآيات وتفسيرها

جنّة أم جنان؟

تتحدث الآية الاولى عن العذاب الأليم لأصحاب النّار وتقارن حالهم بالمنزلة الرفيعة لأصحاب الجنّة: «قُلْ اذَلِكَ خَيرٌ امْ جَنَّةُ الخُلدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً».

«جنّة الخلد»: وردت مرّة واحدة فى القرآن الكريم وهى تشير إلى خلود الجنّة.

يقول الراغب فى «المفردات»: «الخلود» بمعنى بُعد الشيء عن الفساد وبقاؤه على حاله، وقال صاحب «مقاييس اللغة»: إنّ الكلمة تعنى أساساً الثبات والملازمة، وفسّرها صاحب «مصباح اللغة» بمعنى الإقامة، رغم أنّ هاتين الكلمتين- أى جنة الخلد- جاءت أحداهما مضافة إلى الاخرى فإنّهما تفيدان معنى الوصف، ويبدو أنّه وصف للجنّة بشكل عام، لأنّ كل نعمة فيها خالدة، وكذلك أهلها فهم خالدون أيضاً، وعلى هذا فهى لا تختص بجانب من الجنّة دون الجانب الآخر، لأنّ هذا الوصف شامل لكل حدائق الجنّة.

واعتبر بعض أصحاب اللغة مثل ابن منظور فى «لسان العرب»: «الخلد» واحداً من أسماء الجنّة، ولا يستبعد أن تكون آراؤهم أيضاً بياناً لصفة الدوام والبقاء التى تحوّلت بالتدريج إلى اسم من أسماء الجنّة.

وفى الآية الثانية نلاحظ تعبيراً آخراً، فبعد أن تؤكد الآية على عدم ضياع أجر المؤمنين الصالحين، تبشرهم أنَّ: «اولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجرِى مِن تَحتِهِمُ الْأَنهَارُ».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۱

وردت كلمة «جنات عدن» احدى عشرة مرّة فى القرآن الكريم «۱» وهذا التكرار يفيد الأهميّة فى المواصفات المتعلّقة بالجنّة.

و «الجنّات»: جمع (جنّة) وهى الحدائق الكثيرة فى الجنّة، و «عدن» تعنى فى الأصل الإقامة حسب ماذكر صاحب «مقاييس اللغة» أو بمعنى الثبات والاستقرار حسب ماأفاد به كتاب المفردات، وهذا يتضمن إشارة إلى خلود الجنّة، لا إلى حدائق هذه الدنيا التى تتعرض

أشجارها لتساقط الأوراق فى فصل الخريف وقد تيبس وتموت بعد عدّة سنوات، وقد تنقطع عنها مصادر المياه، أو قد تتعرض ثمارها للآفات أو تجف جذوعها من الداخل أو قد تقضى عليها الرياح الحارّة اللاهبة أو القارصة، بل وقد تتعرض للصواعق فتتحول إلى رماد، وخلاصة القول أنّها عرضة لألف آفة وبلاء بينما أشجار الجنّة باقية دوماً وحدائقها خضراء غنّاء لا يعتريها اليبس ولا المرض ولا تساقط الأوراق أو الذبول.

قال بعض المفسرين: إنّ المقصود من (جنّات عدن) وسط الجنّة، وهى فى الحقيقة جنّة من جنانها إلّاأنّ لها من السعة ما يجعل كل جزء من اجزائها وكأنّه جنّة قائمة بذاتها وقد ذُكرت على هيئة الجمع «۲»، لكن التأمل فيما سبق من القول يجعل مثل هذا المعنى بعيداً.

وأبرزت الآية الثالثة نفس هذا المعنى ولكن بعبارات اخرى فهى تقول: «امَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُم جَنَّاتُ المَأوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ».

«المأوى : مشتقة من كلمة «اوِىّ» على وزن (قوىّ)، قال الراغب فى المفردات: إنّها تعنى انضمام الشى إلى شىء آخر (ثم أصبحت تعنى الإقامة عند الشيء).

وقال صاحب مقاييس اللغة: إنّ أحد معانيها هو «التَجمُّع» وهذا يستلزم السكن عند الشىء، والمأوى يعنى باختصار: المكان والمسكن والمقر الذى يسكنه الإنسان ليلًا أو نهاراً ويستريح فيه، وعلى هذا ف «جنّات المأوى تشير إلى الخلود والدوام والاستقرار فى الجنّة

---

(۱). فى سور، التوبة، ۷۲؛ الرعد، ۲۳؛ النحل، ۳۱؛ الكهف، ۳۱؛ مريم، ۶۱؛ طه، ۶۷؛ فاطر، ۳۳؛ ص، ۵۰؛ غافر، ۸؛ الصف، ۱۲؛ البّينة، ۸.

(۲). تفسير مجمع البيان، ج ۶، ص ۴۶۷؛ وتفسير القرطبى، ج ۶ ص ۴۰۱۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۲

ويُستَشفُ منها أيضاً معنى الهدوء والسكينة.

قال البعض: إنّ هذا التعبير إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ دار الدنيا ليست مأوى الإنسان (أى ليست دار مقّره النهائى)، بل هى ممر يجتازه، أو كما وصفتها الرواية المشهورة «الدنيا قنطرة» فهى ليست محل استقرار وثبات.

ولا يخفى أنّ مثل هذا الوصف ينطبق على جميع الجنّة، ومع ذلك فقد نُقِل عن ابن عبّاس أنّه قال: حدائق الجنّة ثمان: إحداها جنّة المأوى وسواها هى «دار الجلال» و «دارالقرار» و «دار السلام» و «جنّة عدن» و «جنّة الخلد» و «جنّة الفردوس» و «جنّة النعيم».

سبق أن قلنا أنّ «النزل» تعنى أول مايُستقبل به الضيف (كما يُستقبل اليوم مثلًا بالعصير أو الماء البارد أو الشاى). وإذا كان الأمر كذلك فهو يدل على أنّ جنات المأوى رغم سعتها وعظمتها- فهى أدنى درجات الاستقبال لعباد اللَّه المخلصين! وعلى هذا فإنّ الاستقبال والتكريم الأساس لهم هى تلك النعم التى تتضاءل أمامها جّنات المأوى وهى ليست سوى قرب الإله ولقائه وجنّة معرفة جلاله وجماله.

التعبير الآخر الذى استخدمه القرآن الكريم لوصف مستقر هذه الرحمة الإلهيّة الكبرى هو «جنات الفردوس» إذ يقول القرآن فى هذا الصدد: «انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِردَوسِ نُزُلًا».

هناك اختلاف بين المفسرين وأصحاب اللغة فى أصل كلمة (فردوس) هل هى رومية أم سريانية أم نبطية أم حبشية أم عربية؟ كما اعتبرها البعض فارسية الأصل تحوّرت إلى «پراديزس» و «پراديز» ثم إلى «فرديس» و «فردوس».

وقد ذكروا معانى عديدة لهذه الكلمة؛ منها: الحديقة والبُستان، وحدائق العنب والحدائق الشاملة لكل الأزهار والثمار، والحدائق المغطّاة بالأشجار والتى تحوى الكثير من المياه، وأحياناً الحاوية للكثير من العنب.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۳

فأمّا الذين عدّوها عربية الأصل فقد قالوا: إنّها مأخوذة من مصدر «الفَرْدَسة» وهو بمعنى السعة واستعملت هذه الكلمة التى وردت فى

القرآن مرّتين فقط (فى سورة الكهف/ ۱۰۷ وسورة المؤمنون/ ۱۱) بمعنى الجنّة، ويُستشف من الروايات المنقولة عن النبى صلى الله عليه و آله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ هذا الاسم يختص ببقعة ممتازة جدّاً من الجنّة.

جاء فى حديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إذا سألتم اللَّه تعالى فاسألوه الفردوس، فانّه وسط الجنّة وأعلا الجنّة وفوقه عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنّة» «۱».

ونقل عن الإمام على عليه السلام أنّه قال: «لكل شىء ذروة وذروة الجنّة الفردوس وهى لمحمد وآل محمد» «۲».

وأخيراً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال فى تفسير الآية؛ إنّها نزلت بحقّ أبى ذر وسلمان والمقداد وعمار بن ياسر وهى: «جَعل اللَّه لهم جنّات الفردوس نُزلًا» أىمأوى ومنزلًا «۳».

ومن الواضح عدم وجود أى تضاد بين الحديث الثانى والثالث، لأنّ المؤمنين من أصحاب الدرجات الرفيعة من أمثال أبى ذر وسلمان والمقداد وعمّار وهم التابعون المخلصون لمحمد وآل محمد عليهم السلام يعدّون فى الحقيقة من زمرتهم.

ولكن ما معنى «نزلًا» هنا؟ اعتبرها البعض بمعنى دار النزول ومحل السكن كما أشار إلى هذا حديث الإمام الصادق عليه السلام. وقال بعض المفسرين: إنّ النزل يعنى وسائل الاستقبال أو اوّل ما يستقبل به الضيف، ولامانع أيضاً من جمع هذين المعنيين.

التعبير الآخر الذى ورد فى وصف حدائق الجنّة هو ما جاء فى سورة الواقعة «جنات النعيم» إذ يقول تعالى فى كتابه الكريم: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* اولَئِكَ المُقَرَّبُونَ* فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

---

(۱). صحيح البخارى؛ وصحيح مسلم (نقلًا عن كتاب روح المعانى، ج ۱۶، ص ۴۷).

(۲). تفسير البرهان، ج ۲، ص ۴۹۵، ح ۲.

(۳). استناداً إلى ما نقله تفسير الميزان عن تفسير القمى، ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۴

«الجنّات»: جمع «جنّة» ولعل استعمال الجمع هنا لبيان أنّ لكل واحد من أصحاب الجنّة جنّة خاصة به فيكون جمعها جنّات، والنعيم هو جمع «نعمة» لأنّ الجنّة تحوى دوماً أنواع النعم المادّية والمعنوية، لا كمثل حدائق الدنيا التى تكون أحياناً مدعاة للتعب والمعاناة والألم وأحياناً سبباً للراحة والنعمة، إضافة إلى أنّ حدائق الدنيا تضم كل واحدة منها نعمة واحدة لا جميع النعم.

وما يسترعى الانتباه هنا هو أنّ اللَّه ذكرهم أوّلًا، فقال: «اولَئِكَ المُقَرَّبُونَ» ومن ثم انتقل إلى ذكر «جنات النعيم» ومن الواضح أنّ جنات النعيم وبكل ماتزخر به من نعمة وعظمة لا تمثل فى قبالة القرب الإلهى إلّاقطرة فى بحر.

وقد تكررت هذه الكلمة (جنّة النعيم، وجنات النعيم)، عشر مرات فى الآيات الشريفة والتكرار دليل على التأكيد والأهميّة «۱».

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإنسان كلما اقترب فى هذه الدنيا من مراكز القوى ازداد قلقه، لأنّه يعيش دوماً فى حالة من الوجل والهواجس والرعب خوفاً من تغيير آراء أصحاب القوّة بشأنه فيسقط ويتعرض لأشد أنواع العقوبة والتنكيل، ولهذا يحذّر أهلُ المعرفة وكبار الشخصيات من «التقرّب إلى السلطان»، وأمّا القرب من الإله فعلى العكس من هذا تماماً، فلا- يشعر بغير الاطمئنان واللذة الروحية والمعنوية، وجنّات النعيم.

وهناك قضّية تستدعى الدقّة أيضاً وهو ماورد فى الروايات العديدة التى جاءت فى ذيل الآية الشريفة: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ». (التكاثر/ ۸)

حيث فُسر «النعيم» ب «نعمة الولاية» «۲»، ومن هذا المنطلق فمن المحتمل أنّ جنّات النعيم هى جنّة الولاية، ولاية اللَّه وأوليائه، ومحبّتهم والاستضاءة بنورهم المعنوى.

---

(۱). المائدة، ۶۵؛ يونس، ۹؛ الحج، ۵۶؛ الشعراء، ۸۵؛ لقمان، ۸؛ الصافات، ۴۳؛ الواقعة، ۱۲- ۸۹؛ القلم، ۳۴؛ المعارج، ۳۸.

(۲). للحصول على مزيد من المعلومات عن هذه الأحاديث راجع كتاب بحار الأنوار، ج ۲۴، الباب ۲۹، ص ۴۸ وماتلاها.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۵

أمّا هل أنَ «جنّات النعيم» تشـمل كل الجنّة أم تُشير إلى بقع مهمّة منها؟ فهنالك احتمالان، فمن جهة، قد يكون الوعد الإلهى للمقّربين دليلًا على الاحتمال الثانى لاسـيما وأن تعبيراً مشابهاً لهـذا قد ورد فى من نفس هذه السورة: «فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيم». (الواقعة/ ۸۸- ۸۹)

المجموعةً السادسة والأخيرة من هذه الآيات تشير باختصار إلى أربع روضات من رياض الجنّة مع عدة خصائص، كل اثنين منهما على حدة، إذ قال الكتاب الكريم: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ» «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ» «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ» «مُدْهَامَّتَانِ».

كانوا يتصوّرون أنّ هـذه الحـدائق الأربع كلها لجميع المؤمنين، وهـذا التعدد من أجل إيجاد التنوع لأنّ طبيعة الإنسان تميل إلى التنوّع، لكن لهجة الآيات وكذلك الروايات الواردة فى تفسيرها تظهر لنا بوضوح أنّها- أى تلك الحدائق- من نصـيب فئتين مختلفتين وعبارة «من دونهمـا» تعطى معنى الأـدنى وعلى هـذا الترتيب فروضـتان من رياض الجنّة من نصـيب «المقّربين» واثنان أدنى منهما من نصـيب «أصـحاب اليمين» وهـذا فى الحقيقة إشارة إلى درجات ومراتب أهل الجنّة، وهذا ما ينبغى أن يكون وذلك لأنّ أهل الجنّة ليسوا على سواء فى المرتبة والدرجة.

لقـد وصف النبى صـلى الله عليه و آله هـذا الاختلاف بعبارات جميلـة فى حـديث ورد عنه إذ قال: «جنّتان من فِضّـة آنيتهما وما فيهما، جنّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما» «۱».

وورد نفس هـذا المعنى فى حـديث أكثر صـراحة عن الإمام الصادق عليه السـلام أنّه قال: «لا تقولَنَّ واحـدة إنّ اللَّه يقول: ومن دونهما جنّتان، ولا تقولن درجة واحدة إنّ اللَّه يقول:

درجات بعضها فوق بعض، وإنّما تفاضل القوم بالأعمال» «۲».

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۹، ۱۰، ص ۲۱۰.

(۲). المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۶

وذكر المفسرون احتمالات متعـددة لسبب حصول كل واحـدة من هاتين الفئتين على جنّتين، وهـذه الاحتمالات لا تتعارض فيما بينها ولعلّها ملخّصـة فى مفهوم الآيـة، ومن جملـة ذلك أنّ إحـداهما تشـير إلى الجنّة الروحية والاخرى تشـير إلى الجنّة المادية أو أنّ لكل واحد من أهل الجنّة جنّتين: إحداهما عامّة لمقابلة الاصدقاء، والاخرى خاصة لمعاشرة الزوجات.

أو أن تكون إحداهما كثواب على العقيدة والإيمان والأخرى جزاءً للعمل الصالح.

أو أن تكون إحداهما جزاءً للعمل والاخرى فضل من اللَّه.

أو ربّما إحداهما جزاءً على طاعة الأوامر والثانية ثواباً على اجتناب الذنوب!

ويمكننـا أن نسـتخلص من مجموع مـاذكر أنّ للجنّـة مقامـات ودرجـات ومراتب ويمكن اعتبـار كـل واحـدة منهـا جنّـة، ولاـ شك أنّ اختلاـف درجـات أولياء اللَّه فى الـدنيا يسـتوجب اختلاف مراتبهم فى الجنّـة، فجنّـة المقربين تختلف عن جنّـة أصـحاب اليمين، وجنّة الذين يحتلّون الذُرى فى الورع والإيمان والمعرفة والعمل الصالح تختلف عن جنّة من هم فى مراتب أدنى

ورغم عدم قدرة أذهاننا على استيعاب مواصفات أىمنهما، إلّاأننا نعلم قطعاً أنّهما عالمان مختلفان، ولعل أهل المراتب الأدنى فى الجنّة لا يتمكّنون من معرفة أحوال العوالم الأرفع مكانةً!

ينبغى الإشارة إلى أنّ كلمـة الجنّـة قـد وردت فى القرآن الكريم أحياناً بصـيغة المفرد الـذى يحمل مفهوم اسم الجنس ويشـمل جميع الحدائق والرياض فى الجنّة، وأحياناً اخرى بصـيغة الجمع وهو مايشـمل رياض الجنّة ودرجاتها ومراتبها المختلفة، وأحياناً بصيغة التثنية (جنّتان) وهو ما دلَّ على درجتين مختلفتين، وقد سبق لنا شرحه.

ويتحدّث القرآن فى بعض الأحيان عن خلود الجنّة ويستخدم عبارات من أمثال

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۷

«جنّات عـدن» أو «جنّة المأوى و «جنّة الخلـد»، ويتناول فى أحيان اخرى تبيان نعمها الماديـة والمعنويـة المختلفـة ويعبّر عنها ب «جنّة النعيم»، ويشير أحياناً اخرى إلى الرياض الفاخرة جدّاً فيها ويطلق عليها اسم «جنّة الفردوس».

يعبّر كل واحـد من هـذه الأوصاف الغنّيـة عن واحـد من أبعاد هـذا المكان وهو مقر الرحمـة الإلهيّة الكبرى ودرجات القرب والوصال بالمحبوب الحقيقى:

«اللهم أرزقنا الجنّة بمنّك ورحمتك ياأرحم الراحمين»

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۵۹

۸- أسئلة وأجوبة حول الجنّة

۱- هل أنّ التكرار يولد الملّل؟

يعترض البعض قائلًا: إنّ ما يُستشف من الآيات والروايات يشير إلى أنّ النعم فى الجنّة ونمط الحياة فيها يسير برتابة وعلى وتيرة واحدة، ونحن نعلم أنّ هـذا الوضع- ولاسـيما إذا اسـتمر لمـدّة طويلـة- يثير الملل ويطفىء شـعلة الشوق والحماسـة والنشاط، لأنّ تكرار أجمل المشاهـد وأحلى المنـاظر وأطيب الأطعمـة يضـفى عليها مسحة طبيعيـة ويجعل منها وضـعاً عادياً، حتى أنّ الإنسان قـد يلجأ أحياناً إلى أساليب حياتيـة أبسط أو أكثر مشـقّة من أجل كسـر طوق الرتابـة والملل وممارسـة التجديـد والتنوع، وللاجابـة عن هـذا السؤال ينبغى الالتفات إلى ثلاث نقاط:

الاولى يجب عـدم تطبيق المقـاييس والمعـايير الماديـة والنفسـية السائـدة فى هـذا العـالم على ذلك العالم، فلعل هـذه الحالـة النفسـية الموجودة فينا وهى سـرعة التعب والضجر واللامبالاة فى هذا العالم قد تكون على العكس تماماً هناك، فكلما تكررت المشاهدة ازداد الشوق وتضاعفت الرغبة، ومع تزايد التكرار تزداد اللذة، فيكون التكرار مدعاة لمضاعفة اللذّة المعنوية والمادية.

فما هو الدافع الذى يجعلنا نتصور أنّ الوضع النفسى للإنسان فى هذا المجال واحد هنا وهناك؟

الثانية: توجد فى هذا العالم أيضاً نِعمٌ لا يملّها الإنسان ولا يشـبع منها، فنحن كلما تنفسـنا هواءً طلقاً جديداً ومليئاً بالاوكسـجين، لا نملّه ولا نضجر منه، بل نلتذ به ويثير فينا البهجة والارتياح، وكذلك الماء هذا المشروب البسيط فلو أننا عمّرنا مئات السنين يبقى شرب

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۰

المـاء العـذب عنـد العطش من أعظم اللـذات بالنسبـة لنـا، وهـذا هو معنى قولنـا إنّ طعم المـاء هو طعم الحياة، فلا يبعث فينا الملل ولا الضجر بل يبقى الماء العذب مستساغاً ولذيذاً فى أفواه العطاشى

فمـا المـانع فى أن يجعـل اللَّه لـدى الإنسـان حالـة شبيهـة بحالـة العطش (العطش اللذيـذ الخالى من الازعاج والأذى مثل العطش للقاء المحبوب) لكى يلتذ الإنسان بواسطتها من النعم الروحية والجسمية الموجودة فى الجنّة؟

الثالثـة: لما كانت ذات اللَّه وصـفاته غير متناهية، فلا شكّ أنّ مظاهره الروحية والمعنوية لا نهاية لأمدها، فهو يفيض عليهم فى كل يوم بألطاف جديدة ويمدّهم فى كل لحظة بهداية متجددّة لا تكرار فيها ولا رتابة وهل يمكن أن يتكرر ما لا نهاية له؟

والنعم المادية هى من مظاهر رحمانيّته ورحيمّيته، ولا حد لها ولا حصر.

فما المانع فى أن تكتسب أنهارُ الجنّة وأشجارها وأزهارها وتلك الألوان والعطور وتلك الأشربة الطاهرة، لوناً وطعماً وشكلًا وعطراً جديداً فى كل يوم وفى كل ساعة؟ فألوانها فى حالة تبدل دائم وهى فى تغيّر مستمر، تكتسى على الدوام بحلل جديدة بحيث لا يتكرر الطعام الواحد ولا المشهد الواحد على أهل الجنّة إلّامرة واحدة طوال حياتهم فيها! (فياله من مشهد عجيب!).

هناك بعض الآيات القرآنية والروايات التى تؤكّد ما ورد فى هذا الباب منها: «كُلَّ يَومٍ هُوَ فِى شَأْنٍ». (الرحمن/ ۲۹)

وقد طرح المفسرون آراءً كثيرة متنوعة فى تفسير هذه الآية ويشير كل واحدٍ منها إلى فعل من أفعال اللَّه فى مسألة خلق الناس وموتهم أو رزقهم وحياتهم أو عزّة ومذّلة الامم والأقوام أو غفران الذنوب وكشف الهموم أو جلب النفع ودفع الضر، ولا شكّ أنّ لهذه الآية مفهوماً أوسع يشمل أىتغيير يطرأ على أوضاع العالم، ونظراً لانعدام الدليل على تخصيص هذه الآية فى مجال الدنيا، بل وإنّ مجيئها بعد الآية الشريفة: «كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَانٍ* وَيَبقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكرَامِ». (الرحمن/ ۲۶- ۲۷)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۱

يمكن اعتباره قرينة على استمرارية التغير والتبدّل فى الدار الآخرة أيضاً، وأنّ أصحاب الجنّة كل يوم فى شأن بإرادة اللَّه.

وقد اطلق بعض المفسرين عبارة «كل يوم» وأعطاها عمومية أوسع لتشمل أيّام الدنيا والآخرة كليهما معاً «۱».

جاء فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ اللَّه خلق جنّة لم ترها عين ولم يطّلع عليها مخلوق، يفتحها الرب تبارك وتعالى كل صباح فيقول: إزدادى طيباً! إزدادى ريحاً» «۲».

وورد حديث آخر أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ أهل الجنّة توضع لهم موائد عليها من سائر ما يشتهون من الأطعمة التى لا ألذّ منها ولا أطيب، ثم يرفعون عن ذلك إلى غيره» «۳».

تُظهر هذه التعبيرات وبكل وضوح أنْ لا رتابة فى الحياة هناك، بل فى كل لحظة نِعم وعطايا جديدة.

نختم حديثنا هذا بإشارة مقتضبة لأحد المفسرين حيث قال: «إنّ الآية تشير إلى تجلّى الحق فى كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلّى له واستعداده ولا نهاية للتجلّيات» «۴».

ولا شك فى أنّ هذا الكلام لا يشمل كل مفهوم الآية، بل يعبّر عن جزءٍ من مفهومها (فتأمل)!؟

۲- أتعرف قيمة اللذة بفقدانها؟

من المعروف أنّ «الفقدان» يبرز أهميّة «الوجدان» وبعبارة أخرى أنّ النعم الإلهيّة والعطاء الربّانى يُعرف عند زواله، فلو لم يكن للمرض وجود فى العالم لما عرف أحد قيمة الجوهرة الثمينة لنعمة السلامة، ولولا الخوف لما عرفت قيمة وأهمية نعمة الأمان.

وعلى هذا فالجنّة التى تخلو من الفقدان والخوف والمرض والتعب، ولا تعرف العوز

---

(۱). تفسير روح المعانى، ج ۲۷، ص ۹۶.

(۲). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۹۹، ح ۱۹۸.

(۳). المصدر السابق، ح ۱۹۹.

(۴). تفسير روح البيان، ج ۹، ص ۳۰۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۲

والقحط ... الخ، لن تعرف قيمة كل هذه النعم وستُنسى أهمّيتها بالتدريج، ولن يكون هناك أى شعور باللذة.

والجواب عن هذا السؤال لا- صعوبة فيه، لأنّ أهل الجنّة مشرفون على أهل النّار وبإمكانهم الاطلاع على أوضاعهم ومقارنتها بما هم

عليه، وحين يرون هذا الفارق الشاسع يلتذّون بالنعم اللامتناهية التى يعيشون فيها.

تطرّق القرآن الكريم مرّات عديدة إلى اطلالة أهل الجنّة على أهل النّار، فجاء قوله تعالى: «وَنَادَى اصْحَابُ النَّارِ اصْحَابَ الجَنَّةِ ان أَفِيضُوا عَلَينَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا انَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ». (الأعراف/ ۵۰)

وفى سورة الصافات تحدّثت عدّة آيات منها عن هذا المشهد قائلة: «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ* قَالَ قَائِلٌ مِّنهُم انِّى كَانَ لِى قَرِينٌ» «فَاطَّلَعَ فَرآهُ فِى سَوَاءِ الجَحِيمِ* قَالَ تَاللَّهِ ان كِدتَّ لَتُرْدِينِ* وَلَولَا نِعمَةُ رَبّى لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ».

(الصافات/ ۵۰- ۵۱، ۵۵- ۵۷).

كما نقرأ أيضاً فى سورة الأعراف: «وَنَادَى اصْحَابُ الْجَنَّةِ اصحَابَ النَّارِ ان قَد وَجَدْنَا مَاوَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُم حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم ان لَّعنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». (الأعراف/ ۴۴)

يُفهم من مجموع هذه الآيات أنّه لا أهل الجنّة يجهلون أوضاع أهل النّار، ولا أهل النّار محجوبون عن أحوال أهل الجنّة، فاطلاع أهل الجنّة يضاعف ما هُم فيه من السرور والنعمة لنجاتهم من ذلك العذاب الأليم، ويسعدون لما يرفلون فيه من النعمة والرفاه، وعلى العكس منهم أهل النّار إذ يتضاعف عذابهم عند إجراء مثل هذه المقارنة.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديث يقول: «ما خلق اللّه خلقاً إلّاجعل له فى الجنّة منزلًا وفى النّار منزلًا، فاذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار نادى مناد، ياأهل الجنّة اشرفوا، فيشرفون على النّار وترفع لهم منازلهم فى النّار ثم يقال لهم: هذه منازلكم التى لو عصيتم ربّكم دخلتموها؛ قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة فى ذلك اليوم فرحاً

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۳

لما صرف عنهم من العذاب؛ ثم ينادون: يامعشر أهل النّار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم فى الجنّة فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم فى الجنّة وما فيها من النعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم التى لو اطعتم ربّكم دخلتموها...» «۱».

وجاء فى ذيل الرواية نفس هذا المعنى بشأن أصحاب النّار حينما يرون منازلهم فى الجنّة فيكادون يموتون من الحسرة والغيظ.

ونُقل فى تفسير الدر المنثور حديث مشابه عن الرسول صلى الله عليه و آله ولكن بشكل مختصر «۲».

إنّ وجود منزلين لكل إنسان يدل على الطبائع والاستعدادات الموجودة فى كل إنسان بالقُوّة، حيث يُحدّد منزله فى الجنّة أو فى النّار وفقاً لتلك الطبائع والاستعدادات، ولا يتنافى هذا مع ماذكرناه سابقاً من أنّه يبنى تلك المنازل بعمله ويكملها من جميع الجوانب، ويخرج كل تلك الاستعدادات من حالة القُوّة إلى حالة الفعل، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فإنّ أهل الجنّة لا ينسون أبداً ذكريات الدنيا، ويمكنهم معرفة قيمة وأهّمية كل هذه النعم والفضائل من خلال مقارنة أوضاعهم الحالية مع ما كانوا عليه فى الدنيا.

ذكرت الآيات ما يأتى: «وَأَقبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعضٍ يَتَسَاءَلُونَ* قَالُوا انَّا كُنَّا قَبلُ فِى اهلِنَا مُشفِقِينَ* فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ». (الطور/ ۲۵- ۲۷)

ويُظهر هذا التعبير أنّ أصحاب الجنّة يتذكرون معاناتهم فى الدنيا وشقاءهم ويقارنون بينهما وبين ماهم فيه، ومن الطبيعى أنّ هذه المقارنة تُظهر لهم بوضوح عظمة النعم التى يتنعّمون بها.

۳- هل يوجد فى الجنّة تكامل؟

رغم أنّ جواب هذا السؤال قد اتّضح إجمالًا من خلال الإجابة عن السؤال السابق، لكن

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۱۲۵، ح ۲۶.

(۲). تفسير در المنثور، استناداً لما ورد فى تفسير الميزان، ذيل آيات سورة الأعراف.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۴

من الضرورى هنا البحث عن جواب أوسع، فنقول: نعم إنّ التكامل موجود هناك قطعاً ولا يبقى أهل الجنّة يراوحون فى أماكنهم، بل هم يقتربون- بفضل اللَّه ولطفه ورحمته- نحو ساحة قدسه يوماً بعد يوم، ويواصلون سيرهم فى التقدم صوب القرب إلى اللَّه.

وليس مفهوم هذا الكلام وجود العبادات والطاعات والأعمال هناك، لأنّ الجنّة ليست دار التكليف، فالمقوّمات الأوّلية للتكليف معدومة هناك، بل هم يواصلون مسيرتهم التكاملية فى ظل أعمالهم المنجزة فى الدنيا، تماماً كالأشجار المثمرة التى يغرسها الإنسان مَرّة واحدة، فتمتد جذورها وتخرج منها فروع وأغصان هنا وهناك حتّى تعم السهول والصحارى أو كسفينة الفضاء التى تحتاج فى بداية انطلاقها وخروجها عن مجال جاذبية الأرض إلى طاقة عظيمة، ولكنها بعد الخروج من هذا المجال تواصل حركتها- إذا لم تصطدم بمانع- من غير حاجة إلى أى وقود جديد.

وهناك آيات قرآنية تشير إلى هذه القضية، وتتحدث عن أصحاب الجنّة كما هو فى قوله تعالى: «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً». (مريم/ ۶۲)

ويتضح جلياً من خلال الآيات السابقة لهذه الآية أنّ هذا الوصف ينطبق على جنّة الآخرة التى عبّرت عنها بكلمة «جنّات عدن» لا على جنّة البرزخ، وهنا يتبادر سؤال إلى الأذهان وهو إذا كانت الآيات الشريفة تشير إلى أنّ أهل الجنّة لهم فيها ما يشتهون فى أى وقت وزمان، فما هى هذه العطايا والفضائل التى تُمنح لهم فى كل بكرة وعشيّ؟

من المؤكد أنّها فضائل وأرزاق مادّية ومعنوية تقدّم لهم فى هذه الأوقات، إضافة إلى رفعهم نحو درجات أسمى وأعلى

و ورد حديث عن النبى صلى الله عليه و آله يُلقى الضوء على هذا الموضوع يقول فيه: «وتأتيهم طُرف الهدايا من اللَّه تعالى لمواقيت الصلاة التى كانوا يصلّون فيها فى الدنيا، تسلّم عليهم الملائكة» «۱»، وهنا يثار سؤال آخر تُفرزه تعابير الآية، فحينما لا وجود لليلٍ ولا نهارٍ فى الجنّة فكيف تكون هناك بكرة وعشّياً؟

---

(۱). تفسير روح المعانى، ج ۱۶، ص ۱۰۳؛ وتفسير القرطبى، ج ۶، ص ۴۱۶۶، ذيل، الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۵

ويمكن الإجابة عن هذا السؤال كما يأتى:

إنّ الجنّة وإن كانت مضيئة بالنور دائماً إلّاأنّ ذلك ليس على وتيرة واحدة على الدوام بل هو فى حالة توهّج وخفوت يتيح لأهل الجنّة تحديد الليل من النهار تماماً مثل المناطق القطبية التى تمر عليها ستّة أشهر كاملة والوقت فيها نهار، إلّاأنّه يمكن تحديد الليل والنهار من خلال زيادة ونقصان درجة النور.

وبالنظر لاستعصاء هاتين القضيتين (قضية الرزق الجديد وقضية البكرة والعشى) على الكثير من المفسرين، فقد طرحوا بشأنها آراءً وتبريرات متعددة تتعارض فى الغالب مع ظاهر الآية ككونها كناية عن دوام النعمة، حيث كان من المتعارف بين العرب أنّ من يملك طعام الصباح والمساء (البكرة والعشى) يُعتبر غنيّاً، أو أنّ النعم الإلهيّة تأتيهم متوالية وبفواصل زمنية تعادل الليل والنهار فى هذه الدنيا.

ومن الواضح أنّ جميع هذه الآراء تخالف ظاهر الآية، أليس من الأفضل القول بوجود نوع من الليل والنهار الحاصلين من خلال اشتداد وانخفاض درجة الضياء ووجود نوع من الرزق مُستمد من فضل اللَّه وألطافه ومبشّر بطىّ مسيرة التكامل، بحيث ينطبق مع ظاهر الآية أو لا يتعارض معه كثيراً!؟

وهناك حديث نُقل عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «والذى أنزل الكتاب على محمد إنّ أهل الجنّة ليزدادون جمالًا وحُسناً كما يزدادون فى الدنيا قباحةً وهرماً» «۱».

وهذا الحديث يُظهر بوضوح التكامل التدريجى لأصحاب الجنّة وإن كانت فيه إشارة إلى الجوانب الجسمانية فقط، لكن من البديهى

أنّه يتضمن أيضاً الأبعاد الروحية من باب أَولى

(۱) علم اليقين، ص ۱۰۳، (استناداً على مانقله فى المعاد، كلام فلسفى).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۷

النّار

اشارة

۱- من هم أصحاب النّار؟
۲- ماهية جهنّم
۳- أبواب جهنّم وطبقاتها
۴- العذاب الجسدى لأصحاب النّار
۵- العذاب الروحى
۶- خلود العقاب

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۶۹

۱- من هم أصحاب النّار؟

تمهيد:

اشارة

رغم أنّ القاعدة تستوجب التحدّث أولًا عن ماهية النّار وأوصافها ومن ثم الانتقال إلى الحديث عن أصحاب النّار، ولكن بما أنّ اسلوب القرآن وسنّته قد دأبا على التركيز أكثر مايمكن على الأبعاد التربوية والنتائج الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية فى مثل هذه البحوث، فإننا- واتباعاً لهذا النمط الإيجابى- سنبدأ أوّلًا بمن يستحق هذه العقوبة العظمى حتّى نقف على منطق الإسلام فى هذا الصدد من خلال استقراء الآيات التى تتحدث عن أصحاب النّار.

كثيرة هى الآيات الواردة بشأن أهل النّار وسوف نأتى بمثال عن كل قسم ونأتى بشاهد ومصداق عن كل موضوع.

و يتّضح بجلاء من خلال مضامين هذه الآيات أيضاً تفاوت الذنوب ودرجات قبح المعاصى.

بعد هذه المقدمة الوجيزة نعود إلى القرآن كى نلاحظ الأقسام المختلفة لأصحاب النّار فى ضوء ما ورد فى الآيات القرآنية.

۱- الكُفّار والمنافقون

إنّ أول فئة تأخذ طريقها إلى النّار هم الكفار والمنافقون، يقول القرآن الكريم: «انَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعاً» (النساء/ ۱۴۰)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۰

وفى قوله تعالى «وَانَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ». (التوبة/ ۴۹)

وجاء: فى قوله تعالى «انَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً».
(النساء/ ۴۵)

وفى الحقيقة أنّ أهم وأوسع مصدر للمعاصى والذنوب هو الكفر والنفاق وعدم الإيمان، لأنّ الإنسان إذا لم تشرق أعماق نفسه بنبراس الإيمان ولم يتطهر من الشرك والكفر والنفاق فلن تكون لديه أيّة دوافع نحو عمل الخير وستتغلب عليه النزعات المادية والشهوانية فقط، ولا يخفى على أحد طبيعة الظواهر الناتجة عن سيطرة مثل هذه الدوافع، فنحن نرى أمثلة منها فى الجرائم التى يرتكبها المجرمون فى عالم اليوم.

«الكفر»: يعنى تغطية الحق، و «النفاق» يعنى التظاهر بعكس ما يبطن (التظاهر بالإيمان واستبطان الكفر)، وهما أهم الموانع فى طريق الإصلاح فى المجتمعات الإنسانية، لذلك ركّزت الآيات المتعلّقة بالجنّة والنّار على هاتين الفئتين.

۲- الصد عن سبيل اللَّه

يُقسِّم القرآن الكريم الناس من زاوية موقفهم من الرسول صلى الله عليه و آله والآيات القرآنية إلى فريقين، فيقول: «فَمِنهُم مَّن آمَنَ بِهِ وَمِنهُم مَّن صَدَّ عَنهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً». (النساء/ ۵۵)

وقد أكثرت الآيات الشريفة من التهديد والوعيد لهذا الفريق «الذين يصدون عن سبيل اللَّه»، وهو الفريق الذى لا يضل نفسه فقط بل ويعمد إلى إضلال جميع الناس، وكأنّه يجد لذّته فى هذا العمل، بل ويرى مصالحه اللامشروعة فى كفر الناس وعدم إيمانهم، وذلك لأنّ المجتمع المؤمن المعتقد بالقيم الإلهيّة السامية لا يخضع أبداً للفراعنة وشياطينهم وأحزابهم، فالطريقة الوحيدة إذن للتسلّط على أىّ مجتمع تكمن فى سلب جوهر الإيمان من قلوب أبنائه، وتاريخ الشعوب حافل بأمثال هذه المساعى المحمومة لهذا الفريق من أجل إضلال الناس، واليوم أيضاً تنصبُّ جهود جميع الدول والمؤسسات الاستكبارية فى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۱

العالم على سلب الشعوب إيمانها باللَّه وبالقيم الرّبانية حتّى لايكون ذلك عائقاً أمام تحقيق أهدافهم وخدمة مصالحهم.

۳- ترك طاعة اللَّه وشق عصا المسلمين

جاء فى قوله تعالى «وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيْهَا ابَداً». (الجن/ ۲۳)

وينص القرآن الكريم فى الآية الكريمة: «وَمَن يُّشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيراً».
(النساء/ ۱۱۵)

كلمة «يشاقق» مأخوذة من (الشقاق) وتعنى المخالفة العمدية المصحوبة بالعداوة، وتدل جملة: «مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى أنّ مخالفته نابعة من العناد وتهدف إلى إيجاد الفرقة بين صفوف المسلمين.

۴- الاستهزاء بآيات اللَّه

بالنظر لأنّ الاستهزاء بآيات اللَّه يحمل دلالة على الكفر وعدم الإيمان والكفر من موجبات دخول النّار، لذلك فإنّ الآيات القرآنية أكدّت عليه كثيراً واعتبرته أحد الأسباب الأساسية التى تنتهى بالانسان إلى النّار، وهذا ما عبّرت عنه الآية الشريفة: «ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُواً» «۱». (الكهف/ ۱۰۶)

إنّ الاستهزاء بالحق نابع- كما هو متعارف- من الجهل والعناد والتعصّب والكفر المقرون بالبغض والعداوة، وكل واحد من هذه المفاهيم باب من أبواب جهنّم، لهذا فلا عجب أن

(۱). ورد ما يشابه هذا المعنى فى الآيتين ۹، ۳۵ من سورة الجاثية.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۲

ينتهى مصير المستهزئين- الذين كان الأنبياء وأولياء اللَّه فى صراع معهم- إلى جهنّم أو أدنى دركات الجحيم.

۵- عدم الاستفادة من العقل والعين والأذن

والفريق الآخر الذى يستحق دخول جهنّم هم الذين اغلقوا على أنفسهم أبواب المعرفة، فعطلوا العقل الذى منحه اللَّه لهم، وأغمضوا أعينهم، وسدوا آذانهم حتّى لا يسمعوا صوت الحق ولا يروا وجه الحقيقة الناصع، ولكى لا يفكّروا بما يوجب الوعى واليقظة، تقول الآية الكريمة: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالْانسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ اعيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّايَسمَعُونَ بِهَا اولَئِكَ كَالأَنعَامِ بَل هُم اضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ».

(الأعراف/ ۱۷۹)

ومن الواضح أنّ هذا الخلق ليس جبرياً، وما يقوله بعض انصار مذهب الجبرية مثل «الفخر الرازى» ومايستدّلون به لِاثبات مذهبهم، عارٍ عن الصحّة تماماً، وذلك لأنّ جوابه قد ورد ضمن الآية التى يقول تعالى فيها إننا وفّرنا لهم جميع مستلزمات المعرفة (كالعقول لإدراك المعقولات، والعيون لمشاهدة القضايا المحسوسة، والآذان لنيل العلوم النقلية) إلّا أنّهم لم يستعملوا تلك المستلزمات ولم يستفيدوا منها (تأمل)؟! ولهذا يقول فى وصفهم أنّهم كالحيوانات بل أدنى منها درجة، وذلك لأنّ الحيوان إنْ قَصُر عن فهم شىء فذلك ليس تقصيراً منه، بل لعدم امتلاكه لمستلزمات ذلك، والأضل من الحيوانات هو من يمتلك كل هذه الأسباب والعوامل مع توفّر الظروف اللازمة ولكنه لا يستفيد منها، والعامل الأساس لكل هذه الامور هو الغفلة التى اشير إليها فى ذيل الآية: «اولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ»، وجاء نظير هذا المعنى فى سورة الملك،، خلال إجابة أهل النّار عن تساؤلات خزنة النّار وملائكة العذاب: «وَقَالُوا لَو كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنَّا فِى اصْحَابِ السَّعِيرِ». (الملك/ ۱۰)

إنَّ علل كل هذا الشقاء الذى يرزح فيه الإنسان وسبب كل هذه المفاسد يكمن فى عدم

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۳

استخدام ابن آدم لعقله وأُذنيه وعينيه ولا يستغل هذه النعم الإلهيّة الكبرى فى سبيل المعرفة، فاللَّه تبارك وتعالى قد حباه تلك النعم ومستلزمات المعرفة وأسبابها فهو- أى الإنسان- يمتلكها ولكنه لا يستفيد منها.

۶- اتباع الشيطان

ومن العوامل المهمّة فى دخول النّار (مركز الغضب الإلهى) هو الاستسلام للشياطين والانقياد لإرادتهم وتسليم زمام الامور لهم، كما تصف ذلك الآية الكريمة: «قَالَ اخْرُج مِنْهَا مَذءُوماً مَّدحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنهُم لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اجْمَعِينَ». (الأعراف/ ۱۸)

ومع أنّ الآية تتحدث عن رأس الشياطين ابليس، إلّاأننا نعلم أنّ خط الشياطين كلهم واحد، فهم فى كل مكان يسيرون على خُطى ابليس، واتّباع خُطى شياطين الجن والانس يُعد اتباعاً لِابليس، ومصير كل هؤلاء الأتباع دخول النّار.

فهم يخدعون من يتبعهم بالآمال الكاذبة وتزيين الشهوات والدعوة إلى المعاصى، والصد عن الخير والتشجيع على الانحراف،

ويصدونهم عن سبيل اللَّه، فيوقعونهم فى نار قهره وغضبه «۱».

۷- الطغيان والتكبر

إنّ «التكبّر» من أسباب دخول النّار، سواءً كان التكبر على اللَّه سبحانه وتعالى أم على الخلق، أم عدم الاذعان والتسليم للحق، والطغيان أيضاً مصدر رئيس للكثير من الجرائم والمظالم وسلب الحقوق، لذلك فهو يؤدّى بالإنسان- كما هو الحال فى التكبر- إلى دخول النّار.

---

(۱). ورد مضمون هذا المعنى فى الآية ۲۱ من سورة لقمان؛ وأيضاً الآية ۲۲ من سورة ابراهيم.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۴

يقول القرآن الكريم: «اَلَيسَ فِى جَهَنَّمَ مَثوىً لِّلمُتَكَبِّرينَ». (الزمر/ ۶۰)

ويقول كذلك: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكبَرُوا عَنهَا اولَئِكَ اصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» «۱». (الأعراف/ ۳۶)

وكذلك جاء هذا المعنى فى آيات اخرى من القرآن الكريم فى وصف الجبّار العنيد:

«وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ* مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ».

(إبراهيم/ ۱۵- ۱۶)

لكلمة «الجبار» معان متعّددة: منها: القهر والتسلط والغلبة والنفوذ، إلّاأنَّ لهذا الأمر جانباً رحمانياً أحياناً، مثل سلطة اللَّه على عالم الوجود وعلى كل شيء فيه، وله أحياناً جانب شيطانى، كسلطة وغلبة الطغاة والمتجبّرين.

و «العنيد»: على حد قول صاحب كتاب لسان العرب: «الجائر عن القصد الباغى الذى يَرُدّ الحق مع العلم به»، وكل هذا من نتائج الكبر والغرور والتعالى، ولو أمْعنّا النظر قليلًا لوجدنا أنّ هذه الرذيلة الأخلاقية هى واحدة من أهم الحُجب المانعة للمعرفة ومن عوامل إضلال الإنسان، وسلب حقوق الآخرين والاعتداء عليهم، وأنواع الذنوب الاخرى «۲».

۸- الظلم والجور

ورد فى الكثير من آيات كتاب اللَّه تهديد للظلمة بنار جهنّم، والتعابير التى وردت بشأنهم قلّما وردت بشأن فئة اخرى وهذا يعكس مدى الأهميّة التى أولاها الإسلام لمواجهة الظلم والحث على التخلى عنه. وقد وردت أشدّ التهديدات فى قوله تعالى «انَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً احَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وانْ يَستَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِى الوُجُوهَ

---

(۱) ورد شبيه هذا المعنى فى الآيات ۶۰، ۷۲، ۷۶ من سورة غافر؛ والآيتين ۴۰، ۴۱ من سورة الأعراف؛ والآيتين ۲۱، ۲۲ من سورة النازعات؛ والآيتين ۵۵، ۵۶ من سورة ص.

(۲). ورد مايشابه هذا التعبير فى الآية ۲۴ من سورة ق؛ والآية ۱۶ من سورة المدّثر.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۵

بِئسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرتَفَقاً». (الكهف/ ۲۹)

وهناك تعبير آخر شديد اللهجة أيضاً ورد أيضاً فى قوله تعالى: «وَامَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً». (الجن/ ۱۵)

ويبيّن هذا التعبير أنّ نار جهنّم تستعر فى داخل نفوسهم، وكما كانوا فى هذه الدنيا ناراً محرقة للمظلومين، يتحول كيانهم هناك فى

عالم تجسيد الأعمال إلى قطعة من نار، ولا تعبير أبلغ وأفصح من هذا التعبير بشأن القوم الظالمين «۱».

۹- الركون إلى الظالمين

ليس الظلم وحده يؤدّى إلى ورود جهنّم المتوقدة بنار الغضب الإلهى، بل الركون إلى الظالمين واعانتهم يؤدّى إلى ذلك أيضاً- كما صرح بذلك القرآن الكريم- وقد جاء فى الآية الشريفة: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ اوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ». (هود/ ۱۱۳)

كلمة «تركنوا» مشتقة من مصدر (الركون) والذى يعنى فى رأى أصحاب اللغة الاتكال على الشىء والميل إليه، وهو مايستلزم اتصافه بالقوة والمقدرة، لأنّ الإنسان يتوكّل ويعتمد على ما فيه القدرة، ولذلك تطلق كلمة «الركن» على العمود أو الجدار الذى يُقام عليه البناء أو الأشياء الاخرى «۲».

و تحمل الآية أعلاه عنواناً عاماً يطلق على كل الظلمة، وتشتمل أيضاً من خلال تعبير «الركون» على أىَّ نوع من أنواع الارتباط والاعتماد على الظالمين، وتقول إنّ الجميع سيقعون فى نهاية المطاف فى قبضة العذاب الإلهى، بل وإنّهم حتّى فى هذه الحياة الدنيا لا

(۱). ورد نفس هذا المعنى فى سورة سبأ، ۴۲؛ الزخرف، ۶۵؛ آل عمران، ۱۵۱؛ المائدة، ۱۲۹؛ إبراهيم، ۲۲؛ مريم، ۷۲؛ الأعراف، ۴۱؛ الأنبياء، ۲۹؛ والشورى ۴۵.

(۲). مصباح اللغة؛ صحاح اللغة؛ والتحقيق فى كلمات القرآن الكريم.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۶

يجنون غالباً سوى الفشل والخسران والشقاء لأنّ الظالم حين يقوى لا تأخذه رأفة ولا رحمة على غيره.

وعلى أيّة حال، فإذا كان الركن الذى يُعتمد عليه سبباً لمثل هذا الشقاء فمن البديهى- ومن باب أولى أن تكون تقوية الظلمة وإعانتهم سبباً لدخول الإنسان النّار، ولهذا السبب فقد شدّدَ القرآن فى النهى، وبكل صراحة، عن أىتعاون ومساعدة على الظلم، وقال: «وَلاتَعاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدوَانِ». (المائدة/ ۲)

وقد انذرت الروايات الإسلامية بأشد العذاب والجزاء لمن يكون سبباً فى تقوية وتعزيز الظالم بأى شكل من الأشكال، حتى فيما لو وضع بين يديه القلم أو الدواة لكتابة حكم فيه أى ظلم، وسنأتى على تبيان ذلك بإذن اللَّه فى الموضع المناسب.

۱۰- نسيان الآخرة

تتحدث سورة الجاثية عن هذا الجانب وتقول: «وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَومِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ». (الجاثية/ ۳۴)

لا شك فى أنّ نسيان محكمة العدل الإلهى فى يوم القيامة يعتبر مصدر أنواع الذنوب والمعاصى، والانغماس فى مستنقع الظلم والرذيلة والفساد، وهذه الأعمال تؤدّى إلى أن يعاملهم اللَّه معاملة الناسين، ولا شك أنّ احاطة اللَّه بكل شىء وعلمه بكل شىء وفى كل زمان تجعل من مفهوم نسيانه أمراً لا معنى له، لكنه يعامل الناسين معاملة النسيان، أى أنّه يقطع عنهم بالكامل لطفه ورحمته، فتنغلق عليهم كل سبل النجاة، ولا يبقى أمامهم سوى هاوية جهنّم «۱».

(۱) ورد نفس هذا المعنى فى سورة ص، ۲۶؛ السجدة، ۱۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۷

۱۱- حبّ الدنيا

حبّ الدنيا رأس كل خطيئة، ومن العوامل المهمّة فى إلقاء الكثير من الناس فى نار جهنّم، كما صرّح بذلك قوله تعالى «مَّن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مانَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذمُوماً مَّدحُوراً». (الاسراء/ ۱۸)

أى إنَّ الأمر ليس بهـذه الدرجـة من البساطة بحيث ينال أهل الدنيا كل مقاصدهم منها، بل قد يلجأون إلى الآف الحيل والمساعى، بل ويضـطرون إلى ارتكاب الجرائم والمعاصى من أجل بلوغ بعض من اغراضهم، لكن جهنّم لهم بالمرصاد، فتحرق أجسادهم وأرواحهم أيضاً بحكم كونهم «مذمومين» و «مدحورين» ومطرودين من رحمة اللَّه «۱».

۱۲- اكتناز الذهب

إنّ اكتنـاز الـذهب وإن كان يُعَـدُ واحـداً من مظاهر حب الـدنيا، لكن القرآن الكريم قـد أكّـد عليه وخصّه بالـذكر بأعتباره واحـداً من الأسـباب الـتى تـؤدّى ببنى آدم إلى دخـول نـار جهنّم، حيث قـال تعـالى «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَـا يُنفِقُونَهَـا فِى سَبِيـلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَـذَابٍ الِيمٍ* يَوْمَ يُحمَى عَلَيهَـا فِى نَـارِ جَهَنَّمَ فَتُكوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِـكُم فَذُوقُوا مَاكُنتُمْ تَكنِزُونَ». «۲» (التوبة/ ۳۴- ۳۵)

تحتوى هذه الآية على نقاط وبحوث متعددة سنشير إليها فى موضعها المناسب، أمّا ما ينبغى الإشارة إليه هنا فيتلخّص فى نقطتين:

الاـولى إلى أىحـدّ يُعتبر جمع الثروة اكتنـازاً؟ وهـذا الموضوع مُختلف فيه كثيراً بين المفسّـرين، ومـا ورد فى الكثير من الروايـات عن الشيعة وأهل السـنّة، واتّفقت عليه آراء الكثير من المفسّـرين هو: أنَّ المال الـذى تؤدّى زكاته لايُعتبر كنزاً (أىُّ مال ادّيت زكاته فليس بكنز) «۳».

---

(۱). ورد نظير هذا المعنى فى سورة النازعات؛ ۳۸.

(۲). ورد نفس المعنى فى سورة الهمزة، ۲ إلى ۶؛ وسورة مسد، ۲- ۳؛ وسورة الحاقة، ۲۸ إلى ۳۱.

(۳). لمزيد من الايضاح راجع التفسير الأمثل ذيل الآية ۳۵ من سورة التوبة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۸

ولكن فى الظروف الاستثنائية وحين توجب مصالح المجتمع الإسلامى على الحكومة الإسلامية تعيين حدود جمع الثروة- كما ورد فى بعض الروايـات عن على عليه السـلام- أو يكون الاـجراء أبعـد من ذلك فيعلن فى ظرف خاص عن وجوب صـرف جميع المـدّخرات والـذخائر حفاظـاً على وجود المجتمع الإسـلامى (كمـا ورد فى بعض الروايـات بشأن قيام الإمام المهـدى «عـج»). لكن لا تُعتبر النقاط المذكورة قاعدة عامّة، والقاعدة العامة الأساسية هى ماذكرنا فى بداية الموضوع.

الثانيـة: لمـاذا تقول الآيـة تكوى بهـا جباههم وجنوبهم وظهورهم؟ لعلَّ ذلك يعود إلى ردود الفعل التى تصـدر منهم تجاه المحرومين والفقراء فهم أولًا يعبّسون ويقطّبون الجبهـة، ومن ثم يظهرون اللامبالاة فيصـدّون عنهم ومن بعـد ذلك يـديرون لهم الظهور، ولـذلك تكوى بالترتيب جباههم ثم جنوبهم ثم ظهورهم بنفس تلك المسكوكات كما كانوا يكوون قلوب المساكين والفقراء.

۱۳- الفرار من الزحف

نحن نعلم أنّ الإسلام يعتبر هذا الذنب من أكبر الذنوب فهو يؤدّى إلى انحدار وذلّة وشقاء المسلمين ويستوجب أشد العقوبات وهنا يصرح القرآن: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذَا لَقِيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الادبَارَ* وَمَن يُوَلِّهِمْ يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزاً الَى فِئَةٍ فَقَد بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئسَ المَصِيرُ». (الانفال/ ۱۵- ۱۶)

«الزحف»: وفقاً لرأى أصحاب اللغة «۱» يعنى فى الأساس الحركة المصحوبة بجر الأرجل على الأرض كحركة الطفل فى بداية تعلمه للمشى، أو كسير الجمل عند شدّة التعب ثم استعملت هذه الكلمة لتعنى حركة المجاميع الكبيرة من الناس لأنّهم يبدون لكثرتهم وكأنّهم

---

(۱). مقاييس اللغة؛ مفردات الراغب؛ والتحقيق فى كلمات القرآن الكريم.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۷۹

ينزلقون على الأرض فى مشيهم ويتقدمون نحو الإمام.

وعلى أيّة حال، تحمل هذه الجملة إشارة إلى أنّ قوّة العدو مهما كانت كبيرة فلا ينبغى التراجع أمامها أو الفرار من ساحة المعركة عند المواجهة، إلّابأمر القائد.

ومن الواضح أَنَّ حرمة الفرار من الزحف يعتبر قانوناً إسلامياً عاماً، وأمّا قول بعض المفسرين الذين اعتبروه خاصاً بمعركة بدر دون سواها فهو قول لا ـ دليل على صوابه كما اشير إليه فى تفسير الميزان «۱»، ولا سيما أنّ هذه الآية قد نزلت بعد معركة بدر «۲». إذن فالفرار من الجهاد من موجبات دخول النّار.

۱۴- قتل الأبرياء

إنّ الإسلام يكن احتراماً كبيراً لدماء الناس إلى درجة اعتبر معها قتل الواحد وكأنّه قتل لجميع الناس: «مَن قَتَلَ نَفساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً». (المائدة/ ۳۲)

واعتبر إراقة دم المؤمن تستحق الغضب الإلهى والعذاب العظيم: «وَمَن يَقتُل مُؤمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَاعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً».

(النساء/ ۹۳)

وبهذا فقد انذر قاتل المؤمن بأربع عقوبات كبرى وهى: ۱- الخلود فى جهنّم، ۲- غضب من اللَّه، ۳- لعنة من اللَّه، ۴- العذاب العظيم، وهذا أقصى ما أظهره الإسلام إزاء احترام دم المؤمن، لأنّه لا يوجد فى القرآن أى موضع يشتمل على مثل هذه العقوبة «۳».

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۹، ص ۳۷.

(۲). ورد ما يشابه هذا المعنى فى بعض جوانبه فى الآية ۸۱ من سورة التوبة.

(۳) ورد نفس المعنى بصيغة اخرى فى الآية ۲۱ من سورة آل عمران.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۰

۱۵- ترك الصلاة

تحظى الصلاة بقدر عظيم من الأهميّة، وقد وردت بشأنها الكثير من الآيات والروايات التى تشيد بمكانتها وخاصة فى الكتب الإسلامية

الشهيرة، وعَدّ القرآن الكريم ترك هذه الفريضة من موجبات الهلاك ودخول النّار، حيث يقول فى وصف جماعة من أصحاب الجنّة يحادثون جماعة من أصحاب النّار فيقولون لهم: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ»؟ فيأتيهم الجواب: «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَم نَكُ نُطعِمُ المِسْكِينَ* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ». (المدثر/ ۴۲- ۴۶)

ورغم وجود ثلاثة ذنوب اخرى فى الآية أعلاه إضافة إلى ذنب ترك الصلاة، لكن التركيز عليها وجعلها فى البداية يعكس مدى خطورة ترك هذه الفريضة الإلهيّة، إضافة إلى أنّ أيّاً من هذه الامور الأربعة كاف لوحده لإلقاء الإنسان فى النّار (ويبدو أنّ المقصود من عدم إطعام المسكين هو منع الحقوق الواجبة).

وللصلاة من وجهة نظر الإسلام مكانة رفيعة، ونقلت بعض الروايات المعروفة عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله منها: «إذا كان يوم القيامة يدعى بالعبد فأول شيء يسأل عنه الصلاة فاذا جاء بها تامة وإلّا زُخَّ فى النّار» «۱».

ولعل السبب الكامن وراء ذلك هو أنّ الصلاة هى الشريان النابض بالإيمان، منها ينبع الإيمان وبها يتواصل ويستمر، وبتركها تتزعزع أركان الدين والإيمان، ولا يخفى أنَّ أحد شروط قبول الأعمال، وجود الإيمان، فلا يقبل عمل إلّابوجوده.

۱۶- عدم ايتاء الزكاة

الزكاة من أركان الإسلام الأساسية وتركها من أكبر الذنوب ونلاحظ أنّ القرآن قد جعل منعها فى مصاف الشرك وتكذيب المعاد، وهذا يعنى أنّها من دواعى دخول النّار، حيث

(۱). وسائل الشيعة، ج ۳، كتاب الصلاة، الأبواب ۶ و ۷ و ۸ وخاصّة ص ۲۲، ح ۱۰؛ ص ۱۹، ح ۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۱

يقول القرآن الكريم: «وَوَيلٌ لِّلمُشْرِكِينَ* الَّذِينَ لَايُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ». (فصلت/ ۶- ۷)

اثارت هذه الآية جدلًا واسعاً بين المفسرين، وطرحوا احتمالات متعددة فى تفسيرها وكان الدافع لذلك كونها من فروع الدين فكيف يصبح تركها دلالة على الكفر والشرك؟

يبدو أنّ البعض قد جعل منها معياراً، فقال: إنّ عدم ايتاء الزكاة حتّى وإن لم يقترن بانكار حكمها يعتبر مؤشراً ذاتياً على الكفر، وقال البعض الآخر: إنَّ عدم ايتائها لايُعتبر كفراً لوحده، وإنّما يكون كذلك إذا اقترن بانكارها لأنّ وجوب الزكاة من ضروريات الإسلام ومنكرها كافر.

والنقطة التى تُعيننا على توضيح تفسير الآية هى المكانة الخاصة التى تميّز الزكاة من بين التعاليم الإسلامية، فأداؤها يعنى الاعتراف بالحكومة الإسلامية ومنعها يدل على التمرد ومناهضة الحكومة، وكما نعلم فإنّ القيام ضد الحكومة الإسلامية موجب للكفر. «۱»

وقد سبقت الإشارة إلى الآية ۳۵ من سورة التوبة والتى تتحدث عن اكتناز الذهب والفضة وهى من الآيات الدالّة على أنّ ترك دفع الزكاة من أسباب دخول النّار.

۱۷- أكل مال اليتيم

أكل مال أيِّ شخص كان، وبلا مجّوز شرعى، حرام، لكن هذا الحكم يتأكد أكثر بالنسبة لليتامى وذلك لحاجتهم الشديدة من جهة، وفقدانهم الولى من جهة ثانية، وعدم إمكانية الدفاع عن أنفسهم من جهة ثالثة، وهذا مايخرج القضيّة عن وضعها الطبيعى ويعطيها بُعداً استثنائياً.

و لهذا السبب هناك آيات قرآنية كثيرة مليئة بالوعيد والعذاب الشديد لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً، فها هى الآية الشريفة تصرّح: «انَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ اموَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا

---

(۱). ورد شرح هذه القضية بالتفصيل فى التفسير الأمثل، ذيل الآيات ۶- ۸ من سورة فصلّت.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۲

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً وَسَيَصْلَونَ سَعِيراً». (النساء/ ۱۰)

و ورد فى الروايات عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «شرّ المأكل أكل مال اليتيم ظلماً» «۱».

ولكن هل أنّ التعبير القرآنى فى عقوبة آكل مال اليتيم جوراً بأنّه يأكل ناراً، هو تعبير مجازى؟ قال جماعة من المفسّرين بإمكانية حمله على المعنى الحقيقى لأنّ هذا التعبير يظهر أنّ لأعمالنا صورة باطنية إضافة إلى الصورة الظاهرية، وأنّ تلك الصورة خافية عنّا فى هذا العالم وتظهر فى يوم القيامة، ومسألة تجسد الأعمال نابعة من هذا الموضوع، وعلى هذا فلا يُستبعد حمل الآية على معناها الحقيقى (فتأمل).

۱۸- أكل الربا

وهذا العمل أيضاً من الأعمال التى وعد القرآن مرتكبيها بعذاب جهنّم حيث يقول:

«فَمَنْ جَاءَهُ مَوعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ الَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَاولَئِكَ اصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ». (البقرة/ ۲۷۵)

وجاء ما يُشبه هذا المعنى فى الآيتين اللتين تهددان كذلك آكلى الربا بعذاب النّار وتصفانه بأنّ له نفس العذاب الذى ينتظر الكافرين:

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا اضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ* وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى اعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ».

(آل عمران/ ۱۳۰- ۱۳۱)

فعندما يعلن المرابون العصيان على اللَّه، أو يعلن هو جلّ شأنه الحرب عليهم فمعنى هذا أنّهم قد تنزّلوا إلى مستوى الكافرين، وهذا تعبير رهيب فى وصف هذه المعصية الكبيرة.

نستشف من بعض الروايات أنّ الربا محّرم فى جميع الكتب السماوية وفى جميع شرائع الأنبياء، كما تنص هذه الرواية التى وردت فى فقه الرضا عليه السلام: «وهو محرم على لسان كل نَبى وفى كلِّ كِتابٍ» «۲».

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۷۶، ص ۲۶۷، ح ۱.

(۲) فقه الرضا عليه السلام، طبقاً لنقل مستدرك الوسائل، ج ۱۳، ص ۳۳۱، ح ۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۳

۱۹- كفران النعم الإلهيّة

وهذا أيضاً من الذنوب الكبيرة التى يُجازى عليها بعذاب النّار، حيث قال تعالى «الَم تَرَ الَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَاحَلُّوا قَومَهُم دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ يَصْلَونَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ».

(إبراهيم/ ۲۸- ۲۹)

أمّا ماهو المقصود هنا بالنعم الإلهيّة؟ قال جماعة من المفسرين- وانطلاقاً من بعض الروايات الواردة فى المصادر الإسلامية- إنّ النعمة

هى وجود النبى الكريم صلى الله عليه و آله، ونقرأ فى روايـة عن الإمـام الصادق عليه السـلام: «نحن واللَّه نعمـة اللَّه التى أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز» «۱».

كلمة «نحن» تشير إلى كل بيت النبى صلى الله عليه و آله، وإن كانت إشارة إلى المعصومين عليهم السلام فهى تشمل النبى من طريق أولى وتتضح مدى أهميّة هذه النعمة فيما لو التفتنا إلى حديث الثقلين وماله من مكانة، وعلى أيّة حال فإنّ وجود النبى صلى الله عليه و آله والأئمّـة المعصومين عليهم السـلام وإن كان يُعدّ من أكبر النعم الإلهيّة، فلا يمكن حصـر مفهوم هذه الآية فى هذا النطاق، والظاهر أنّها تضم جميع النعم الإلهيّة الكُبرى

وقد أشار بعض المفسّـرين إلى الكافرين بالنعمة الإلهيّة الكُبرى وقالوا: إنّهم بنو اميّة، أو بنو اميّة وبنو المغيرة، أو عموم الكفّار فى عصر النبى صلى الله عليه و آله ولكن هذا من قبيل ذكر المصداق أيضاً لا من باب الحصر.

وفى جميع الأـحوال ينبغى شـكر النعـم الإلهيّـة الكـبرى والاسـتفادة منهـا مـا أمكن وعلى أفضـل وجه، وإذا اسـتبدل الشـكر بـالكفران استوجب عذاب جهنّم «۲».

۲۰- المطففين

وقد أكّد القرآن على عذاب هؤلاء تأكيداً خاصاً، وأولى هذه القضيّة أهمّية استثنائية،

---

(۱). تفسير على بن إبراهيم، ج ۱، ص ۳۷۱.

(۲). جاء فى تفسير الميزان، هذه الآية فيها تقدير وهو كمايلى: بدّلوا شكر نعمة اللَّه كفراً.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۴

حتى أنّ اسم احـدى السور هو «المطففين» وقـد جاء فى مسـتهلّها: «وَيلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* أَلَا يَظُنُّ اولَئِكَ انَّهُمْ مَّبعُوثُونَ* لِيَومٍ عَظِيمٍ.. كَلَّا انَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ».

(المطففين/ ۱- ۴- ۵- ۷)

قال بعض المفسّرين: إنّ «الويل» يعنى شدّة عذاب القيامة، وقال آخرون: إنّها اسم واد خاص فى جهنّم «۱».

وجاء أيضاً فى حديث عن الإمام الصادق عليه السـلام أنّه قال: «لم يجعل اللَّه الويل لأحد حتّى يسمّيه كافراً، قال عزّ وجلّ: فويل للذين كفروا...» «۲».

و ورد أيضاً فى حديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «ويل وادٍ فى جهنّم يهوى فيه الكافر» «۳».

و يفهم من هذه التعابير أنّ التطفيف- أى عدم ايفاء الميزان فى البيع- يصل حدَّ الكفر أو هو نوع من الكفر.

وكلمة «ويل» لها معنىً لغوى واسع، يرادف الشر والغم، والهلاك أو العذاب الأليم، وما ذكر آنفاً يمكن أن يكون مصداقاً لذلك.

وممّا يسترعى الانتباه أنّ ألفاظ الآية وإن كانت تخصّ المطففين للمواد القابلة للوزن والكيل لغرض البيع والشـراء، إلّاأنّه لا يُسـتبعد أن تتسع الآية لما هو أبعد من ذلك لتشـمل كل من يقصّـر فى تأدية واجباته الدينية والأخلاقية والاجتماعية وذلك لأنّ كل من يقصر فى أداء واجبه وينتقص من عمله يُعتبر فى الحقيقة مُطفّفاً.

ولهذا نُقل عن الصـحابى المعروف «عبداللَّه بن مسعود» أنّه قال: «كل من طفف فى صلاته ينطبق علية ماقاله اللَّه تعالى بشأن المطففين» «۴».

---

(۱) تفسير القرطبى، ج ۱۰ ص ۷۰۴۱.

(۲) اصول الكافى، ج ۲، ص ۳۲، ح ۱.

(۳) تفسير روح المعانى، ج ۳۰، ص ۶۸.

(۴) تفسير مجمع البيان، ج ۱، ص ۴۵۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۵

۲۱- الهمز واللمز والغيبة

وهذه أيضاً من الذنوب الكبيرة لأنّ فيها استهانة بكرامة وشخصية الناس المؤمنين، والكرامة والشخصية من الاعتبارات التى توازى فى الأهميّة دم الإنسان بل وتفوقه أحياناً، ولذلك توعد القرآن الكريم بالويل والعذاب لكل من يجترىء على هذا الفعل، فقال: «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ* الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ* يَحسَبُ انَّ مَالَهُ اخلَدَهُ* كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِى الحُطَمَةِ». (سورة الهمزة/ ۱- ۴)

هنالك اختلاف فى آراء المفّسرين بشأن معانى الهمزة واللمزة، فهاتان الكلمتان وردتا على صيغة المبالغة من المصدرين «الهمز» «واللمز» قال البعض: كلاهما بمعنى واحد، وهو البحث عن عيوب الآخرين واغتيابهم، بينما قال آخرون، إنّ الاولى تعنى اقتفاء معايب الآخرين والتشهير بهم علناً والثانية بمعنى اقتفائها والتشهير بها خفية وعن طريق الإشارة بالعين والحاجب وأمثال ذلك، وقال آخرون: إنّ الاولى تعنى الغيبة، والثانية تعنى اظهار العيوب وجهاً لوجه.

ويبدو فى جميع الأحوال أنّ كل من يحاول الاستهزاء بالآخرين أو يتعمّد الاساءة إليهم باللسان وحركات العين والحاجب فى حال غيابه أو وجهاً لوجه، ويحاول تقصّى عيوبهم أو يكشف العيوب المستورة وافشائها لغرض الاساءة إلى كرامتهم فهو مشمول بالآية المذكورة، فكما أنّه يحطم شخصية وكرامة الآخرين فسيكون كذلك عرضة- فى يوم القيامة- لنار جهنّم «الحطمة» لكى تحطّم كل وجوده.

إنّ الأشخاص من أمثال هؤلاء هم أكثر خلق اللّه شراً كما جاء ذلك فى حديث منقول عن سيد الرسل صلى الله عليه و آله أنّه قال: «ألا أخبركم بشر الناس؟» قالوا بلى يارسول اللّه، قال: «المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبرئاء المعايب» «۱».

---

(۱) اصول الكافى، ج ۲، باب النميمة، ح ۱؛ تفسير القرطبى ج ۲، ص ۷۱- ۷۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۶

۲۲- الاسراف والتبذير

الاسراف والتبذير بالمعنى الواسع للكلمة يعتبران من الكبائر أيضاً، وقد ذكرهما وأكّد عليهما القرآن الكريم بشدّة، فقال عن الاسراف: «وَانَّ المُسرِفِينَ هُمْ اصْحَابُ النَّارِ». (المؤمن/ ۴۳)

ورغم أنّ هذا الكلام قد ورد فى سورة المؤمن على لسان مؤمن آل فرعون، لكن القرآن أطلقه على هذا المجال.

وقال أيضاً عن التبذير: «انَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا اخْوَانَ الشَّيَاطِينَ». (الاسراء/ ۲۷)

ومن الواضح أنّ مصير الشياطين واخوانهم ليس سوى الوقوع فى بؤرة الغضب الإلهى- أى جهنّم-.

و «الاسراف»: و (السَرَف) وهى على وزن «الهدف» تعنى كما يقول أهل اللغة تجاوز الحد فى أى عمل، وإن كانت تُطلق على الأغلب على تجاوز الحد فى صرف الأموال «۱».

ولهذا يُطلق القرآن الكريم كلمة المسرفين على المشركين والمجرمين الذين يتجاوزون الحدود الإلهيّة، وحتّى قتل الناس الأبرياء يُعَدُّ

نوعاً من الاسراف.

وكلمة «التبذير» مشتقة من مصدر «البذر» وتعنى فى الأصل النثر، وتُطلق عادة على الحالات التى تُنثر فيها الأموال بلا هدف، أو حين تُصرف هنا وهناك وتكون نتيجتها الاتلاف والتضييع «۲».

ولو فكّرنا فى وضع العالم الحالى والتبذير والاسراف السائد فيه والذى لا يقتصر على المواد الغذائية والإمكانات المادّية فحسب، بل ويتعداه إلى تجاوز الحدود فى كل شىء، لوجدنا أنّه وقبل أن يستحق الآخرة، جعل من هذه الدنيا جهنّم لاهبة يحترق فى نارها الصغير والكبير ولا مغيث لنداءاتهم، حينذاك سنوقن أنّ عقوبة الاسراف والتبذير يجب أن تكون نار جهنّم.

---

(۱) المفردات للراغب، مادة (سرف).

(۲) التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، مادة (بذر).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۷

۲۳- الجرائم والذنوب

توجد فى القرآن الكريم أوصاف عامّة وشاملة لأصحاب النّار ومن جملة ذلك الجريمة و الذنب، إذ قال تعالى بشأنهم: «وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ الَى جَهَنَّمَ وِرْداً». (مريم/ ۸۶)

كلمة «مجرم» مأخوذة من المصدر (جُرْم) على وزن (ظُلْم) والذى يعنى أساساً القطع، لذلك تُطلق الكلمة على عملية قطع الثمار من الأشجار أو قطع الأشجار ذاتها، ولمّا كان المجرمون يحرمون أنفسهم من السعادة والنجاة بسبب سوء عملهم، لهذا صدقت عليهم هذه الكلمة.

هل يفهم من هذه الآية أنّ كل ذنب يستلزم دخول النّار، أم أنّها تخص مجرمين معيّنين؟

إنّ ظاهر الآية يدلّ على الاطلاق، إلّاأنّه يمكن أن يُستشف من خلال الآيات الاخرى أنّها تخص الجريمة التى يخالطها الكفر، كما جاء فى قوله تعالى «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ». (الزخرف/ ۷۴)

ومن البديهى أنّ الخلود فى النّار مقصور على الكفّار لا ـ كل المجرمين ودلّت على هذا قوله تعالى «يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ* مَاسَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ». (المدثر/ ۴۰- ۴۲)

فيعدّون لهم فى الجواب مجموعة من الذنوب منها التكذيب بيوم الدين وهو ما يساوى الكفر، وقد ورد نظير هذا المعنى وهو أنّ المقصود منه الجرم المقرون بالكفر- فى آيات عديدة اخرى «۱»، ويحتمل أيضاً أنّ المراد من المجرمين الوارد فى الآية موضع البحث هم المجرمون الذين انغمسوا تماماً فى الذنوب وبالشكل الذى يجعلهم لا يستحقّون الشفاعة ولا عفو اللَّه، فهولاء عامّة يدخلون النّار.

---

(۱) وردت فى الآيات والسور التالية: الأعراف، ۴۰، ۸۴، ۱۳۳؛ سورة الحجر، ۱۲، ۵۸، سورة الفرقان، ۳۱، النمل، ۶۹، وغيرها، وتتحدث جميعها عن أقوام من أمثال قوم لوط وقوم فرعون وأعداء الأنبياء، واستخدمت بشأنهم كلمة «المجرم».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۸

۲۴- تعدّى حدود اللَّه

اشارة

وهـذا أيضاً واحـد من العناوين العامّة التى وعـد القرآن بأنّ جزاءَها النّار: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلْهُ ناراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذابٌ مُّهِينٌ». (النساء/ ۱۴)

إنّ المقصود من الحـدود الإلهيّـة قوانينه وأحكامه وتعاليمه، وإن كان أهل اللغـة قد نقلوا ثلاثة معانٍ مختلفة لكلمة «الحد» وهى: المنع، ونهاية كل شـىء، والشدّة «۱»، ولكن يبـدو أنّهـا تعود بأجمعهـا إلى معنى «المنع» لأنّ انتهاء الشـىء يمنع اختلاطه بغيره كما أنّ حـدود البيت والحقل والبلـد تمنع اختلاطها مع غيرها من البيوت والحقول والبلدان، وبما أنّ مفهوم المنع يخفى بين طيّاته نوعاً من الشدّة، فقد استخدم أحياناً بمعناها أيضاً.

ولهـذا اطلق على الأحكام الإلهيّـة اسم «الحـدود» التى تعيّن للإنسان «المناطق الممنوعـة» التى لا يجوز له دخولها، وهذا هو السـبب فى تسمية العقوبات الشرعية بالحد لأنّها تحول دون تكرارها.

وعلى أيّـة حـال فقـد وردت عبارة «تلك حـدود اللَّه» فى عـدّة مواضع من القرآن الكريم وكلها جاءت بعـد تبيان سلسـلة من الأحكام الإلهيّة.

وقد جاءت فى الآية التى نحن بصدد بحثها بعد بيانها لأحكام الإرث، وفى الآيتين (۲۲۹، ۲۳۰) من سورة البقرة والآية الاولى من سورة الطلاق بعـد تبيان قسم من أحكام الطلاق، وجاءت فى الآيـة ۱۸۷ من سورة البقرة بعـد تحريم الجماع خلال الاعتكاف وبعض أحكام الصوم، ووردت فى الآيـة ۴ من سورة المجادلـة بعـد بيان كفّارة الظهار، ويفهم من مجموعها أنّ (حدود اللَّه) كلمة ذات مدلول واسع يشمل كل حكم من هذا القبيل.

فنحن نعلم من جهة أنّ ارتكاب أىجرم كان لا يسـتدعى الخلود فى النّار وعلى هذا قد يكون القصد من الآية أعلاه، الأشخاص الذين يتعدّون حدود اللَّه بالطغيان والعناد والتمّرد وانكار آيات اللَّه، أو كل من يتجاهل هذه الحدود وينغمس فى المعاصـى حتّى يذهب من هذه الدنيا من غير أن يدخل الإيمان قلبه، وإلّا فنحن نعلم أنّ فريقاً من العاصين يشملهم

---

(۱) مقاييس اللغة؛ ومفردات الراغب؛ والتحقيق فى كلمات القرآن الكريم، مادة (حد).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۸۹

العفو الإلهى، وفريقاً آخر تشملهم الشفاعة، وفريقاً آخر تغفر لهم صغائر الذنوب، وكذلك يغفر للتوابين «۱».

وقـد اسـتدلت فئـة من (الوعيديـة) الـذين يعتقـدون بخلود مرتكب الكبيرة فى النّار بهـذه الآيـة وأمثالها، إلّاأنّ جواب ذلك واضح من خلال ماذكرناه، وسنتطرق إلى مزيد من التوضيح فى المكان المناسب بإذن اللَّه.

الخلاصة:

المجاميع الأربع والعشـرين التى اشـير إليها تعتبر أهم الفئات التى ترد النّار وفقاً لما صرّح به القرآن الكريم، فبعضهم يخلد فيها والبعض الآخر يبقى إلى أمـد معيّن، ويُسـتخلص من مجمـوع هـذه الآيـات رؤيـة الإسـلام للمسائـل الاجتماعيـة والحقوقيـة وأنواع الانحرافـات الأخلاقية، والجوانب التى أعارها اهتماماً أكبر.

وتستبطن نظائر هذه الآيات نداءات تربوية فاعلة وتنبّه الناس وتحذّرهم من عواقب ومخاطر هذه الكبائر وهذا هو الغرض النهائى منها.

---

(۱). أورد العلّامة المجلسى فى بحارالأنوار بحثاً مفصلًا فى هذا الصدد وهو أنّ أهل الإيمان لا يخلدون فى النّار، فمن أراد الاطلاع عليه

فسیجده بحارالأنوار، ج ۸، ص ۳۵۱ ومابعدها (باب ۲۷ وهو باب من یخلد فی النّار ومن یخرج منها).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۱

۲- ماهیة جهنّم

تمهید:

من البدیهی أنّ «جهنّم» هی بؤرة الغضب الإلهی وتشتمل علی العذاب الجسدی والروحی لمن یردها، کما ورد فی ظاهر أو صریح الآیات القرآنیة، أمّا الذین ذهبوا إلی أنّها تشتمل فقط علی العذاب الروحی والمعنوی فقد تجاهلوا وأنکروا قسم کبیر من الآیات القرآنیة أو حملوها علی معانٍ مجازیة بلا دلیل معقول.

ولکن ما هی جهنّم؟ وما هی کیفیة عذابها؟

إنّ أفضل الطرق لمعرفة ماهیتها هی الاستعانة بالأسماء والأوصاف الواردة بشأنها فی الآیات القرآنیة المختلفة من أجل ازاحة الستار عن خفایا بؤرة الغضب الإلهی هذه، وکما قلنا مراراً: مهما کانت معرفتنا بالقضایا المتعلقة بالعالم الآخر واسعة فهی تبقی محدودة وکأنّها شبح یترائی لنا عن بعد، أمّا التفاصیل والخصوصیات فهی مبهمة لأنّ عالم الآخرة بشکل عام أرقی من هذا العالم وهو تماماً کعالم الجنین بالنسبة إلی العالم خارج بطن امّه.

وعلی هذا فمن غیر المتیسّر للبشر فی هذا العالم الاحاطة الکاملة بأسرار ذلک العالم، لکن هذا لا یحول بتاتاً دون الحصول علی المعرفة الإجمالیة بشأنه أبداً.

وعلی أیّة حال ینبغی متابعة الأسماء والصفات والإشارات الواردة فی القرآن الکریم فی هذا المجال لغرض التعرّف علی ماهیة جهنّم، لنقرأ فیما یلی الآیات التالیة وهی تعکس بعضاً من أسماء وأوصاف جهنّم:

۱- «وَانَّ جَهَنَّمَ لَمَوعِدُهُمْ اجْمَعِینَ* لَهَا سَبْعَةُ ابوَابٍ». (الحجر/ ۴۳- ۴۴)

۲- «سَاصْلِیهِ سَقَرَ* وَمَاادْرَاکَ مَا سَقَرُ* لَاتُبقِی وَلَا تَذَرُ* لَوَّاحَةٌ لِّلبَشَرِ».

(المدثر/ ۲۶- ۲۹)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۲

۳- «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ اعِدَّتْ لِلکَافِرِینَ». (البقرة/ ۲۴)

۴- «فَرِیقٌ فِی الجَنَّةِ وَفَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ». (الشوری ۷)

۵- «فَامَّا مَنْ طَغَی وَآثَرَ الحَیَاةَ الدُّنیَا* فَإِنَّ الجَحِیمَ هِیَ المَأْوَی .

(النازعات/ ۳۷- ۳۹)

۶- «کَلَّا لَیُنْبَذَنَّ فِی الحُطَمَةِ* وَمَاادرَاکَ مَاالحُطَمَةُ* نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ* الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الأَفْئِدَةِ». (الهمزة/ ۴- ۷)

۷- «وَامَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِینُهُ* فَامُّهُ هَاوِیَةٌ* وَمَاأَدْرَاکَ مَاهِیَهْ* نَارٌ حَامِیَةٌ».

(القارعة/ ۸- ۱۱)

۸- «کَلَّا انَّهَا لَظَی نَزَّاعَةً لِّلشَّوَی تَدعُوا مَنْ ادبَرَ وَتَوَلَّی . (المعارج/ ۱۵- ۱۷)

جمع الآیات وتفسیرها

تعابیر القرآن بشأن جهنّم:

فى الآية الأولى نلاحظ أشهر أسماء النّار الذى تكرر ذكرها فى القرآن الكريم سبعاً وسبعين مرّة ألا وهو (جهنّم)، وتشير هذه الآية إلى أتباع ابليس وتقول: «وَانَّ جَهَنَّمَ لَمَوعِدُهُمْ اجْمَعِينَ* لَهَا سَبْعَةُ ابوَابٍ».

اختلف اللغويون والمفسرون فى معنى كلمة «جهنّم»، فقال البعض منهم أنّها تعنى «النّار»، وقال آخرون أنّها تعنى «العميق والبعيد القعر».

جاء فى «لسان العرب» أنّ «جِهِنّام» بمعنى العمق الشديد ولهذا يقال: «بئر جهنّم وجهنّام» ويراد به البئر العميقة القعر.

ونقل عن بعضهم فى نفس الكتاب أنّ أصل هذه الكلمة عبرانى وهو «گهنّام» وورد اسمها فى العربية «جهنّم» (ولهذا فهى تعتبر اسماً ممنوعاً من الصرف لأنّها اسم علم أولّا، وأعجمى ثانياً).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۳

واعتبرها بعض اللغويين مشتّقة من الكلمة العبرية «جهنّيون» «۱»، بينما أكّد آخرون أنّها عربية (وسبب عدم صرفها هو العَلَمية والتأنيث)، واعتبرها جماعة آخرون مشتقة من أصل فارسى

ويقال للحفرة تحت الأرض التى تنفخ فيها الحرارة لتدفئة أرضية الحمّام «جهنّم» أيضاً «۲».

وعلى أيّة حال فمهما كان أصلها، سواء كان عربياً أو فارسياً أو عبرانياً فهى فى القرآن الكريم اسم لمكان ملىء بالعذاب وهو بؤرة غضب اللَّه وله دركات ومراتب متفاوتة.

وقد ورد أيضاً فى الآية أنّ لجهنّم سبعة أبواب وهذا ما سنتحدث عنه- إن شاء اللَّه- لاحقاً.

ونواجه فى الآية الثانية اسماً آخر من أسماء جهنّم وهو «سقر»، فبعد الإشارة إلى أحد المشركين المعاندين (وهو الوليد بن المغيرة)- تقول: «سَاصْلِيهِ سَقَرَ* وَمَاادْرَاكَ مَا سَقَرُ* لَا تُبقِى وَلَا تَذَرُ* لَوَّاحَةٌ لِّلبَشَرِ».

ومهما يكن من أمر فكلمة «سقر» هى من أسماء جهنّم ومأخوذة فى الأصل من كلمة «سَقْر» على وزن (فَقْر) وتعنى التغيير والذوبان والانصهار أثر حرارة الشمس «۳».

واعتبرها البعض اسماً لأحد طبقات جهنّم المفزعة كما وردت فى حديث منقول عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ فى جهنّم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر شكا إلى اللَّه شدّة حرّه وسأله أن يأذن له أن يتنفس فأحرق جهنّم» «۴».

ونقرأ فى كتاب صحاح اللغة أنّ «سقرات الشمس» تعنى شدة حرارتها، و «يوم مسقر» بمعنى شديد الحرارة ولاهب.

وجاء فى كتاب (التحقيق فى كلمات القرآن الكريم) أنّ هذه الكلمة تعنى فى الأساس

---

(۱). قاموس دهخدا، مادّة (جهنّم).

(۲). قاموس دهخدا، مادة (جهنّم)؛ التحقيق؛ لسان العرب؛ المنجد؛ واقرب الموارد.

(۳). مقاييس اللغة؛ ومفردات الراغب.

(۴). تفسير الصافى، فى ذيل الآية ۴۸ من سورة القمر.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۴

الحرارة الشديدة التى تغير لون الأشياء وصفاتها، لكنّها تحوّلت بالتدريج إلى اسم من أسماء النّار وتعنى النّار الشديدة المحرقة التى تغيّر كل شىء.

و يدعم هذا الادّعاء الصفات الواردة فى هذه الآيات، لأنّها تؤكد أنّها تغير الجلود تماماً من جهة، ومن جهة اخرى أنّها لا تبقى شيئاً على حاله ولا تذر.

ومن الأسماء الاخرى التى استخدمها القرآن لجهنّم بشكل واسع هى كلمة «النّار»، فقد تكرر ذكرها ۱۴۵ مرّة والتى تعنى فى أغلب

الموارد نار جهنّم، وإن جاءت أيضاً فى بعض المواضع بمعنى نار الدنيا، ومن جملة ذلك، الخطاب الموجّه إلى المشككين بالقرآن إذ جاء فيه: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا» (أى لم تأتوا بسورة من مثله) «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ اعِدَّت لِلكَافِرِينَ». (البقرة/ ۲۴)

يقول الراغب: إنّ كلمة «النّار» تعنى الشعلة التى تظهر أمام حس الإنسان، ويقال:

للحرارة وحدها نار أيضاً، ورأى البعض أنّ كلمتى «النّار» و «النور» مشتّقتان من مصدر واحد ومتقاربتان فى الوجود.

وعلى أيّة حال فقد كثر استخدام هذه الكلمة فى القرآن الكريم بشأن جهنّم إلى حد جعلها تصبح واحدة من أسمائها.

أشار القرآن الكريم إلى فئة من المجرمين قائلًا: «اولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ».

(آل عمران/ ۱۰)

وجاءت كلمة «أصحاب النّار» فى العديد من الآيات لتدل على الأشخاص الذين يردون جهنّم ولهذا أصبح هذا التعبير مقابلًا لتعبير أصحاب الجنّة «۱».

ومن نافلة القول: إنّ من ضمن المواصفات التى ذكرت للنار هى أنّ وقودها من الناس والحجارة (أى الأصنام) وعلى هذا فهى لا تشبه نار الدنيا فى هذا الجانب.

(۱) الأعراف، ۴۴؛ الحشر، ۲۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۵

و نرى فى الآية الرابعة اسماً وصفة اخرى لهذا المكان الذى يتجسد فيه الغضب الربانى، وهذا الاسم هو «السعير».

فبعد أن يشير القرآن إلى الغاية من نزوله وينذر الناس من يوم القيامة، يقسم الناس يومذاك إلى فريقين ويقول: «فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ».

وقد وردت كلمة «سعير» فى القرآن ۱۶ مرّة وورد جمعها أى كلمة «سُعُر» مرّتين، وهذه الكلمة مشتقة من المصدر «سَعْر» وهو على وزن (قَعْر) ويعنى اذكاء النّار وتأجيجها، وجاء أيضاً بمعنى شدّة الاضطرام، ولهذا «فالسعير» يعنى النّار الشديدة الاشتعال واللهب والاحراق، وجاءت أحياناً بمعنى «الجنون» أيضاً لأنّ الشخص فى هذه الحالة يلتهب ويغلب عليه الهيجان، ويقال كذلك للناقة المجنونة: ناقة مسعورة «۱».

ونظراً لاستخدام كلمة «السعير» فى الآية المذكورة فى قبالة كلمة «الجنّة» يفهم بأنّها أيضاً أحد أسماء النّار، واستخدام تعبير «أصحاب السعير» فى عدد من الآيات يعتبر أيضاً قرينة أخرى على هذه التسمية «۲».

إلّا أنّه لايمكن انكار مجيئها فى بعض الآيات القرآنية بنفس ذلك المعنى الوصفى لتشير إلى اضطرام نار جهنّم.

التعبير الخامس الذى تكرر فى القرآن فى ۲۵ موضعاً، هو الجحيم، فتقول الآية المطروحة لبحثنا: «فَامَّا مَنْ طَغَى وَآثَر الحَيَاةَ الدُّنيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى .

وكلمة «الجحيم» على وزن (لَحْم) كما يفهم من عبارات القرآن هى واحدة من أسماء جهنّم، ومشتقة من مادة «جَحْم» على وزن (لحْم) التى تعنى «شدّة نورية النّار» كما يقول الراغب فى مفرداته.

وتأكّد نفس هذا المعنى فى «مقاييس اللغة» أيضاً، لكن صاحب صحاح اللغة فسّره

(۱) مقاييس اللغة؛ وصحاح اللغة؛ والتحقيق؛ ومفردات الراغب.

(۲) الملك، ۱۰- ۱۱؛ فاطر، ۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۶

بالنار العظيمة المصحوبة بالحرارة واللهب.

إلّا أنّ كلمة (الجحيم) استخدمت فى موضع واحد فى القرآن الكريم بمعنى النيران المحرقة فى الدنيا عندما قال المشركون فى زمن النبى إبراهيم عليه السلام: «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِى الجَحِيم». (الصافات/ ۹۷)

إلّا أنّ هذا الاستعمال لا يمنع من كون الكلمة المذكورة من أسماء جهنّم.

وفى الآية السادسة نلاحظ كلمة «الحطمة» التى تكررت فى موضعين فى سورة «الهمزة» فالآية قد تحدثت عن الذين يبحثون عن عيوب الآخرين ويغتابونهم ويحرصون على جمع المال فقد هددهم اللَّه بقوله: «كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِى الحُطَمَةِ* وَمَا ادرَاكَ مَاالحُطَمَةُ* نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ* الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ».

وكلمة «الحطمة» على حد قول صاحب «صحاح اللغة» وصاحب «مجمع اللغة»: اسم من أسماء جهنّم، وهى صيغة مبالغة من كلمة «حطم» بمعنى الكسر والتهشيم، واعتبرها البعض بمعنى تكسير الأشياء اليابسة، ولهذا يطلق على سنوات القحط اسم «الحُطمة» لأنّها تحطّم كل شىء وتكسّره وتقضى على الناس، ويُطلق اسم «الحطيم» على موضع فى الكعبة يقع بين بابها والحجر الأسود لأنّ الناس يزدحمون هناك حتى أنّ عظامهم على وشك أن تتكسر من شدّة الضغط.

وعلى هذا الأساس تعود تسمية جهنّم بالحطمة لأنّ نارها المحرقة تدّمر كل شىء وتقضى عليه، وقد أوضح القرآن نفسُه معناها من خلال الآيات الواردة فى هذا الباب: فقال إنّها: «نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ* الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفِئِدَةِ»، وهذه الآية بذاتها دليل على المعنى الذى ذكرناه.

ولكن يستفاد من بعض الروايات: أنّ كل اسم من أسماء جهنّم ومن ضمنها الحطمة يشير إلى قسم معين من أقسام النّار «۱».

---

(۱). تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۱۷- ۱۹، ح ۶۰، ۶۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۷

ذكرت الآية السابعة كلمة «الهاوية» التى وردت فى القرآن الكريم مرّة واحدة حيث تقول الآية: «وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ* وَمَا ادْرَاكَ مَاهِيَهْ* نَارٌ حَامِيَةٌ». (القارعة/ ۸- ۱۱)

قال ابن منظور فى «لسان العرب»: «إنَ «الهاوية» أحد أسماء جهنّم، وعلى هذا يكون معنى «امه هاوية» أى إنّ مقرّه ومسكنه جهنّم» «۱».

وأشار صاحب «مقاييس اللغة» والراغب فى «المفردات» إلى هذه التسمية وأنّ الكلمة مأخوذة فى الأصل من مادة «هُوِى» بمعنى السقوط لأنّ الكفار والمجرمين يسقطون فيها، ويتضمن أيضاً إشارة إلى عمق جهنّم.

وفسّرت كلمة «ام» هنا بمعنى المستقر والمكان، وأحياناً بمعنى الأم أى كما تحتضن الأم ابنها تحتضن جهنّم من يرد فيها.

وفسرها بعضهم بمعنى الدماغ، قال: إنّ الهاوية وصف لأصحاب النّار لأنّهم يسقطون فيها على أُم رؤوسهم إلّاأنّ التفسير الأول أصحّ على مايبدو.

ونرى فى الآية الثامنة والأخيرة كلمة «لظى وهى الاخرى قد ذكرت فى القرآن مَرّة واحدة، فقد جاء فى سورة المعارج بعد الإشارة إلى وضع المجرمين الذين يرغبون فى يوم القيامة التضحية بأزواجهم واخوانهم وأبنائهم لِانقاذ أنفسهم: «كَلَّا انَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدعُوا مَنْ ادْبَرَ وَتَوَلَّى . (المعارج/ ۱۵- ۱۷)

وكلمة «لظى تعنى فى الأصلالنّار أو شعلة النّار الخالصة، ولكن هذه الكلمة اسم من أسماء جهنّم حسب ماجاء فى «لسان العرب» و «مفردات الراغب» (ولهذا فهو ممنوع من الصرف بسبب عَلَميّته وتأنيثه).

---

(۱). لسان العرب، مادة (هوى .

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۸

وتعنى كلمة «النزاعة» الشيء الذى ينزع ويفصل بشكل متواصل، وتعنى كلمة «شوى اليد والرجل والأطراف، (وإن كانت تأتى بمعنى الاحراق فى النّار لكن الأنسب هنا هو المعنى الأول، لأنّ الشيء عندما يسقط فى النّار، أول ما يحترق منه أطرافه وأغصانه).

وقال آخرون: إنّ «الشوى هو جلد البدن أو فروة الرأس، ومن عجائب هذه النّار المحرقة أنّها تدعو أصحاب جهنّم إليها، فهل أنّها حقاً ذات شعور وإدراك فتفعل هكذا؟ أم أنّ فى جهنّم جاذبية خفية تستقطب نحوها كل من حق عليه العذاب؟

كلا الاحتمالين ممكن، ولكن الظاهر هو المعنى الأول.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الروايات لم تذكر النّار كاسم من أسماء جهنّم، بل ذكرت سبعة أسماء اخرى واعتبرت كل واحد منها طبقة من طبقاتها، وليس كل واحد من هذه الأسماء السبعة يشمل جهنّم بأكملها.

ومن جملة ذلك حديث منقول عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: «إنّ جهنّم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض، ووضع احدى يديه على الاخرى فقال: هكذا، وأنّ اللَّه وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنّم، وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر، وفوقها الجحيم وفوقها السعير، وفوقها الهاوية» «۱».

ولا مانع من اطلاق الأسماء السبعة المذكورة على كل جهنّم أحياناً أو على قسم منها أحياناً اخرى كما يلاحظ ذلك فى أسماء الدنيا حيث يطلق أحياناً اسم معين على محافظة من المحافظات بأكملها، ويطلق أحياناً على مدينة معيّنة من مدن تلك المحافظة.

أوصاف جهنّم:

يفهم من مجموع الآيات المتعلقة بجهنّم وأوصافها أنّها مركز جزائى رهيب مليء

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۵، ۶ ص ۳۳۸؛ و تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۱۹، ح ۶۴، وجاء أيضاً فى هذا الموضوع حديث مطوّل منقول عن الإمام الباقر عليه السلام.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۲۹۹

بالنيران اللاهبة وله أبواب ودرجات مختلفة، ولكن نارها ليست كنيران الدنيا بل تتميز بالخصائص الآتية:

۱- وقودها الناس والحجارة.

۲- تطّلع على الأفئدة، وتنفذ أولى شراراتها إلى القلوب.

۳- حطمة تسحقُ كل شيء وتقضى عليه.

۴- فيها درك يدعو المجرمين إليه!

۵- توصف بأنّها إذا رأت من يُحشرون فيها: «اذَا رَأَتهُمْ مِّن مَّكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً». (الفرقان/ ۱۲)

۶- متحرّكة كما يقول تعالى «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَانّى لَهُ الذِّكْرَى . (الفجر/ ۲۳)

۷- محيطة الآن بالكافرين رغم أنّها محجوبة عن الأبصار: «وَانَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ». (التوبة/ ۴۹)

قد تكون هذه الأبعاد جميعها سبباً دفع بالكثيرين إلى تفسير جهنّم تفسيراً روحياً فاعتبروا نارها ناراً معنوية، لكن هذا التفسير- بلا شك- يتعارض مع ظاهر آيات القرآن الكريم، ولا ينسجم مع الروايات التى وردت فى تفسيرها.

وعلى هذا ينبغى القول: إنّ جهنّم بؤرة نار مستعرة وتختلف اختلافاً جذرياً عن نيران عالمنا هذا كما تختلف نِعم الجنّة مع نِعم هذه الدنيا.

توضيح

فلسفة وجود النّار:

يسأل الكثير عن مدى ضرورة وجود النّار، فاللَّه تعالى لا يحب الانتقام وأنّ العقوبات توضع لكى لايرتكب الناس الاخطاء ثانية أو حتى تكون عبرة للآخرين، بينما نعلم أن لا

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۰

نفحات القرآن ج۶ ۳۴۹

عودة لهذا العالم بعد هذه الحياة، ولا وجود هناك للتكليف والطاعة والذنب، وعلى هذا، ما المفهوم الذى ستحمله عقوبة باهضة كدخول النّار؟ هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإنّ الهدف من جميع التعاليم الدينية هو تربية وتهذيب وتكامل الإنسان، وإن لم يقبل بذلك بعض الناس فستكون عقوبتهم الحرمان من بلوغ الدرجات الرفيعة.

فما هى الضرورة لوجود جهنّم، ومركز الغضب والعقاب الصارم؟

وللاجابة عن هذه التساؤلات ينبغى الالتفات إلى نقطتين:

۱- قلنا مراراً إنّ العقوبات الإلهيّة سواء فى هذا العالم أوفى عالم الآخرة هى نتيجة لأعمال الناس أنفسهم، وإنّما تنسب إلى اللَّه جلّ شأنه باعتباره مسبب الأسباب، فالكثير من نعم الجنّة هى تجسيد لأعمال الإنسان الصالحة، والكثير من عذاب جهنّم تجسيد لأعماله السيّئة، ونحن نعلم أنّ نتائج العمل وآثاره ليست بالأمر الهيّن الذى يمكن التساهل فيه.

فمثلًا، الشخص الذى يتناول المشروبات الروحية والمخدّرات، ليقضى فترات من الراحة وهدوء البال- حسبَ تصوره- فى ظل هاتين المادّتين المخدّرتين، ولينتشى باللذة المتأتّية من نسيان الدنيا، يُحذَّر بأنّ هاتين المادتين المخدّرتين هما من عوامل الافساد والتحلل وستؤدّيان فى النهاية إلى القضاء عليه، فالمشروبات الكحولية تسبب له أمراض القلب والشرايين والاعصاب والكبد، والمخدّرات تدمر أعصابه بل وتُنهى كل كياته.

فاذا لم يُصغ إلى هذا الانذار وتمادى فى ممارسته الخاطئة فانّه سيواجه عقوبته وجزاءه وهذا لا يحتاج إلى فلسفة ودليل سوى قانون العلّية، وهى النتيجة الطبيعية لعمل كل إنسان وغالباً ماتكون الذنوب على هذه الشاكلة، وتعقبها نتائج فى هذه الدنيا، وفى الآخرة فهى تتجسد على صورة العذاب فى جهنّم.

ولهذا يُلحظ هذا التعبير الذى يتكرر كثيراً فى الآيات الشريفة والذى يقول: إنّكم تجزون ما كنتم تعملون فنقرأ فى قوله تعالى «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّت وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَل تُجزَونَ إلَّا مَاكُنْتُمْ تَعمَلُونَ». (النمل/ ۹۰)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۱

ونقرأ أيضاً: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَاتَعتَذِرُوا الْيَوْمَ انَّمَا تُجْزَونَ مَاكُنْتُمْ تَعمَلُونَ». (التحريم/ ۷)

فالمعذرة نافعة حين لا تكون القضية متعلّقة بالعلة والمعلول والنتيجة للأعمال.

و الآيات التى تتحدث مثلًا عن تجسيد الأعمال وتشبّه أكل مال اليتيم بأكل النّار تدل بأجمعها على هذا المعنى وكذلك الروايات التى تقول إنّ الطباع الحيوانية فى الإنسان، تظهر من داخله يوم القيامة وترتسم على خارجه، فتغدو صور الأشخاص شبيهة بالحيوانات المتميّزة بتلك الطباع.

و خلاصة القول: إنّ هذه الدنيا مزرعة، والآخرة أوان وزمان الحصاد، فإن كان الإنسان قد زرع بذور الورد، فمحصوله أغصان طيبة

وطرية ومعطّرة من الورد، وإن كان قد بذر الشوك فلا يجنى سواه.

جاء فى حديث عن النبى صلى الله عليه و آله: «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول اللَّه أوصنى فقال: احفظ لسانك، قال: يا رسول اللَّه أوصنى، قال: احفظ لسانك، قال: يارسول اللَّه أوصنى، قال: احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم فى النّار إلّاحصائد ألسنتهم» «۱».

۲- لا شك فى أنّ التبشير والتحذير يعتبران دعامتين أساسيتين فى إجراء البرامج التربوية، فكما أنّ التبشير بالجزاء الأوفر الذى يحظى به الإنسان فى الجنّة يُعَدُّ عاملًا فاعلًا فى الدعوة إلى طاعة اللَّه وترك معصيته، فكذلك التحذير والوعيد بالعذاب الصارم فى جهنّم يُعتبر هو الآخر مؤثّراً قويّاً فى هذا الجانب، لا بل ثبت بالتجربة أنّ للعقوبات تأثيراً أقوى

ولهذا فإنّ جميع القوانين التى تسنّها مراكز التشريع القانونى فى العالم تضمن عقوبات للمخالفين وهو ما يصطلح عليه علماء الحقوق باسم الضمانة التنفيذية، وتحظى هذه الضمانة بقدر كبير من الأهميّة بحيث تُعتبر واحدة من العناصر الأساسية التى يبنى عليها القانون، ولو أنّ قانوناً استُنَّ ولم يتضمن أى عقاب للمخالفين (كالسجن والجلْد والغرامة

---

(۱). اصول الكافى، ج ۲، ص ۱۱۵، ح ۱۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۲

المالية والحرمان من بعض الحقوق الاجتماعية) فلا يمكن أن يطلق عليه قانوناً.

فكيف تكون القوانين الإلهيّة- والحالة هذه- خالية من الضمانة التنفيذية؟! فهى عندئذٍ تفقد قيمتها القانونية، ولايرى المخالفون لها والمتخلفون عنها أى دافع أو وازع لإطاعتها والالتزام بها، ويبقى هدف القانون عقيماً.

صحيح أنّ الآثار الوضعية والطبيعية لعدم الالتزام قد تكون رادعاً للذين يقومون بمخالفات شرعية، إلّاأنّها غير كافية لوحدها، ولهذا فقد أدرج سبحانه وتعالى سلسلة من العقوبات لمن يتخلف عن الالتزام بها، فكما يهدد أقواماً بالعقوبة الدنيوية (وأمثلة ذلك كثيرة وقد تحققت فى الوجود الخارجى وأشار إليها القرآن فى تبيانه لحياة الأقوام السالفة) فهو- جلّ شأنه- قد وضع أيضاً العقوبات فى الآخرة لمن يتوانى عن التقيّد بها.

ومن الواضح كذلك أنّه كلما اشتّدت لهجة الترغيب والترهيب، كلّما كان التأثير أقوى وأكثر.

وهذا الأمر يوضّح أحد الأبعاد الأساسية لفلسفة وجود الجنّة والنّار.

وربّما يقال هنا إنّ جميع الآثار التى عُرضت إنّما تترتب على الوعيد بالعقاب والجزاء، وعلى هذا، فما المانع من أن يكون سبحانه وتعالى قد عرض كل هذه التهديدات والتحذيرات، إلّاأنّها لا تتحقق فى القيامة، لعدم وجود ضرورة لها، وذلك لخلو ذلك العالم من دروس العبرة للآخرين وانعدام تكرار الذنب من قبل المجرمين؟

إنّ هذا الكلام يستلزم أن يرتكب اللَّه عزّ وجلّ، القبيح وأنّه- والعياذ باللَّه- يكذب ويتخلف عن وعده فهو يوعد بالعقاب للمتخّلفين وحتّى أنّه يُقسم بتنفيذ وعيده، وكيف لا يطبق ذلك فعلياً؟! من البديهى أنّ هذا الفعل قبيح لا يليق بذاته المقدّسة بل ولا يفعله الإنسان المهذب الحكيم.

والنتيجة: أنّ وجوب التهديد والوعيد بالعقاب والجزاء ضمانة تنفيذية، هذا من جهة، ومن جهة اخرى لابدّ من تطبيق تلك الوعود والتهديدات لدفع القبح عن ذاته المقدّسة.

و هذه هى فلسفة وجود جهنّم وعقوباتها.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۳

ومن أجل هذا نصّت الآية الكريمة بالقول: «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ انَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام». (إبراهيم/ ۴۷)

ثم يشرح فى أعقاب هذه الآية بعضاً من عذاب يوم القيامة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۵

۳- أبواب جهنّم وطبقاتها

تمهيد:

من خلال ملاحظة عدد من آيات القرآن الكريم نستنتج أنّ لجهنّم أبواباً متعددة، وصرّحت احدى هذه الآيات بأنّها سبعة، فهل تشير هذه الأبواب إلى الأعمال التى تُسقِط الإنسان فى النّار وهى فى الحقيقة طرق دخول الناس إلى جهنّم؟ كما هو الحال لأبواب الجنّة التى سبق الحديث عنها؟ أم أنّها إشارة إلى طبقات جهنّم ودرجاتها التى ذكرتها الكثير من الروايات؟ أم أنّ كلا المعنيين قد اجتمعا فى مفهوم هذه الآيات؟

من الأفضل أن نبحث أولًا فى تفسير الآيات المتعلقة بهذا الحقل، لكى نحصل على جواب السؤال المذكور أعلاه.

ومع هذا التمهيد الوجيز نعود إلى القرآن ونقرأ الآيات الآتية:

۱- «وَانَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اجْمَعِينَ* لَهَا سَبْعَةُ ابوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُم جُزْءٌ مَّقْسُومٌ».

(الحجر/ ۴۳- ۴۴)

۲- «فَادْخُلُوا ابْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ». «۱» (النحل/ ۲۹)

۳- «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى اذَا جَاءُوهَا فُتِحَت ابوَابُهَا». (الزمر/ ۷۱)

۴- «انَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْاسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً». (النساء/ ۱۴۵)

جمع الآيات وتفسيرها

ماهو المقصود من أبواب جهنّم؟

تتحدث الآية الاولى عن أتباع الشيطان، الذين وصفتهم الآيات السابقة لها، فقالت:

(۱). ورد نظير هذا المعنى فى الآية ۷۲ من سورة الزمر؛ والآية ۷۶ من سورة غافر.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۶

«وَانَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اجْمَعِينَ* لَهَا سَبْعَةُ ابوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُم جُزْءٌ مَّقْسُومٌ».

ولكن ما المقصود من «أبواب جهنّم»؟ ذكر المفسرون احتمالات مختلفة لذلك:

الأول: إنّها إشارة إلى مداخل جهنّم التى تنتهى جميعها فى مركز واحد، كالأبواب المتعددة لبناية واحدة فى دنيانا هذه، وهى فى الحقيقة تعبير عن كثرة الداخلين إلى هذا المكان الذى يتجسد فيه الغضب الإلهى، ويبدو هذا الاحتمال مستبعداً فى ظلّ الروايات المتعددة التى تفسر هذه الآية.

الثانى: المقصود هو الطبقات المختلفة فى جهنّم والتى تتفاوت فى شدّة العذاب، وعلى هذا فكل واحد من هذه الأبواب السبعة ينفتح على واحدة من تلك الطبقات.

وهناك روايات عديدة وردت عن أهل البيت عليهم السلام وعن طريق أهل السنّة تشهد على هذا التفسير.

فقد ورد فى الدرّ المنثور حديث منقول عن الإمام على عليه السلام أنّه قال: «أتدرون كيف أبواب جهنّم؟ قلنا كنحو هذه الأبواب! قال:

لا ولكنّها هكذا ووضع يده فوق يده وبسط يده على يده» «۱».

وجاء عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «سبعة أبواب النّار متطابقات» «۲».

ونقل عنه عليه السلام أيضاً حديث آخر فسَّر فيه الأبواب السبعة لجهنم بالطبقات التى تقع فوق بعضها وسماها بأسمائها وهى: «فأسفلها جهنّم، وفوقها لظى وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية» «۳».

الثالث: إنّ تعدد تلك الأبواب يرجع إلى تعدد الأقوام الذين يردون منها.

جاء فى تفسير روح المعانى نقلًا عن بعض المصادر الخبرية إنّ: «فى الدرك الأول

(۱). تفسير درّ المنثور، ج ۴، ص ۹۹.

(۲). تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۱۸، ح ۶۲.

(۳). المصدر السابق، ص ۱۹، ح ۶۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۷

المحمديون، وفى الثانى النصارى وفى الثالث اليهود، وفى الرابع الصابئون، وفى الخامس المجوس، وفى السادس مشركو العرب، وفى السابع المنافقون وآل فرعون ومن كفر من أهل المائدة» «۱».

الرابع: أنّ المقصود من تلك الأبواب هى الأعمال والذنوب التى تسبب دخول جهنّم.

والدليل على هذا الكلام ما يأتى:

أولًا: المقابلة الموجودة مع أبواب الجنّة، فتصف بعض الروايات صراحةً أنّ أحد أبواب الجنّة هو باب «الجهاد» أو أنّ أحد أبواب الجنّة يسمى «باب المجاهدين» «۲»، وأشارت روايات اخرى إلى الأبواب الاخرى وقالت بوجود صلة بينها وبين أعمال الإنسان ك «الصبر» و «الشكر» وماشابه ذلك.

ثانياً: الروايات التى تنص على أنّ بعض أبواب جهنّم يـدخل منها فرعون وهامان وقارون، ويرد من بعضـها المشـركون، وبعضـها الآخر يرد منها أعداء آل بيت الرسول صلى الله عليه و آله «۳»، وهذا دليل أيضاً على الصلة بين أبواب جهنّم والذنوب المختلفة.

إلّا أنّ التفاسير الثلاثة الأخيرة يمكن جمعها مع بعضها لأنّ كل واحدة من طبقات النّار أكثر إيلاماً من الاخرى وكل واحدة من الفئات التى تردها أكثر ذنباً وإجراماً من الاخرى وكل عمل ارتكبته أسوأ من الآخر، وعلى هذا الأساس يمكن جمع التفاسير الثلاثة فى مفهوم واحـد. وبالنتيجـة تطالعنا أبواب جهنّم بحقيقـة وهى كما أنّ أعمال الإنسان مختلفة مع بعضـها وأصـناف المجرمين والكفّار متباينة فيما بينها، فعقوباتهم فى العالم الآخر غير متساوية وتختلف فيما بينها اختلافاً شاسعاً.

(۱). تفسير روح المعانى، ج ۱۴، ص ۴۸؛ تفسير القرطبى، ج ۵، ص ۳۶۴۶.

(۲). اصول الكافى، ج ۵، ص ۲، ح ۲.

(۳). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۲۸۵، ح ۱۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۸

تخاطب الآية الثانية الكفّار الذين ظلموا أنفسـهم بسلوكهم هذا السبيل الخاطىء وتقول لهم: «فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ».

وما يلفت النظر هنا أنّ «أبواب جهنّم» جاءت هنا بصيغة الجمع فى حين يدخل كل فريق من باب واحدة لا من أبواب متعددة، (فتأمل).

ولعل مرد هـذا التعبير هو كون المخاطبين جمعاً، ومن الطبيعى عنـدما تريـد جماعـة الـدخول إلى مكان ما له أبواب عديدة، فكل فريق

يدخل من باب، إذن فهم جميعاً يدخلون من أبواب متعددة، أو أنّ كل فريق منهم يدخل تحت عنوان خاص من الباب المخصصة له، كما ويحتمل أيضاً أن يكون مخاطبو هذه الآية في الطبقات الدنيا من جهنّم وهذا ما يحتّم عليهم اجتياز أبواب وطبقات متعددة للوصول إلى هناك.

وعلى أيّة حال فالآية أشارت فقط إلى أبواب الجنّة من غير أن توضّح عددها، وبتعبير آخر يبدو أنّ جهنّم شبيهة بالسجون الرهيبة المتداخلة في بعضها والمكوّنة من طبقات متعددة، وهنالك فريق من الضالين والمعاندين يجب أن يمّروا من خلال كل هذه الطبقات لكي يستقروا في «قعر جهنّم» أو «الدرك الأسفل» أو في الطبقات القريبة منه.

وورد نفس هذا الموضوع في الآية الثالثة وبتعبيرات اخرى حيث قال تعالى «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى اذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ ابوَابُهَا».

وكأنّ هذا التعبير يشير إلى أنّ جهنّم تدرك وصولهم حينما يقتربون، فتفتح لهم الأبواب فجأة وهذه الرؤية المفاجئة تزيد من روعهم، في حين جاء نفس هذا المعنى بشأن أصحاب الجنّة فكان مدعاة لمزيد من الفرح والسرور لهم، ونواجه هنا ثانية ذكر تعدد أبواب جهنّم من غير ذكر لعددها، ومن ثم يتكرر الحديث هنا أيضاً عن انفتاح جميع الأبواب، في حين يدخل كل فريق من باب، وقد يكون اختيار هذا التعبير لأسباب ذكرت في الآية السابقة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۰۹

وفي الآية الرابعة ليس هناك ذكر للأبواب، بل تركّز الحديث عن الطبقة السفلى من جهنّم، وهو ما يظهر تعدد طبقات جهنّم، إذ تقول الآية: «انَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْاسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً».

يطلق في اللغة العربية على الخطوات الصاعدة نحو الاعلى اسم «الدرجة» وعلى النازلة إلى الأسفل اسم «الدركة».

وهذه الكلمة مأخوذة من المصدر «الدرك» وهو بمعنى بلوغ الشيء ونيله، ولهذا يطلق على الحبال التي توصل مع بعضها لتصل إلى قعر البئر اسم «الدَرَك» وتسّمى أعمق نقاط البحر أو الاماكن الأخرى باسم «الدَرْك» على وزن (فلك)، وعلى هذا الأساس وصف «الدرك» في الآية الشريفة ب «الأسفل» من باب التأكيد والقيد التوضيحي.

وعلى أيّة حال فهذه هي الآية الوحيدة الحاوية على إشارة لطبقات جهنّم ويمكن أن نطابق معها الآيات السابقة التي تحدثت عن أبواب جهنّم، والنتيجة هي نفس ما أفادت به الآيات السابقة وهي أنّ أبواب جهنّم ليست في ازاء بعضها الآخر بل هي فوق بعضها طوليّاً، إحداها فوق الاخرى

يقول الفخر الرازي في تفسيره بعد أن يُعطي معنى «الدرك» بأنّه أعمق نقطة في قعر الشيء: «فالدرك مايلحق به من الطبقة، وظاهره أنّ جهنّم طبقات، والظاهر أن أشدّها أسفلها» «۱».

وممّا يسترعي الانتباه في هذه الآية أنّها حددت أسفل قعر جهنّم كمكان أسوأ للمنافقين ما يدل على أنّ «النفاق» هو أسوأ الذنوب ويستوجب الدرك الأسفل من جهنّم، وسبب ذلك جلي فالخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي من جَرّاء وجود النفاق يفوق بمرّات عديدة الخطر القادم من الأعداء والكفّار الذين يبدون كفرهم وعداءهم علناً.

وجاء في حديث شريف حول العلماء الفاسدين: «إنّ من العلماء من يحّب أن يخزن

---

(۱). تفسير الكبير، ج ۱۱، ص ۸۷.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۰

علمه ولا يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأسفل من النّار» «۱».

وكما ذكرنا فإنّ بعض الروايات تفيد أنَّ لكل واحدة من أبواب جهنّم السبع أصحاباً خاصّين، ففرعون وهامان وقارون مثلًا يدخلون من

باب واحد ومن باب اخرى يدخل بنو اميّة، ويدخل المشركون من باب اخرى وهكذا «۲».

ومن البديهى أنّ دخول فرعون وهامان وقارون أو بنى اميّة من هذه الأبواب إنّما يعود لطبيعة أعمالهم ومعتقداتهم، ولهذا فكل من يشايعهم ويسير على خطهم الفكرى والعقائدى يدخل تلقائياً من نفس تلك الباب، ومن هذا المنطلق تتضح طبيعة العلاقة بين الإنسان «وأعماله ومعتقداته».

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۸، ص ۳۱، ح ۷۶.

(۲) المصدر السابق، ص ۲۸۵، ح ۱۱.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۱

۴- العذاب الجسدى لأصحاب النّار

تمهيد:

اشارة

كما أنّ الثواب الإلهى والنعم الموجودة فى الجنّة تقسم يوم القيامة إلى قسمين «روحية» و «مادية» كما سبق شرحه بالتفصيل فكذلك عذاب جهنّم أيضاً، إذ يُقسم هو الآخر إلى نوعين: روحى، ومادى، لأنّنا نعلم أنّ للمعادِ بُعدين يستدعى كل منهما مايستحقه من الثواب والعقاب.

إضافة إلى أنّ أعمال الإنسان فى هذه الدنيا على شكلين أيضاً أولهما: «الأعمال القلبية والروحية»، وثانيهما «الأعمال الجسمية والمادّية»، وعلى هذا فمن غير الممكن أن يقتصر الثواب والعقاب هناك على نوع واحد.

وتمثل آيات القرآن والروايات الواردة فى هذا الصدد شاهداً على هذا القول.

بعد الانتهاء من هذا التمهيد الوجيز نحاول التعرف على العقوبات الجسدية لأصحاب النّار، ونتمعّن فى الآيات القرآنية الواردة فى هذا الحقل، ونبحثها تحت العناوين التالية:

۱- شدّة عذاب أصحاب النّار

۲- طعامهم.

۳- شرابهم.

۴- ثيابهم.

۵- سائر عذابهم الجسدى.

۱- شدّة عذاب أصحاب النّار

اشارة

۱- «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفتَدِى مِن عَذَابِ يَومِئذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۲

الَّتِی تُئْوِیهِ* وَمَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ یُنجِیهِ». (المعارج/ ۱۱- ۱۴)

۲- «فَیومَئِذٍ لَّایُعَذِّبُ عَذَابَهُ احَدٌ* وَلَا یُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ». (الفجر/ ۲۵- ۲۶)

۳- «فَیُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَکْبَرَ». (الغاشیة/ ۲۴)

۴- «انْطَلِقُوا الَی ظِلٍّ ذی ثَلَاثِ شُعَبٍ* لَّاظَلِیلٍ وَلَا یُغْنِی مِنَ اللَّهَبِ* انَّهَا تَرْمِی بِشَرَرٍ کَالْقَصْرِ* کَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ». (المرسلات/ ۳۰- ۳۳)

۵- «وَیَتَجَنَّبُهَا الْاشْقَی الَّذِی یَصْلَی النَّارَ الْکُبْرَی ثُمَّ لَایَمُوتُ فِیهَا وَلَا یَحیَی .

(الاعلی ۱۱- ۱۳)

جمع الآيات وتفسيرها

تبلغ شدّة العذاب فی یوم القیامة إلی الحد الذی یتمنّی فیه المجرم کما وصفهُ القرآن فی الآیات من بحثنا قائلًا: «یَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ یَفتَدِی مِن عَذَابِ یَومِئِذٍ بِبَنِیهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَاخِیهِ* وَفَصِیلَتِهِ الَّتِی تُئْوِیهِ* وَمَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ یُنجِیهِ» «۱».

فیتبیّن من هذا التعبیر وبکل وضوح أنّ العذاب الإلهی فی ذلک الیوم شدید جدّاً ورهیب حتّی أنّ المجرم یغدو مستعداً للتضحیة، بجمیع ثروته وکل أعزّائه بل وبجمیع سکان الأرض لیخلِّص نفسه (و لا تعبیر أفصح ولا أبلغ من هذا)، ولکن ما الفائدة لأنّ أیّاً من هذه التضحیات لا تُقبل منه، فیقع ضحیّة أعماله وعواقبها المؤلمة.

وبعد أن تشیر الآیة الثانیة إلی صحوة المجرمین یوم القیامة وندمهم وشدّة أسفهم علی تفریطهم فی أداء الفرائض الرّبانیة، تقول: «فَیَوْمَئِذٍ لَّایُعَذِّبُ عَذابَهُ احَدٌ* وَلَا یُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ» «۲».

---

(۱). کلمة «الفصیلة» مأخوذة عن المصدر «الفصل» ویعنی الافتراق والانقسام وتعنی هنا العشیرة والقبیلة التی جاء منها الإنسان.

(۲). یعود الضمیر فی «عذابه» و «وثاقه» إلی اللَّه تعالی واحتمل بعض المفسرّین کالآلوسی فی روح المعانی والبرسوئی فی روح البیان رجوع الضمیر علی الإنسان لکن هذا الاحتمال یبدو بعیداً جدّاً.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۳

وعلی هذا المنوال فعذابه لا نظیر له، وتوثیقه فی الحبال لم یجر علی أحدٍ من قبله ولا من بعده علی ضوء الآیة.

وهذه التعابیر بشکل عام تحمل أبعاداً تربویة تحثّ الناس علی خشیة اللَّه وتجنّب ألیم عقابه، لأنّ أذهان الناس قد اعتادت علی أنّ «اللَّه أرحم الراحمین» فهو لا یعذّب عباده وإذا عاقبهم فعقوبته خفیفة جدّاً، وهذا الوهم یدفع إلی الجرأة علی ارتکاب المعاصی والذنوب، ولذلک یفصح القرآن وبشکل صریح عن وجود ذلک العذاب لیخرج الناس هذه التخیّلات الباطلة من أذهانهم ویراقبوا أعمالهم.

وانعکس نفس المعنی فی الآیة الثالثة إلّاأنّه ورد بتعبیر آخر فهی تتحدث عن الکفّار الذین یدیرون ظهورهم للحق فتقول: «فَیُعَذِّبُهُ اللَّهُ العَذَابَ الاکبَرَ».

«والعذاب الاکبر»: إشارة إلی عذاب یوم القیامة فی قبالة العقوبات الدنیویة التی وُصِفت «بالعذاب الأدنی کما نصت من سورة السجدة: «وَلَنُذِیقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدنَی دُونَ العَذَابِ الأَکبرِ». (سجدة/ ۲۱)

وتجدر الإشارة إلی أنّ العذاب الإلهی فی الدنیا قد یکون أحیاناً شدیداً جداً بحق القوم المجرمین کما حصل لقوم لوط إذ دَکَّ مدنهم وقُراهم دکّاً وجعلهم هم وإیّاها قاعاً صَفْصَفاً، ومع ذلک فهذا العذاب یبقی عذاباً أدنی فی مقابل عذاب القیامة وهذا ما یُنْبیء عن شدّة العقوبة یوم القیامة.

وفی الآیة الرابعة ورد تبیان لقسم من العذاب الصارم الذی یلقاه أصحاب النّار، فیقال یومذاک لمنکری القیامة ومحکمة العدل الإلهی،

اذهبوا إلى ماكنتم به تكّذبون: «انْطَلِقُوا الَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ* لَّاظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ* انَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ* كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۴

تستعرض هذه الآيات أوصافاً مثيرة حول شدّة عذاب جهنّم إذ يُقال لمنكرى هذه المحكمة الإلهيّة الكبرى والمحملين بشتّى المعاصى والذنوب:

أولا: انطلقوا إلى ظل؛ ولكن أى ظل؟ الظل الناتج عن الدخان الخانق المنقسم إلى ثلاث شعب، شعبة منها فوق الرأس والأخرى عن اليمين والثالثة عن الشمال، وهو باختصار ظل قاتل يحيط بهم من كل صوب، ظل لا كظلال الأشجار الهادئة فى الجنّة، أو ظلال السقوف والقصور، بل إنّه ظل حارق لشدّة حرارته.

ثانياً: إنّ لهذا الظل ثلاث شُعَب مليئة بالشرر المتطاير وكل شرارة فيه عظيمة بحجم القصر، أو كالجمال الصفراء المسرعة نحو كل صوب، يا له من مكان، إن كان ظلّه هكذا فكيف بناره؟!

ويالها من عبارات مرعبة ودقيقة، فالناس يهربون عادة من الحرارة إلى الظل، بينما لا ظل هناك سوى ظل الدخان الذى تنبعث منه النيران، وإذا كان تصّور مثل هذا الدخان صعباً فى أيّام نزول هذه الآيات، فساحات الحروب الإجرامية اليوم وما يُلقى فيها من قنابل تُغطّى كل شيء بالدخان والنّار فيها قد تكون صورة مصغّرة لذلك العذاب الأكبر، إضافة إلى وجود شرر كبير الحجم وشواظ من نار تتطاير فى مساحات واسعة، وهذا كله فى ظلال تلك النّار «۱».

وقد تكون كلمة «القصر» إشارة إلى قصور الظالمين، ولعل تشبيه شرر جهنّم بها، أى بتلك القصور التى تؤجج النيران دوماً فى قلوب المحرومين، يعكس معنىً عميقاً ودقيقاً، وكذلك التشبيه بالجمال الصفر ذات النمط الواحد فهو رمز لثروة المستكبرين، وهو أيضاً تعبير آخر ذو مغزىً عميق فى هذا السياق.

وقد يتوهّم البعض أن تشبيه الشرر بالقصر حيناً وبالجمال الصفر حيناً آخر يبدو غير

---

(۱). يعتقد البعض أنّ الضمير فى «إنّها» يعود إلى «النّار» وهو مؤنث مجازى، ورغم عدم ذكر النّار فى الآية إلّاأنّه يمكن الاستدلال عليها بقرينة ظل الدخان، ولكن الأفضل هو ارجاع الضمير إلى الظل ذى الثلاث شعب وهو الظل الخانق لأنّ الهدف هو الاطلاع على الآثار القاتلة لهذا الظل حتّى يتّضح موضوع النّار بطريق أوْلى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۵

منسجم وذلك لأنّ أحدهما كبير جدّاً والآخر صغير نسبياً.

ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ كل واحد من هذين التشبيهين يركز على جوانب خاصة، فالتشبيه الأول للدلالة على عظمة ذلك الشرر، والتشبيه الثانى يرمز إلى الكثرة والسرعة والتطاير فى كل صوب كافتراق الجمال المسرعة فى الصحراء أو هو إشارة إلى اختلاف ذلك الشرر، فشررها الكبير بحجم قصور الظالمين، وشررها الصغير بحجم جمالهم الصفر.

«الجمالة»: جمع «جَمَل» أىالبعير مثل حَجَر وحِجارة، و «صُفر» جمع أصفر وهو اللون المعروف، وتُطلق أحياناً على الألوان الغامقة المائلة إلى السواد أيضاً، لكن الأنسب هنا هو المعنى الأول.

وتلحظ فى الآية الخامسة والأخيرة عبارة اخرى تصف شدّة عذاب النّار حيث تقول:

«وَيَتَجَنَّبُهَا الْاشْقَى* الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبرَى ثُمَّ لَايَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحيَى .

فهذه صورة تعكس العذاب الأليم فى جهنّم، حيث يعيش المعذّبون فيها حالة بين الموت والحياة فلا هم يموتون وفى ذلك راحة لهم، ولا الحال التى يحيونها يمكن أن يُطلق عليها اسم الحياة، كما هو حال من يعيش فى عذاب شديد فى الدنيا فيجعله يتخبّط بين الموت

والحياة.

وكلمة «النّار الكبرى فى مقابل النّار الصغرى والتى هى عذاب هذه الدنيا.

جاء فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءً من نار جهنّم، وقد اطفئت سبعين مرة بالماء ثم التهبت، ولولا ذلك ما استطاع آدمى يُطيقها» «۱»

ونُقل نفس هذا المعنى عن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله.

واحتمل بعض المفسرين أن تكون «النّار الكبرى هنا إشارة إلى قسم من جهنّم عذابه

---

(۱). تفسير الإمام العسكرى عليه السلام وفقاً لما جاء فى بحار الأنوار، ج ۸، ص ۲۸۸، ح ۱، ۲.

أشد (أى أدنى الطبقات فيها) «۱»، ولكن يبدو أنّ التفسير الأول يناسب الحال أكثر من التفسير الثانى.

كان هذا جانباً من الأبعاد الواسعة لنار جهنّم وشدّة عذابها الأليم.

۲ و ۳- الطعام والشراب القاتل لأصحاب النّار

تمهيد:

ذكرنا مراراً بأنّ المعاد يتحقق ببعديه الجسمى والروحى، وعلى هذا الأساس فالجزاء له بُعدان أيضاً، ومن جملة القضايا التى تكون مدعاة للذة الجسم أو سبباً لعذابه هى الأطعمة والأشربة، فالطعام الكريه والفاسد النتن والمحرق يعتبر عذاباً أليما بينما الطعام أو الشراب اللذيذ والطيّب يكون سبباً لارتياح الجسم ولذّته حتّى أنّه يؤثر على روحية الإنسان أيضاً ويبعث فيها البهجة والانشراح على العكس من الأشربة الفاسدة التى تسبب الألم للجسد وللنفس.

ومن أجل التركيز على الجوانب التربوية لوجود جهنّم، حذّر القرآن المجرمين والمسيئين بشدّة من نتائج أعمالهم القبيحة وأماط اللثام عن النوعية الرديئة للأطعمة والأشربة فى جهنّم وعرض لهم جانباً منها، والتعابير المستخدمة فى هذا الصدد تثير الفزع والرهبة لدى كل انسان، وبعد هذا التمهيد المختصر نعود إلى القرآن الكريم لنمعن فى آياته الآتية:

۱- «انَّ شَجَرَتَ الزَّقُّوم* طَعَامُ الاثِيم* كَالمُهْلِ يَغلِى فِى الْبُطُونِ* كَغَلِى الْحَمِيم».

(الدخان/ ۴۳- ۴۶) ۲- «أَذلِكَ خَيرٌ نُزُلًا امْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم» «انَّهَا شَجرةٌ تَخْرُجُ فِى اصلِ الجَحِيم* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِين* فَانَّهُم لَآكِلُونَ مِنهَا فَمَالِئُونَ مِنهَا البُطُونَ». (الصافات/ ۶۲- ۶۴- ۶۶) ۳- «فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ ههُنَا حَمِيمٌ* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسلِينٍ* لَّايَأْكُلُهُ إِلَّا الخَاطِئُونَ».

(الحاقّة/ ۳۵- ۳۷)

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۲۰، ذيل الآية مورد البحث.

۴- «تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً* تُسقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ* لَّيسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ* لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغنِى مِن جُوعٍ». (الغاشية/ ۴- ۷) ۵- «انَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَان يَستَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالمُهلِ يَشوِى الوُجُوهَ بِئسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً». (الكهف/ ۲۹) ۶- «انَّ

جَهَنَّم كَانَتْ مِرصَاداً* لِّلطَّاغِينَ مَئَاباً* لَّابِثِينَ فِيهَا احْقَاباً* لَّايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً* إلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً». (النبأ/ ۲۱- ۲۵) ۷- «وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ* مِّنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ* يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيْغُهُ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنوَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ» «۱».

(إبراهيم/ ۱۵- ۱۷)

جمع الآيات وتفسيرها

الزقوم- الحميم- غسلين- الضريع- الغساق- الصديد

نلاحظ فى الآيةَ الاولى أول تعبير عن طعام أصحاب جهنّم، وهو شجرة الزقوم حيث يقول تعالى فى قرآنه الكريم: «انَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ* طَعَامُ الْأَثِيْمِ* كَالمُهلِ يَغلِي فِي الْبُطُونِ* كَغَلِي الْحَمِيم».

للمفسرين وأصحاب اللغة آراء كثيرة فى معنى كلمة «الزقّوم» التى تكررت ثلاث مَرّات فى القرآن الكريم «۲». فقال البعض إنّها كلمة عربية ومشتقة من المصدر «زَقْم» على وزن (رَقْم) وتعنى البلع وقال آخرون إنّ هذه الكلمة لم يكن لها وجود فى اللغة العربية ودخلت الأوساط العربية من أفريقيا (الحبشة).

---

(۱). ورد فى آيات عديدة أُخرى تعابير شبيهة بالآيات المذكورة، من جملة ذلك: الآية ۱۳ من سورة المزمّل؛ والآية ۷۰ من سورة الأنعام؛ والآية ۴ من سورة يونس؛ والآية ۵۷ من سورة ص؛ والآية ۴۶ من سورة محمد (ص)؛ والآيات ۵۲- ۵۷ من سورة الواقعة.

(۲). الآيات: ۶۲ من سورةالصافات؛ و ۴۳ من سورة الدخان؛ و ۵۲ من سورة الواقعة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۸

واعتبرها بعض المفسرين وأصحاب اللغة إسماً لعشب شديد المرارة كريه الرائحة له أوراق صغيرة وينمو فى أقليم تهامة من شبه جزيرة العرب وكان المشركون يعرفونه جيداً، وهو عشب عصارته شديدة المرارة وحادّة الطعم إذا لامس الجسم تورَّم «۱».

و يعتقد الراغب فى «مفرداته» أنّ «الزقوم» تعنى كل طعام تشمئز منه النفس وهو طعام أصحاب النّار.

وقال بعض المفسرين: عندما نزلت هذه الكلمة فى القرآن قال كفار قريش: «ما نعرف هذه الشجرة، فقدم عليهم رجل من أفريقيا فسألوه فقال: هو عندنا «الزُّبْدِ والتمر»، فقال ابن الزِّبَعرى أكثر اللَّه فى بيوتنا الزقوم. فقال أبو جهل لجاريته: زقّمينا؛ فأتته بزبد وتمر. ثم قال لأصحابه: تزقّموا؛ هذا الذى يخوّفنا به محمد، يزعم أنّ النّار تنبت الشجر والنّار تحرق الشجر» «۲».

وقد أدّى هذا التفسير ببعض أصحاب اللغة والمفسرين إلى اعتبار هذا المعنى هو أحد معانى الزقوم ظناً منهم بجديّة وواقعية التفسير المذكور، كما نقل عن الجوهرى قول فى لسان العرب: «الزقّوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد».

أمّا المجموعة الثانية من الآيات فانّها تعطى توضيحاً أكثر لأوصاف «الزقوم» هذا الطعام الكريه المعد لأصحاب النّار، فتقول: «أَذَلِكَ خَيرٌ نُزُلًا امْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ* انَّهَا شَجَرةٌ تَخْرُجُ فِي اصلِ الجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ* فَانَّهُم لَآكِلُونَ مِنهَا فَمَالِئُونَ مِنهَا البُطُونَ».

وأول ما نواجه هنا الاعتراض الذى طرحة أبو جهل وقال مستهزئاً وهل ينمو الشجر فى النّار؟ فالنار عدو الشجر فهى تحرقه.

لكن هؤلاء المغرورين الظلمة فاتهم أنّ القوانين المهيمنة على الحياة الاخرى مغايرة تماماً لما هو سائد فى هذه الحياة، فقد ينمو فى الجنّة عشب أو شجر ينبثق من قعرها وهو

---

(۱). تفسير مجمع البيان؛ وتفسير مروج البيان؛ وتفسير روح المعانى.

(۲). تفسير القرطبى، ج ۸، ص ۵۵۲۹، ذيل الآية ۶۲ من سورة الصافات.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۱۹

على لونها ويكبر فى ظل ظروفها ولا يشبه الأعشاب التى تنمو فى حدائقنا وحتّى فى الحياة الدنيا توجد عجائب من هذا القبيل إذ تنمو مخلوقات حيّة بين طبقات الثلج وهذا دليل على أنّ الحياة للكائنات الحيّة هناك لايشترط فيها أن تكون (كحياة الكائنات الحيّة المعروفة فى بيئتنا العاديّة، أوَليس من العجيب بقاء الإنسان حيّاً فى جهنّم؟! فما الفرق بين الانسان والعشب؟).

أمّا تشبيه فروع هذه النبتة «برؤوس الشياطين» مع أنّ مخاطبى هذه الآيات لم يكن أحد منهم قد رأى الشيطان ولا رؤوس الشياطين، فقد يكون من باب تشبيه كل قبيح بالشيطان، كما يُشبّه كل كائن جميل بالملاك رغم أنّ أحداً لم ير الملاك، فنسوة مصر قُلن عن يوسف: «انْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ». (يوسف/ ۳۱) وفى محادثتنا اليومية نقول أحياناً أنّ الشخص الفلانى ك «العفريت» مع أنّ أحداً لم يكن قد رأى «العفريت»، بل العفريت كائن وهمى لا وجود له.

وكل هذه التشبيهات جاءت على أساس التصور الموجود لدينا عن كلمة «الملاك» و «الشيطان»، وهى على العموم تشبيهات بليغة ومؤثّرة وجميلة.

وعلى هذا فالزقوم ليس كريه الطعم والرائحة فقط بل وحتّى شكله الظاهرى قبيح جدّاً، على العكس من الكثير من النباتات السامّة فى هذه الدنيا ذات المظهر الجميل.

وقال جماعة من المفسرين أيضاً: إنّ أحد معانى الشيطان هو حيّة قبيحة المظهر شبّهت بها تفرّعات الزقّوم، لكن هذا التفسير يبدو مستبعداً، لأنّ استعمال الشيطان فى مثل هذا المفهوم نادر جدّاً.

وفى المجموعة الثالثة من الآيات ورد اسم طعام آخر من أطعمة أصحاب النّار وهو «غسلين»، فقالت الآية الشريفة: «فَلَيسَ لَهُ اليَوْمَ ههُنَا حَمِيمٌ* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ* لَّايَأْكُلُهُ إِلَّا الخَاطِئُونَ».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۰

تعنى كلمة «الغسل» التى وردت مرّة واحدة فى القرآن الكريم: التنظيف بالماء وهى مأخوذة من المصدر «غسل». قال الراغب فى «المفردات»: إنّ «الغسلين» هو غسالة أبدان الكفّار، لكن المعروف بين المفسرين وأصحاب اللغة أنّه دم يشبه الماء يخرج من ابدان أصحاب النّار، وبما أنّه يشبه الماء الذى يغسل فيه الإنسان لذلك سمّى ب «الغسلين». ولعل الراغب قصد نفس هذا المعنى فى مفرداته، لكن بعضهم اعتبر «الزقوم» و «الغسلين» بمعنى واحد، وهو- كما قلنا- نبات كريهُ الطعم والرائحة ومخصص لأهل جهنّم، لكن المشهور هو المعنى الأول.

ويواجهنا فى الآية الرابعة تعبير آخر بشأن طعام أصحاب النّار وهو اسم «الضريع» وبه أشارت الآية إلى فئة من المجرمين قائلة: «تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً* تُسقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ* لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ* لَّايُسمِنُ وَلَا يُغنِى مِن جُوعٍ».

وقد ذُكرت لكلمة «الضريع» معانٍ وتفاسير مختلفة لكنها متقاربة المعنى فقال جماعة إنّه نبات أخضر كريه الرائحة يلفظه البحر «۱»، وقال جماعة آخرون إنّه نبت ذو شوك لاصق بالأرض، تسميه قريش الشِّبرق إذا كان رطباً، فاذا يبس فهو الضريع، لا تقربه دابة ولا ترعاه، وهو سمٌ قاتل «۲».

وقال بعضهم أيضاً: إنّ الكلمة مأخوذة من المصدر «ضرع» بمعنى الضعف والذّلة وقالوا:

«هو طعام يضرعون عنده ويذلون، ويتضرعون منه إلى اللّه تعالى طلباً للخلاص منه، فسُمى بذلك، لأنّ آكله يضرع فى أن يُعفى منه، لكراهته وخشونته» «۳».

ورد فى حديث عن الرسول محمد صلى الله عليه و آله أنّه قال: «الضريع شيء يكون من النّار يشبه

(۱). العين لاخليل بن أحمد.

(۲). تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۷۱۱۹.

(۳). المصدر السابق، ص ۷۱۲.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۱

الشوك، أشدّ مرارة من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأحرّ من النّار، سمّاه اللَّه ضريعاً» «۱».

و يفهم من جملة «لَا يُسمِنُ وَ لَايُغنِي مِن جُوعٍ» أنّ مثل هذا الطعام لا يقوّى الجسم ولا يشبع من الجوع، بل هو طعام غصص وهو بذاته نوع من العذاب، كما نقرأ فى قوله تعالى

«وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً الِيماً». (المزمل/ ۱۳)

ولكن ينبغى عدم التعجب من مثل هذا العذاب الصارم الذى هو فى انتظار المجرمين الذين كانوا يملأون بطونهم فى هذه الدنيا بأنواع الأطعمة اللذيذة الدسمة والحلوة والتى يحصلون عليها بالتجاوز على حقوق الآخرين بأنواع المظالم والتعدّى، بينما توجد حولهم الكثير من البطون الجائعة التى لم تشبع طيلة عمرها ولا حتّى مَرّة واحدة، ويموت سنوياً ملايين الأشخاص جوعاً فى البلدان الأخرى وفى الوقت الذى يرمى المجرمون بالفاضل من طعامهم فى المزابل، يجب أن يأكلوا مثل هذا الطعام فى العالم الآخر.

ونرى هنا ضرورة إعادة الكلام الذى كررناه مَرّات متعددة وهو أنّ هذه التعابير كلها إشارات إلى أليم العذاب فى العالم الآخر، وإلّا فلا نعم الجنّة ولا عذاب جهنّم يمكن إدراكها من قبلنا نحن المحبوسين فى سجن الدنيا، وكل ما نشاهده هو شبح يترائى لنا من بعيد.

وهنا يرد اعتراض بديهى وهو أنّ الآية (۶) من سورة الغاشية تفيد أنّ طعام أهل النّار هو من «الضريع» فقط: «لَيسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ» بينما تذكر الآيات الآنفة نوعين آخرين من طعام أهل النّار وهما «الزقّوم» و «غسلين». وكذلك الآية ۳۶ من سورة (الحاقّة) تحدّثت عن الغسلين وقالت: إنّه الطعام الوحيد لأصحاب جهنّم.

وقد وردت أجوبة مختلفة عن هذا السؤال، وأهمها الثلاثة الآتية:

۱- إنّ كلمات «الضريع» و «الزقّوم» و «الغسلين» تعطى جميعاً معنىً واحداً وهو النبات الخشن كريه الطعم والرائحة والذى ينمو فى جهنّم (لكن هذا التفسير لا يتّسق مع ما جاء بشأن الغسلين فى الكثير من كتب التفسير واللغة).

۲- اعتبر البعض كلمتى «الزقّوم» و «الضريع» بمعنى واحد وهو ما سبقت الإشارة إليه

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۹- ۱۰، ص ۴۷۹، ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۲

ويمثل طعام أصحاب النّار، أمّا «غسلين» فهو شرابهم، والتعبير عن الأشربة بالطعام ليس بالأمر الجديد.

۳- أنّ الأطعمة الثلاثة المذكورة أعلاه يختص كل لون منها بطائفة خاصة من أصحاب النّار مستقرة فى طبقة واحدة منها، وهذا الجواب هو الأنسب من بينها.

وفى الآية الخامسة تكرر الحديث عن الشراب الردىء لأصحاب النّار، فقالت الآية الشريفة فى وصف حالهم: «انَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَان يَستَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالمُهلِ يَشوِى الوُجُوهَ بِئسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً».

يُلاحظ أنّ هذه العقوبات القاسية قد أُعدّت للظالمين الذين كانوا يعيشون مُنعمين مُترفين فى هذه الدنيا خلف ستائر رقيقة ملوّنة يحتسون أنواع وألوان الشراب السائغ اللذيذ وتزهو حفلات شرابهم بسُقاة صبوحى الوجوه، أمّا فى جهنّم فهم يتعذبون خلف ستائر من نار وحينما يطلبون الماء يُسقون بماء كأنّه المعادن المذابة وحرارته دموع اليتامى وآهاتهم لأنّ ما يظهر هناك هو تجسيد لما كان هنا.

فهل يمكن شرب الماء الذى تشوى حرارته الوجوه؟ يدل هذا على أنّ بُنيةَ الإنسان تختلف هناك كثيراً عمّا هى عليه هنا، وأنّ بناءها

قـد وضع بالشـكل الـذى يحتمل كل هـذه الامور، فهو يـذوق الألم والعذاب من غير أن يموت، أو أنّ ذلك إشارة إلى أنّه حينما يرى مثل هذا الماء ينصرف عن تناوله ويبقى يتلوّى فى نار العطش.

وكلمـة «المُهل» على وزن (قُفْل) تعنى- كما قال جماعة من المفسّـرين وأصـحاب اللغة- ما يتبقى فى أسـفل آنية الزيت فيكون وسـخاً كريه الرائحة عادة.

وقال المرحوم الطبرسى رحمه الله فى مجمع البيان: «إنّه المعدن المذاب فى حين خصصه بعضهم بالنحاس المذاب» وقيل إنّه ماء أسود فجهنّم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود

وأهلها سود «۱». وقال آخرون: «إنّه ضرب من القَطِران، وقيل: هو السمّ» «۲».

إنّ هذه المعانى وإن كانت متفاوتة، إلّاأنَّ نتيجتها واحدة وهى الألم والعذاب الأليم لأصحاب النّار.

وفى القسم السادس من الآيات يلاحظ تعبيران آخران بخصوص أشـربة أصحاب النّار، وهما «الحميم» و «الغساق» وقد جاء أحدها إلى جانب الآخر، فتقول الآية: «لَّايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً* إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً». (النّبأ/ ۲۴- ۲۵)

وقـد فسّـر أكثر المفسـرين كلمـة «الحميم» بمعنى الماء الحار الحارق، والكلمة مشـتقّة من «حَمَّ» وتعنى الحرارة، و «الغساق» مأخوذ من المصـدر «غَسَق» وتأتى هـذه الكلمـة أحياناً بمعنى الظلام وأحياناً بمعنى الجريان والانسـياب، وهو هنا الصديـد الـذى تنضـح به أجسام أصحاب جهنّم.

وممّا لا يخفى أنّ الشـخص الـذى يكون إلى جانب النّار أو فى داخلها يصـيبه العطش الشديـد، وحتّى فى أجواء الصـيف الحارّة يغلب مثل هذا العطش ولا يروى إلّابتناول مقدار من الشراب البارد، أمّا أصحاب النّار فلا شراب بارد لديهم، بل إنّ شرابهم حار كحرارة النّار فيزيد من عطشهم.

ولكن هل يعنى هذا الكلام أنّهم عند مشاهدتهم لهذا الشـراب ينصـرفون عن تناوله ويبقون يتحرّقون فى نار العطش؟ أم أنّهم يشـربونه بالاجبار، فيتزايد عطشهم شيئاً فشيئاً؟

إنّ التعبير عن تلك الحالة بكلمة «الذوق» يجعل الموقف مناسب للتفسير الثانى.

رغم أنّ البعض يميل إلى تفسير كل هذه العبارات والتهديدات بخصوص أصحاب النّار

---

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۵، ص ۴۶۶؛ وتفسير القرطبى، ج ۶، ص ۴۰۱۱.

(۲). تفسير القرطبى، ج ۶، ص ۴۰۱۱.

تفسـيراً معنوياً وروحياً، كنتيجة للابتعاد عن اللّه والاقتراب من اُفق الشـياطين، ولكن كما قُلنا مراراً لا يحق لنا حمل الألفاظ على خلاف ظاهرها بلا قرينة واضحة.

وفى المجموعة السابعة والأخيرة من هذه الآيات ورد ذكر شـراب أصـحاب النّار بتعابير اخرى كما فى الآية الشـريفة: «وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ* مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ* يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيْغُهُ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ».

كلمـة «الصديـد» أصـلها (الصـد) وتعنى الاعراض والعدول والانحراف عن الشـىء، ثم اُطلقت على الخراج والصديد الذى يتجمع بين الجلد واللحم أثناء حصول أى جرح وربّما سبب ذلك هو انحراف المزاج وتغيّره من السلامة إلى المرض.

يقول الراغب فى المفردات: وضرب مثلًا لطعام أهل النّار (بأنّه طعام ردىء وكريه الرائحة والطعم).

والـدليل على كونه فاسـداً ورديئاً هو أنّهم لا يشـربونه عن رغبـة أبـداً بل كرهاً واجباراً ويتحملونه جرعـة فجرعـة، وهم فى موقف مرير ومؤلم وكأنّ الموت يتهددهم من كل صوب إلّا أنّهم خلقوا بالشكل الذى لا يموتون فيه حتى مع نيل جزائهم.

ومّما يسترعى النظر هنا هو أنّ هـذا العـذاب الأليم المـذكور فى هـذه الآيـة والآيات الاخرى يختص بالظالمين والجبابرة والطغاة (حيث وردت أحياناً كلمة «طاغين» وأحياناً كلمة «جبار» وكلمة «الظالمين» فى أحيان أُخرى وهذه هى عاقبة الظلم والجور وما هى إلّا تجسيداً لمـا صـدر عنهم من عـذاب بحق الأبرياء الـذين كانوا كثيراً ما يقضون السـنوات الطويلـة فى سـجونهم لا يـذوقون إلّاأردأ أنواع الطعام والشـراب، ويتعرّضون لأشـدّ العـذاب حتى أنّ مظـاهرهم تتغيّر ولاـ يعود أحـد يميزهم حتّى امّهـاتهم (كمـا هو الحال فى وقائع سـجناء الحجّاج الرهيبة. وفى عصرنا الحالى رأينا أو سمعنا بنماذج منها بحق المسجونين فى سجون الطغاة).

فهل أنّ أمثال هؤلاء لا يستحقّون مثل ذلك العذاب؟

يتّضح من مجموع ما ورد فى هذه الآيات أنّ إحدى أسوأ العقوبات التى يواجهها أهل النّار هى الطعام والشـراب أى الأشياء التى ينبغى أن يلتذ بها الإنسان فتصبح وبالًا عليه

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۵

وسـبباً للعذاب والألم. وقد وُصف طعامهم ب «الزقوم» حيناً وب «الضـريع» حيناً وب «الغسـلين» حيناً آخر، ووصف شرابهم بكلمات من قبيل: «المهل» و «الصديد» أحياناً أو «الغساق» أحياناً أُخرى وهى على العموم أوصاف للأطعمة والأشـربة الحارّة المحرقة الكريهة الطعم والرائحة، وكلّما تمعنّا فى أعمال هؤلاء المجرمين فى الدنيا وما ارتكبوه بحق المظلومين، فلن نعجب من شدّة تلك العقوبات.

ندعو اللَّه تعالى أن يجنّبنا بلطفه وكرمه كل ذنب تتبعه مثل هذه العقوبات.

۴- ثياب أهل النّار

تمهيد:

كل شـىء فى النّار عليه صـبغة العـذاب والعقاب، حتّى الثياب التى تلبس عادة للوقايـة من الحر والبرد ووسـيلة لمواجهة بعض الأضـرار التى قـد تصيب البـدن، وتُتّخـذ كـذلك كـأداة للزينـة والتجمّـل، نعم، حتّى هـذه الثيـاب تتحول هنـاك إلى واحـدة من أسـباب الألم والعذاب.

نعود إلى القرآن بعـد هـذا التمهيـد السـريع ونقرأ خاشـعين الآيات الآتية: ۱- «فَـالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَـتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَـوْقِ رُؤُسِـهِم الحَمِيمُ* يُصْـهَرُ بِهِ مَـا فِى بُطُونِهِم وَالجُلُودُ* وَلَهُم مَّقـامِعُ مِنْ حَدِيـدٍ* كُلَّمَـا ارَادُوا انيَخْرُجُوا مِنهَـا مِنْ غَمٍّ اعِيـدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ». (الحج/ ۱۹- ۲۲)

۲- «وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَومَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ* سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ وَتَغشَى وجُوهَهُمُ النَّارُ». (إبراهيم/ ۴۹- ۵۰)

جمع الآيات وتفسيرها

اشارة

أشارت الآيـة الاولى إلى طائفة من الكفّار الذين يجادلون باسـتمرار حول الخالق جلّ شأنه، فتقول: «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۶

فهل يُفهم من هذا الكلام أنّ النّار محيطة بهم من كل جانب وكأنّها غدت لباساً لهم؟

أوقطعاً حقيقية من النّار قد فُصّلت لهم وخيطت على هيئة الثياب؟ ظاهر الآية يشير إلى صحّة التفسير الثانى، والأكثر إيلاماً لهم من ذلك أنّهم: «يُصَبُّ من فَوقِ رؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ».

ثم تصف الآية فعل هذا الماء الحميم على بطونهم وجلودهم قائلة: «يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِم وَالجُلُودُ».

كلمة «يصهر»: مأخوذة من المصدر «صَهْر» على وزن (نَهْر) ويعنى إِذابة الشحم أو ما أشبهه، وتُطلق أيضاً على كل ما يحمى ويتغير بفعل حرارة الشمس.

ثم تتحدث الآية عن العقوبات الأُخرى قائلة: «وَلَهُم مَّقَامِعُ مِن حَدِيدٍ».

«المقامع»: جمع «مِقمع» على وزن «مِنْبَر» وفُسّرت أحياناً بمعنى السوط وأحياناً أُخرى بالعمود الذى يُضرب به على رأس الشخص.

ثم أخيراً تصوّر الآية وضعهم الأليم بالهيئة الآتية: «كُلَّمَا ارَادُوا ان يَخْرُجُوا مِنهَا مِنْ غَمٍّ اعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ».

لا شك أنّ هذه العقوبات المؤلمة حتى وإن حصل أقل منها فى الدنيا تؤدّى إلى موت الإنسان: لكن البناء الجسدى للمجرمين هُناك يكون بالشكل الذى لا يؤدّى إلى القضاء عليهم لتنفيذ هذه العقوبات، ليذوقوا جزاء أعمالهم. وهذا يدل على أنّ القوانين السائدة فى ذلك العالم تختلف عمّا هو موجود فى عالمنا هذا، (فتأمّل).

نُشاهد فى الآية الثانية تعبيراً جديداً عن ثياب أهل النّار، ورد فيها: «سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ وَتَغشَى وجُوهَهُمُ النَّارُ».

«سرابيل»: جمع (سربال). قال الراغب فى المفردات، هو القميص من أى مادة كان.

وورد نفس هذا المعنى أيضاً فى «لسان العرب» و «صحاح اللغة»، وفسّرها البعض الآخر بأى نوع من الثياب.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۷

وجاء فى كتاب «التحقيق» أنّ السربال يعنى الثوب الذى يغطّى القسم الأعلى من البدن، وكلمة «سروال» بمعنى الشىء الذى يغطّى الجزء الأسفل منه، وأُطلقت لفظة السربال أيضاً على القماش الذى لم يُخط ويُلقى على البدن وعلى الدرع التى تلبس فى الحرب.

أمّا «القطران» (ويُلفظ أحياناً قَطْران وأحياناً قِطران) فيعنى مادّة سوداء قابلة للاحتراق وتبعث عند احتراقها رائحة كريهة، وتستخرج هذه المادّة من شجرة تسمّى (أبْهَل) وتُغلى حتّى تصبح صلبة القوام وتطلى بها أبدان الجمال لعلاجها من الجرب فكانوا يعتقدون أنّ هذه المادة تزيل الجرب «۱».

وهناك نوع آخر من القطران أيضاً ويستخرج أثناء تقطير الفحم الحجرى لإعداد الغاز منه.

ويُفهم من بعض الكتابات أنّ القطران سائل دهنى لاصق يُستخرج من الأخشاب التى تفرز الصمغ ومن أشجار أُخرى ويُستفاد منها فى البيطرة لعلاج الالتهابات «۲».

وعلى أيّة حال يُستفاد من الآية المذكورة أنّ أبدان أهل النّار تُغَطّى بمادة سوداء قابلة للاحتراق بدل الثياب، وكل شىء فيها على العكس ممّا يتوقعه الإنسان من الثياب، فهو يتوقع أنّ الثياب زينة، وتقى الإنسان من مخاطر الحر والبرد، إلّاأنّ هذه الثياب المخصصة لأهل النّار قبيحة وكريهة المنظر، وكريهة الرائحة أيضاً. وتحترق فى نار جهنّم.

هذا جزاء من كان يتبختر أمام اليتامى والمستضعفين الحُفاة بأفخر أنواع الثياب الموشّاة بالذهب يتفاخرون عليهم فيحرقون قلوبهم، فهذا نصيب الظلمة والمجرمين من الثياب فى يوم القيامة.

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۱۹، ص ۱۴۸.

(۲) قاموس فرهنك معين، كلمة (قطران).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۸

سائر العذاب الجسدى لأهل النّار:

تمهيد

تمثّل جهنّم مبدئياً مركز الغضب الإلهى وكل شىء فيها مطبوع بطابع العذاب والعقاب بألوانه وأشكاله المختلفة التى يتصورها الذهن أو لا يتصورها ومُعَدٌّ للظالمين والمجرمين.

وقد أشار القرآن الكريم فى مواضع متفرقة إلى جوانب من ذلك العذاب (سوى ما تمّ ذكره)، نقرأ نماذج منها فى الآيات الآتية:

۱- «وَاصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ* فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِّن يَحمُومٍ* لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ». (الواقعة/ ۴۱- ۴۴) ۲- «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلنَاهُمْ جُلُوداً غَيرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً». (النساء/ ۵۶)

۳- «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ* يَومَ يُحمَى عَلَيهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهُم وَظُهُورُهُم هَذَا مَا كَنَزتُمْ لِأَنْفُسِكُم فَذُوقُوا مَاكُنْتُم تَكْنِزُونَ». (التوبة/ ۳۴- ۳۵) ۴- «وَاذَا أُلقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوا هُنَالِكَ ثُبُوراً* لَّاتَدْعُوا اليَومَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً». (الفرقان/ ۱۳- ۱۴) ۵- «تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ». (المؤمنون/ ۱۰۴) ۶- «اذ الْأَغْلَالُ فِى اعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ* فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فى النَّارِ يُسْجَرُونَ».

(غافر/ ۷۱- ۷۲) ۷- «وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ العَذابِ* قالُوا اوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَالٍ». (غافر/ ۴۹- ۵۰)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۲۹

جمع الآيات وتفسيرها

۵- سائر عذابهم الجسدى

رياح مهلكه، وظلال محرقة:

قَسَّمت الآيةُ الأولى الناس إلى ثلاث فئات وهى: فئة «المقربين» و «أصحاب اليمين» و «أصحاب الشمال». ثم قالت عن أصحاب الشمال (وهم الذين يتسلمون كتبهم بيد بشمائلهم دلالةً على سوء عملهم) إنّهم: «فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِّن يَحمُومٍ* لَّابارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ».

وفى الحقيقة أنّ النّار كالجنّة فيها ماء وهواء ونسيم وظل، ولكن ياله من نسيم، فقد سمّاه القرآن ب «السموم».

«السموم»: مأخوذة عن كلمة (السم) وتعنى الهواء اللافح من شدّة حرارته الذى يدخل المسام (الفتحات الدقيقة على جلد الإنسان) ويسبب هلاكه.

(وقد سمّيت كلمة «السَم» بهذا الاسم لأنّها تنفذ إلى جميع دقائق وثغرات الجسم، لأنّ السَمَّ على قول الراغب يعنى أى فتحة دقيقة كفتحة الأبرة وفتحة الأنف والأُذن) «۱».

ويوجد لديهم ماء أيضاً إلّاأنّه حار وقاتل، ولديهم ظل إلّاأنّه من دخان أسود كثيف وحار!

حين يتعرض الإنسان للحرارة الشديدة فى هذه الدنيا، فإمّا أن يجعل نفسه عرضة لمهب النسيم أو يدخل فى الماء أو يلتجىءُ إلى

الظل، وهـذه الثلاثـة كلها حارة وقاتلـة هناك على العكس من الجنّة التى تكون أماكنها الواحـدة أبرد من الأخرى وأكثر إثارة للبهجة والارتياح.

---

(۱) جـاء «قـاموس اللغـة» إنّ كلمـة «السـموم» تُطلق على الرياح الحارّة التى تهب فى النهار وهى فى مقابل «الحرور» وهى الرياح الليلية الحارّة.

جاء الفخر الرازى فى تفسيره: إنّ السـموم هى الرياح المتعفّنة التى عندما يستنشـقها الإنسان يتعفن قلبه فيهلك. (التفسير الكبير، ج ۲۹، ص ۱۹۸).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۰

وأشارت الآية الثانية إلى واحدة اُخرى من العقوبات الصارمة للكفرة، فقالت: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً» «۱».

ثم تضيف: «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلنَاهُمْ جُلُوداً غَيرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً».

والجملة الأخيرة هى فى الحقيقة إجابة عن هذا السؤال: هل أنّ عذاباً كهذا ممكن؟ وإن كان ممكناً فهل هو عادل؟! القرآن يقول: إنّ هذا على اللَّه يسير ولا يتعارض مع حكمته أيضاً.

وعُرِض بين المفسرين سؤال معروف وهو: إذا تبدّلت هذه الجلود بجلود اُخرى فما ذنب هذه الجلود الجديدة حتّى تتعذب؟

طرح المفسـرون الكبار اجابات متعـددة عن هـذا السؤال وأفضـلها هو جواب الإمام الصادق عليه السـلام حين أجابَ عن السؤال الـذى طرحه «ابن أبى العوجاء» بعد قراءة هذه الآية: «ماذنب الغير»؟

فأجاب الإمام عليه السلام جواباً غنيّاً ومقتضباً: «هى هى وهى غيرها».

قال: فمثل لى فى ذلك شيئاً من أمر الدنيا قال: «نعم أرأيت لو أنّ رجلًا أخذ لبنة فكسرها ثم ردّها فى ملبنها فهى هى وهى غيرها» «۲».

ووفقاً لهذه الرواية، فإنّ جلوداً جديدة ستنشأ من الجلود الاُولى فتتغيّر الصورة مع الحفاظ على وحدة المادّة.

وقال جماعـة أيضاً: إن كانت الصورة والمادة غير الصورة والمادّة للجلود السابقة عندئذٍ لا تحصل أيّة مشـكلة لأنّ عذاب القيامة تذوقه الروح لا الجلـد، ورأوا أنّ التعبير ب «ليذوقوا العذاب» دليل على صـحة هذا القول. ولهذا السـبب كثيراً ما يحصل ويرتكب الإنسان ذنباً بعضو فينزل العقـاب على عضو آخر، كـأن يشـرب الخمر مثلًا فيضـرب ثمـانين سوطـاً على ظهره، فيكون هـذا فى مقابل ذاك وايـذاء الجسم وسيلة لايذاء الروح.

---

(۱) يبدو أن تنكير النّار هنا لتبيان عظمتها.

(۲) تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۴۹۴، ح ۳۱۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۱

وفى الآيـة الثالثـة إشارة إلى جزاء طائفـة اُخرى من المسـيئين من الذين كانوا يكنزون الذهب والفضة والدراهم والدنانير ولا يؤدّون ما عليها من حقوق شرعية فتقول الآية الشريفة: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

ثم تشـير الآيـة إلى جانب من هـذا «العذاب الأليم» وتُضـيف: «يَومَ يُحمَى عَلَيهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهُم وَظُهُورُهُم»، ويقال لهم حينها: «هَذَا مَا كَنَزتُم لِأَنْفُسِكُم فَذُوقُوا مَاكُنْتُم تَكْنِزُونَ».

يُعطى هـذا التعبير إجابـة عن سؤال مهم بخصوص الآيات المتعلّقـة بالعـذاب الإلهى الشديـد يوم القيامة، وهو أنّ هذا الجزاء يُعتبر ثمرة لأعمال العباد ونتيجـة فعلهم تتجسد لهم يوم القيامة على هذه الشاكلة، فهم فى الحقيقة يذوقون أفعالهم تماماً كالشـخص الذى يسـرف عدّة أيّام فى تناول الخمر فيقع فريسة لأمراضٍ مؤلمة وشديدة ويبقى يعانى منها طوال حياته.

زنزانات جهنّم الانفرادية:

يواجهنا في الآية الرابعة نموذج آخر من العقاب المتنوع الذي يلقاه أهل النّار إذ تقول:
«وَاذَا أُلقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوا هُنَالِك ثُبُوراً».
فيقال لهم لا فائدة من صياحكم وصراخكم هذا فهو لا ينفع شيئاً، فمصائبكم جمّة تستحق الثبور والويل: «لَّاتَدعُوا اليَومَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً».
ويتضّح جيداً من هذا التعبير أنّهم ليسوا أحراراً حتّى في جهنّم فهم في ما يشبه الزنزانات مقيّدون بالاغلال والسلاسل حتّى تتعالى أصواتهم ولكنّها لا تحلّ لهم أيّة مشكلة.
كلمة «مقرنين» مأخوذة من المصدر «قرْن»، وتعني في الأصل- كما قال الراغب في- المفردات: اجتماع شيئين أو أكثر لسبب من الأسباب، ولهذا يطلق على الحبل الدى تُربط به الأشياء «قَرَن» على وزن كلمة (وَطَن) وُيقال «قَرْن» للقوم والجماعة الذين يعيشون في
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۲
زمان واحد، ويُطلق أحياناً على الزمن لوحده، وحينما تدخل هذه الكلمة في باب التفعيل فذلك دلالة على الكثرة والشدّة.
ولهذا فقد جاء أحياناً تفسير كلمة «مقرنين» في هذه الآية بمعنى شد وتوثيق أيدي وأرجل أهل النّار، وقال آخرون أيضاً: يربط أهل النّار في ذلك اليوم جماعات جماعات بسلسلة طويلة وهذا تجسيد للارتباط الفكري والعملي للمجرمين الذين كانوا يتعاونون في هذه الدنيا على الفساد والظلم والعدوان على حقوق المظلومين ويتآمرون عليهم.
ولكن لو التفتنا إلى عبارة «مكاناً ضّيقاً» لوجدنا التفسير الأول هو الأنسب، وهذا أيضاً تجسيد لأعمالهم في هذه الدنيا حين كانوا يزجّون بالأبرياء في الزنزانات ويقيّدونهم بالسلاسل، أو يفرضون عليهم مثل هذه القيود في الحياه الاجتماعية فيصبحون كالسجناء مسلوبي القدرة على أيّة حركة.
«الثبور»: في الأصل بمعنى الهلاك رغم أنّ صاحب «مقاييس اللغة» قد ذكر له ثلاثة معانٍ وهي: الهلاك، والمراقبة، واللين. ولذا يقال للأرض المتراكم ترابها فوق بعضه كالنورة «ثَبرة».
ولكن قد تكون كل تلك المعاني راجعة في الأصل إلى معنى الهلاك، لأنّ اجتياز مثل هذه الأراضي لايخلو من الخطورة،، ولما كان الإنسان يشدد في حماية نفسه وممتلكاته في المواقف الحرجة لذا فقد استخدمت هذه الكلمة بمعنى المراقبة أيضاً، وعلى أيّة حال فانَّ العربي عندما كان يواجه أمراً خطيراً كان ينادي «واثبوراه» ومعناه: واويلتاه لقد هلكت وهذا مايعكس شدّة الأذى والشعور بالألم.
ولعل التعبير: «لَّاتَدعُوا اليَومَ ثُبوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبوراً كَثِيراً»، فيه إشارة إلى العوامل المتعددة للهلاك أو شدّة أو طول مدّة هذه العوامل في جهنّم، وعلى أيّة حال فهذا أيضاً تجسيد لأعمالهم التي كانوا يمارسونها في هذا العالم وما كانوا يرتكبونه من ذنوب وما يسبّبونه لعباد اللَّه من المصائب والمآسي وما يفتحونه عليهم من أبواب الهلاك من كل صوب.
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۳
ونلاحظ في الآية الخامسة وجه آخر من وجوه هذا العذاب الأليم، فتقول: «تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ» ولهذا: «وَهُم فِيهَا كَالِحُونَ».
كلمة «تلفح»: مأخوذة من المصدر «لَفح» على وزن (فَتْح) وتعني على قول معظم أصحاب اللغة تأثير حرارة الشمس والنّار والرياح السموم على الوجه وتغييره، وتُطلق هذه الكلمة أيضاً على ضربة السيف لشباهتها بضربة حرارة الشمس ولهيب النّار ورياح السموم.
وتُستخدم أحياناً كلمة «نفح» بدلًا من كلمة «لفح» على المراحل الأخف.
و «كالحون»: مشتقة من «الكلوح» ومعناها- حسب ما يراه الكثير من أهل اللغة والمفسّرين هو التعبيس والتقطيب، بينما تبقى الشفاه

مفتوحة وهذه الحالة تحصل على وجوه أصحاب جهنّم بسبب شدّة لهيب النّار وهى تمثّل فى مجموعها وصفاً لتأثير ضربات لهيب النّار على وجوههم وهو أمر مؤلم جدّاً على تلك الوجوه التى كانت كثيراً ما تقطب بوجوه المستضعفين، والشفاه التى تبقى منفصلة عن بعضها للاستهزاء بهم والانتقاص منهم بضحكات السخرية.

إنّ هذه الأعمال القبيحة المؤلمة تتحول فى نهاية المطاف إلى عذاب أليم لهم.

وفى القسم السادس من هذه الآيات يطالعنا نمط جديد من الجزاء الذى يتعرض له هؤلاء، إذ تقول الآية إنّهم يطلعون سريعاً على نتائج أعمالهم وحينها: «اذِ الْاغْلَالُ فِى اعنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ»، ثم تضيف الآية: «يُسْحَبُونَ* فِى الحَمِيم ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ».

«الاغلال»: جمع «غل»، «والسلاسل» جمع «سلسلة» واختلافهما هو أنّ الغل حلقة توضع فى رقبة أو أيدى وأرجل السجناء والسلسلة هى ما يوثق أو يشد به السجناء أو توضع مباشرة على اليد والرجل والرقبة.

وكلمة «يُسحبون» مأخوذة من المصدر «سَحْب» على وزن (سَهْل) ولهذا السبب يُقال

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۴

للغيوم «سحاب» لأنّها تنسحب على صفحة السماء على نطاق واسع «۱».

ويرى بعضهم أنّ هذه الكلمة تعنى السحب على الأرض «۲» وهذا مالا- يتّسق والآية موضع بحثنا، ولا- مع بعض مشتقاتها ككلمة السحاب.

واشتقت كلمة «يُسجرون» من المصدر «سَجْر» وهو على وزن (زَجْر) وجاء لها ثلاثة معان فى كتاب مقاييس اللغة وهى: الملء، والمزاح، والاذكاء. لكن بعضهم يُرجع هذه الفروع الثلاثة إلى أصل واحد ويقول: المعنى الأصل لها هو الهيجان والتساقط من شدّة الامتلاء، ولهذا اطلقت كلمة «مسجور» و «سجير» على النّار المذكاة أو المتّقدة وعلى البحر الطافح الموّاج، وعلى الصديق الحميم الذى يفيض بالمحبّة والاثارة.

واستناداً إلى ما سبق ذكره، فهم يُغلّون ويُشدّون بالسلاسل أولًا ومن ثم يدخلون فى الماء الحار المحرق ثم فى النّار، ومن الواضح أنّ ادخالهم فى النّار بعد الماء الحار سيكون أشدّ ألماً.

وهذا تجسيد لأعمالهم التى كانوا يمارسونها بحق الأبرياء فى الدنيا إذ كانوا يذيقونهم أبشع صنوف العذاب، حيث يصادرون حرّياتهم ويسحبونهم بالسلاسل والأغلال.

نستخلص من مجموع هذه الآيات أنّ عقوبات أهل النّار هى ممّا لا يسع لها الوصف، ولا يتحملها أشدّ الناس قوّة وجلداً، إنّها عقوبات أشد ما تكون من القسوة والإيلام.

توضيح

لماذا يكون العذاب الإلهى شديداً إلى هذا الحد؟

إنّ شدّة وتنوّع وطول مدّة هذه العقوبات تثير هذا التساؤل لدى الكثير من الناس، وهو كيف ينسجم هذا العذاب الأليم مع اللطف الربّانى، هذا من جهة، ومن جهة اخرى كيف

---

(۱). مقاييس اللغة؛ ومصباح اللغة؛ ومفردات الراغب.

(۲). التحقيق فى كلمات القرآن الكريم؛ وتفسير الميزان فى ختام الآية موضع البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۵

تتناسب العقوبات المذكورة مع أعمال أصحاب الجحيم؟ ولعل عدم القدرة على تقديم إجابة شافية على هذا الاعتراض دفع جماعة إلى حملها على معانٍ مجازية أو القول إنّها عقوبات روحية.

لكن الالتفات إلى النقطة التى تُعتبر المفتاح لحلّ مثل هذه المشاكل، والتى لفتنا إليها الانظار مَرّات متعددة سيُساعد على فكّ هذا اللغز، وهى أنّ هذه العقوبات تمثل على الأغلب تجسيداً لأعمال الإنسان وهى حصيلة لها.

وهو مانشاهد نماذج مختلفة منه فى عالمنا هذا.

فهناك مثلًا أشخاص يقعون ضحية لبعض أنواع الإدمان الخطيرة لمجرّد تحقيق لذّة وهمية عابرة، وهذا الإدمان يؤدّى عادة إلى استهلاك كل طاقاتهم وسريعاً ما يتحوّلون إلى كائنات منهكة مُصابة بأنواع الأمراض القاتلة التى يظلّون يعانون منها ومن آلامها بقيّة أعمارهم أو أنّهم يتعرضون للاصابة ببعض الأمراض المستعصية على العلاج- نتيجة للانحرافات الجنسية- أمثال مرض الايدز،

إنّ الإنسان عندما يرى الأشخاص المصابين بهذا المرض يتأسى ويحزن على حالهم ويتأسف على ماهم فيه من العناء.

فهل يمكن القول: لماذا تصبح حصيلة هذا الادمان أو هذا الانحراف على هذه الدرجة من الشدّة وطول المدّة؟ إذ لايوجد بينهما أى تناسب منطقى.

ولو تفوّه أحد بمثل هذا الكلام، لقيل له على الفور: هذه هى نتيجة عملهم وقداخطروا وانذورا بها من قبل. ويصدق نفس هذا المعنى على العذاب الذى يلقاه أصحاب جهنّم أيضاً فقد حذّرهم تعالى وأنذرهم مِراراً فى القرآن الكريم ولكنّهم كانوا معاندين.

وقد لوحظ فى كثير من الأحيان أنّ بعض الأشخاص قد تعرّضوا إلى حوادث السيارات- لعدم اهتمامهم بمراعاة اصول السوق- فاصيبت منهم الأيدى والأرجل أو العمود الفقرى وظلوا يعانون الألم طوال حياتهم، فى حين كان باستطاعتهم تجنّب كل ذلك من خلال الالتزام الصحيح بتعليمات المهنة، فحينما يدور الحديث عن نتائج العمل وآثاره الطبيعية،

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۶

لا يبقى هناك أى مجال لطرح التساؤلات الواردة أنفاً. إضافة إلى ذلك يوجد بين أصحاب النّار أشخاصٌ جلبوا للآخرين مثل هذا العناء وهذا العذاب، ولو تمعّن الإنسان فى أنواع التعذيب التى تُمارس فى عالم اليوم- ناهيك عمّا جرى منه فى العصور الغابرة- لأيقن أنّ مرتكبيها يستحقون بالتأكيد هذه العقوبات الشديدة، بل إنّ ظلم الظالمين يصل أحياناً إلى حد يبلغ مرحلة من التفنن والتمادى بحيث يحسب الإنسان عدم وجود أيّة عقوبة تناسب ما اقترفه من جرائم.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۷

۵- العذاب الروحى

تمهيد:

كما توجد فى الجنّة نعم وفيرة ولذيذة للجسم والروح، إذ يكمل أحدهما الآخر ولا يمكنهما الانفصال عن بعضهما بسبب اقتران المعاد الجسمى بالمعاد الروحى، فكذلك توجد فى جهنّم عقوبات لكلا النوعين، والآيات الشريفة الواردة فى هذا الحقل تثبت صحّة هذا القول: فلنقرأ خاشعين هذه الآيات:

۱- «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ». (الحج/ ۵۷)

۲- «رَبَّنَا انَّكَ مَنْ تُدخِلِ النَّارَ فَقَدْ اخْزَيتَهُ وَمَا لِظَّالِمِينَ مِنْ انصَارٍ». (آل‌عمران/ ۱۹۲)

۳- «كُلَّمَا ارادُوا انْ يَخْرُجُوا مِنهَا مِن غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ‌الحَرِيقِ».

(الحج/ ۲۲)

۴- «رَبَّنَا اخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَانَّا ظَالِمُونَ* قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَاتُكَلِّمُونَ».

(المؤمنون/ ۱۰۷- ۱۰۸)

۵- «وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ عَنَّا يوماً مِّنَ العَذَابِ* قَالُوا اوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ الَّا فِى ضَلَالٍ». (المؤمن/ ۴۹- ۵۰)

۶- «اذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً». (الفرقان/ ۱۲)

۷- «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا انْفُسَكُمْ وَاهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّايَعْصُونَ اللَّهَ مَاأَمَرَهُمْ وَيفعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ» «۱». (التحريم/ ۶)

---

(۱). هناك أيضاً آيات اخرى تحتوى على نفس هذه المضامين وردت فى سور: المجادلة، ۵؛ السجدة، ۲۰؛ الأعراف، ۵۰؛ الحاقة، ۳۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۸

۸- «وَنَادَى اصْحَابُ الجَنَّةِ اصْحَابَ النَّارِ أن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُّم مَّاوَعَدَ رَبُّكُم حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ان لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». (الأعراف/ ۴۴)

جمع الآيات وتفسيرها

الحزن والهم القاتل والحسرة اللامتناهية:

المقصود من العقوبات والآلام الروحية مجموعة من الممارسات التى تضغط على روح الإنسان ونفسه وإن كانت لاتؤثر على جسمه فى الظاهر أو أنّ لها تأثيراً ثانياً إذ تؤذى الجسم مباشرة وتؤلم الروح أيضاً.

فنرى فى الآية الاولى نموذجاً للقسم الثانى إذ تقول: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ».

لم يتسع حديث القرآن هنا لاعطاء مزيد من الايضاحات حول كيفية هذا العذاب، والاسلوب الذى يؤدّى لِاهانة وإذلال أصحاب النّار، بل أشار إلى الموضوع إشارة عامّة تشمل- بلا شك- جميع الجوانب المهينة فى عذاب جهنّم التى تؤدّى إلى إذلال المستكبرين الطغاة ودفعهم إلى أدنى درجات الذلّة.

وقد احتمل بعض المفسّرين «كالقرطبى» أنّ العذاب المهين إشارة إلى المصير الذى آل إليه المشركون فى معركة بدر، ولكن لو التفتنا إلى الآية السابقة التى تحدثت عن «جنات النعيم» للمؤمنين لرأينا أنّ الآية دالّة على العذاب المهين الموجود فى النّار.

وعلى كل حال يدل هذا التعبير الذى ورد عدّة مرّات فى القرآن الكريم على أنّ عذاب الجحيم مقرون بأنواع الاهانات التى تؤلم كلّا من الروح والجسد، وهذا تجسيد للتحقير والاستهانة التى كانوا يبدونها للأنبياء والمؤمنين والمستضعفين من أهل الإيمان، وهذا مايستلزم أن يتلقّوا فى ذلك اليوم نتيجة عملهم بهذه الصورة.

وفى الآية الثانية كان الحديث عن فضيحة أهل النّار وهذا هو عذاب معنوى مؤلم، فقد نقلت لنا الآية ذلك على ألسنة العلماء من أهل الإيمان الذين اطلقت عليهم «أولو الألباب»

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۳۹

فقالت: «رَبَّنَا انَّكَ مَنْ تُدخِلِ النَّارَ فَقَد اخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ انصَارٍ».

«أخزيته»: مأخوذة من (الخزى) ولها معانٍ عديدة فى كتب اللغة مثل: سوء الحال، والابتعاد، والذلّة، والافتضاح، والاستهانة، ونفس هذه المعانى وردت فى كلام المفسّرين أيضاً «۱».

ويتضّح من سياق الآية أنّ العقوبات النفسية يوم القيامة أكثر إيلاماً، لأنّ اولى الألباب يطلبون من اللَّه عزّ وجلّ أن لا يدخلهم النّار ويقولون: إنّك من أدخلته النّار فقد أخزيته إشارة إلى أنّ الشيء الأسوء من النّار هو ذلك الخزى، تماماً مثل بعض الأشخاص الذين لا يأبهون كثيراً لدخولهم السجن ولكنهم يحرصون كثيراً على عدم انتشار هذا الخبر، لأنّ انتشاره يؤدّى إلى فضيحتهم فى المجتمع وهو ما يعتبرونه أشدَّ إيذاءً وإيلاماً من السجن ذاته.

أمّا جملة: «وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ انصَارٍ»، فهى إشارة إلى هذه الحقيقة وهى أنَّ كل مايجرى عليهم اليوم إنّما جاء نتيجة لظلمهم، فمن الطبيعى أن يفتضحوا هناك ويُذلّوا ولا يجدون ناصراً ولا معيناً، (هذا التعبير لا يتنافى طبعاً مع قضّية الشفاعة لمن يستحقّها، لأنّ المقصود هنا نفى الناصر الذى يعين الظالمين بقدرته ونفوذه، لا عن طريق الاستعانة بالقدرة الرّبانية).

وتطرّقت الآية الثالثة إلى موضوع الغم والحزن الذى يعانى منه أصحاب جهنّم وهو ما يعكس آلامهم النفسية، وقالت: «كُلَّمَا ارَادُوا انْ يَخْرُجُوا مِنهَا مِن غَمٍّ اعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ».

قال الكثير من المفسّرين إنّهم كلما أرادوا الخروج من هذا الغم والتحرر منه واللجوء إلى أطراف جهنّم، يقوم خزنتها بإرجاعهم بالهراوات أو المقامع النّاريّة، لأنّ الآية السابقة قد

---

(۱). مقاييس اللغة؛ مصباح اللغة؛ صحاح اللغة؛ لسان العرب؛ والتحقيق فى كلمات القرآن الحكيم؛ وجاء فى تفسير مجمع البيان معنيان آخران لكلمة الخزى وهما: الهلاك، والوقوف فى موقف الفضيحة والذل.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۰

أشارت إلى هذا المعنى وخاصّة الجملة التى تنص على «وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ».

(الحجّ/ ۲۱)

وجملة: «وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ» التى تُقال لهم من باب التقريع والاستهانة تُعتبر هى الاخرى نموذجاً لهذا العذاب النفسى «۱».

كثرة اللوم والتقريع:

نواجه فى الآية الرابعة صورة جديدة للإهانة والاحتقار التى يلقاها أصحاب النّار وهذا- كما قلنا- نوع من العذاب النفسى الأليم، وتقول الآية المباركة: «رَبَّنَا اخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَانَّا ظَالِمُونَ»، فيقال لهم من قبل اللَّه تعالى «قَالَ اخسَئُوا فِيهَا وَلَاتُكَلِّمُونَ».

وقد صَرّح جميع أصحاب اللغة والمفسرون بأنّ كلمة «اخسأ» تعبير يُستخدم لطرد الكلب وإن استخدامه هنا فيه دلالة على احتقار هؤلاء الظلمة والمستكبرين.

ولعل كلمة «لاتكلّمون» أكثر منها مرارة واستهانة، فالمولى الكريم الرحيم يطرد عبده ويقول له لا تكلّمنى أبداً، وهذا هو نفس المعنى الذى أشارت إليه العبارة الواردة فى دعاء كميل: «فهبنى ياإلهى وسيّدى ومولاى صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك».

ولكن لماذا يواجه هؤلاء مثل هذا العذاب النفسى القاتل؟ تزيح الآيات التالية الستار عن هذه القضّية فتقول: «انَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّن عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارحَمْنَا وَانتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ* فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى انْسَوْكُمْ ذِكرِى وَكُنْتُمْ مِّنهُمْ تَضْحَكُونَ».

(المؤمنون/ ۱۰۹- ۱۱۰)

فكانت نتيجة ذلك الاستهزاء والضحك على المؤمنين أن أصبحتم اليوم عرضة للاستهزاء والاحتقار، وهذا فى الحقيقة تجسيد لأعمالكم!

---

(۱). كلمة «الحريق» وإن كانت هنا اسم مصدر إلّاأنّ لها معنى الفاعل، أمّا على قول البعض الآخر فهى صيغة مبالغة (أو صفة مشبّهة)،

وعلى قول الراغب ف «الحريق» هنا بمعنى النّار وهذا التفسير يبدو أكثر ملائمة لأنّه أضاف العذاب إلى الحريق.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۱

ونرى في الآيـة الخامسـة مشـهداً آخر يصور اللوم والتعنيف والاحتقـار لأصـحاب النّار من قبل خزنتها وملائكـة العـذاب، فتقول: «وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوماً مِّنَ العَذَابِ* قَالُوا اوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ الَّا فِي ضَلالٍ».

فهـذه التعابير تبـدو وكأنّها سـياط تلهب أرواحهم وتعـذّبهم، فطلبوا يوماً واحـداً للراحة من ذلك العذاب إلّاأنّ طلبهم رُفض، فطلبوا من خزنة النّار أن يدعوا لهم، لكن هؤلاء قالوا لهم:

أنتم ادعوا بأنفسـكم، إلّاأنّ هذا الكلامُ يعتبر إهانة لهم بسبب عدم أهليّتهم للدعاء أو أنّ دعاءهم يجب أن يكون مسبوقاً بإذن من اللَّه- وهو جلّت قدرته- لا يسـمح لهم ولا يأذن بمثل هذا الدعاء، أو أنّه دعاء غيرُ مسـتجاب فهو إذن عبث لا أكثر، ولذا فهم ينزعجون حتّى من الدعاء لهم ويقولون أنتم ادعوا ربّكم (واعلموا أنّه غير مستجاب لكم) وهذا أيضاً تعبير مؤلم آخر.

وتعكس الآية السادسة جانباً آخر من العذاب الروحي لأصحاب النّار فتقول: «اذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً».

تُصـور هـذه الآيـة هنـا جهنّم وكأنّهـا تمتلـك جميع صـفات الحيوان المفـترس فحين رؤيته لفريسـته تنطلق منه أصوات مرعبـة تنمُ عن الغضب مصحوبة بالتنفّس الشديد، وهذا العمل كفيل بإدخال الرعب في قلبه ومن ثم القضاء عليه.

و «التغيظ»: مأخوذ من المصدر (غيظ)، وهو كما قال الراغب: يعني شدّة الغضب، والتغيّظ بمعنى اظهاره، ومع أنّ حالة الغضب لا تسمع ولكن ترافقها أصوات دالة عليها قابلة للاستماع كالأصوات المرعبة.

وتعني كلمة «الزفير» صعود ونزول النفس في الرئة بحيث يرتفع الصدر إلى الأعلى وغالباً ما يصحبه صوت رهيب يمكن سماعه.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۲

أمّا المفسـرون الـذين لا يمكنهم التصـديق بأنّ جهنّم موجود حي يرى ويدرك ويعرف المجرمين، فقد اضـطروا إلى القول: إنّ هناك شيئـاً مقـدراً، فقالوا: المقصود هو رؤيـة خزنـة النّار بينما نعلم أنّ التقـدير خلاف القاعـدة ولا حاجـة له هنا، فما المانع أن يكون لجهنّم والجنّة روح وأنّهمـا تـدركان الحوادث التي تقع فيهمـا؟ حتّى أنّ بعض الروايات ذكرت «يخرج عنق من النّار له عينان تبصـران ولسان ينطق فيقول وكّلت بكل من جعل مع اللَّه إلها آخر فهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه» «۱».

ونحن نرى أمثلـة مصـغرة لهـذه المسألـة في الـدنيا منها مايتمثّل في وضع العيون والآذان الالكترونيـة المرتبطـة بأجهزة (الكامبيوتر) في البنايات المختلفة، فتقوم تلك الأجهزة بمشاهدة وسـماع الكثير من الأشـياء والحوادث وتبدي ازاءها رد الفعل المناسب رغم أنّ البناية لا تدرك شيئاً، ولعل رد فعل جهنّم ازاء المجرمين هو من هذا الطراز أو من طراز أرفع، أي يكون مصحوباً بالإدراك.

ونرى في الآيـة السابعـة صورة اخرى من الآلام النفسيـة لأصـحاب جهنّم فهي تخاطب المؤمنين بقولها: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا انفُسَكُم وَاهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ».

يتبيّن من هذا التعبير أنّ نار الآخرة تختلف كثيراً عن نار الدينا، سواء كان المقصود من «الحجارة» الأصـنام الحجرية أو ماهو أشـمل من ذلـك، وسواءً كـان المقصود هو النّار التي تخرج من داخـل ذرّات تلـك الأحجار أم كان المقصود شـيئاً آخر، فكل ماهو موجود نار ينبثق بعضها من داخل ذات الإنسان؛ من معتقداته ونواياه الباطنية القبيحة وجوارحه الملوّثة بالذنوب، أو الأحجار التي كانت آلهة له أو من وسائل المفاخرة والتباهي كالقصور وما شابه ذلك.

---

(۱). تفسير القرطبي؛ و تفسير روح المعاني، في ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۳

ثم تضيف الآية الشريفة: «عَلَيهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّايَعْصُونَ اللَّهَ مَاأَمَرَهُمْ وَيَفعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ».

فوجود مثل هؤلاء الملائكة القساة الأشداء يضاعف الآلام النفسية لأصحاب جهنّم، ويسدّ عليهم كل منافذ الحياة.

فقد كان هؤلاء فى حياتهم الدنيا يعاملون من هم تحت سلطانهم بكل قسوة، وكان عمّالهم الجناة يعاملون الناس بغلظة وشدّة وبلا أيّة رحمة أو شفقة، فوقعوا اليوم ضحية لمثل ذلك السلوك.

وممّا يلفت الانتباه هو أنّ الآية التالية لها تخاطب الكفّار قائلة: «لَاتَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ انَّمَا تُجْزَونَ مَا كُنتُمْ تَعمَلُون». (التحريم/ ۷)

قال بعض المفسرين الذين لا يسعهم تصّور اندلاع النّار من داخل الأحجار: إنّ المقصود من الأحجار تلك الأحجار الكبريتية التى ينبعث منها الشرر أثناء ارتطامها بالحديد، بينما نعلم اليوم بأنّ الطاقة الذريّة الكامنة فى كل كائن مادّى بإمكانها بعث مقادير عظيمة من النّار.

«الغلاظ»: جمع (غليظ)، و (الشداد) جمع (شديد) وكلاهما لمعنى واحد، وقد يكون ذكرهما سوية من باب التأكيد، لكن البعض يقول إنّ «الغلاظ» تعنى الخشونة فى القول و «الشداد» تعنىالخشونة فى الفعل، أو تعنى الأولى الخشونة الخُلُقية والثانية الخشونة الخَلقية، وعلى كل حال فهولاء الملائكة ملزمون بحكم اللّه لا يعصون له أمراً.

وقالوا أحياناً: إن وضع الإنسان بمنزلة الحطب إلى جانب الأحجار يُعتبر بحد ذاته استهانة بهم وعقوبة روحية ومعنوية «۱».

وتمر علينا فى الآية الثامنة والأخيرة محاورة مذهلة بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار

---

(۱). تفسير فى ظلال القرآن، ج ۸، ص ۱۶۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۴

تكون سبباً لإيذاء أصحاب النّار: «وَنَادَى اصْحَابُ الجَنَّةِ اصْحَابَ النَّارِ أنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً».

فأجابوا وقد استحوذ عليهم الحياء والانكسار: «قَالُوا نَعَم» وفى هذه الأثناء: «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُمْ أن لَّعنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

فيغدو هذا الحديث كالملح على جراحات أصحاب النّار فيلهب نفوسهم بمشاعل من النّار.

نعم إنّهم كانوا قوماً يصدّون الناس عن سبيل اللّه (كما تصرح بذلك الآية اللاحقة) ولهذا فهم اليوم يُبعدون عن رحمة اللّه (لأنّ اللعنة تعنى الطرد من الرحمة الإلهيّة).

ولكن من هو هذا المؤذّن الذى يمتلك هذه السيطرة على الجنّة والنّار فيسمع الكل نداءه ويتحدث عن اللّه؟ ورد فى الكثير من الروايات المنقولة عن الشيعة والسُنّة أنّه أميرالمؤمنين عليه السلام الذى كان يجاهد الظلمة طوال حياته.

والعجب أنّ بعض المتعصّبين حاول التقليل من أهمّية هذه الفضيلة، فقال: «ولا يفهم من هذا العمل أنّه فضيلة لعلى عليه السلام».

بينما تقضى البداهة بأنّ هذا المؤذّن المهيمن على الجنّة والنّار المبلغ نداء اللّه فى ذلك اليوم، ينبغى أن يكون له مقام سامٍ ورفيع.

والخلاصة هى أنّ الإنسان يتكون من جسم وروح، والمعاد أيضاً يتحقق بهذين البُعدين وهذا مايستلزم الثنائية أيضاً فى‌العقاب والثواب، وبناءً على ماذكرنا فأهل النّار لا يتألّمون من العذاب الجسمانى فقط، بل يعانون كذلك من العذاب النفسى والروحى وهو أشد وطأة عليهم، فهم يعيشون فى ألم وهمّ وحزن غير متناهٍ، وتلازمهم الفضيحة والندامة على ما مضى ولو قارنوا أنفسهم بأهل الجنّة لكانت المعاناة أشدّ، لاسيّما بوجود الملائكة الغلاظ وما يواجهونه من أنواع الاستهانة والتوبيخ والاحتقار، وهذه كلها من العوامل التى تؤذيهم نفسياً وتجعلهم يعيشون فى عذاب مرير.

ومن المؤكد أنّ هذه العقوبات تنسجم مع عملهم فى هذه الدنيا حين كانوا يعاملون

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۵

المظلومين بأنواع العذاب والعقاب وكانوا كثيراً ما يستهزئون بآيات اللّه ويسخرون من عباده ويستخفّون بالمؤمنين ويتفاخرون على

الآخرين.

فهل هنالك عجب لو تمثلت لهم أعمالهم أمام أعينهم ووقعوا فى مغبّة نتائجها، ليحصدوا فى الآخرة كل ما زرعوه فى مزرعة الدنيا؟

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۷

۶- خلود العقاب

تمهيد:

هنالك تناسب بين «الجريمة» و «العقاب» دائماً فكلما كانت الجريمة أعظم كانت العقوبة أشدّ، هذا فى مجال العقوبات الجزائية.

أمّا بالنسبة للآثار الوضعية والطبيعية لأعمال الإنسان فالقضية تأخذ منحىً آخر فقد يتعرض الإنسان- نتيجة لتساهله وتجاهله ولو لحظة واحدة- لحادثة لا يتيسّر له جبرانها أو علاجها، وربّما تكون حصيلة الجهل والتساهل فادحة جدّاً كأن تؤدّى مثلًا إلى اصابة عضو من أعضاء الجسم بالنقص أو الشلل إلى الأبد وهذا ما يحتم دفع كفّارة ذلك وتحمل تبعاته إلى نهاية العمر، مع أنّ الخطأ ارتكب لحظة واحدة.

يُفهم من آيات القرآن الكريم وبكل وضوح أنّ فريقاً من الناس يبقى فى العذاب الأبدى أو بتعبير آخر يخلد فى جهنّم، وقد اثارت مسألة «الخلود» هذه تساؤلات شَتّى وطرحت فى تفسيرها آراء مختلفة، سنأتى عليها لاحقاً بإذن اللّه.

نقرأ أولًا الآيات الشريفة التالية التى تتضمن كل واحدة منها تعبيراً جديداً عن خلود العذاب:

۱- «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اولَئِكَ اصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ».

(البقرة/ ۳۹)

۲- «يُرِيدُونَ ان يَخرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَاهُمْ بِخَارِجِينَ مِنهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ».

(المائدة/ ۳۷)

۳- «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ* خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۸

السَّموَاتُ وَالأَرضُ الَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ». (هود/ ۱۰۶- ۱۰۷)

۴- «وَنَادَوا يَا مَالِكُ لِيَقضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ انَّكُمْ مَّاكِثُونَ». (الزخرف/ ۷۷)

۵- «وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ انَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُم كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ اعمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِم وَمَاهُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ».

(البقرة/ ۱۶۷)

جمع الآيات وتفسيرها

عذاب الخلد:

تطالعنا الآية الأولى بكلمة «الخلود» المعروفة، فتقول: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اولَئِكَ اصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ».

هذا فى وقت صَرّحت فيه بعض الآيات القرآنية الاخرى بكلمة «الأبدية» بعد كلمة الخلود وهو مايُعَدُّ تأكيداً لها، ومن جملة ذلك قوله تعالى «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَانَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ابَداً». (الجن/ ۲۳)

وجاء نفس هذا المعنى أيضاً فى الآية (۴۵) من سورة الأحزاب، حيث اقترنت كلمة الأبدية بكلمة الخلود.

وقد وردت كلمة الخلود فى نار جهنّم فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، فمنها ماورد وصفاً مثل «خالدون» و «خالدين»، ومنها ماورد

على صيغة الفعل كما فى سورة الفرقان التى أشارت إلى مضاعفة العذاب على المشركين والقتلة والزُناة وقالت: «وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً». (الفرقان/ ۶۹)

وورد هذا العنوان أحياناً كقيد للعذاب، كما جاء فى قوله تعالى «ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ». (يونس/ ۵۲)

وجاءت كلمة «الخلود» بصيَغها المختلفة (فعلًا، ووصفاً، ومصدراً) بخصوص عذاب النّار أكثر من ثلاثين مَرّة فى القرآن الكريم، وتأكيده على هذه الكلمة له مفهوم خاص سيتّضح سببه فى البحوث القادمة بمشيئة البارى عزّ وجلّ.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۴۹

وقد وردت هذه الكلمة أيضاً بخصوص نعم الجنّة فى آيات كثيرة من القرآن الكريم والتى سبقت الإشارة إليها فى بحث نِعَم الجنّة.

لنرى الآن ما معنى «الخلود» فى اللغة، وما معناه عند المفسّرين:

فسَّر لسان العرب كلمة الخلود بمعنى دوام البقاء فى دار لا يخرج منها واطلق للآخرة (دار الخلد) لبقاء أهلها فيها.

وفى مقاييس اللغة ذكر معنىً واحداً لأصل الكلمة وهو الثبات والبقاء والتلازم.

وورد نفس هذا المعنى أيضاً فى «صحاح اللغة» وكتب اخرى

لكن الراغب قال فى «المفردات»: إنّ معناها الأصلى هو تبرّى الشىء من عروض الفساد وبقاؤه على الحالة التى هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، ويقال للذى يبقى مدة طويلة، وفيه قيل: رجل مخلّد لمن أبطأ عنه الشيب.

وعلى كل الأحوال نستخلص من مجموع كلمات أصحاب اللغة رأيين مختلفين.

الأول: هو المعنى الدال على الدوام والبقاء والأبدية، وإن اطلق على طول العمر فهو من باب التشبيه ليس إلّا.

والثانى: طول العمر، وإذا اطلق على الدوام والأبدّية فهو من باب البيان المطلق.

وللمفسرين أيضاً آراء مختلفة فى هذا الصدد.

فقد صَرّح بعضهم: إنّ «الخلود» هنا يعنى الاستمرار والدوام الذى لا انتهاء له مطلقاً «۱».

وقال آخرون إنّ معناه الحقيقى هو الاستمرار والتواصل والدوام ومعناه المجازى المدّة الطويلة، أمّا الاستخدام القرآنى للكلمة فهو بالمعنى الأول «۲».

وذكر بعضهم نفس هذا المعنى بتعبير آخر وهو أنّ الخلود فى اللغة يعنى المكث الطويل كما هو الحال فى قولنا للسجن المؤبد والفترات الطويلة الأمد، فنقول مثلًا خُلِّد فلان فى السجن، أمّا فى لسان الشرع فيعنى الأبدية «۳».

---

(۱). الطبرسى فى مجمع البيان.

(۲). تفسير القرطبى، ج ۱، ص ۲۰۷.

(۳). تفسير المراغى، ج ۱، ص ۶۹.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۰

نفحات القرآن ج۶ ۳۹۹

وجاء فى تفسير المنار أنّ فتح باب تأويل الخلود أدى إلى جرئة أصحاب استقلال الفكر فى هذا الزمان على الدخول فيه والقول إنّ معنى خلود الكافرين فى العذاب طول مكثهم فيه، لأنّ اللّه الرحمن الرحيم، الذى سبقت رحمته غضبه ما كان ليعذب بعض خلقه عذاباً باق لا نهاية له «۱».

ويقول البعض أيضاً: رغم أنّ الكفرة والمعاندين الطغاة المتمّردين الذين استشرت الذنوب فى صميم كيانهم يبقون فى النّار، إلّاأنّ جهنّم لا تبقى دوماً على حال واحدة فلابدّ أن تبلغ اليوم الذى تخمد نارها ويرتاح أهلها.

وقد احتمل أيضاً أنّ أهل النّار سيعتادون بمرور الزمن على شدّة حرارة النّار وكثرة العذاب ويتلاءمون بالتدريج مع وضع جهنّم فلا يبقى لديهم أى شعور بالألم!

إلّا أنّ أمثال هذه الاحتمالات مرفوضة من قبل علماء الإسلام ومفسرى القرآن لأنّها تتعارض وصريح الآيات القرآنية، إضافة إلى أنّ الآيات التى قرأناها لم تقتصر عباراتها على ذكر كلمة الخلود فحسب حتّى تتحمل مثل هذه التأويلات بل توجد إضافة إليها تعابير اخرى وردت وهى لا تحتمل مثل هذه التأويلات، (فتأمل).

وخلاصة القول هى أنّ العجز عن حل مشكلة الخلود فى العذاب، قد دفع البعض فيما يبدو إلى الميل لمثل هذه التأويلات غير الصائبة، وإلّا فدلالة الآيات القرآنية والروايات الإسلامية بالنسبة لخلود العذاب لمجموعة من المجرمين مسألة لا تقبل النقاش.

وفى العبارة الثانية نلاحظ وجود كلمة «الإقامة» حيث تقول الآية الشريفة: «يُرِيدُونَ ان يَخرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَاهُم بِخَارِجِينَ مِنهَا وَلَهُم عَذابٌ مُّقِيمٌ».

إنّ وصف كلمة العذاب ب «المقيم» يدل بوضوح على أنّ هذه العقوبة بالنسبة لهم ثابته ومستمرة.

---

(۱) تفسير المنار، ج ۱، ص ۳۶۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۱

أبدية العذاب:

طرحت الآية الثالثة مسألة أبدية العذاب فى جهنّم لفئة من أصحاب الجحيم، ولكن بتعبير آخر يمتاز بصراحة أكثر، فتقول: «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُم فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ* خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّموَاتُ وَالأَرضُ»، وفى الختام تستثنى فتقول: «الَّا مَا شَاءَ رَبُّکَ انَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ».

(من البديهى أنّ السماء والأرض لن يكون لهما وجود آنذاک، وأنّ السموات والأرض اللتين تتحدث عنهما الآيات القرآنية، تقومان بعد زوال الأرض والسماء الحاليتين، وهما خالدتان إلى الأبد).

قال البعض: إنّ هذا التعبير فى اللغة العربية كناية عن الأبدية، إذ يوجد فى اللغة العربية الكثير من التعابير المستخدمة بمعنى الأبدية. مثل «مالاح كوكب» أو مثل ماورد فى كلامه عليه السلام حين اعترض عليه الجهلة بسبب تقسيمه بيت المال بالتساوى وكانوا يطمعون فى أن يميز بين الناس فى العطاء كما كان يفعل الخليفة الثالث ظناً منهم أنّ هذا الاسلوب سيُسهم فى تثبيت ركائز حكمه، فقال لهم الإمام عليه السلام: «أتأمُرُنىّ أن اطلب النصر بالجور فيمن وليّت عليه، واللّه لا أطور به ما سَمَر سمير وما أمَّ نجم فى السماء» (۱).

و يلاحظ فى شتّى اللغات تعابير من أمثال هذه ففيها دلالة على الاستمرارية والدوام والأبدية.

ويبقى هنا سؤال واحد وهو: إن كانت الآية أعلاه تعنى أبدية العقوبة فما مفهوم الاستثناء الوارد فى نهايتها وهو «إلّا ماشاء ربّک»؟ فالذى يبدو من ظاهر هذا الاستثناء على أقل تقدير هو عدم أبدية العذاب لفئة معينة منهم، بل ويحتمل أيضاً شموله لهم جميعاً، وستكون النتيجة معكوسة فى مثل هذه الحالة.

وقد نقل بعض المفسّرين من أمثال المفسِّر الكبير المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان عشرة أوجه لهذا الاستثناء عن علماء التفسير، إلّاأننا تجنّبنا نقلها هنا لضعفها وعدم أهمّيتها

---

(۱). نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۲

(والظاهر أنّ المرحوم الطبرسى لم ينقلها لاقتناعه بها، ولكن من باب ذكر جميع الآراء) ونكتفى بذكر مايستحق الاهتمام منها فقط وهو:

أوّلًا: إنّ الهدف من ذكر هذا الاستثناء هو تبيان حاكمية اللَّه وقدرته المطلقة ومشيئته الكاملة، فلا تظنوا أنّ هذا الخلود يتحقق بدون إرادته، وإن شاء فهو على كل شيء قدير ولكن إرادته قضت بتخليد هذه الطائفة من أهل جهنّم فيها.

ولهذا ورد نفس هذا التعبير بشأن أهل الجنّة فى الآيات السابقة لها، فتقول الآية فى نفس الوقت: «عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ». (هود/ ١٠٨)

وتُظهر هذه الجملة بوضوح أنّ المقصود من الاستثناء من الأشياء ليس هو قطع العذاب أو النعمة بل لمجرّد تبيان قدرة اللَّه.

وثانياً: إنّ المقصودين بالاستثناء هم الذين لا يستحقّون الخلود فى العذاب كالمؤمنين المذنبين الذين يبقون فى النّار لمدّة من الزمن، فيتطهرون من ذنوبهم، ومن ثم يذهبون إلى الجنّة، وجملة «إلّا ماشاء اللَّه» هنا تختص بهذه الطائفة، أمّا الكفرة فسيبقون فى العذاب (وهم كما يُقال جزء من المستثنى منه لا المستثنى .

ونفس هذا الاعتبار يُطرح أيضاً بشأن أصحاب الجنّة، فهم أيضاً خالدون فيها إلّا المؤمنين المذنبين منهم والذين كانوا سابقاً فى جهنّم ثم جاؤا إلى الجنّة.

وعلى كل حال فهذا الاستثناء لا يخلق أيّة مشكلة فى دلالة الآية على أبدية العذاب.

تصّرح الآية الرابعة بمسألة الخلود وعدم تخفيف العذاب للمجرمين وتؤكد أيضاً أنّ اللَّه سبحانه وتعالى لم يظلمهم بل هم الذين ظلموا أنفسهم: «وَنَادُوا يَامَالِكُ لِيَقضِ عَلَينَا رَبُّكَ قَالَ انَّكُم مَّاكِثُونَ».

كلمة المكث جاءت هنا بشكل مطلق وغير محدود وهذه دلالة اخرى على خلود عذابهم «١».

---

(١). «المكث» يعنى البقاء المصحوب بالانتظار «كما قال الراغب فى مفرداته»، وكلمة المكث تطلق أيضاً على التوقف المؤقت، إلّاأنّها عندما تذكر مطلقة وبلا قيد أو شرط، فهى تعنى التوقف الدائمى.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۳

لذلك يصرّح المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان بأنّ كلمة «ماكثون» هنا تعنى «دائمون»، ورغم أنّ الآية المذكورة لم تبيّن هل أنّ مالكاً أجابهم مباشرة أم بعد مدّةٍ من الزمن، إلّاأنّ جماعة من المفسّرين قالوا: أنّ هذا الجواب يأتيهم بعد مدّة للامعان فى تحقيرهم والاستخفاف بهم. فقال بعضهم: أنّ الجواب يرد بعد أربعين عاماً، وقال آخرون بعد مائة عام، ونُقِل عن ابن عباس أنّه قال: إنّ هذا الرد السلبى يأتيهم بعد ألف عام «١»، من أجل أن يظلّوا فى الانتظار لمدّة أطول ويتحمّلوا العناء وذل الاستهانة!

وتظهر الآية بوضوح عدم وجود الموت فى ذلك العالم، بل هم دوماً أحياء يعيشون فى الألم والعذاب.

ويطالعنا فى الآية الخامسة تعبير يتحدث عن «عدم الخروج من النّار» بشكل مطلق، وهو تعبير آخر يحكى حقيقة خلود العذاب، وتصف الآية نفور المتَّبعين من المتّبعين فى قولها: «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ اعْمالَهُم حَسَراتٍ عَلَيْهِم وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ».

نعم هؤلاء لا يجنون سوى الندم على مامضى والحسرة على ما كانوا يقومون به من تقليد أعمى وطاعة مطلقة لقادة الضلال، والتأسف على العمر الذى مَرَّ هدراً، وعلى الأموال التى جُمعت من الحرام وتُركت يتنعم بها الآخرون، وعدم استغلال فرص التوبة التى اتيحت لهم، ولكنها حسرة وندم لا طائل من ورائهما لأنّ فرص العودة قد مضت وإمكانية التعويض لن تأتى ثانية.

يقول المرحوم العلّامة الطباطبائى فى تفسير الميزان، عند تفسيره لهذه الآية: وهذا دليل ضد من يعتقد بنهاية عذاب جهنّم.

---

(١). تفسير الكبير، ج ٢٧، ص ٢٢٧؛ وتفسير القرطبى، ج ٩، ص ٥٩٣٧، نقل أيضاً فى تفسير مجمع البيان مسألةالأربعين عاماً والألف عام.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۴

النتيجة:

نستخلص من مجموع التعابير الخمسة التى مَرّت أنّ عذاب جهنّم أبدى كما أنّ نعم الجنّة أبديّة، أمّا الذين يعتقدون بانقطاع العذاب فهم يذهبون خلافاً لما تنص هذه الآيات (وأمثالها)، ويفسّرون القرآن على طريقة (التفسير بالرأى).

صحيح أنّ الاعتقاد بخلود العذاب- وإن كان لفئة خاصة من أهل النّار- له مشكلاته وتعقيداته، ولكن بالنظر لصراحة الآيات القرآنية فى هذا الصدد، فينبغى حل تلك التعقيدات عن طريق المنطق والاستدلال، لا عن طريق تجاهل وانكار أصل الموضوع.

توضيحات

من هم المخلّدون فى النّار؟

اشارة

ذكرت الآيات القرآنية أشخاصاً وأقواماً بالخصوص يخلدون فى النّار ومن جملتهم:

١- الكفّار

بمن فيهم المنكرون للمبدأ والمعاد والمشركون والمكذّبون بآيات اللَّه وأعداء اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله والمرتدّون، وهم الذين ذكرتهم الآيات القرآنية وقالت: إنّهم سيخلدون فى النّار، من جملة ذلك ما ورد فى قوله تعالى «انَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِىَ عَنْهُم أَمْوَالُهُم وَلَا اوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَاولَئِكَ اصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» «١». (آل عمران/ ١١۶)

---

(١). هنالك آيات كثيرة اخرى تتحدث عن هذا الموضوع أيضاً من أمثال: الأعراف، ٣۶ وهى بشأن المكذّبين بآيات اللَّه؛ وسورة البّينة، ۶ التى تعتبر المشركين وأهل الكتاب مخلّدين فى النّار، وسورة التوبة، ١٧ وفيها ذكر لخلود المشركين؛ والبقرة، ٢١٧؛ وآل عمران، ٨٨، التى تتحدث بخصوص المرتّدين، وسورة فصّلت، ٢٨ والتى تشير إلى خلود أعداء اللَّه فى النّار.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ٣۵۵

٢- المنافقون

رغم أنّهم ينخرطون فى الظاهر فى سلك أهل الإيمان ويُعدّون فى زمرة المؤمنين، إلّا أنّهم من المخلدين فى جهنّم، كما دلّت على ذلك قوله تعالى، فقد أشار أوّلًا إلى أعمالهم وسلوكهم ثم قالت: «لَن تُغْنِىَ عَنْهُم أَمْوَالُهُم وَلَا اوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً اولَئِكَ اصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ». (المجادلة/ ١٧)

ويقول أيضاً: «انَّ اللَّهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعاً». (النساء/ ١۴٠)

۳- الغارقون فی الذنوب

یلحظ فی سورة البقرة عبارة فی وصف المـذنبین، وهی غنّیة المعنی تقول: «بَلی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولَئِکَ اصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ». (البقرة/ ۸۱)

ویقارب هـذا المعنی ماورد فی سورة یونس، وجاء فیهـا: «وَالَّذِینَ کَسَبُوا السَّیِّئَاتِ جَزَاءُ سَیِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّالَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ کَأَنَّمَا اغْشِیَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّیْلِ مُظلِماً أُولَئِکَ اصحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ». (یونس/ ۲۷)

ولکنّ هل أنّ المؤمنین من مرتکبی الکبائر یخلـدون فی العـذاب أم لا؟ هـذا ما سنُجیب عنه فی بحث مفصل بعـد تفسیر هـذه الآیات بإذن اللّه.

۴- القتلة والجُناة

یُفهم من آیـات القرآن أنّ مرتکبی قتـل العمـد یخلـدون أیضـاً فی العـذاب، کما ینص علی ذلک قوله تعالی «وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِیهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَیهِ وَلَعَنَهُ وَاعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِیماً». (النساء/ ۹۳)

وقد عُرضت هنا أربع عقوبات لقاتل المؤمن عمداً وهی:

الخلود فی النّار، والغضب الإلهی، والطرد من رحمة اللّه، والاستعداد للعذاب العظیم.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۶

ولکن هل أنّ هذه العقوبات تطبق فی حالة عدم التوبة وجبران مافات؟ أم أنّها فی رقابهم فی جمیع الأحوال؟

یبـدو الاحتمال الثانی مسـتبعداً جـدّاً، وذلک لأنّ أکبر الذنوب وهو الشـرک یمحی بالتوبة، فالمشـرکون کذلک یعفی عنهم بدخولهم الإسلام، فکیف یمکن القبول بأنّ قتل النفس یفوق کل هذا، إضافة إلی ذلک ما ورد فی تاریخ الإسلام أنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله عفا عن وحشـی قاتل حمزة بن عبد المطلب قبل توبته، وکذلک عفا الکثیر من المسلمین عن قتلة آبائهم وأبنائهم واخوانهم، بعد دخولهم الإسـلام. ومن نافلـة القول، إنّ التوبـة عن مثـل هـذا الـذنب لیست بالأمر الهیّن ولا تنتهی القضـیة بالاسـتغفار بالقول بل ینبغی الانقیاد للقصاص أو ارضاء أولیاء القتیل بالدّیة أو غیرها وجبران مامضی بعمل الخیر فی المستقبل.

جـاء فی حـدیث عن الرسـول محمـد صـلی الله علیه و آله أنّه قـال: «لزوال الـدنیا ومـا فیهـا أهـون علی اللّه من قتـل مؤمن ولو أنَّ أهل سماواته وأهل أرضه اشترکوا فی دم مؤمن لأدخلهم اللّه تعالی النّار» «۱».

أمّا کیف یمکن خلود قاتل المؤمن عمداً فی النّار مع ما یدلّ علی أنّ الکُفّار وحدهم سیخلدون فی النّار؟ فللمفسرین أجوبة مختلفة فی ذلک.

فقیل: إنّ أشخاصاً کهؤلاء لا یکتب لهم نصیب من التوبة أو قلیلًا ما یوفقون لبلوغها، فیغادرون الدنیا فی نهایة المطاف بلا إیمان، ولهذا فهم یستحقون الخلود فی النّار.

وقیل: إنّ هذا هو جزاء من یقوم بالقتل العمد وهو منکر لتحریمه، وهذا الأمر یستلزم الکفر بذاته.

وقیل: إنّ کلمة الخلود تعنی هنا المدّة الطویلة لا العذاب الأبدی. یبدو أنّ التفسیرین الأول والثانی أنسب إلی واقع الحال.

۵- آکلو الربا

هددت الآيات القرآنية آكلى الربا أيضاً بالعذاب الأبدى، فقالت: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ

(۱). تفسير روح المعانى، ج ۵، ص ۱۰۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۷

مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَاسَلَفَ وَامْرُهُ الَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَاولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ». (البقرة/ ۲۷۵)

وهنا يعترضنا أيضاً سؤال وهو: كيف يخلد هذا الفريق فى النّار بينما الذنب الكبير لا يستوجب لوحده الخلود فى النّار؟

الاجابة عن هذا السؤال هنا أبسط، وذلك لأنّ نص الآية (فى الجمل السابقة) يشير إلى منكرى تحريم الربا، الذين كانوا يقولون: ما الفرق بين البيع والربا ولماذا أحلَّ اللَّه أحدهما وحرّم الآخر، فى حين أنّ الفارق بينهما واضح، فالبيع والشراء والتجارة والأعمال المشابهة كلها تصب فى مصلحة المجتمع، وهى من النشاطات الاقتصادية السليمة، أمّا الربا فهو ضار بالمجتمع، ولهذا الموضوع شرح واسع تطرقنا إليه فى مكانه المناسب.

۶- الظالمون والجبابرة

الفريق الآخر الذى اعتبره القرآن الكريم مستحقّاً للخلود فى العذاب هو فريق الظالمين، وهذا ما ورد فى الآية حيث جاء فيها: «وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا انَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا انفُسَهُم وَأَهلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلَا انَّ الظَّالِمِينَ فِى عَذابٍ مُّقِيمٍ». (الشورى/ ۴۵)

ويتبين من هذا التعبير أنّ عاقبة الظلم، الخلود فى النّار.

وقد أكّدت الآيات التى سبقت هذه الآية مراراً، العذاب الأليم للظالمين (الشورى ۴۲)، ندمهم الشديد وهم يتعذّبون فى نار جهنّم (الشورى ۴۴).

هل المقصود من الظلم هنا هو ظلم عباد اللَّه والمستضعفين أم هو ظلم النفس من خلال الشرك، لأنّ الشرك كما صرّح به قوله تعالى «لَظُلْمٌ عَظِيمٌ». (لقمان/ ۱۳)

وجاء أيضاً فى قوله تعالى: «وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ». (البقرة/ ۲۵۴)

رجّح بعض المفسّرين المعنى الثانى، ولعل جملة: «قالَ الَّذِينَ آمَنوا» دليل على هذا المعنى أيضاً وأنّ المؤمنين المظلومين قد واجهوا ظلماً كبيراً على يد الكّفار الظالمين وهم- أى المؤمنون- الذين يتحدّثون بهذا الكلام فى يوم القيامة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۸

وتنص سورة الحشر، بعد الإشارة إلى خلود الشيطان وأتباعه فى النّار: «وَذَلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ». (الحشر/ ۱۷)

ولكن لو علمنا أنّ هذا الحديث يدور حول الشيطان وأتباعه الكافرين وما ورد فى الآية السابقة وهو: «كَمَثَلِ الشَّيطَانِ اذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ انِّى بَرِىءٌ مِّنكَ». (الحشر/ ۱۶)

لأدركنا أنّ المقصود من الظلم فى هذه الآية مصداقه الأتم، يعنى: الكفر.

۷- الذين خفّت موازينهم

يُستفاد من بعض الآيات القرآنية أنّ ثقل ميزان العمل فى يوم القيامة يدل على الفوز والنجاة، أمّا خفّة ميزان العمل فهى دالة على عدم قيمته، وهذا ما يؤدّى إلى الخلود فى النّار، جاء فى الآيتين من قوله تعالى: «فَمَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّت

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا انفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ». (المؤمنون/ ۱۰۲- ۱۰۳)

وعبارة: «خسـروا أنفسـهم» إشارة لطيفـة إلى أنّ أكبر رأس مالٍ يمتلكه الإنسان هو وجوده وعمره وحياته، وأنّ هؤلاء قـد خسـروا رأس مالهم فى سوق تجارة الدنيا من غير أن يحصلوا مقابله على شىء ذى أهميّة.

وقـد يكون هـذا التعبير إشـارة إلى الكفرة، لأنّ المؤمن مهمـا ارتكب من ذنوب فلابـدّ أن يحتوى ميزان عمله على شـىء مـا ولا يبقى خفيفاً تماماً وذلك لأنّ الإيمان والمعتقـد الحق له بـذاته وزن لا يُسـتهان به، وعلى هـذا فإنّ خفّة ميزان أعمال هذة الفئة وخلوّه من أيّة حسـنة دليل على كفرها، كما يتّضـح هذا المعنى من قوله تعالى «اولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً». (الكهف/ ۱۰۵)

۸- المجرمون بشكل عام

يُفهم من بعض الآيـات أنّ المجرم بشـكل مطلق مخلـد فى جهنّم، تقول الآيـة: «وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ابَداً». (الجن/ ۲۳)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۵۹

وجاء نفس هذا المعنى أيضاً مع إضافة اخرى فى الآية: «وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ». (النساء/ ۱۴)

وورد تعبير يشابه هذا فى قوله تعالى «انَّ الُمجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ». (الزخرف/ ۷۴)

ولكن لو التفتنـا إلى الآيات السابقـة كالآيـة (۲۰) من سـورة الجن والـتى يـدور فيهـا الكلاـم عن دعوة الـنبى صـلى الله عليه و آله إلى التوحيد وتقويض الشرك، وماجاء فى الآية (۲۴ من نفس السورة) التى نقلت كلام مشـركى قريش الذين كانوا يعنّفون النبى صلى الله عليه و آله لعدم وجود الانصار والاعوان المتنّفذين، لتبيّن لنا أنّ المقصود من «العصـيان» هنا هو الكف عن الدعوة إلى التوحيد والميل إلى الشرك والكفر، وعلى هذا فهى لا تتضمن أيّة دلالة على خلود جميع المجرمين فى النّار.

ويُلاحظ وجود قرينـة فى ذيل الآيـة ۷۴ من سورة الزخرف دالـة على هـذا المعنى لأنّها تتحـدث عمّن كانوا يضـمرون العـداء الشـديد للدعوة، وكانوا يظنّون أنّ اللَّه غير مطلع على سرّهم ونجواهم، ويُعتبر هذا بذاته من معالم الكفر، (فتأمل).

وقد صرح الكثير من المفسّرين عند تعرّضهم للآية المذكورة بأنّ المقصود من العصيان فيها هو العصيان فى التوحيد «۱».

إلّا أنّ هذا الاحتمال- وهو أنّ المقصود من الخلود هنا هو العذاب الطويل- يبدو مُستبعداً جدّاً، وذلك لأنّ تأكيد كلمة «الخلود» بكلمة «أبداً» دالٌّ على أنّ المقصود هو خلود العذاب الإلهى.

النتيجة:

لقد أدركنا من خلال النقاط الثمان الآنفة الذكر وجهة نظر القرآن فى موضوع المخلّدين

---

(۱). راجع تفسير مجمع البيان، ج ۹، و ۱۰، ص ۳۷۳؛ تفسـير الميزان، ج ۲۰، ص ۵۲؛ وتفسـير روح البيان، ج ۱۰، ص ۲۰۰؛ وتفسير روح المعانى، ج ۲۹، ص ۹۴.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۰

فى النّار، ولكن يتّضـح من خلال النظرة الاجمالية للآيات المذكورة أنّ خلود الكفّار فى النّار امرٌ بديهى لا مفر منه، إلّاأنّه غير مُسَـلّمٍ به

لجميع العاصين، ويستثنى من ذلك كون المعصية أو الذنب على درجة كبيرة بحيث تدفع الإنسان إلى الكفر والخروج عن خط الإيمان، أو أن يغادر هذه الدنيا وهو غير مؤمن، وسنصل إلى شرح مفصل عن هذا الموضوع قريباً.

سؤال: هل أنّ مرتكبى الكبائر مخلدون فى النّار؟

هناك فرقة إسلامية تُعرف ب «الوعيدية» (وهى من فرق الخوارج) تعتبر أىذنب من الكبائر موجباً للكفر وتعتقد أنّ مرتكبه يخلد فى النّار، ويقف فى مقابل هذه الفرقة «المرجئة» الذين يقولون: إنَّ الإيمان لا تضر معه المعصية (إحداهما تتصف بالافراط والاخرى بالتفريط!).

قال العلّامة الحلى رحمه الله فى (شرح التجريد) بعد أن نقل إجماع واتّفاق المسلمين على العذاب الأبدى للكفّار: «يختلف المسلمون فى مرتكبى الكبيرة، فالوعيدية يعتبرونهم كالكفّار، لكن الشيعة وكثير من المعتزلة يعتقدون بأنّ عذابهم له نهاية، ثم أقام الأدلة التى تثبت هذا المعنى .

يقول الشيخ المفيد رحمه الله فى «أوائل المقالات»:

«اتفقت الإمامية على أنّ الوعيد بالخلود فى النّار متوجه إلى الكفّار خاصة دون مرتكبى الذنوب من أهل المعرفة باللَّه تعالى والاقرار بفرائضه من أهل الصلاة، ووافقهم على هذا القول كافة المرجئة وأصحاب الحديث قاطبة، واجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا أنّ الوعيد بالخلود فى النّار عامّ فى الكفّار وجميع الفساق» «۱».

ويستدل هذا الفريق ببعض الآيات القرآنية لإثبات رأيه، وبالخصوص تلك الآيات القائلة بخلود مرتكبى القتل العمد وآكلى الربا فى نار جهنّم وأمثالها من الآيات، ومن أوسع

---

(۱). أوائل المقالات، ص ۵۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۱

تلك الأدلّة شيوعاً هى ما ورد فى من سورة الجن والتى مَرّ علينا تفسيرها مسبقاً وهى:

«وَمن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِانَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً». (الجن/ ۲۳)

ولكن هناك قرائن كثيرة فى هذه الآيات وفى غيرها تدل على أنّها (هذه الآيات) تختص بأولئك الذين تنتهى بهم ذنوبهم إلى الكفر وانكار المعاد أو النبوّة أو ضرورة من ضرورات الدين، ومن جملة تلك القرائن الآية: «كَأَنَّمَا اغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ الَّيْلِ مُظلِماً». (يونس/ ۲۷)

وبالنظر إلى أنّ هذا الوصف قد ورد فى القرآن هنا بحق الكفّار، حيث يقول تعالى «وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ* اولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ». (عبس/ ۴۰- ۴۲)

فهذا دليل على أنّ المقصود فى الآية موضع بحثنا هم الكفّار أيضاً.

ولهذا جاء فى الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسوِّد اللَّه وجوههم ثم يلقونه، يقول اللَّه: «كَأَنَّمَا اغشِيَت وُجُوهُهُم قِطَعاً مِّنَ الَّيْلِ مُظلِماً»، يسود اللَّه وجوههم يوم القيامة ويلبسهم الذل والصغار، يقول اللَّه سبحانه وتعالى: «اولَئِكَ اصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ»» «۱».

والقرينة الأخرى هى عبارة «أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» الواردة فى الآية ۸۱ من سورة البقرة والتى تشير إلى أنّ ارتكاب الذنب الكبير وحده لايؤدّى إلى الخلود فى النّار، بل إنّ إحاطة الذنب بكل وجود الإنسان هى السبب فى طرح مثل هذا الموضوع لأنّها تسوقه نحو الكفر، والسبب فى ذلك- كما تفيد الروايات- أنّ الإيمان يظهر فى القلب على هيئة نقطة مضيئة، وكلما ازدادت أعمال الخير التى يؤدّيها

كلما اتسعت تلك النقطة حتّى تحيط بقلبه كله، وكلما ارتكب ذنوباً ومعاصىَ كلّما خيم الظلام على قلبه حتى يحيط بقلبه كله ويجعله قلباً أسوداً (ينطفىء فيه نور الإيمان) لاسيما وأنّ بعض الروايات تستدل بقوله تعالى «كَلَّا بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكسِبُونَ» «۲». (المطففين/ ۱۴)

(۱). تفسير على بن إبراهيم، ج ۱، ص ۳۱۱.

(۲). اصول الكافى، ج ۲، ص ۲۷۳، باب الذنوب، ح ۲۰.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۲

وبعض تلك الآيات تؤكّد تعمّد الذنب (كآية القتل)، ولعل المراد منها هو مخالفة امر اللَّه ومخالفة الحق، وهذا من أوضح مصاديق الكفر.

والاشتشهاد الآخر هو الوارد فى قوله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوأَى انْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهزِئُونَ». (الروم/ ۱۰) يُظهر هذا التعبير أنّ الاصرار على الذنب والاستمرار عليه يؤدّى بالنتيجة إلى الكفر وتكذيب آيات اللَّه وهو مايؤدّى إلى الخلود فى النّار.

إضافة إلى كل هذا، فإنّ الآية: «انَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ انْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ» والتى تكررت مرّتين فى سورة النساء ۴۸ و ۱۱۶، هى دليل آخر واضح على هذه الحقيقة وهى أنّ المشركين (الكفر بأنواعه أيضاً ملحق بالشرك) لايُغفر لهم ويخلدون فى جهنّم، وأنّ المجرمين الآخرين يمكن أن يُغفر لهم، وهذا مايدل على أنّ حسابهم يختلف عن حساب الكفّار ولا يمكن أن يُعدّوا ضمن صنف واحد.

لا يتوهم أحد أنّ هذه الآية تعطى الضوء الأخضر للمجرمين، لأنّه لم يصدر وعد قطعى بالعفو عنهم بل هو وعد احتمالى مرتبط بمشيئة اللَّه، ولما كانت مشيئة اللَّه وإرادته مرتهنة بحكمته، وحكمته تقتضى أن تكون هذه المقوّمات كلها معايير للعفو، اذن، فالحال يوجب على المجرمين عدم قطع علاقاتهم باللَّه وأوليائه والإبقاء على جسور العودة قائمة.

ورد فى الروايات أنّ هذه الآية هى أكثر الآيات التى تبعث الأمل والرجاء فى النفوس، كما جاء عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال: «ما فى القرآن آية أرجى عندى من هذه الآية» «۱».

ولطرح مزيد من التوضيح، ينبغى الالتفات إلى أنّ الآية المذكورة لا تشمل مرتكب الصغائر طبعاً لأنّ القرآن قد وعد بغفران الذنوب الصغيرة لمن يتورّع عن اجتناب الكبائر منها، وهى أيضاً لا تشمل الذنوب الكبيرة بعد التوبة لأنّ التوبة سببٌ لغفران جميع الذنوب

(۱). لمزيد من الايضاح راجع التفسير الأمثل، ذيل الآية ۴۸ من سورة النساء.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۳

حتى الشرك، وعلى هذا فالمفهوم الوحيد المتبقى لهذه الآية هو أنّها ميّزت بين الشرك وارتكاب الذنوب الكبيرة، فالأول لا يغفر لأنّ وجود الشرك يقضى على جميع مقوّمات العفو، أمّا الثانى فالعفو فيه محتمل ولكن بشروط اشير إليها فى جملة «لمن يشاء».

والشاهد الآخر على هذا الادّعاء هو الآيات القرآنية العديدة، ومنها هذه الآية:

«فَسَتَذْكُرُونَ مَااقُولُ لَكُم وَأُفَوِّضُ امرِى إِلَى اللَّهِ انَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ». (المؤمن/ ۴۴) وهذه الآية: «فَمَن يَعمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ». (الزلزال/ ۷)

كذلك آيات الشفاعة، لأنّ الصغائر تُمحى فى ظل اجتناب الكبائر، والكبائر أيضاً يُعفى عنها بالتوبة، واستناداً إلى ماذُكر، فالشفاعة تختص فقط بمرتكبى الكبائر الذين لم يتوبوا فإن كانوا يستحقّون الشفاعة يُعفى عنهم.

فإن كان الحال كذلك، فكيف نعتبر مرتكبى الكبائر كالكَفّار والمشركين ونقول بخلودهم فى النّار؟
كيف يمكن أن تقضى الحكمة الإلهية بتخليد إنسان فى النّار قضى عمراً فى الإيمان والعمل الصالح لارتكابه ذنباً كبيراً كأن يكون كذب لمرّة واحدة فى حياته؟
نحن لا نقول هنا بعدم عقابه بل نرى أنّ عذاب الخلد لا ينطبق على مثل هذا الشخص.
هناك روايات كثيرة وردت عن المعصومين عليهم السلام تنفى قول «الوعيدية» بتخليد مرتكبى الكبيرة فى النّار «۱».
والحقيقة أنّ هذه الفرقة المتطرفة من الخوارج قد انحدرت فى هذا الوادى السحيق بسبب التعصب والعناد وعدم الإلمام بآيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه و آله والمعصومين عليهم السلام، وعدم الأخذ بالأدلّة العقلية البيّنة، والخوارج بشكل عام قد ابتلوا بعواقب جهلهم وتعصبهم، وماضيهم فى التاريخ الإسلامى أفضل دليل على ذلك «۲».

---

(۱). للاطلاع على ايضاحات أكثر يمكن مراجعة كتاب بحار الأنوار، ج ۸، ص ۳۵۱- ۳۷۶، الباب ۲۷؛ وتفسير الكبير، ج ۳، ص ۱۴۴ وما بعدها.

(۲). المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۴

توضيحات

اعتراضات على خلود العذاب:

اشارة

طرحت أسئلة مختلفة بشأن العقاب الأبدى لفئة خاصة من المجرمين يبدو أنّ البحث فيها ضرورى هنا.

۱- فناء المادة

هناك من يقول: إنّ المادة ليست خالدة حتّى تتعرض للثواب الأبدى أو العقاب الأبدى.
وبعبارة اخرى إنّ فناء المادّة لا يتناسب وخلود الثواب والعقاب.
وليس هناك صعوبة كبيرة للرد على هذا الاعتراض، فلا يوجد شىء فى العالم- سوى ذاته المقدّسة- أبدى بالذات. بل إنّ كل ذرّات العالم (سوى ذاته) فانية والبقاء لا يصُلِح إلّا لها، لكن ذلك لا يمنع أن تكون الموجودات الإمكانية أبديّة بالغير. أى إنّ اللَّه تعالى يمدّها دوماً بأسباب البقاء وكلما استهلكت تجددت، أو كما يُعبّر عنه فى الفلسفة أنّ «الإمكان بالذّات» لا يتنافى مع «الوجوب بالغير».
(تأمل جيداً).
أى كما أنّ اللَّه سبحانه وتعالى يمد الجنّة والنّار دوماً بأسباب الوجود ويجعلهما باقيتان قائمتان دائماً، فكذلك تكون أجسام أهل الجنّة وأهل النّار مشمُولة بهذا القانون إذ تبقى قائمة دوماً بالامداد الإلهى حتّى تلقى جزاءها الأبدى من عقاب أو ثواب، وخلاصة القول:
إنّ الفناء يحصل فى حالة عدم وجود امداد خارجى وانعدام التجدد.

۲- هل يمكن للعرضى أن يصير دائماً؟

يلاحظ فى بعض كلمات الفلاسفة أنّ: «الاصول الحكمية دالة على أنّ القسر لا يدوم على الطبيعة، وأنّ لكل موجود من الموجودات الطبيعية غاية ينتهى إليها وقتاً وهى خيره

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۵

وكماله، وأنّ الواجب جلّ ذكره أوجد الأشياء على وجه تكون مجبولة على قوة يتحفظ بها خيرها الموجود وتطلب بها كمالها المفقود، إلّاأن يُعيقه له عن ذلك عائق ويقسره قاسر، لكنّ العوائق ليست أكثرية ولا دائمة وإلّا لبطل النظام وتعطلت الأشياء وبطلت الخيرات، فعلم أنّ الأشياء كلها طالبة لذاتها للحق مشتاقة إلى لقائه بالذات، وأنّ العداوة والكراهة طارئة بالعرض، فمن أحبّ لقاء اللَّه بالذات أحبّ اللَّه لقاءه بالذات ومن كره لقاء اللَّه بالعرض لأجل مرض طرأ على نفسه كره اللَّه لقاءه بالعرض، فيعذبه مدّة حتى يبرء من مرضه ويعود إلى فطرته الاولى «۱».

والإجابة عن هذه المقولة ليست صعبة لأنّ الاخطاء والانحرافات قد تتجذر أحياناً فى وجود الإنسان إلى درجة تغدو معها ذات طبيعة ثانوية مثلما يحصل فى هذا العالم حين يبلغ المجرم مرحلة من الانحراف حتى يصبح مُلتذّاً بجرائمه، وتستهويه الامور التى ينفر منها الإنسان السوى طبيعياً وفطرياً، كما يلاحظ عند الأشخاص الذين اعتادوا ارتكاب الأعمال القبيحة التى تشمئز منها النفوس.

وحينما يبلغ الإنسان مثل هذه المرحلة من الطبيعة الثانوية لا يبقى له أى طريق للعودة.

وهذا هو نفس الشيء الذى عبّرت عنه الآية السابقة بتعبير «أحاطت به خطيئته» الذى يسبب انقلاب الطبيعة الإنسانية.

۳- ألا يعتاد أهل النّار على العذاب

قِيل أحياناً: إنّ أصحاب الحجيم يُعّذبون بعد دخولهم فى نار جهنّم بمقدار المدّة التى قضوها وهم مشركون فى هذه الدنيا، ولكن بعد انتهاء هذه المدّة يتحول عذاب جهنّم إلى نعيم بالنسبة لهم لأنّه يصبح أمراً متناسباً مع طبيعتهم حتى أنّهم لو دخلوا الجنّة شعروا بعدم الارتياح، والسبب فى ذلك هو عدم تناسبها مع طبيعتهم، إنّهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير وما فيها من لدغ الحيات والعقارب كما يلتذ أهل الجنّة بظلال أشجار الجنّة والحور والقصور وطوبى والكوثر، وفى هذا العالم نرى البلبل يطربه أريج الزهور فى حين

---

(۱). الاسفار، ج ۹، ص ۲۴۶ (مع التلخيص). لقد نقل صدر المتألهين هذا الموضوع باعتباره وجهة نظر.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۶

أنّ بعض الحشرات القذرة تلتذ وتنتشى بروائح القمامة الكريهة «۱».

هذا الوهم يشكل نقطة مقابلة للوهم السابق أيضاً ويتناقض معه، وهو فى نفس الوقت لا-يتّسق مع أىمن الآيات التى تؤكّد خلود العذاب، لاسيّما وأنّ بعضها قد صَرّحت بأنّه «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ». (النّساء/ ۵۶)

والتهديد بالخلود فى النّار هو تهديد بالعذاب الدائم، ولو أنّه تحّول إلى نعمة خالدة لما كان يتصف بالتهديد.

إنّ مثل هذه التفسيرات بشأن الخلود تدل على أنّ أصحابها لم يجهدوا أنفسهم بالقيام بدراسة دقيقة أو حتّى دراسة إجمالية لتلك الآيات القرآنية، ولو أننا أعدنا قراءة تلك الآيات لتبيّن مقدار التناقض بينها وبين هذا الكلام الفارغ القبيح.

إضافة إلى ذلك، يجب الالتفات إلى أنّ اعتياد الإنسان على الآلام له حدود، فبعض الآلام طفيفة يعتاد عليها الإنسان بمرور الزمن. لكن لو نقص الماء فى جسم الإنسان مثلًا فانّه يعانى العطش، ويتعذر عليه عندئذٍ الاعتياد على ذلك، كأن يكون بدنه يحتاج إلى الماء

وهو لا يشعر بالعطش!.

۴- هل أنّ الخلود نوعى أم شخصى

يلاحظ أنّ البعض اعتبر الخلود «خلوداً نوعياً» لا- «شخصياً»، ومعنى ذلك أنّ نوع «الإنسان الكافر» يبقى فى النّار إلى الأبد، لكن الأشخاص يتبدلون، أىأنّ كل واحد منهم يقضى مدّة معيّنة فى عذاب جهنّم، وبما أنّه يعطى مكانه إلى آخر، فإنّ بقاء الإنسان فى جهنّم سيبقى أبدياً.

ومفهوم هذا الكلام أنّ خلقاً آخر يأتى إلى الدنيا فى المستقبل، وينحرف منهم جماعة أيضاً، فيكونون وقوداً لنار جهنّم، ويتصادف دخولهم فيها مع نجاة وخروج الخلق السابق منها «۲».

---

(۱). هذا الكلام نقلناه بشىء من التلخيص عن كتاب الأسفار نقلًا عن محى الدين بن العربى فى الفتوحات المكية (الأسفار، ج ۹، ص ۳۴۹).

(۲). هذا التفسير موجود فى حاشية ج ۹، من الأسفار، ص ۳۴۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۷

وهذا التفسير لاينسجم مع آيات خلود العذاب المتعلقة بالكفّار، ويكفى قليل من التدقيق فى الآيات السابقة لفهم ذلك التناقض وعدم الانسجام، لأنّ تلك الآيات تصرح بالخلود الشخصى، وهذه التأويلات لا تتعدى السبب الذى ذكرناه سابقاً وهو أنّ العجز عن حل المشاكل فى بحث الخلود قد دفعهم إلى التشبث بمثل هذه التأويلات غير واقعية.

۵- هل ينسجم الخلود مع العدل الإلهى؟!

إنّ أهم اعتراض يُطرح فى مسألة الخلود- وهو فى الحقيقة الاعتراض الأساس فيها- هو عدم التناسب بين الذنب وبين العقوبة، فيقال: كيف نرضى بأنّ يتعذب الإنسان الذى أساء فى كل حياته وهى مائة عام على أكثر تقدير وكان خلالها يتخبط فى الكفر والمعاصى ويعاقب مدّة ألف مليون عام؟

هذة القضية لا- تثير أىاعتراض طبعاً فى ما يخص النعم الإلهيّة الخالدة فى الجنّة إذ لا عجب من فضل اللَّه ورحمته وجزائه الأوفى فرحمته قد وسعت كل عالم الوجود، أمّا فى مجال العقاب فينبغى أن يكون هناك تناسباً بين الجريمة والعقاب، وإن اختل ذلك التناسب والتوازن فذلك ما لا يتسق والعدل الإلهى، والخلاصة أنّ مائة سنة من الكفر والذنوب تستوجب مائة عام من العقوبة لا أكثر.

إنّ استعصاء هذا الاعتراض على الحل قد دفع ببعض الجماعات إلى تأويل آيات الخلود واعتبارها تعنى طول المدّة أو أنّه الخلود النوعى لا الشخصى أو أنّه الاعتياد على تلك الأوضاع وأمثال ذلك ممّا سبق القول فيه، لكن وكما قلنا سابقاً فإنّ هذه التأويلات واهية جدّاً ولايمكن التعويل عليها ولاتنسجم قطعاً مع آيات الخلود.

الجواب:

إنّ الذين يطرحون هذا الاعتراض يغفلون عن نقطة أساسية وهى الفارق الموجود بين العقوبة الوضعية والعقوبة التكوينية التى هى النتيجة الطبيعية للأعمال أو الحياة فى محيط تلك الأعمال.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۸

وتوضيح ذلك: إنّ المقنن: قد يسُن أحياناً قانوناً يقول فيه إنّ من يرتكب المخالفة الفلانية فعليه أن يدفع مقداراً من المال كغرامة مالية أو يُسجن مدّة من الزمن، فمن البديهى فى مثل هذا الموقف أن يكون هناك تناسب بين «الجريمة» و «العقاب»، فلا يمكن أن تُقَرّر مثلًا عقوبة الاعدام أو السجن المؤبد للمخالفة البسيطة، وبعكس ذلك فمن غير المعقول تحديد عقوبة القتل بسجن يوم واحد، فالحكمة والعدالة تستوجب التناسب الكامل بين تلك الحالات.

لكن العقوبات التى هى فى الحقيقة الآثار الطبيعية للعمل وتعتبر من خاصّيته التكوينية أو نتيجة حضور ذات العمل أمام الإنسان، لا تقر مثل هذه الأقوال سواءً بشأن آثار العمل فى هذا العالم أم فى العالم الآخر.

فلو قيل مثلًا، إنّ من يخالف تعليمات المرور ويقود سيارته بسرعة عالية ويتسابق بلا مبرر ويجتاز المناطق الممنوعة قد يتعرض- وبسبب عدّة لحظات من المخالفة- إلى اصطدام عنيف يؤدّى إلى كسر يديه ورجليه ويبقى مقعداً طوال عمره، فهنا لا يستطيع أحد أن يقول إنّ هذه النتيجة المريرة غير عادلة ازاء هذه المخالفة البسيطة لأنّ من المسلّم به أنّ أمثال هذه العقوبات ليست من وضع إدارة المرور حتّى يؤخذ بنظر الاعتبار التناسب بين المخالفة والعقوبة، بل هو الأثر الطبيعى للعمل الذى فعله الإنسان بإرادته وأوقع نفسه فيه.

وكذلك الحال، إذا قيل بضرورة اجتناب المشروبات الكحولية أو المخدرات لأنّها تتلف القلب والمعدة والمخ والاعصاب خلال فترة وجيزة، ولكن لو تعمد أحد تناولها واصيب بضعف الأعصاب الشديد وبأمراض القلب والشرايين والقرحة كل ذلك فى مقابل الفسق والمجون لأيّام معدودة، أو يبقى إلى آخر عمره يعانى من شدّة الألم والعجز والضعف، ففى مثل هذا الحال لا يمكن لأحد أن يتحدث عن عدم التناسب بين الذنب وآثاره وجزائه.

ولو افترضنا أنَّ هذا الشخص قد عَمّر فى هذه الدنيا بدل المائة عام ألف عام أو مليون عام، فينبغى عليه تحمل العذاب والألم طوال هذه المدّة المديدة ازاء عدّة أيّام قضاها فى اللهو والمجون.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۶۹

أمّا فى ما يخص العقوبات الأخروية فالمسألة أعمق من هذا بكثير، فالآثار التكوينية للأعمال ونتائجها بالغة الأهميّة و قد تبقى ملازمة للإنسان إلى الأبد، بل إنّ ذات العمل (كما ذكر فى موضوع تجسّد الأعمال) يتجسد أمام الإنسان وبما أنّ ذلك العالم خالد، فإنّ الأعمال الصالح منها والطالح تبقى خالدة مع الإنسان وتكون وسيلة إمّا لشقائه أو لسعادته.

وقد ذكرنا سابقاً أنّ ثواب وعقاب يوم القيامة يتصف بالآثار التكوينية وخواص العمل الذى أتى به الإنسان فى الدنيا، كمايقول القرآن الكريم: «وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ». (الجاثية/ ۳۳) وجاء فى قوله تعالى: «وَلا تُجْزَونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعمَلُونَ». (يس/ ۵۴) وورد نفس هذا المضمون مع قليل من الاختلاف فى آيات اخرى عديدة.

وبناءً على هذا لا يبقى هناك أى مجال لطرح هذا التساؤل وهو: لماذا لم يؤخذ بنظر الاعتبار التناسب بين الذنب والعقوبة؟

ينبغى أن يحلّق الإنسان فى سماء السعادة بجناحى «الإيمان» و «العمل الصالح» لينال نعيم الجنّة الأبدى ولذّة القرب الإلهى، فإن كان قد كسر جناحيه فى لحظة من لحظات المجون أو خلال المائة سنة التى قضاها فى هذه الدنيا، فعليه أن يعيش إلى الأبد فى الذلة والشقاء، فالقضية هنا ليست قضيّة الزمان والمكان وحجم الجريمة، بل هى قضية العلة والمعلول، آثاره قصيرة المدى وبعيدة المدى فقد يكفى عود واحد من الثقاب لاحراق مدينة بأكملها، وقد يؤدّى غرام واحد من بذور الشوك إلى تغطية صحراء واسعة بالاشواك بعد مدّة وجيزة ويكون سبباً دائمياً فى ايذاء الإنسان، كما قد تكفى عدّه غرامات من بذور الورد إلى تغطية صحراء شاسعة بأجمل الورود واشذاها رائحة تفوح منها العطور فتملأ النفوس والقلوب بهجة وارتياحاً.

فإن قال قائل ما التناسب بين عود الثقاب وإحراق مدينة بأكملها؟ وما العلاقة التناسبية بين عدّة بذور من الشوك أو من الورد وبين الصحراء الفسيحة؟

فهل هذا السؤال منطقى؟ من المؤكد، كلّا.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۰

فأعمالنا الصالحة والطالحة على هذا النمط أيضاً، فقد تخلّف وراءها آثاراً خالدة واسعة وكبيرة، (فتأمل).

والمسألة المهمّة هنا هى أنّ اللَّه تعالى القادة الربانيين والأنبياء العظام وأوصياءَهم كانوا يحذروننا باستمرار من أنّ نتيجة أمثال هذه الذنوب هى العذاب الأبدى، ونتيجة الأعمال الصالحة هى النعمة الأبدية الخالدة. تماماً كالبستانى الماهر الذى يبيّن لنا مسبقاً الآثار الواسعة التى تنتج عن بذور الورد أو الشوك، ونحن الذين نختار مسارنا بوعى خلال هذا الطريق.

فهل نلوم أحداً فى هذه الحال؟ ولمن نؤاخذ؟ وعلى من نعترض سوى على أنفسنا؟

إلى هنا ينتهى موضوع الثواب والعقاب وجوانبه المختلفة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۱

القرآن والشفاعة

اشارة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۳

القرآن والشفاعة

تمهيد:

إنّ العقوبات الإلهيّة يوم القيامة ليست ذات طابع انتقامى سواءً كانت قصيرة أم طويلة الأمد أم أبدية، وسواءً كانت جسمية أم روحية وسواءً اعتبرناها كآثار طبيعية للعمل أو وضعية، وقد وضعت بهدف تربية الإنسان أو كضمانة لتنفيذ القوانين الإلهيّة الرامية إلى تنمية الكمال الإنسانى.

ولهذا السبب، نرى سبل النجاة مشرعة أمام الإنسان- فى نفس الوقت الذى نرى فيه القرآن الكريم يصف العقوبات الإلهيّة بالشّدة- وتمنح الفرصة للمذنبين للرجوع عن الخطأ وإصلاح أنفسهم وسلوك الطريق المؤدى إلى اللَّه تعالى

وتعتبر الشفاعة واحدةً من هذه الوسائل لأنّها تعنى فى المفهوم الصحيح للكلمة انذاراً للمذنبين بعدم هدم جسور العودة بأجمعها والحفاظ على خطوط الاتصال مع أولياء اللَّه، وإن وقعوا فى بعض الذنوب فلا ييأسوا، وعليهم الشروع بالعودة حيثما كانوا والمسارعة نحو رحمة اللَّه الواسعة.

إنّ بحث الشفاعة بجميع تفاصيله ونقاطه التربوية المثيرة التى وردت فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، يصب فى هذا السياق.

ومن الأفضل الاكتفاء بهذا التمهيد الموجز، ومن ثم نعود إلى القرآن الكريم لنتعرف من خلاله على حقيقة ومفهوم الشفاعة وعلى جميع الامور المتعلقة بها.

نمعن فيما يلى خاشعين فى الآيات التالية التى قُسمت إلى عدّة مجاميع وبالشكل الآتى:

۱- «فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ». (المدثر/ ۴۸)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۴

۲- «وَاتَّقُوا يَوماً لَّاتَجْزِى نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً وَلَايُقبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» «۱». (البقرة/ ۴۸) ۳- «مَالَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ» «۲». (السجدة/ ۴) ۴- «قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرضِ ثُمَّ الَيهِ تُرْجَعُونَ».
(الزمر/ ۴۴) ۵- «مَن ذَا الَّذِى يَشفَعُ عِندَهُ إِلَّا باذنِهِ». (البقرة/ ۲۵۵) ۶- «يَومَئِذٍ لَّاتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَن اذنَ لَهُ الرَّحمنُ وَرَضِىَ لَهُ قَولًا» «۳».

(طه/ ۱۰۹) ۷- «مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعدِ إِذنِهِ». (يونس/ ۳) ۸- «وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّموَاتِ لَا تُغنِى شَفَاعَتُهُم شَيئاً إِلَّا مِن بَعدِ انيَأذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرضَى . (النجم/ ۲۶) ۹- «وَلَا يَملِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعلَمُونَ».
(الزخرف/ ۸۶) ۱۰- «وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى . (الأنبياء/ ۲۸) ۱۱- «لَّايَملِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهداً». (مريم/ ۸۷) ۱۲- «مَّا لِلظَّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ». (المؤمن/ ۱۸)

جمع الآيات وتفسيرها

المجاميع الخمسة لآيات الشفاعة:

اشارة

عندما نضع الآيات الإثنتى عشرة المذكورة أعلاه إلى جنب الآيات الأربع المذكورة فى الهامش إلى بعضها، تُحل بكل سهولة جميع المشاكل الموجودة فى موضوع الشفاعة،

---

(۱). جاء نفس هذا المضمون مع اختلاف ضئيل فى الآية ۲۵۴ من سورة البقرة.

(۲). جاء نفس هذا المعنى أيضاً فى الآيتين ۵۱ و ۷۰ من سورة الانعام.

(۳). ورد نفس هذا المعنى مع وجود بعض الاختلاف فى الآية ۲۲ من سورة سبأ.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۵

ويقدّم الجواب المناسب لكل سؤال يُطرح فى هذا الصدد.

لكن عدم الاهتمام بالتفسير الموضوعى لهذه الآيات، والنظر إلى بعضها واهمال البعض الآخر فى الدراسات العامّة لموضوع الشفاعة قد آثار مشاكل عديدة وانتهى أحياناً إلى الضلال وإلى إضلال الآخرين أيضاً، ويُعد هذا تقصير من قبل أولئك الذين أداروا ظهورهم للتفسير الموضوعى وحاولوا حل مثل هذه البحوث- التى لا تحل إلّابه- من خلال الاستناد إلى آية واحدة أو عدّة آيات، أو حتّى يحتمل فيهم سوء النيّة فى اختيار الآيات التى تتحقّق بها مقاصدهم.

فالآيات المذكورة تُقسم فى الحقيقة إلى خمسة أقسام محددة يهدف كل واحد منها إلى غرض معيّن.

القسم الأول: الآيات التى تنفى الشفاعة بشكل قاطع

ومنها كالآية الأولى والثانية.

وصنفت الآية الأولى بعض أحوال المجرمين الذين لم يكونوا مؤمنين، وأوضاعهم فى جهنّم وحديثهم مع أهل الجّنة ثم قالت: «فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ».

إنّ هذه الآية وإن كانت تنفى أىنوع من أنواع الشفاعة بحق هذا الفريق (بما فى ذلك شفاعة الأنبياء والأوصياء والملائكة والصديقين والشهداء والصالحين)، إلّاأنّ وجود كلمة «الشافعين» وهى ظهور الفعلية، تثبت وجود شافِعين ومشفَّعين فى ذلك اليوم وأنّ شفاعتهم لا تنفع هؤلاء الذين كانوا يكذّبون بيوم الدّين ولم يكونوا يصلّون ولا يطعمون المسكين.

وكذلك تعبير «فَمَا تَنْفَعُهُم» يدل أيضاً على أنّ أحوالهم وأعمالهم ومعتقداتهم هى التى جلبت إليهم هذا الحرمان.

وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الآية وإن كانت من الآيات النافية للشفاعة، إلّاأنّ نصّها يثبت ضمنياً وجود الشفاعة.

ونفت الآية الثانية الشفاعة أيضاً وقالت: «وَاتَّقُوا يَوماً لَّاتَجزِى نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۶

وَلَايُقبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدلٌ وَلَاهُمْ يُنصَرُونَ».

رغم أنّ المخاطبين فى هذه الآية هم اليهود- بقرينة الآية السابقة لها- إلّاأنّ حكمها يتّسم بالعمومية ويَسُدّ جميع المنافذ أمام المخالفين، وأشارت أثناء ذلك إلى أربعة طرق مهمّة تُعتبر وسيلة للنجاة فى هذه الدنيا لكثير من المجرمين:

الأول: أن تجزى نفس عن نفس، والثانى: أن يشفع لها محترم، والثالث: لو دفعت غرامة لجزت عن العقوبة، والرابع: أن يهب قوم لنصرتها وانقاذها من مخالب العذاب، لكن أيّاً من هذه الطرق ليس لها وجود يوم القيامة، والحديث هنا يدور حول نفى الشفاعة هناك نفياً قاطعاً، ولكن هل يختص ذلك باليهود الذين سلكوا طريق الكفر والعناد ومجانبة الحق، وقتل الأنبياء، وبهذا فهى لا تتنافى مع آيات الشفاعة والروايات المتواترة الدالة على أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسائر المعصومين عليهم السلام يشفعون لمذنبى هذه الأمّة؟

أم أنّ هذه الآية تشير إلى ظن اليهود الذين كانوا يتوهّمون بأنّ آباءهم يشفعون لهم يوم القيامة، فالآية تبطل هذا الوهم وتجعلهم فى يأس منه؟ أم أنّ ظاهر الآية مطلق وينفى أى نوع من الشفاعة لأىأحد؟

وتشير الآيات الاُخرى التى ستأتى لاحقاً وكذلك الروايات المتواترة وإجماع الأمّة بأنّ هذه الآية تخص الكفّار والأشخاص الذين لا تشملهم الشفاعة بسبب عِظمِ ذنوبهم، وعلى هذا فالآية المذكورة ذات طابع عمومى، والآيات الأخرى ذات صيغة مختصة، وترفع أى غموض فى هذا المجال.

و سيأتى شرح هذا الكلام عن قريب إن شاء اللَّه.

القسم الثانى: الآيات التى تعتبر الشفاعة خاصّة باللّه

ومنها الآية الثالثة التى ورد فيها بعد الإشارة إلى خلق السموات والأرض وحاكميَّة اللَّه على كل شيء قوله تعالى «مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ».

وبناءً على هذا فإنّ الشفيع هو الخالق المدّبر لعالم الوجود لأنّ الشفاعة هى أيضاً نوع من

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۷

التدبير والربوبية والتربية، ومعنى هذا وجوب عدم التعلّق بالأوثان والالتجاء إلى سوى ذاته المقدّسة، وأن وضع أحد من الأنبياء والأولياء على مقام الشفاعة فهو مستمد منه بالتأكيد:

كما أنّ مقام الحاكمية وهداية وتربية الناس ممنوحٌ لهم من قبل اللَّه تعالى

وورد نفس هذا المعنى فى الآية الرابعة من آيات البحث، ولكن بصورة اخرى إذ تقول لعبدة الأوثان الذين اتخذوها شفعاء لهم: «قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً».

ثم تؤكّد أنّ سبب ذلك هو أنَّ: «لَهُ مُلكُ السَّموَاتِ وَالأَرضِ ثُمَّ الَيهِ تُرجَعُونَ».

فمن البديهى أنّ من يمتلك حق العفو عن المذنبين وحق الشفاعة أو قبول شفاعة الشافعين هو الخالق والمالك لكل الموجودات التى بدأ وجودها منه ثم تعود إليه فى نهاية المطاف.

وعلى هذا فانَّ الشفيع فى الأساس هو اللَّه تعالى لا منافس له فى ذلك بل يستمد الآخرون منه مشروعية شفاعتهم، ومن الواضح أنّ انحصار حق الشفاعة به تعالى دون سواه لا- يتنافى أبداً مع مشروعيته للآخرين، كما أنّ الملكية والحاكمية له دون سواه، ويمكن للآخرين الملك والحكم بإذنه وبأمره وفى حدود خاصّة.

وما يسترعى الاهتمام هنا هو أنّ الآية السابقة لها قالت حين نفت شفاعة الأوثان: «قُلْ اوَلَوْ كَانُوا لَايَملِكَونَ شَيئاً وَلَا يَعقِلُونَ». (الزّمر/ ۴۳) وهـذا التعبير دليـل واضـح على أنّ الشـفاعة من مختصـات المالكيـة والحاكميـة، وإنّمـا اختص بها اللَّه تعالى لأنّه هو المالك والحاكم الأصل فى عالم الوجود والآخرون يقتاتون على فُتات مائدة نعمته.

القسم الثالث: الآيات التى تؤكّد على أنّ الشفاعة منوطة بإذن اللَّه

وهى فى الحقيقة مكملة لآيات القسم الثانى، ولذا ورد فى الآية الخامسة استفهام انكارى ينص على

«مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ». (البقرة/ ۲۵۵)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۸

وبناءً على ماذكر فإنّ الأنبياء وأولياء اللَّه والشـفعاء يستمدون مشروعية شفاعتهم يوم الجزاء من اللَّه تعالى ويشفعون بإذنه، ومن البديهى أنّ إذنه منبثق من حكمته أىوفق أسس محسوبة، فإن كان هناك شخص لا يستحق الشفاعة فلا يؤذن بالشفاعة له (احفظوا هذا الكلام جيداً فسيأتى شرحه فى الظرف المناسب).

ومن الجـدير بالملاحظة أنّ الآية المذكورة (وهى آية الكرسـى) قد أكّدت هذه الجملة بعد أن أقرّت مقام القيمومة والمالكية للَّهتعالى على كل ما فى السموات والأرض، وعلى هذا فانَّ هذه الشفاعة منبثقة من مالكيّته وحاكميته وقيمومته.

وبهذا فهى تبطل معتقدات عبدة الأوثان الذين يتذرّعون بعبادتها بدعوى أنّها تشفع لهم عند اللَّه.

وورد نفس هذا المعنى بصورة اخرى فى الآية السادسة؛ إذ قالت: «يَومَئِذٍ لَّاتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِىَ لَهُ قُولًا».

ولكن مَن المقصود مِن: «مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ»؟ هنالك احتمالان:

الأول: هم الشفعاء بإذن اللَّه، والثانى: هم الذين تشملهم الشفاعة بإذن اللَّه.

إلّا أنّ الاحتمـال الأول يبـدو هو الأصح لأنّه يتسق ومضـمون الآيـة السابقـة (آيـة الكرسـى) فهناك كان الحـديث يـدور حول الإذن للشفعاء، وتمثل الآية اللاحقة شاهداً آخر على صحّة هذا القول، ولهذا السبب اختار الكثير من المفسّرين هذا المعنى

وينعكس كلا المعنيين فى جملة «وَرَضِىَ لَهُ قَولًا»، الأول: إنّها تعود على الشـفعاء أى تُقبل شـفاعة من رضـى اللَّه قوله وشفاعته، وعلى هذا فإنّ الجملتين تؤكّد إحداهما الأخرى

والثـانى: إنّ المقصود هو المشـفوع له من الـذين رضـى اللَّه قولهم، وبعبـارة اخرى هو الـذى كان عمله وكلامه ومعتقـده صالحاً وصار موضـعاً لرضى اللَّه لكى يُشفع له، ولكن بما الجملة الأولى تقصد الشفعاء، فمن الأنسب أن تكون الجملة الثانية إشارة إلى ذلك أيضاً، لتكون عودة الضمائر على وتيرة واحدة.

وعلى جميع الأحوال تشكّل الآية دليلًا واضحاً على وجود الشفاعة بإذن اللَّه، لفريق من المؤمنين.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۷۹

وقـد بيّنت الآيـة السابقـة نفس ذلك المعنى بصورة اخرى إذ قالت: «مَا مِن شَـفِيعٍ إِلَّا مِن بَعدِ إِذنِهِ» فلماذا تعبدون الأصـنام؟ «ذلِكم اللَّهُ رَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ».

وجاء نفس هذا المعنى فى الآية الثامنة بشأن شـفاعة الملائكة، إذ تؤكّد أنّ شفاعتهم تقبل بإذن اللَّه أيضاً، إذ ورد فيها: «وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِى السَّموَاتِ لاتُغنِى شَفَاعَتُهُم شَيئاً إِلَّا مِن بَعدِ ان يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرضَى .

فالمكان الذى لا يستطيع فيه ملائكة السماء وبكل مالديهم من عظمة من الشفاعة إلّا بإذنه، فماذا نتوقع من الأوثان التى لا حس لها ولا تمتاز بأيّة قيمة معنوية؟ أليس من المخجل أن يقولوا نعبدها لتكون شفيعة لنا عند اللَّه؟!

والملفت هنا هو اسـتخدام كلمة «كم» للتعبير عن أهميّة الموضوع، وهو ما يُستخدم عادة للكثرة وهو موسوم هنا بطابع العموم، وجاء فى

الآيـة كـذلك تعبير «فى السـموات» وهو دلالة على علو مقامهم، ووردت كذلك كلمة «شـفاعتهم» بصـيغة الجمع لكى يفهمشـفاعتهم جميعاً لا أثر لها إلّابإذن اللَّه ورضاه.

ولعـل التأكيـد على الملائكـة دون بقيـة الشـفعاء جـاء هنـا لأنّ فِئـة من العرب كانت تعبـد، الأوثان أو أنّ المقصود: فإن كانت شـفاعة الملائكة لا تتحقق ولا تنفع إلّابإذن اللَّه، فماذا يُتوقع من الأصنام الجامدة؟

والفـارق بين «الإـذن» و «الرضـا» هو أنّ الإـذن يُطلق حين يُعلن المرء عن رضـاه، لكن الرضـا منوط بالبـاطن، وانطلاقـاً من أنّ الرضا قد يكون مفروضـاً أحيانـاً وعـارٍ عن الرضـا الباطنى، فقـد ورد الاثنان معاً فى هـذا الموضع ليتم تأكيـد الغرض رغم أنّ الفرض على اللَّه لا يمكن تصوره (جل وعلا) وأنّ رضاه مستوسق مع إذنه، (فتأمل).

هل أنَّ هذا الاذن مرتبط بالشفعاء أم بالمشفع لهم؟ فالآية التى نحن بصددها تحتمل المعنيين، رغم أنّ معناها العام يبدو أكثر اختصاصاً بالشفعاء أى إنّ اللَّه يأذن ويرضى لهم بالشفاعة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۰

القسم الرابع: الآيات التى حددت بعض الشروط للشفيع والمشفوع له

من جملـة ذلك الآية التاسـعة التى تنفى بقولها: «وَلَا يَملِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ» ثم إنّها اسـتثنت منهم فريقاً فقالت: «إِلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُم يَعلَمُونَ».

يبـدو أنّ الصـفة الاـولى للشـفعاء هى الشـهادة بالحق؛ فلابـدّ أن يكون الشـفيع موحِّـداً، أى لا تتحقق الشـفاعة إلّافى ظل التوحيـد ونبذ الأصنام والاستعانة بلطف اللَّه.

قـال بعض المفسِّـرين: إنّ هـذا الوصـف للمشـفوع لهم. أى إنّ الشـفاعة لاـ تشـمل إلّـامن يقر بحقّانيـة اللَّه ووحـدانيّته، فهى لاـ تشـمل المشركين مطلقاً.

لكن ظاهر الآية، دالّ على التفسير الأول، لأنّ التفسير الثانى يحتاج إلى التقدير «۱»، والتقدير خلاف للظاهر.

أمّا الوصف الثانى: «وهم يعلمون» فقد ورد كلا التفسـيرين بشأنه أيضاً، فإن كان الوصف للشفعاء فسيكون معنى الجملة: اؤلئك الذين يشـهدون بـالحق عن علم ووعى، أو إن كـان المقصود هم المشـفوع لهم فيكون المعنى حينئـذٍ أنّهم يعرفونهم ويعلمون لمن ينبغى أن تكون الشفاعة.

فـإن كـان الوصف للمشـفوع لهم؛ يجب أن يكون مفهومها هو أنّ الشـفاعة تشـمل من ينطقون بحق كلمـة التوحيـد ويقولونها عن علم ووعى انطلاقاً من الدليل والبرهان وهى غير مقصورة على اللسان.

وجاء نفس هـذا المعنى بصورة اخرى فى نفس هـذه الآيـة التى نحن بصـددها، فبعـد اسـتنكار الآية ورفضـها لقول عبدة الأوثان الذين يظنون أنّ الملائكة أبناء اللَّه تقول لهم بأنّهم عباد اللَّه وأنّهم: «وَلَايَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى وفى الحقيقة: «وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشفِقُونَ». وعلى هذا فعبادة الملائكة لأجل نيل شفاعتهم (وهى عقيدة المشركين) لا طائل من

(۱). ينبغى أن يكون تقدير الآية على هذه الشاكلة: «إلّا لمن شهد بالحق».

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۱

ورائه، فهم يأتمرون بأمره تعالى ولا يشفعون إلّالمن يرتضى، أى للموحّد فقط.

وعلى هذا تكون جملة «لمن ارتضـى إمّا إشارة إلى رضاه عن دينهم وتوحيدهم وإيمانهم، وإمّا كونه راضياً عن الشفاعة لهم، وكلاهما يرجعان إلى معنىً واحد.

وانطلاقاً ممّا ذكر فإنّ شفاعة غير اللَّه لا تكون إلّابإذنه، واذنه يختص بالمؤمن والموحّد.

ويطالعنا فى الآيـة التاسـعة تعبير جديد يجرى فى نفس هذا المجرى فالآية تتحدث عن سوق المجرمين نحو جهنّم ثم تقول: «لَّايَملِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهداً».

وهذا الوصف لمن يُشفع لهم (بقرينة الآية السابقة لها والتى تتحدث عن المجرمين).

ومن المؤكّد أنّ المقصود بالعهـد هنا هو الإيمان باللَّه والإقرار بوحـدانيّته وتصـديق الأنبياء وقبول ولاية الأوصـياء، وقد أضاف البعض إلى كل ذلك العمل الصالح.

ورغم كثرة الاحتمالات التى طرحها المفسّرون فى تفسيرهم لكلمة «العهد»، إلّاأنّه يتضح خلال التمعن فيها أنّها تعود إلى المعنى الذى أشرنا إليه آنفاً.

واحتمل بعض المفسـرين الكبار أن يكون هـذا الوصف للشـفعاء وأنّ المقصود ب «العهـد» هنا هو نفس ما ورد فى الآية ۸۶ من سورة الزخرف؛ أى «الشهادة بالحق» «۱».

ولكن بما أنّ الضـمير فى «لا يملكون» ينبغى أن يعود على صـريح مـذكور فى الآيـة السابقـة وأنّ كلمـة «المجرمين» هى المذكورة فى الآية، يبدو هذا الاحتمال مستبعداً، والظاهر أنّ الوصف يخص المشفوع لهم.

وعلى هـذا الأسـاس يجب أن تكون هنـاك علاقـة بين الشـفيع والمشـفوع له قائمـة على الإيمان والعمل الصالـح، لأنّ الشـفاعة هناك محسوبة ولا تعنى مطلقاً التوسط لمن لا يستحق.

جاء فى حـديث عن النبى صـلى الله عليه و آله أنّه قال: «من أدخل على مؤمن سـروراً فقد سـرّنى ومن سَـرّنى فقد اتّخذ عند اللَّه عهداً» «۲».

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۱۴، ذيل الآية ۸۶ من سورة مريم.

(۲). تفسير در المنثور، (وفقا لنقل تفسير الميزان فى الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۲

من المؤكّد أنّ عبداً لو أدخل السرور على المؤمن لأجل إيمانه، فهو من ذوى الإيمان والعمل الصالح وذلك ممّا يوثّق علاقته باللَّه من أجل قبول شفاعته.

القسم الخامس: الآيات التى تشير إلى الأشخاص الذين لا تنالهم الشفاعة

(وهو القسم الأخير من الآيات التى ندرسـها) وتشـير إلى الأشخاص الذين لا تنالهم الشفاعة بسبب ما ارتكبوه من أعمال، ومفهومها أنّ الشفاعة تشمل فئات اخرى تقول إحداهما: «مَّا لِلظَّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ».

إذن فغير الظالمين بشكل عام يستحقّون الشفاعة.

ولكن ما المقصود بالظالمين؟ قال البعض من أمثال المحقق الطبرسـى فى مجمع البيان أنّهم المشركون والمنافقون، لأنّ أسوأ الظلم هو الشرك والنفاق «۱».

وصرح الفخر الرازى بأنّ المقصود ب «الظالمين» هنا الكُفّار «۲».

والآيات السابقـة لهـذه الآيـة، ومطلع نفس هـذه الآيـة الذى يحذّرهم من عذاب يوم القيامة وكذلك الآيات الواردة بعدها والتى تذكُر مصير الكفّار السالفين الذين أصبحوا عبرة من خلال تعرضهم للعذاب الإلهى، هى أيضاً شاهد ودليل على هذا المعنى

وقال بهذا الرأى كل من صاحب تفسير روح البيان، وصاحب روح المعانى والمراغى.

وعلى كل حال فإنّ نفى الشفاعة عن الظالمين بالخصوص (وبغض النظر عن المعنى الذى تُفسر فيه كلمة الظالمين) دليل على إثباتها لأقوام آخرين، وهذا ما أكدناه مَرّات عديدة فالشفاعة لا تحصل اعتباطاً بل تحتاج إلى نوع من الاستحقاق والتأهيل، أى إنّ المذنبين على صنفين: صنف يستحق الشفاعة وصنف لا يستحقّها.

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۷، ۸، ص ۵۱۹.
(۲) تفسير الكبير، ج ۲۷، ص ۵۰.
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۳

النتيجة:

نظراً لكثرة وتنوّع الآيات الآنفة الذكر، وأقسامها الخمسة المخصص كل واحد منها لجانب من جوانب الشفاعة، وبالالتفات إلى الوجهة العامة لها وتفسيرها بالاستعانة ببعضها وهو ما أشرنا إليه سابقاً، يتّضح لدينا حقيقة ومفهوم الشفاعة وكذلك شروطها وفلسفتها وأهمّيتها ودورها البنّاء، ويمثل أيضاً إجابات عن الاعتراضات المختلفة التى يطرحها عديمو الاطلاع بسبب عدم احاطتهم بمجموعة الآيات المتعلّقة بموضوع الشفاعة.
لكن أهميّة المسألة تقضى بفصل كل واحد من هذه المواضيع عن بعضها وتفسيره على حِدة من أجل أن تتمّ الاستعانة بالآيات القرآنية والتحليل المنطقى لازالة الصدأ عن هذه المرآة، وإليكم فيما يلى الايضاحات المهمّة فى موضوع الشفاعة.

توضيحات

۱ – مفهوم الشفاعة

لو تأملنا فى المفهوم اللغوى الصحيح لكلمة الشفاعة لاستطعنا الحصول على مدلولها الإسلامى لأنّ كلمة الشفاعة مأخوذة من المصدر «شَفْع» على ورن (نَفْع) ويعنى «ضم الشىء إلى مثله» ومن هنا تتضح ضرورة وجود نوع من التشابه بين الاثنين رغم الفروقات الموجودة بينهما.
ولهذا السبب فالشفاعة بمفهومها القرآنى تعنى أنّ الشخص المذنب الذى يتصف ببعض الجوانب الإيجابية (كالإيمان أو العمل الصالح) يشبه أولياء اللَّه، وهم بدورهم يبذلون له العون ويسوقونه نحو جادّة الكمال ويطلبون له المغفرة من اللَّه تعالى
ويمكن وصف حقيقة الشفاعة بصيغة اخرى فهى عبارة عن وقوف كائن أقوى وأفضل إلى جانب آخر أضعف ليعينه على طى مراتب الكمال.
إنّ الشفاعة للأشخاص المخطئين موجودة فى المجتمعات البشرية على مر العصور وقد
نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۴
كان الأشخاص المتنفّذون يشفعون للمخطئين عند أصحاب السلطة قبل نزول القرآن بآلاف السنين، إلّاأنّ الشفاعة السائدة بين أوساط الناس تختلف عن الشفاعة فى منطق القرآن والأديان السماوية بفارق واحد مهم وواضح وهو: أنّ الشفاعة فى المجتمعات الإنسانية غالباً ما يُقصد بها قبول شخص متنفّذ للحاجة إليه فى وجه من الوجوه، ولذلك تقبل شفاعته فى حق المخطىء، لكى يستفيد من الشافع فى الظرف المناسب لبلوغ بعض الغايات!
فالملوك مثلًا كانوا يقبلون شفاعة حواشيهم ورجال دولتهم فى بعض المجالات لكى يعظموهم ويمّجدوهم وليستفيدوا منهم فى انجاز

أعمالهم فى الوقت المناسب.

وكذلك كان الشفعاء يأخذون بنظر الاعتبار علاقتهم الشخصية بالمشفوع له، وليس أهليته ومدى استحقاقه لها.

ولكن لما كان اللَّه غنيّاً بالذات وغير محتاج على الاطلاق، فالشفاعة لديه تأخذ طابعاً آخر وهو أنّ الشفعاء لديه ينظرون إلى المخطئين ليروا مَن مِنهم ينال رضا اللَّه بسبب بعض النقاط الإيجابية لديه كالإيمان والعمل الصالح، فيشفعون له عند اللَّه لأجل هذه الجوانب الإيجابية، وهذا هو الفارق الشاسع بين الشفاعة المتداولة بين الناس وشفاعة أولياء اللَّه لديه، إذ أنّ الاولى قائمة على العلاقات فى حين أنّ الثانية قائمة على الضوابط والاستحقاقات:

ومن هذا المنطلق يمكن الردّ على بعض المنتقدين الجهلة الذين يرون الشفاعة نوعاً من الوساطة أو أنّها بمثابة الضوء الأخضر للمذنبين، وقارنوها بشفاعة حواشى الملوك المتجبّرين، فالأسس التى تقوم عليها الشفاعة فى مفهومها الشرعى تعتبر بنّاءة ومبنية على عوامل اللياقة والاستحقاق، فى حين تنبع الشفاعة المتعارفة بين الناس فى أغلب أشكالها من الحاجة المتبادلة بين الطرفين وترتكز على العلاقات الخاصة والشخصية غير المنطقية.

فالشفاعة الإلهيّة تربوية، والشفاعة المتعارفة تكون سبباً للاجتراء على ارتكاب الذنب أحياناً.

وتمثّل الآيات التى ذُكرت سابقاً شاهداً حيّاً على هذا المعنى لأنّها تحدد خصائص لمن

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۵

تنالهم الشفاعة تقوم على الجوانب الإيجابية والتأهيل والاستحقاق، وكثيراً ما تكون الأسس المقبولة للاستحقاق هى العمل الصالح.

۲- أنواع الشفاعة (الشفاعة التكوينية والشفاعة التشريعية)

لو ألقينا نظرة امعان على مفهوم الشفاعة لوجدناها من زاوية المصداق الخارجى واسعة إلى حد أنّها تشمل كل عالم الوجود، لأنّ مساعدة الكائنات الأقوى للكائنات الأضعف على العيش والنجاة والحياة مشهودة فى جميع مجالات الحياة.

فحين تنفلق البذرة وتخرج منها نبتة ضعيفة تهيّء لها الأرض المواد الغذائية اللازمة، وترسل عليها الشمس أشعتها وحرارتها وطاقتها الخفية، وتُسقط عليها الغيوم قطرات متواصلة من المطر، لكى يشتد هذا الكائن الضعيف ويجتاز العقبات ليغدو فى نهاية المطاف شجرة ضخمة محمّلة أغصانها بالثمار، هذا مشهد واضح للشفاعة التكوينية.

وهنالك مشاهد اخرى للشفاعة التكوينية تتمثل فى وقوف الوالدين إلى جانب المولود الضعيف، والمزارع إلى جانب غرسه، والمعلم إلى جانب الطفل الذى يتعلم حروف الهجاء، وعلى هذا يمكن اعتبار كل عالم الأسباب والعلة والمعلول مشاهد متنوعة لهذه الشفاعة.

إنّ الشمس والريح والمطر والأرض لا تهرع بالتأكيد لإعانة خشبة يابسة، فهى حطب ولا مصير لها سوى الاحتراق، بل تهب لمساعدة النبتة المتفتحة توّاً والبراعم الضعيفة، وباختصار فإنّ كل كائن يمتلك مقوّمات الكمال والنمو.

ولو نقلنا هذا المثال الواضح من عالم التكوين إلى عالم التشريع أىإلى شفاعة الأنبياء والأولياء للمذنبين، سيتضح لنا المفهوم الحقيقى للشفاعة القرآنية، ويكون ذلك ردّاً على انتقادات الجهلة، وهنا تبرز لنا الشفاعة بمفهومها التربوى على أكمل وجه.

وردت فى نهج البلاغة للإمام أميرالمؤمنين على عليه السلام ضمن كلماته القصار، جملة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۶

تعكس هذا المعنى بأسلوب جذّاب جدّاً يقول فيها: «الشفيع جناح الطالب» «۱».

فكما أنّ الطيور صغيرة السن لا يمكنها الطيران إلّابمساعدة الأب والأم وكأنّهما يمثلان اجنحتها التى بها تطير إلى أن تكبر، فكذلك الشفعاء يساعدون المشفوع لهم ليحلّقوا فى سماء السعادة والكمال، (فتأمل).

۳- فلسفة الشفاعة

اشارهٔ

لقد اتّضحت لدينا فلسفهٔ الشفاعهٔ من خلال ما قيل فى تفسيرها وكذلك من خلال الإشارات العديدهٔ التى أوردناها فى تفسير الآيات. فالشفاعهٔ لا تشجيع على الذنب، ولا تمثل الضوء الأخضر لارتكاب المعاصى، ولا هى من أسباب التخلف ولا هى شيء يشبه الواسطهٔ فى مجتمعات عالم اليوم، بل هى مسألهٔ تربويهٔ تحضى بأهميّهٔ بالغهٔ، ولها آثار إيجابيهٔ فى الجوانب المختلفهٔ، ومن جملهٔ ذلك:

أ) بعث الأمل ومواجههٔ روح اليأس

كثيراً مايتغلب هوى النفس على الإنسان ويدفعه لارتكاب الذنوب الكبيرهٔ، فتتغلب من بعد ذلك روح اليأس عليه، ممّا يدفعه لارتكاب المزيد منها حتّى يغدو غارقاً فى الذنوب لأنّه يتصور أنّه قد تجاوز الحد وغرق فى بحر آثامه فما هو الفرق إن انغمس فى الماء لقامهٔ واحدهٔ أو لمائهٔ قامهٔ!

لكن الاعتقاد بشفاعهٔ أولياء اللَّه يزرع فى نفسه الأمل، فلو وقف عند هذا الحد وأصلح نفسه، فقد يُعفى عمّا سلف منه وذلك عن طريق شفاعهٔ الأبرار والصالحين، وعلى هذا فإنّ

---

(۱). نهج البلاغهٔ، الكلمات القصار، الكلمهٔ ۶۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۷

الأمل بالشفاعهٔ يساعد على الكفّ عن ارتكاب المزيد من الذنوب والعودهٔ إلى الصلاح والتقوى

ب) إيجاد العلاقهٔ المعنويهٔ مع أولياء اللَّه

لو أمعنا النظر فى ما قيل سابقاً فى تفسير مفهوم الشفاعهٔ لتوصّلنا وبكل سهولهٔ إلى نتيجهٔ مفادها أنّ الشفاعهٔ مرهونهٔ بوجود نوع من العلاقهٔ بين الشفيع والمشفوع له، وهى رابطهٔ معنويهٔ منبثقهٔ من الإيمان وبعض الخصال الفاضلهٔ وفعل الحسنات.

ومن المؤكد أنّ الذى يرجو الشفاعهٔ يسعى دوماً لإقامهٔ نوع من العلاقهٔ مع الشفعاء وفعل ما يرضيهم ولا ينسف جسور العودهٔ من خلفه، ولا يفسخ عرى الصداقهٔ والمحّبهٔ عن آخرها، وسيكون مجموع هذه الإجراءات عوامل مؤثرهٔ فى تربيته، وسبباً لابتعاده عن صف المجرمين بالتدريج، أو أن يقوم على أقل تقدير ببعض الأعمال الصالحهٔ إلى جانب المعاصى والذنوب، لانقاذ نفسه بالتدريج من الوقوع فى حبائل الشيطان.

ج) نيل شروط الشفاعهٔ

وردت فى الآيات التى قمنا بتفسيرها سابقاً شروط مختلفهٔ للشفاعهٔ وأهمها استحصال الإذن من اللَّه بذلك، ومن البديهى أنّ من يرجو الشفاعهٔ لابدّ وأن يحاول التمهيد للحصول على الإذن، أى يفعل ما يُرضى اللَّه.

فقد ورد فى بعض الآيات السابقهٔ أنّ الشفاعهٔ يوم القيامهٔ لا تنفع إلّامن رضى الرحمن قوله وأذِن له بالشفاعهٔ (طه/ ۱۰۹).

وجاء فى قوله تعالى أنّهم: «لَا يَشفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارتَضَى . (الأنبياء/ ۲۸)

وقوله تعالى إنّ الشفاعهٔ لا تكون إلّالمن: «اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهداً». (مريم/ ۸۷)

وكما قلنا سابقاً فإنّ هـذه المقوّمات لا تتحقق إلّافى ظل الإيمان باللَّه وبمحكمته العادلة والاعتراف بحُسن العمل الصالح وقبح السّيئات والإقرار بصحة جميع القوانين والتعليمات الإلهيّة.

بالإضافة إلى ذلك فقد ورد فى بعض الآيات السابقة أنّ الشفاعة لاتشمل الظالمين، وبناءً على هـذا يتوجّب على من يأمل فى نيل الشفاعة الخروج من صف الظالمين (بغض النظر عن المعنى الذى تفسر به كلمة الظلم).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۸

ومن مجموع هذه العوامل يتعيّن على كل من يأمل الفوز بالشفاعة إعادة النظر فى أعماله السابقة واتخاذ القرارات الافضل بشأن سيرته المستقبلية، وهذه أيضاً تعتبر بذاتها نقطة إيجابية ومن العوامل التربوية الفاعلة.

د) الاهتمام بسلسلة الشفعاء

تُعتَبر الإشارات الواردة بخصوص الشفعاء فى الآيات الشريفة، وكذلك التصريحات التى نقلتها لنا الروايات، دليلًا آخر على الأبعاد التربوية للشفاعة.

جاء فى حديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «الشفعاء خمسة: القرآن، والرَّحِم، والأمانة، ونبيّكم، وأهل بيت نبيّكم» «۱».

وجاء فى مسند أحمد حديث آخر عن النبى الكريم صلى الله عليه و آله قال فيه: «تعلّموا القرآن فانّه شافع يوم القيامة» «۲».

و ورد نفس هذا المعنى فى نهج البلاغة فى كلام مولى المتّقين أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: «فانّه شافع مشّفع» «۳».

ويُستفاد من روايات أُخرى أنّ أفضل الشفاعة التوبة، فعن على عليه السلام قال: «لا شفيع أنجح من التوبة» «۴».

وصرّحت بعض الأحاديث أيضاً بشفاعة الأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة، كالحديث المنقول عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «الشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة، وفى المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين شفاعة من يشفع لثلاثين إنساناً» «۵».

---

(۱). ميزان الحكمة، ج ۵، ص ۱۲۲.

(۲). مسند أحمد، ج ۵، ص ۲۵۱.

(۳). نهج البلاغة، الخطبة، ۱۷۶.

(۴). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۳۷۱.

(۵). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۵۸، ح ۷۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۸۹

وجاء فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة بعث اللَّه العالم والعابد، فاذا وقفا بين يدى اللَّه عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قِف تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم» «۱».

يظهر من هذه التعابير وخاصة الأخير منها أنّ الشفاعة نتاج العلاقة المعنوية القائمة مع الصلحاء والأبرار والمؤمنين والعلماء.

أمّا عن الشهداء فقد روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «ويشفع الرجل منهم فى سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرانه» «۲».

وحتى أنّ بعض الروايات أشارت إلى أنَّ: «شافع الخلق: العمل بالحق ولزوم الصدق» «۳».

و خلاصة القول التى يمكن استنتاجها من مجموع هذه الروايات وغيرها الواردة فى المصادر الإسلامية أنّ الشفاعة من المسائل التربوية المهّمة فى الإسلام والتى تعكس القيم الإسلامية السامية من خلال الاهتمام بنوع الشفعاء، وتحث جميع المسلمين للالتزام بهذه القيم والصفات التى يتمتع بها الشفعاء، وتشجّع على تقوية وتوثيق العلاقات معهم، وتجلو عنها كل تفسير خاطىء وكل تحريف باطل «۴».

۴- متى تكون الشفاعة؟

لا شك أنّ أحد الأوقات التى تتحقق فيه الشفاعة هو يوم القيامة، وذلك لأنّ الكثير من

(۱). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۵۶، ح ۶۶.

(۲). تفسير مجمع البيان، ج ۲، ص ۵۳۸، ذيل الآية ۱۷۱ من سورة آل عمران.

(۳). غرر الحكم.

(۴). ذكر فى تفسير الميزان: وبعد أن وضّح الشفاعة أنّها تأثير الأسباب فى المسببات- أنَّ الشفعاء يقسمون إلى فريقين فى عالم التشريع وعالم التكوين، فمن جملة الشفعاء التشريعيين: التوبة والعمل الصالح والإيمان والقرآن والأنبياء والملائكة والمؤمنون ويستدل فى هذا الصدد بالآيات الدالة على تأثير هذه الامور فى هؤلاء الأشخاص فى غفران الذنوب (رغم أنّ عنوان الشفاعة غير موجود فيها) كالآية ۵۴ من سورة الزمر؛ والآية ۲۸ من سورة الحديد؛ والآية ۹ ومن سورة المائدة؛ والآية ۱۶ من سورة المائدة؛ والآية ۶۴ من سورة النساء؛ والآية ۷ من سورة المؤمن؛ والآية ۲۸۶ من سورة البقرة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۰

آيات الشفاعة تختص بذلك اليوم، ولكن هل تحصل الشفاعة أيضاً فى عالم البرزخ أو فى عالم الدنيا؟ وهل هناك شفاعة فى الآخرة وقبل انتهاء الحساب، أم لا؟ هناك آراء فى ذلك، منها:

للعلّامة الطباطبائى رحمه الله بحث مفصل فى هذا الصدد، وفى ختامه يستنتج ما يأتى:

«إنّ الشفاعة تكون فى آخر موقف من مواقف يوم القيامة حيث يطلب فيها الشفيع المغفرة- فيحول دون دخول المشفوع له النّار، أو اخراج بعض من كان داخلًا فيها، باتساع الرحمة أو ظهور الكرامة.

ويشير فى بعض كلماته إلى عالم البرزخ وما يدل على حضور النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام عندد الموت وعند مسائلة القبر واعانتهم إيّاه على الشدائد.

ويضيف: فليس من الشفاعة عند اللَّه فى شيء وإنّما هو من سبيل التصرفات والحكومة الموهوبة لهم بأذن اللَّه سبحانه» «۱».

والغريب فى الأمر أنّه عندما يتحدّث عن حقيقة الشفاعة يعطيها من الشمولية بحيث يعتبر أى نوع من تأثير الأسباب فى عالم التكوين والتشريع مشمولًا بالشفاعة، ولكنه لايعتبر هنا مساعدة أولياء اللَّه لجماعة من المؤمنين لإنقاذهم من مشكلات القبر والبرزخ، مصداقاً للشفاعة.

وعلى أيّة حال يستشف من مجموع الآيات والروايات أنّ الشفاعة- بالمعنى الواسع للكلمة- تتحقق فى العوالم الثلاثة (الدنيا والبرزخ والآخرة) رغم أنّ المكان الرئيسى لها والأثر المهم هو فى يوم القيامة لغرض النجاة من عذاب النّار.

جاء فى قوله تعالى «وَلَو انَّهُم اذ ظَّلَمُوا انفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً». (النساء/ ۶۴)

وهل أنّ استغفار الرسول صلى الله عليه و آله للمؤمنين المذنبين يعنى شيئاً سوى الشفاعة؟!

وجاء نفس هذا المعنى فى موضع آخر من القرآن الكريم فى قصة يعقوب وابنائه إذ

(۱). تفسير الميزان، ج ۱، ص ۷۴، ذيل الآية ۴۸ من سورة البقرة.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۱

طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم ربّهم (يوسف/ ۹۷).

وحصل في هذه الدنيا الكثير من ذلك حيث نجا أشخاص أو أقوام من عذاب الدنيا بسبب شفاعة الأنبياء وأولياء اللَّه.
ولدينا روايات كثيرة أيضاً تفيد أنّ أعمال الإنسان الصالحة كالصلاة والصوم والولاية وأمثالها أو حضور أولياء اللَّه تكون سبباً في تخفيف عقوبات وآلام الشخص في عالم البرزخ كما يؤدّي دفن إنسان صالح لديه حسنات كثيرة في مقبرة ما إلى تخفيف ذنوب من دفن في تلك المقبرة.
وهذه كلها إشارات إلى وجود الشفاعة في عالم البرزخ.
وحتّى أنّ صلاة الميّت وما تتضمنه من الاستغفار له لا تخلو من التأثير، وهي نوعٌ من الشفاعة أيضاً.
وعلى هذا فليست الشفاعة محدودة في عالم خاص، بل تضم العوالم الثلاثة إلّاأنّ المكان المهم والأساسي لها هو القيامة لأنّها تمثل لحظات الوقوف على مشارف العذاب الإلهي.
سؤال:
قد يُقال: هناك روايات عديدة وردت عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام تؤكد خوفهم على شيعتهم من عذاب البرزخ كما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «واللَّه ما أخاف عليكم إلّا البرزخ، فإذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم» «۱».
ونقرأ عنه عليه السلام حديثاً آخر يتضمن وعداً منه بالشفاعة للمؤمنين المخطئين يقول فيه:
«ولكنّي واللَّه أتخوّف عليكم من البرزخ. يقول الراوي: فقلت له: ما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة» «۲».

---

(۱). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۱۴، ح ۲.
(۲). المصدر السابق، ص ۲۶۷، ح ۱۱۶.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۲

ولكن يحتمل أن تخص هذه الروايات مرحلة معينة من البرزخ، أو أنّ لها بُعداً استثنائياً ومحدوداً قد يتحقق في ظل مجاورة أحد أولياء اللَّه وهي غير شاملة لجميع من يستحقون الشفاعة.

۵- الإشكالات الأساسية المطروحة بشأن الشفاعة

اشارة

كما أسلفنا في تفسيرنا لمعنى الشفاعة في القرآن الكريم والإسلام بأنّ لها مفهوماً يختلف كُلياً عمّا هو متعارف بين أوساط الناس، وأن تشابهها هو السبب في بروز الكثير من الإشكالات والأخطاء في هذا المجال، والحقيقة أنّ الإجابة عن أغلب تلك الإشكالات يمكن في التفسير الصحيح لمفهوم الشفاعة في الإسلام.
نكتفي بهذا التمهيد الموجز ونعود لطرح تلك الاعتراضات ونجيب عنها:

أ) هل تُعتبر الشفاعة تشجيعاً على ارتكاب الذنوب؟

إلّا يكون الأمل بالشفاعة والاعتماد عليها سبباً لكي يعتبره البعض بمثابة الضوء الأخضر لارتكاب المعاصي، فيوغلون في ممارسة أنواع الذنوب والجرائم متأملين انقاذ الشفعاء لهم من العذاب الإلهي في يوم الجزاء وبهذا تكون نفوسهم في راحة تامة وقد أمنت من التهديد الرباني بالعذاب؟ أو بتعبير آخر: ربّما تكون عقوبات القيامة ضماناً إجرائياً لتنفيذ القوانين الإلهيّة واجتناب معصيتها؛ أفلا تُعتبر الشفاعة خرقاً لهذه الضمانات؟

الجواب:

كما قيل سابقاً فإنّ الشفاعة بمفهومها القرآنى لا تحث ولا تشجع على ارتكاب الذنب، وليس هذا فقط بل إنّها عامل ردع قوى أيضاً يحول دون ذلك، لأنّها تجعل الأشخاص يتوقفون فى أى‌مرحلة كانوا ولا يوغلون فى طريق المعصية أكثر من ذلك، بل تكون بمثابة خط للرجعة تدريجياً.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۳

وبتعبير آخر، يمكن القول: إنّ الشفاعة بمفهومها الإسلامى تعتبر نتاجاً لنوع من العلاقة بين الشفيع (أولياء اللَّه والقرآن و ...) والمشفوع له، وهى رهينة بإذن اللَّه وتستلزم أرضية إلهيّة، وبناءً على هذا فإنّ أمل الشفاعة يقول للإنسان: يجب عليك إقامة علاقة إيمان وعمل مع أولياء اللَّه، وأن تعمل ما من شأنه جلب رضا اللَّه، ليكون لك رصيداً فى ذلك اليوم العصيب وسبباً للشفاعة عندهم.

ولهذا السبب يكون أصل الشفاعة رادعاً عن ارتكاب الذنب من جهة، وعاملًا لإعادة النظر فى ما ارتكب من سيّئات فى الماضى.

ولا يخفى أيضاً أنّ أحداً لم يتسلّم ضماناً بالشفاعة من أى ولى من أولياء اللَّه، ولا يمكن لأى مذنب أن يطمئن إلى قول الشفاعة فيه، بل إنّها مطروحة كإحتمال وأمل، وهذا أيضاً مشروط بالشروط المذكورة آنفاً، وعلى هذا فهى لا تدفع مطلقاً على التجرؤ على ارتكاب الذنب.

ب) لمن الشفاعة؟

هل هى للشخص النادم على الذنب؟ فهذا فى غنىً عن الشفاعة لأنّ التوبة تعنى الندم وهى سبب الخلاص، وإذا وجدت التوبة فما الحاجة للشفاعة؟ وإن كانت للعاصى غير النادم على الذنب، الذى يقف أمامه بكل صلافة وجسارة، فمثل هذا الشخص لا يستحق الشفاعة وهو ليس مصداقا لقوله «لِمَنْ ارْتَضَى فى الآية ۲۸ من سورة الأنبياء!؟

الجواب:

أوّلًا: إنّ للتوبة شروطها، وكثيراً ما يخفق الإنسان فى انجاز كل تلك الشروط، لأنّ عدداً من الآيات القرآنية نصّت على أنّ التوبة اصلاح الماضى، أى لو أنّ أحداً كان يرتكب الذنوب لسنوات متمادياً ويدخل باب التوبة نادماً، يجب عليه إصلاح ما مضى سواءً كان حق اللَّه بعمل الخير، أو كان حق الناس فيجب عليه أداؤه عن آخره، وعلى هذا فالتوبة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۴

وخلافاً للتصور السائد لا تقتصر على الندم لوحده.

وما أكثر الناس الذين يفشلون فى تحقيق هذا الإصلاح، بينما هو غارق فى الندم فينقطع أمله فى الشفاعة ويسقط فى اليأس من الغفران، وإن هو يَئِسَ توغل أكثر فى ارتكاب الذنب.

ثانياً: قد يكون الشخص قد ارتكب الكثير من الذنوب إلّاأنّ الحظ لم يحالفه فى التوبة والندم، فإن شعر بإمكان الأخذ بيده يوم القيامة على يد الشُفعاء شريطة هجر بقية الذنوب أو القيام بأعمال الخير، فهذا سيشجعه على أقل تقدير على ترك الذنوب الاخرى وفعل عمل الخير.

ج) هل تنسجم الشفاعة مع العدل الإلهى؟

كيف يمكن لعدد من المذنبين المتشابهين مع بعضهم فى الذنوب، أن تنجو طائفة من العذاب الإلهى بالشفاعة، وتقع الاخرى فى مخالب ذلك العذاب؟ ألا يُعتبر هذا التمييز منافياً لعدل اللَّه؟

السؤال: وقـد يطرح هـذا التساؤل أحياناً بضـيغة اخرى فيقال: إن كان العقاب الرّبانى للمـذنبين عدلًا: إذن فطلب أولياء اللّه الشـفاعة هو خلاف للعدل، وإن لم يكن متسقاً مع مبدأ العدل، فينبغى أن لا تجرى تلك العقوبة من الأساس.

والجواب: عن هذا الاستفهام يمكن استخلاصه من بين طيات البحوث السابقة، وكما يلى.

أولًا: إنّ الشـفاعة لا تتحقق بدون الأرضية المناسبة. فكل من يستحقها ينالها وكل من لا يستحقها فهو مُستبعد عنها، وعلى هذا لا يوجد فيها أى تمييز.

ثانياً: إنّ مجازاة المـذنب هى عين العـدل، أمّا قبول الشـفاعة فهو نوع من التفضل لأجل ما يمتاز به المشـفوع له من أرضـية صالحة من جهة، وتكريماً واحتراماً للشفيع وما قام به من عمل صالح من جهة اخرى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۵

د) ألا تتعارض الشفاعة مع إرادة اللّه؟

قد يُتصور أحياناً أنّ الشفيع يحول دون تحقق إرادة الحاكم العادل، ويُنقذ من العقوبة الشخص الذى ينوى ذلك الحاكم معاقبته، إلّاأنّ هذا الكلام لا يصدق بحق اللّه جلّت عظمته.

فهـذا التصّور الخاطىء ناتـج من اعتبار الشـفاعة التى يصورها القرآن مماثلـة للشـفاعة المتعارفـة بين يدى الجبّارين والحكام الظالمين، فالأشـخاص المتنفّـذين عنـد هؤلاء الحكام يحاولون اسـتنقاذ المذنبين الذين يرتبطون معهم بصـلةٍ ما، خلافاً للاصول المرعّية، فيضـطر الحاكم أو السـلطان إلى النزول عنـد رغبة هؤلاء المتنفذين- لحاجته إليهـم- وقبول شـفاعتهم والتغاضـى عن معاقبة المذنب وقد تكون خلافاً لرغبته أحياناً.

إلّا أنّ هـذه المسائل وكما قلنا سابقاً لا تصـدق على اللّه تعالى ولاتنطبق على الشـفاعة بين يديه، فالشـفاعة هناك لها طابع آخر، فأولياء اللّه يطلبون الشـفاعة بإذن اللّه لمن لـديهم ذنوب لكنها ليست كبيرة، ولـديهم فى مقابل تلك الذنوب أعمال صالحة أيضاً، وطرح هذا الموضوع يُعتبر فى الحقيقة تربية للنفوس وتطهيراً لها.

ه) عقوبات القيامة هى الأثر التكوينى للاعمال، فكيف يمكن ازالتها بالشفاعة؟

وهـذا أيضـاً واحـد من الإشـكالات التى طرحت على الشـفاعة، فالـذى يتبـادر إلى الأذهـان أنَّ الشـفاعة يمكن تطبيقهـا على العقوبات التشـريعية والوضـعية فقط، فيكون الشـفيع سـبباً لايقاف تنفيذ الحكم على المشـفوع له، ولكن عندما نعتقد بأنّ عقوبات القيامة هى فى الغالب من الآثار الوضـعية والطبيعيـة للأعمال وهى بذلك تشـبه فعل السم فى قتل الإنسان، فهذا الأثر ليس بالشـىء الذى يمكن تغييره بالشفاعة.

الجواب: لو أننـا لاحظنـا ماذكرنـاه سابقـاً فى كون الشـفاعة على نوعين تكوينيـة وتشـريعية، لاتّضـح لنـا جواب هـذا السؤال جلياً، لأنّ العقوبات إن كان لها بُعد تكوينى، فإنّ وقوف أولياء اللّه باعتبارهم كيانات أقوى وأفضل إلى جانب المشفوع له وكمال استعداده

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۶

الناقص بواسطة إمـدادهم المعنوى، فيتغلبون بالنتيجـة على الآثار التكويتيـة للذنب، مثلما تُنمّى الشـمس النباتات ذات الاسـتعداد للنمو وتنقـذها من الآفات. أمّا إذا كانت تلك العقوبات وضـعية، فَتُطلَبُ الشـفاعة من اللّه تعالى ليغفر لمن يسـتحق غفران الـذنب وفى جميع الأحوال فإنّ المقام المعنوى للشفيع يكون سبباً فى تأثير تلك الشفاعة بإذن اللّه.

ويمكن تكرار نفس هذا الكلام بخصوص تجسّد الأعمال لأنّه شبيه أيضاً بالآثار الوضعية والتكويتيّة للعمل (فتأمل).

و) أليس الاعتقاد بالشفاعة من عوامل التخلف؟

ويبدو هذا الوهم لبعض الناس أيضاً وهو: ألا يكون الاعتقاد بالشفاعة سبباً يحدو ببعض الناس إلى عدم الإتكال على عملهم، فلا يظهرون مالديهم من قابليات وكفاءات كامنة؟

الجواب؟

يبدو من هذا التعبير أنّ ذهنية أصحاب الإشكالات لا تختلف عن ذهنية الناس العاديين وتصورهم عن الشفاعة ومفهومها الدنيوى، فى حين طرح هذا الموضوع بالأدلة فى بداية هذا البحث، مِن أنَّ الشفاعة فى مفهومها القرآنى الإسلامى لا تُعتبر عامل تخلف، بل وحتّى أنّها تعتبر دعوة فاعلة لاصلاح الذات وترك الذنب والتعويض عمّا مضى والاستبشار بالمستقبل والتّحرك نحو الخير والصلاح. وبما أنّ هذا الموضوع قد تمّ تبيانه بالتفصيل، فلا نرى ضرورة لتكراره هنا.

ز) ألا تتعارض الشفاعة مع التوحيد؟

إنّ التصور بوجود تعارض بين الشفاعة والتوحيد هو واحد من الإشكالات المعروفة بشأن موضوع الشفاعة، ومَرَدُّ ذلك هو الإعلام المكثف الذى وظّفهُ الوهابيون ضد هذه المسألة، ولهذا ينبغى الالتفات إليها جيّداً:

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۷

تدور عقائد الوهابيين بشكل أساسى حول عددٍ من المحاور، وأكثرها وضوحاً هى مسألة التوحيد فى الأفعال والتوحيد فى العبادة، فهم يفسِّرون فرعى التوحيد هذين وكأنّهما يتعارضان مع موضوع الشفاعة والتوسل بأرواح الأنبياء والأولياء وشفاعتهم بين يدى اللَّه، ولهذا السبب فقد اعتبروا جميع فرق المسلمين التى تعتقد بهذه الامور (باستثناء الوهابيين) مشركة، ولا تعجبوا لو قلنا إنّهم يعتبرون أرواح غيرهم وأموالهم وأعراضهم مباحة مثلما كان يفعل عرب الجاهلية المشركون.

وانطلاقاً من هذا المعتقد فقد أراقوا دماء الكثير من المسلمين فى الحجاز والعراق، ونهبوا أموالهم، وارتكبوا جرائم كثيرة لم يسبقهم إليها أحدٌ فى الإسلام.

ولمؤسِّس هذه الفرقة وهو محمد بن عبدالوهاب (المتوفى عام ۱۲۰۶) كتابٌ يعرف باسم «رسالة القواعد الأربع» يقول فيه حول هذا الموضوع:

إنّ الخلاص من الشرك يكون بمعرفة أربع قواعد:

الاولى أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يُقِرون بأنّ اللَّه تعالى هو الخالق الرزاق المدبر ولم يدخلهم ذلك فى الإسلام لقوله تعالى «قُل مَن يَرزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالارضِ امَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالْابصَارَ وَمَن يُخرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْامْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُل افَلَا تَتَّقُونَ». (يونس/ ۳۱)

الثانية: أنّهم يقولون مادعونا الأصنام وتوجهنا إليهم إلا لطلب القرب والشفاعة «وَيَعبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَالَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنفَعُهُم وَيَقُولُونَ هؤُلَآءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَاللَّهِ». (يونس/ ۱۸)

الثالثة: أنّه صلى الله عليه و آله ظهر على قوم متفرقين فى عبادتهم فبعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم الأنبياء والصالحين، وبعضهم الأشجار والأحجار، وبعضهم الشمس والقمر، فقاتلهم ولم يفرق بينهم.

الرابعة: أنّ مشركى زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأنّ أُولئك يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدّة وهؤلاء شركهم فى الحالتين لقوله تعالى «فَاذَا رَكِبُوا فِى الفُلْكِ دَعَوُا

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۳۹۸

اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ الَى الْبَرِّ اذَا هُمْ يُشرِكُونَ» «۱». (العنكبوت/ ۶۵)

والغريب فى الأمر هو تمسكهم بهذه الأقاويل التى لا تعدو أن تكون مجرّد سفسطة ومغالطة، فيبيحون وبهذه البساطة أرواح وأموال خصومهم، ويجيزون قتلهم، كما يقول الشيخ «سليمان» وهو من زعماء هذه الفرقة الضالة فى كتابه «الهدية السنّية» بأنّ الكتاب والسُنّة يشهدان على أنّ كلّ من يجعل الملائكة والأنبياء أو بعض الأصحاب وأهل البيت كابى طالب وابن عباس واسطة بينه وبين اللَّه عزّ وجلّ ليشفعوا له عند اللَّه تعالى لقربهم منه كما يشفع إلى السلاطين بواسطة المقربين منه فمثل هذا الشخص كافر ومشرك، ومباح دمه وماله حتى لو كان يشهد والشهادتين ويصلي ويصوم «۲».

لقد أثبتوا تمسكهم بهذا الحكم القبيح والمخزى أى اباحة دماء وأموال المسلمين من خلال الأحداث التاريخية المختلفة ومنها الحادثة المشهورة لقتل أهالى الطائف فى الحجاز قتلًا جماعياً وذلك (فى صفر عام ۱۳۴۳)، والقتل الجماعى لأهالى كربلاء فى العراق (فى ۱۸ ذى الحجّة عام ۱۲۱۶) وهذا ماورد فى الكثير من كتب التاريخ.

النقاط الخاطئة فى هذا الاستدلال:

۱- إنّ الآيات الاثنتى عشرة التى أوردناها فى بداية البحث بشأن موضوع الشفاعة وفسّرنا مفهومها تثبت لنا هذه الحقيقة وهى أنّ الشفاعة مبدأ إسلامى وقرآنى بديهى إلّاأنّها تضّمنت شروطاً للشفيع وللمشفوع له، وعلى هذا فلا يمكن لأحد أن يتحدث باسم الإسلام والقرآن وينكر هذا المبدأ بجميع دلائله البيّنة، وإننا لنعجب كيف أنّهم يعتبرون أنفسهم مسلمين وينكرون هذا المبدأ الذى يُعَدُّ من ضرورات الإسلام والقرآن، فهل ينكر المُسلم ضرورات الإسلام وأحكام القرآن؟

---

(۱). «رسالة القواعد الأربع» تأليف محمد بن عبد الوهاب زعيم الوهابيين: من ص ۲۴ إلى ص ۲۷ وفقاً لما نقله كتاب كشف الارتياب، ص ۱۶۳.

(۲). الهدية السنية، ص ۶۶.

۲- إنّ الشفاعة التى ذكرها القرآن وذبَّ عنها، شفاعة يرتبط خطّها الأصيل ب «إذن اللَّه» وما لم يأذن بالشفاعة فلا يحق لشفيع أن يشفع، وبتعبير آخر فإنّ هذه الشفاعة صادرة من الأعلى ومشروطة بإذن اللَّه، وهى ليست كشفاعة حاشية السلاطين الجائرين، فهى صادرة من الأسفل وقائمة على أساس العلاقات الشخصية.

إنّ شفاعةً كهذه تُعّد تأكيداً لمسألة التوحيد لأنّ خطّها الاصلى يصدر عن اللَّه تعالى وهذا هو التوحيد البعيد عن أى لون من ألوان الشرك، لكن الوهابيين الذين تشابهت عليهم الشفاعة القرآنية مع الشفاعة الشيطانية لحواشى السلاطين انكروا هذا المبدأ واعتبروه مضادّاً لأصل التوحيد، وفى الحقيقة أنّهم قد اعترضوا على أوهامهم فى هذا الطرح، لا على مبدأ الشفاعة القرآنية.

۳- الشفاعة فى حقيقتها سبب للنجاة: كما هو الاعتقاد بوجود الأسباب فى عالم الخلقة والتكوين (كتأثير أشعة الشمس وتساقط المطر فى نمو الأعشاب) لا يتنافى مطلقاً مع مبدأ التوحيد، لأنّ تأثير هذه الأسباب يتحقق بإذن اللَّه وأمره، وفى الحقيقة أنّ عملها هو نوع من الشفاعة التكوينية، كما أنّ وجود مثل هذه الأسباب فى عالم الشريعة للمغفرة والنجاة بأنّ اللَّه لا يتعارض مع التوحيد بل هو تأكيد له، وهذا هو ما نطلق عليه اسم الشفاعة التشريعية.

۴- إنّ الشفاعة التى يرفُضها القرآن فى عبادة الأصنام هى أنّهم كانوا يجعلون كثيراً من الأشياء الخالية من أيّة ميزة أو خاصية شفيعة لهم إلى اللَّه؟ ولذا صَرّح الآية التى يستندون عليها بالخصوص: «وَيَعبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَالَا يَضَرُّهُم وَلَايَنفَعُهُم وَيَقُولُونَ هؤُلَآءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ». (يونس/ ۱۸)

هـذا من جهـة؛ ومن المؤكـد أنّ هـذا لا علاقة له بشـفاعة الأنبياء والأولياء، فهذا الكلام يخص الأصـنام وهى الأحجار المجرّدة من أى عقل وأحاسيس.

ومن جهـة اخرى فالقرآن يـذم الشـفاعة القائمـة على أساس الاعتقاد باسـتقلال الشـفيع، وتأثيره فى مصـير الناس بلا اذن من اللَّه، ولـذا جاءت فى سورة الزمر آية وهى من الآيات التى يستندون إليها: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَاءَ مَانَعْبُدهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا الَى اللَّهِ زُلْفَى

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۰

نفحات القرآن ج ۶ ۴۱۵

إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَينَهُمْ فِى مَا هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ». (الزمر/ ۳)

ووفقـاً لهـذه الآيـة فـانّهم كانوا يعتبرون من يعبـدون من دون اللَّه أولياء، وقيِّمين وحماة وحافظين لهم، فكانوا يعبـدونهم، وكلا هـذين الفعلين (اعتبارهم أولياء وعبادتهم) شرك.

أمّا إذا لم يعبـد أوليـاء اللَّه وأنبيـاء وملائكته، بل يحترمهم ويكرّمهم ويرى فيهم أنّهم شـفعاء له بين يـدى اللَّه وبأذنه، فهو غير مشـمول بهذه الآية قطعاً.

وبسـبب عـدم احاطـة الوهابيين بالآيات القرآنية الواردة بخصوص الشـفاعة، ومسألة الكفر والإيمان والشـروط التى حدَّدها اللَّه للشـفيع والمشفوع له، فقد اشتبهت عليهم هذه المسألة مع ما كان يعتقد به عبدة الاوثان، وبهذه الشاكلة التَبَسَتْ عليهم الحقيقة.

۵- أمّا قول الوهابيين إنّ عبـدة الأوثان العرب كانوا يعتقدون بأنّ كلَّ شـىء بما فيه المالكية والرازقية للَّهتعالى وكانت مشـكلتهم تتمثل فقط فى شفاعة ووساطة الأوثان، فهو خطأ آخر من أخطائهم الناتجة عن فقرهم العلمى والثقافى وعدم المامهم بالآيات القرآنية.

وذلك لأنّهم- أى عبدة الأصـنام- كانوا ينسـبون بعض هذه الصـفات للاصـنام كما يفهم هذا المعنى من الآيات الشريفة ومن جملتها: «فَاذَا رَكِبُوا فِى الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم الَى الْبَرِّ اذَا هُم يُشرِكُونَ». (العنكبوت/ ۶۵)

يتبيَّن من هذا التعبير أنّهم كانوا فى الأوضاع العادية يتوسلون بالأصنام لحل مشاكلهم، وفى الشدائد يتعلّقون باللَّه فقط.

وكذلك ما فيها أمر للنبى صلى الله عليه و آله: «قُل أَرَأَيْتُمْ شُـركَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرضِ أم لَهُمْ شِركٌ فِى السَّموَاتِ». (فاطر/ ۴۰)

لـو كـان المشـركون يعتقـدون بتفرد اللَّه فى الخالقيـة وينظرون إلى الأصـنام نظرة الشـفيع فلا- معنى لهـذا السؤال، لأـنّهم سـيقولون فى الجواب: إننـا لا- نعتبرهم خـالقين، ونعـدّهم واسـطة فقط بين الخالق والمخلوق، وهل يجب فى الواسـطة أن يكون خالقاً أو شـريكاً فى الخلق؟

و هذا يكشف بوضوح أنّ عبدة الأصـنام قد جعلوا من أصـنامهم بشـكل من الأشـكال أنداداً وشـركاء للَّهسبحانه وتعالى، وأنّ الرسول صلى الله عليه و آله مأمور بكشف وفضح أكاذيبهم بأنّ يسألهم ماذا خلقوا؟

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۱

وتبيّن الآيـة ۱۱۱ من سورة الاسراء انّهم كـانوا يظنّون أنّ أصـنامهم أنـداداً للَّهفى المالكيـة والحاكميـة على العـالم، وحـتى أنّهم كـانوا يعتقدون أنّ الأصنام تعين اللَّه فى بعض المشاكل:

«وَقُلِ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى لَم يَتَّخِذ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى المُلكِ وَلَم يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرهُ تَكبِيراً».

تمثل كل واحـد من هـذه الجمل الثلاث نفياً لمعتقـدات عبـدة الأوثان، الـذين كانوا يظنون أنَّ: (الملائكة بنات اللَّه)، (يرجى الالتفات إلى كلمة الولد تعنى كلا المعنيين البنت والولد أى الذكر والانثى «۱» وأنّهم شركاء له فى الخلق وأنّهم اعوانه وأولياؤه.

ومن الواضح أنّ هذه المعتقدات لو لم يكن لها وجود فى تلك البيئة، لما كان لهذه التعابير القرآنية أىُّ مفهوم.

وممّا يسترعى الإنتباه أنّ القرآن الكريم وصف عبـدة الأوثان ب «المشـركين» واعتبر عملهم «شِـركاً»، فلو لم يكونوا يعتقـدون بنوع من

الشِّركة بين اللَّه والأصنام وكانوا يحسبونها شافعة فقط بين يدى اللَّه، إذ لما كان هذا التعبير صحيحاً بشأنها، لأنّ كلمة «الشرك والمشرك» دالتان على أنّهم كانوا يعتبرون الأصنام شركاء للَّهفى الربوبيّة، وحل المشاكل والخلقة وأمثال ذلك، «كانت الأصنام الحجرية والخشبية فى عقيدتهم رمزاً ومظهراً للصالحين والملائكة).

وبعبارة اخرى كانوا يقولون: إنّ للأصنام نوعاً من الاستقلال فى تدبير شؤون العالم، وبتعبيرهم كانوا يعتبرونها أنداداً للَّه، لا مجّرد وسطاء بين يديه.

والتعابير الواردة فى الآيات القرآنية المختلفة تكشف لنا عن هذا الموضوع بكل وضوح، جاء مثلًا فى قوله تعالى «وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ». (العنكبوت/ ٢٢)

وهذه إشارة لاعتقاد المشركين بأنّ الأصنام أولياؤهم وأنصارهم (من دون اللَّه)، كما تُصرح بذلك هذه الآية: «وَلَا يُغْنِى عَنهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَااتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ

---

(١). «الولد» بمعنى المولود وتُطلق على الصغير والكبير والذكر والأنثى والمفرد والجمع (راجع مفردات الراغب).

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۲

اولِيَاءَ». (الجاثية/ ١٠)

تكرر فى القرآن الكريم تعبير «من دون اللَّه» فى وصف معتقدات المشركين وهذا دليل على أنّهم كانوا يتخذون موجودات من دون اللَّه لتكون لهم انصار أو أولياء، وهذا شرك فى الربوبية وليس بشفاعة.

وخلاصة القول أنّ القرآن الكريم قد أورد فى آياته المختلفة اعتراضين رئيسيين على المشركين، وهما أولًا: إنّهم اعتبروا هذه الكائنات الفاقدة للحس وللسمع والبصر مصدراً مؤثراً.

وثانياً: إنّهم يرون فيها أنداداً للَّهفى التدبير والربوبية.

وقد كان لعبدة الأصنام فى العصر الجاهلى آراء وكلمات متناقضة طبعاً، فهم لا يطرحون أقوالهم بلا أى تناقض أو تهافت، شأن أى إنسان منطقى وواعٍ، لذا فهم فى نفس الوقت الذى يعتبرون الأصنام شركاء للَّهفى حلّ المشاكل ويصوّرونها وكأنّها أولياء وأنصار لهم من دون اللَّه، فانّهم كانوا يطرحون أيضاً قضية الشفاعة بين يدى اللَّه، وهذا لا يدل مطلقاً على عدم الاعتقاد بالشرك فى الأفعال.

وهذا ما نلاحظه من دراسة مجموعة الآيات السالفة، واستقراء جميع أحوالهم من خلالها، ثم أنّهم لا يعتبرون الشفاعة مطلقاً منوطة ورهينة بإذن اللَّه.

وبناءً على هذا فاننا نستنتج وبكل ثقة لو أن الإنسان تمسك بأولياء اللَّه فقط (لا الأصنام الحجرية والخشبية) واعتبرهم- دون غيرهم- شفعاء له بين يدى اللَّه (لا- شركاء له فى الولاية والنصرة والتدبير) وأنّ شفاعتهم لا تحصل إلّاباإذن اللَّه (لا بصورة مستقلة عنه) فلا اعتراض عليه أبداً فى مثل هذه الحالة، وإنّما يرد الاعتراض حينما يغفل المرء عن واحدٍ من هذه المبادىء الثلاثة أو بأجمها، ويسلك الطريق الخاطىء.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۳

الأعراف وأصحابها

اشارة

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۵

الأعراف وأصحابها

تمهيد:

توجد في القرآن الكريم سورة باسم سورة «الأعراف» تختص أربع آيات منها بموضوع الأعراف، يستشف من هذه الآيات بشكل عام أنّ الأعراف مكان بين الجنّة والنّار وفيه بعض المؤمنين الذين يعرفون أهل الجنّة وأهل النّار.

ولكن ما هي مهّمة هؤلاء المؤمنين؟ وماهو الهدف الذي يسعون إلى تحقيقه؟ وما هي مكانة الأعراف في القيامة؟ وهل يوجد سوى هؤلاء الرجال الإلهيين المكلّفين بمهمّة خاصة في الأعراف، يعني أشخاصٌ آخرون من ضعفاء المؤمنين وأمثالهم، أم لا؟

هذه المسائل ينبغي ايضاحها في ظل تفسير الآيات الأربع في سورة الأعراف، وكذلك الروايات الواردة في تفسيرها في المصادر الإسلامية المهمّة.

نعودُ بعد هذا التمهيد الموجز إلى القرآن الكريم لنمعن خاشعين في الآيات الكريمة التالية الواردة في هذا المجال:

۱- «وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلًّا بِسِيَماهُمْ وَنَادَوا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ». (الأعراف/ ۴۶)

۲- «وَاذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَاتَجعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». (الأعراف/ ۴۷)

۳- «وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيَماهُمْ قَالُوا مَاأَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكبِرُونَ». (الأعراف/ ۴۸)

۴- «أَهؤُلَآءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَايَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيكُمْ وَلَا أَنْتُم تَحْزَنُونَ». (الأعراف/ ۴۹)

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۶

جمع الآيات وتفسيرها

موضع بين الجنّة والنّار:

تتضمن الآيه الاولى إشارة إلى الآيات التي سبقتها وتتحدث عن الجنّة والنّار، وأصحاب الجنّة وأصحاب النّار ثم تقول: «وبينهما حجاب».

وهذا الحجاب يمنع إلتقاء هذين الفريقين مع بعضهما، ولكن لا يمنع من سماع الطرفين لأصوات بعضهما، لأنّ الآيات السابقة تنقل لنا حديث أصحاب الجنّة وأصحاب النّار مع بعضهما إذ يُنادى أصحابُ الجنَّة أصحاب النّار أن قد وجدنا ماوعدنا ربُّنا حقّاً فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً، قالوا: نعم.

ولا عجب في هذا فكثيراً ما يتحادث الجيران من وراء الجدار ويتساءلون عن أحوال بعضهم بينما لا يرى بعضهم الآخر أو لايوجد بينهما طريق للالتقاء وورد شبيه هذا المعنى في سورة الحديد حيث يقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم، فيقولون لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، وفي هذه الأثناء: «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ». (الحديد/ ۱۳- ۱۴)

فهل أنَّ هذا لسور العالي هو الأعراف أمْ شيء آخر؟ سنجدُ جواب هذا السؤال لاحقاً.

ثم تضيف الآية: «وَعَلَى الْأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلّاً بِسِيَماهُمْ».

ولما كانت كلمة «الأعراف» تعني في اللغة الموضع المرتفع، فيتبيّن أنّ هؤلاء الرجال أصحاب منزلة وشخصية، إذ يشرفون من ذلك المقام المرتفع على كلا الفريقين ويرون كلا الفريقين ويعرفون كلًّا بسيماهم.

لماذا هذه المعرفة؟

يُستفاد من مجموع القرائن الموجودة فى الآيات موضوع البحث- والتى سيأتى شرحها مفصّلًا فى البحوث القادمة- وكذلك من الروايات الكثيرة الواردة فى المصادر الإسلامية

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۷

بخصوص الأعراف، بأنّه يوجد فيها فريقان: فريق من رجال اللَّه والشخصيات البارزة والمقرّبة إلى اللَّه وفريق آخر من المستضعفين ومن الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيِّئاً- فبعضْهم غلبت حَسناتُهم سيّئاتهم وبعضهم سيئاتهم فاقت حسناتهم، وفى الحقيقة هم حائرون لا إلى الجنّة ولا إلى النّار.

وهنا يعرف أولئك الرجال هذا الفريق من سيماهم، فيقولون لمن يستحق الشفاعة والمغفرة، ويستمد من معدن أولياء اللَّه: إذهبوا إلى الجنّةِ، ثم يسوقون الباقين إلى جهنّم.

وهذا هو أفضل تأويل وتفسير يوضّح مجموع الآيات المتعلّقة بالاعراف، وكذلك الآيات السابقة واللاحقة لها ويخلصنا من أى نوع من الكلام الزائد، ويشكل قاسماً مشتركاً وحلقة اتصال بين الكثير من أقوال وتفاسير المفسّرين.

فقد نقل المرحوم العلامة الطباطبائى- على سبيل المثال- اثنى عشر قولًا بخصوص من على الأعراف (نقل بعضهم فقط عشره أقوال أو سبعة، مثل تفسير القرطبى والتفسير الاثنى عشرى وبهذا الترتيب.

۱- إنّهم أشراف الخلق الممتازون بكرامة اللَّه.

۲- إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تترجح حسناتهم حتى يدخلوا الجنّة، ولا غلبت سيئاتهم حتى يؤمروا بدخول النّار، فأوقفهم اللَّه تعالى على هذه الأعراف لكونها درجة متوسطة بين الجنّة والنّار.

۳- إنّهم أهل الفترة.

۴- إنّهم مؤمنو الجن.

۵- إنّهم أولاد الكفّار الذين لم يبلغوا فى الدنيا أوان البلوغ.

۶- إنّهم أولاد الزنا.

۷- إنّهم أهل العجب بأنفسهم.

۸- إنّهم ملائكة والتعبير عنهم بالرجال لأنّهم يتشكلون بأشكال الرجال.

۹- إنّهم الأنبياء عليهم السلام يقامون عليها تميزاً لهم على سائر الناس ولأنّهم شهداء عليهم.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۸

۱۰- إنّهم عدول الامم الشهداء على الناس يقومون عليها للشهادة على امهم.

۱۱- إنّهم قوم صالحون فقهاء علماء.

۱۲- إنّهم العباس والحمزة وعلى وجعفر يجلسون على موضع من الصراط، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسوادها .... «۱»

وورد فى الكثير من الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام: عن هلقام، عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول اللَّه تعالى «وَعَلَى الْأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلّاً بِسِيَماهُم» مايعنى بقوله «وَعَلَى الْأَعرَافِ رِجَالٌ»؟ قال: «ألستم تعرفون عليكم عرفاء، وعلى قبائلكم ليعرف من فيها من صالحٍ أو طالح؟ قلت: بلى فقال فنحن أولئك الرجال الذين يعرفون كلًّا بسيماهم» «۲».

ولكن كل تلك الأقوال الاثنى عشر أو الثلاثة عشر مجموعة فى الحقيقة فى التفسير الذى ذكرناه سالفاً، ألا وهو وجود فريقين فى الأعراف: فريق من الأبرار والصالحين وأولياء اللَّه وفى طليعتهم «محمد وآل محمد» عليهم السلام ومن ثم الأنبياء والملائكة، وجماعة من الصالحين والعلماء والفضلاء، وفريق من المستضعفين ومن أصحاب الأعمال والصالحة والأعمال السيّئة، أو الذين ليست لديهم

أعمال صالحة ولا سيّئة (كالأبناء غير البالغين للكفّار والجهلة القاصرين وأهل الفترة).

إنَّ الروايات التى ذكرناها آنفاً تؤيد بصراحة وجود هذين الفريقين فى الأعراف.

ولهذا تواصل الآية الأولى الكلام عن الفريق الثانى فتقول: «وَنَادَوا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدخُلُوهَا وَهُمْ يَطمَعُونَ».

وبهذا السياق يشير صدر الآية وذيلها إلى هذين الفريقين المختلفين المذكورين فيما سبق.

---

(۱). تفسير الميزان، ج ۸، ص ۱۲۶ ذيل الآيات مورد البحث.

(۲). أورد المرحوم العلّامة المجلسى هذه الرواية فى بحار الأنوار، ج ۸، ص ۳۳۶، و ۳۳۷؛ ونقلها أيضاً المرحوم الكلينى فى اصول الكافى، ج ۲، ص ۴۰۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۰۹

وتضيف الآية الثانية: «وَإِذَا صُرِفَتْ ابصَارُهُم تِلقَاءَ اصحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ».

تعود الضمائر فى هذه الآية (الضميرين فى كلمتى «أبصارهم» و «قالوا»)، كما هو الحال فى ذيل الآية السابقة، إلى الفريق الثانى، بينما يدور الكلام فى مطلع الآية الأولى عن الفريق الأول.

وهذا هو فقط الخلاف الظاهر الذى نراه نحن فى تفسير هذه الآية، أى أن نفصل مَرَدَّ هذه الضمائر، لكن القرائن المتعددة لهذا الخلاف الظاهرى موجودة فى الآية الاولى وكذلك فى الآيات اللاحقة، لأنَّ الرجال الموجودين على الأعراف يعرفون الكل بسيماهم، ويأمرون هناك وينهون، ويلومون أهل النّار، ويرسلون إلى الجنّة من يستحقّها بفضل اللَّه، هم ليسوا ممن تشملهم جملة: «لَم يَدخُلُوهَا وَهُم يَطمَعُونَ».

و خلاصة القول هى أنّ فى هذه الآيات تعابير دالة على وجود رجال ذوى مقام رفيع على الأعراف، وبيدهم الأمر والنهى. وهم أصحاب المقام الرفيع فى معرفة أصحاب الجنّة وأصحاب النّار (حتّى قبل دخولهم فيهما)، وكذلك توجد تعابير فى هذه الآيات تدل على وجود فريق حائر على الأعراف وعليهم آثار القلق البالغ خوفاً على مصيرهم.

فهم طامعون فى الجنّة وخائفون من النّار، وينبىءُ مجموع هذه القرائن عن وجود هذين الفريقين على الأعراف، ويمكن فى ظل هذا التفسير حل جميع المشاكل العالقة فى تفسير هذه الآيات.

وتعود الآية الثالثة إلى الفريق الأول مَرّة ثانية فتقول: «وَنَادَى أَصحَابُ الْأَعرَافِ رِجَالًا يَعرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَاأَغنَى عَنكُمْ جَمعُكُمْ وَمَاكُنتُمْ تَسْتَكبِرُونَ».

ويعكس هذا اللُّوم والتوبيخ الشديد الصادر من أصحاب الأعراف إلى أصحاب جهنّم أحد المؤشرات الجلِيّة على سموِّ مقامِهم، فهم يعاقبونهم بسياط الملامة والتعنيف مثلما يفعل الملائكة معهم.

وفى الآية الرابعة يتحدث نفس أصحاب المقامات السامية فى الأعراف، وهم يشيرون

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۱۰

إلى جماعة من ضعفاء المؤمنين من جهة، وموجّهين الخطاب من جهة اخرى إلى المستكبرين من أصحاب النّار، وبأسلوب التوبيخ، قائلين لهم: «أَهؤَلَآءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَايَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ».

ثم يلتفتون فى نفس الوقت إلى ضعفاء المؤمنين فيقولون لهم: «ادخُلُوا الجَنَّةَ لَاخَوفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُم تَحزَنُونَ».

و يظهر من خلال هذا التعبير وبوضوح وجود فريقين هناك وهما: فريق ذوى المقام الرفيع، وفريق الحيارى من ضعاف المؤمنين الذين تشملهم الرحمة الإلهيّة فى ختام المطاف، ويُساقون بأمر ذوى المقام الرفيع الموجود فى الأعراف، نحو الجنّة.

توضيحات

۱- الأعراف فى اللغة والتفسير

«الأعراف»: جمع (عُرف) على وزن (قُفل) وهو بمعنى المكان المرتفع العالى. ومأخوذة فى الأصل من «عرف الفرس» و «عرف الديك» ويُقال أيضاً إنّها مشتقة من أصل المعرفة والعرفان الذى يعنى المعرفة بالأشياء والاطلاع على خصائصها لأنّ الاراضى المرتفعة أكثر وضوحاً وأقرب إلى المعرفة من الأراضى المنخفضة، (ومن فوقها يمكن الاطّلاع على كل مكان والتعرّف عليه).

ويُقال أيضاً أنّ الأعراف هى مقامات الأشخاص ذوى المكانة الرفيعة والدرجة السامية «۱».

أمّا بخصوص مكان الأعراف اين يقع؟ وماهى كيفيّته؟ ففيه أقوال عديدة، أورد من بينها صاحب الميزان ستة أقوال:

۱- موضع يشرف على أهل الجنّة وأهل النّار.

---

(۱). التحقيق، و تفسير مجمع البيان، وغيرهما من القواميس والتفاسير.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۱۱

۲- سورٌ له تاج خاص كعرف الديك.

۳- تلٌّ بين الجنّة والنّار.

۴- هو السور الذى يفصل بين المؤمنين والمنافقين، وقد اشير إليه فى القرآن الكريم بقوله تعالى «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ».

(الحديد/ ۱۳)

۵- الأعراف بمعنى الصراط والجسر الممتد فوق جهنّم.

۶- الأعراف بمعنى المعرفة بأوضاع الناس.

ولكننا نعتقد لو أمعنّا النظر فى الآيات الأربع المذكورة التى تتحدث عن الأعراف، لما بقى أى غموض فى معنى «الأعراف»، حيث يفهم منها وبكل وضوح بأنَّ الأعراف موقع يشرف على الجنّة والنّار، وفيه طائفة من أولياء اللّه ذوى المنزلة الرفيعة، وطائفة اخرى من ضعيفى الإيمان هذا فى الوقت الذى ذهب فيه المؤمنون المخلصون إلى الجنّة، والكفرة المذنبون إلى النّار، أمّا الفئة الاخرى من الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيّئاً، ولديهم نقاط إيجابية فى جانب ونقاط سلبية فى جانب آخر، فهم باقون على الأعراف ينتظرون الموقف الذى يتخذه بحقهم رجال الأعراف المؤمنون.

وأمّا بخصوص هذين الفريقين الموجودين على الأعراف ومن هُما؟ فقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل ضمن تفسير الآيات.

ومن هنا يتّضح أنّ مهمّة رجال الأعراف المؤمنين تمثل فى الحقيقة نوعاً من الشفاعة، لِمَن: «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً». (التوبة/ ۱۰۲)

وهؤلاء فى حالة اضطراب وقلق دائم، فحينما ينظرون من الأعراف إلى أصحاب الجنّة يتمنّون أنْ يكونوا معهم، وحين تقع أبصارهم على أصحاب النّار يضطربون ويرجون ألّا يُحشروا معهم.

ومن هنا تتوضح فلسفة وجود الأعراف ضمنياً وهى اظهار الدرجات الرفيعة لأولياء اللّه، وأخذهم بيد المغلوبين على أمرهم، وكذلك تبيان مصير فئة من المذنبين الذين تشملهم

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۱۲

فى خاتمة المطاف شفاعة هؤلاء الرجال ذوى المكانة السامية.

۲- الأعراف فى العقل والمنطق

من الواضح أننا لانمتلك أىَّ دليل عقلى يثبت وجود الأعراف، لأنّ العقل يثبت فقط العموميات المتعلّقة بالحساب والكتاب والثواب والعقاب، وذلك لأنّ عدم وجودها لا يتّسق وحكمة اللَّه وعدالته.

أمّا موقف القيامة، ومراحل الثواب والعقاب، وكيفية دخول أصحاب الجنّة فيها، وأصحاب النّار فيها والصراط والأعراف وماشابه ذلك من التفاصيل الجزئية للقيامة، فهى من المسائل التى لا تثبت إلّابالدليل النقلى.

ولكن بما أنَّ الشفاعة تنبثقُ أيضاً من حكمة اللَّه تعالى (كما ورد فى موضوع الشفاعة) وأنّ الشفعاء يجب أن يكونوا من ذوى الدرجات الرفيعة والمكانة العالية حتّى يأخذوا بأيدى الضعفاء، يمكن نتيجة لذلك العثور على إشارة ضعيفة فى اعماق حكم العقل بخصوص مسألة الأعراف (فتأمل).

۳- الأعراف فى الروايات والأحاديث

اشارة

تحوى المصادر الإسلامية الشيعية منها والسُنية على روايات كثيرة بخصوص الأعراف وأصحاب الأعراف، ومتى ما وضعناها إلى جانب بعضها بشكل صحيح لاستنتجنا منها ما استنتجناه من تفسير الآيات المذكورة.

وهى فى الحقيقة أخبار كثيرة حتّى أنَّ البعض قال إنّها تربو على ۲۸ حديثاً «۱».

تختص بعض تلك الأحاديث بموضوع الأعراف، وبعضها بالرجال الذين على الأعراف ويتحدث بعضها عن طائفة الحيارى من ضعيفى الإيمان الموجودين هناك ونحن نكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الأمثلة المهمّة منها:

---

(۱). تفسير الاثنى عشرى، ج ۴، ص ۷۵.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۱۳

۱- نقل عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه حين سُئِل عن معنى الآية الشريفة: «وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعرَافِ رِجَالٌ» قال: «سور بين الجنّة والنّار» «۱».

وجاء فى تفسير الطبرى نفس هذا المعنى عن الإمام الباقر عليه السلام «۲».

۲- جاء فى حديث للإمام الباقر عليه السلام يفسر فيه قوله تعالى «وَعَلَى الْأَعرَافِ رِجَالٌ» قال: «نزلت فى هذه الأمة، والرجال هم الائمة من آل محمد صلى الله عليه و آله. قلت: فالأعراف قال:

صراط بين الجنّة والنّار، فمن شفع له الإمام منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفع له هوى «۳».

فهذا الحديث أوضح معنى الأعراف وكذلك الفريقين الموجودين عليه.

۳- وجاء فى حديث آخر نقله المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه: «الأعراف كثبان بين الجنّة والنّار، فيقف عليها كل نبى وكل خليفة نبى، مع المؤمنين من أهل الزمان كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده» «۴».

وجاء فى آخر هذا الحديث شرح يبيّن أنّ المحسنين يذهبون مُسبقاً إلى الجنّة، فيقول رجال الأعراف المؤمنون للمذنبين الذين بجانبهم انظروا إلى اخوانكم المحسنين سبقوكم ودخلوا الجنّة، وهنا ينظر إليهم المذنبون ويسلّمون عليهم وهذا هو ماذكره القرآن فى قوله: «وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيكُمْ لَمْ يَدخُلُوهَا وَهُمْ يَطمَعُونَ».

فهؤلاء المذنبون لم يدخلوا الجنّة ويأملون دخولها ببركة شفاعة النبى صلى الله عليه و آله والإمام عليه السلام، ثم يفسر بقية الآيات

على هـذا المنوال وبالشـكل الـذى لايبقى معه شك فى معنى الأعراف والفريقين الموجودين عليها. ويعرض بدقـة نفس التفسـير الذى بيّنّاه سابقاً بشأن آيات

(۱). تفسير البرهان، ج ۲، ص ۱۸، ح ۱۰.

(۲). تفسير جامع البيان، ج ۸، ص ۱۳۷.

(۳). تفسير البرهان، ج ۲، ص ۱۸، ح ۸.

(۴). تفسير مجمع البيان، ج ۳، ۴، ص ۴۲۳.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۱۴

الأعراف الأربع وعلاقتها مع بعضها «۱».

۴- جـاء فى الـدرّ المنثور حـديث آخر عن الرسول صـلى الله عليه و آله أنّه قال: «يُجمع الناس يوم القيامـة فيؤمر بأهل الجنّـة إلى الجنّة ويؤمر بأهـل النّـار إلى النّار، ثم يقال لأصـحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إنّ حسـناتكم تجاوزت بكم النّار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنّة خطاياكم، فادخلوا الجنّة بمغفرتى ورحمتى» «۲».

طبعاً سبب دخول الجنّة هنا هى شفاعة الشفعاء والرجال المؤمنين فى الأعراف وبإذن من اللَّه.

۵- جاء فى حديث آخر فى الدرّ المنثور منقول عن أبى سـعيد الخدرى بأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سُئل عن أصحاب الأعراف فقال: «هُم رجالٌ قُتِلوا فى سبيل اللَّه، وهم عُصاة لآبائهم فمنعتهم الشهادة أنْ يدخلوا النّار، ومنعتهم المعصية أنْ يدخلوا الجنّة، وهم على سورٍ بين الجنّة والنّار.. فاذا فرغ اللَّه من حساب خلقه فلم يبق غيرهم تغمّدهم منه برحمة فأدخلهم الجنّة برحمته» «۳».

وكما قلنا سابقاً لايوجد أيُّ مانع من شمولهم برحمة اللَّه فى ظل شفاعة الأنبياء والأولياء.

خاتمة بحث المعاد:

وبانتهـاء موضوعى الشـفاعة والأـعراف، نصل إلى ختام بحوث المعاد، وكما نوّهنا سابقاً، كان من المؤمّل أن نضع جميع بحوث المعاد فى مجلّـد واحـد، إلّاأنّ سـعة الأبحاث القرآنيـة فى هذا الصدد دفعنا إلى تقسـيمها إلى مجلّدين، ثم إنّ المواضـيع التى عرضـناها تمثّل امّهات

(۱). تفسير مجمع البيان، ج ۳ و ۴، ص ۴۲۳.

(۲). تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۸۷.

(۳). المصدر السابق، ص ۸۸.

نفحات القرآن، ج۶، ص: ۴۱۵

مسائل المعاد وبحوثه الأساسـية، وإلّا فإنّ هـذه البحوث تضم بين طياتها مسائل اخرى متنوعـة صـرفنا النظر عنها حالياً تجنّباً للاطالة إلى أن تحين فرصة اخرى

اللّهمّ لا تَدَعْنا لِوَحْدِنا فى هذا السفرالمليء بالخوف والمخاطر، وفى نفس الوقت مليء بالرحمة والبركة، وخذ بأيدينا ونجّنا من مواقف الخطر ومواضع العذاب، وأوصلنا إلى جوارِ رحمتك.

إلهى إنَّ أيـدينا خاليـة، وأعمالنا قليلة وذنوبنا كثيرة، وكتاب أعمالنا خفيف وكواهلنا مثقلة بأعباء المسؤوليات، وفى هذه الأحوال آمالنا معقودة عليك.

ربّنـا إنَّ رحمتـک واسـعهٔ، وألطافک غیر متناهیـهٔ، وکرمک غیر محـدود، اللّهمّ نُقسمُ علیک بأولیائک الکرام أنْ تشـملنا برعایتک فی ذلک الیوم، وتجعلنا ممن یَسعد بلقاک ولا تحرمْنا رؤیتک.

ختام بحث المعاد فی القرآن

ونهایهٔ المجلّد السادس

آمین یاربّ العالمین

التاریخ ۲۱/ ۳/ ۱۳۷۰ هجری شمسی

الموافق ۲۷ ذی القعدهٔ ۱۴۱۱ هجری قمری

تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبهٔ/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأـنوار، للعلاّمـهٔ فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّهٔ "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـهٔ الله "الشـمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابـذهٔ هـذه المدینهٔ، الذی قدِ اشـتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صـلواتُ اللهِ علَیهـم) و لاسیَّما بحضـرهٔ الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّـلام) و بسـاحهٔ صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهـذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَـنَهِ ۱۳۴۰ الهجریّهٔ الشمسـیّهٔ (=۱۳۸۰ الهجریّهٔ القمریّهٔ)، مؤسَّسهً و طریقهً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّهٔ "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَـنَهِ ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریّهٔ القمریّهٔ) تحتَ عنایـهٔ سـماحهٔ آیـهٔ الله الحـاجّ السـیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَهِ جمعٍ من خِرّیجی الحـوزات العلمیّهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ...

الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّهٔ، تخلیف المطـالب النّافعـهٔ – مکـانَ البَلاـتیثِ المبتذلـهٔ أو الرّدیئـهٔ – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولهٔ) و الحواسیب (=الأجهزهٔ الکمبیوتریّهٔ)، تمهید أرضیّهٍ واسعهٍ جامعهٍ ثَقافیّهٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلّاب، توسـعهٔ ثقافـهٔ القراءهٔ و إغناء أوقات فراغـهٔ هُواهِ برامِـج العلوم الإسلامیّهٔ، إنالهٔ المنابع اللازمهٔ لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرهٔ فی الجامعهٔ، و...

- مِنها العَدالهٔ الاجتماعیّهٔ: التی یُمکِن نشـرها و بثّها بالأجهزهٔ الحدیثهٔ متصاعدهً، علی أنّه یُمکِن تسـریعُ إبراز المَرافِق و التسـهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافهِ الاسلامیّهٔ و الإیرانیّهٔ – فی أنحاء العالَـم – مِن جـهـهٍ اُخرَی.

- من الأنشطهٔ الواسعهٔ للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبهٔ، نشرهٔ شهریّهٔ، مع إقامهٔ مسابقات القِراءهٔ

ب) إنتاجُ مئات أجهزهٍ تحقیقیّهٔ و مکتبیهٔ، قابلهٔ للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّهِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکهٔ و... الأماکن الدینیّهٔ، السیاحیّهٔ و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّهٔ "www.Ghaemiyeh.com و عدّهٔ مَواقِعَ اُخـرَ

ه) إنتاج المُنتجات العرضیّهٔ، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّهٔ

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹